

المقطَّعُ السَّامِ

جريدة الاحتلال البريطاني في مصر

د. تيسير أبو عرجة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

قد عرفت جريدة المقطم بأنها جريدة الاحتلال فى مصر، فقد صدرت
بإعاز العميد البريطانى فى مصر، الذى أراد بإصدارها محاربة الصحافة
الوطنية بالصحافة ! وبالتالى فإن دراسة هذه الجريدة تعد فى الوقت نفسه
دراسة لاتجاهات الاحتلال فى مصر ومن هنا فقد عنى الباحث، وهو الدكتور
تيسير أبو عرجة، بالتمهيد لدراسته باستعراض وضع الصحافة المصرية قبل
صدور المقطم وعلاقة المقطم بالحركة الوطنية منذ ظهورها فى عام ١٨٨٩
حتى عام ١٩١٢. وتناول موقف المقطم من أحداث الحرب العالمية الأولى،
وأساليبها فى الدعاية للاحتلال البريطانى، وخصص فصلا لموقف المقطم
من ثورة ١٩١٩، وتتبع موقفها من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، ومن أول
وزارة ألفها سعد زغلول وهى وزارة الشعب.

تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سوكان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

تصدر من

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الإخراج الفني :

مراد نسيم



المقطر

جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر

١٨٨٩ - ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

١٩٩٧

تقديم

يسرني ان اقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب المهم الذي يسجل تاريخ جريدة بارزة من الجرائد التي لعبت دورا كبيرا في عهد الاحتلال البريطاني لمصر ، وهى جريدة المقطم ، التى اصدرها اصحاب مجلة المقتطف : فارس نمر باشا ويعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس .

وقد عرفت جريدة المقطم بأنها جريدة الاحتلال فى مصر ، فقد صدرت بايعاز العميد البريطانى فى مصر ، الذى اراد باصدارها محاربة الصحافة الوطنية بالصحافة ! وبالتالى فان دراسة هذه الجريدة تعد فى الوقت نفسه دراسة لاتجاهات الاحتلال فى مصر ومن هنا فقد عنى الباحث ، وهو الدكتور تيسير ابو عرجة ، بالتمهيد لدراسته باستعراض وضع الصحافة المصرية قبل صدور المقطم وعلاقة المقطم بالحركة الوطنية منذ ظهورها فى عام ١٨٨٩ حتى عام ١٩١٢ . وتناول موقف المقطم من احداث الحرب العالمية الاولى ، واساليبها فى الدعاية للاحتلال البريطانى ، وخصص فصلا لموقف المقطم من ثورة ١٩١٩ ، وتتبع موقفها من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، ومن اول وزارة الفها سعد زغلول وهى وزارة الشعب .

وتعقب موقف المقطم من الازمات الدستورية فى الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٣٦ . ثم تعرض لموقف الجريدة من معاهدة ١٩٣٦ ، ومن الصراع الذى تلا ذلك بين الوفد والقصر ، وتناول سياسة المقطم اثناء الحرب العالمية الثانية ، وتتبع مواقفها من القضية الوطنية التى انفجرت فى اعقاب الحرب ، ومراحل المفاوضات مع بريطانيا ثم التحكيم الدولى ، واغرد فصلا لموقف المقطم من القضية الفلسطينية ، وعلاقة المقطم بحكومة الوفد الاخيرة ، واختتم دراسته بموقف المقطم من ثورة يوليو ١٩٥٢ .

والكتاب بذلك يمد عملا موسوعيا بكل المعايير يستحق ان يحتل مكانا مرموقا فى المكتبة العربية وفى تاريخ الصحافة المصرية ، وأملئ ان يستمتع به القارئ المتخصص والقارئ المثقف .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

القسم الأول

تمهيد

الصحافة المصرية والاحتلال البريطانى
قبل صدور (المقطم)

فى الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٨٨٢ خضعت مصر للاحتلال البريطانى ، اثر فشل الثورة العرباية وهزيمة الجيش المصرى أمام الجيش البريطانى الفازى . وقد جاء الاحتلال بمد « صراع استعمارى سياسى ثنائى بين فرنسا وبريطانيا ، كاد يقترب من حكم ثنائى خفى الى أن اختزلته بريطانيا بالاستعمار المسلح » (١) .

وقد قام الاحتلال البريطانى «على أساس تأييد الخديوى توفيق وتأمين مصالح اصحاب الديون الأجانب . وقد وضع المسئولون البريطانيون برنامجا ظاهره العمل لتحقيق هذين الغرضين ، بينما الغاية الحقيقية منه وضع البلاد تحت سيطرة بريطانيا دون حاجة الى تغيير الأوضاع القانونية السائدة » (٢) .

وكان من الاجراءات الاولى التى اقدم عليها الاحتلال « تعطيل الصحف الوطنية الموالية للعربيين عن الظهور . وصدر امر ناظر الداخلية فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ بالغاء جريدتى الزمان والسفير . كذلك توقفت صحف عبد الله النديم بعد ان اصبح طريدا يجد فى القبض عليه رجال الاحتلال والامن في مصر . كذلك قبض على حسن الشمسى صاحب جرائد المفيد السفير والنجاح الثورية » (٣) .

ولكن هذه الضربات التى تعرضت لها الصحف الوطنية ، لم تحم السياسة البريطانية من الهجوم عليها وانتقادها . فقد تولت الصحف الفرنسية فى مصر هذه المهمة وخاصة صحيفة (لوبسفور اجيبيسيان) التى « عادت الى الميدان بعد استقرار جيش الاحتلال لتعبر أصدق التعبير عن الروح الجديدة للسياسة الفرنسية حيال المسألة المصرية » ، وكان لها دورها « فى بث الحمية فى النفوس بعد ما أصابها من يأس وقنوط ، كما كان لها فضل ارساء الحجر الأول فى بعث الروح الوطنية فى المصريين وتشجيعهم والأخذ بناصرتهم والذود عن مبادئهم » (٤) .

ومنذ عام ١٨٨٤ ، اشتدت معارك الصحافة ضد الاحتلال ، فالى جانب الصحف الفرنسية ، بدأت (الأهرام) عهدا جديدا فى سياستها ، فبعد موقفها المعروف من أحمد عرابى وهجومها عليه ، أخذت تحمل على الاحتلال ، وتوجه اليه الانتقادات اللاذعة ، وخصوصا بعد انهيار الحكم المصرى فى السودان ، فقد « نعت على من وافق على اخلائه أشد النعى ونشرت أحاديث إمرأء الألوية بالجيش مبينة من هذه الأحاديث أخطاء الحكومة وإهمالها فى الحرب ثم تذكر المحاربين المصريين الذين ضحوا بأرواحهم — تخليدا لذكر مصرنا العزيزة — وبذلك تولت الأهرام التنقيص عن المصريين وكانت حوادث السودان من موافقها المشرفة » (٥) .

والى جانب (الأهرام) ، كانت (العروة الوثقى) تقاوم الاحتلال فى خارج الحدود المصرية ، حيث أصدرها فى باريس الامام محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغانى فى سنة ١٨٨٤ . وقد قاومت الاحتلال « مقاومة جمعت بين قوة الروح وبلافة العبارة والسخط على السياسة الاستعمارية البريطانية ، وبث روح الأمل

والجهاد فى النفوس ، ودعوة الأمم الشرقية الى مناهضة الاستعمار « (٦) .

وفى باريس ايضا كان (يعقوب صنوع) يصدر صحيفة (أبو نضارة) وكان « يتحايل على ادخالها بتغيير اسمها حتى بلغت أسماؤها أكثر من عشرة » (٧) ، وذلك بسبب سياسة البطش والارهاب ضد الصحافة الوطنية ، التى اتبعها الاحتلال واستخدم لتنفيذها (نوبار باشا) رئيس الحكومة المصرية ، الذى تسلم رئاسة النظارة بتوصية من (كرومر) ، وذلك « خلفا لشريف باشا الذى رفض اخلاء السودان » (٨) .

فنوبار الذى مارس الارهاب الصحفى ، وقف حائلا دون ادخال صحف (أبو نضارة) ، وأصدرت حكومته قرارا « بمنع جريدة العروة الوثقى من الدخول الى مصر ، حفظا للنظام العمومى » (٩) . وكانت مدد توليه الحكم فترات نكبات ومحن بالنسبة للصحافة ، وكان الانجليز من وراء الستار يدفعونه الى اضطهاد الصحف وأصحابها لاقبل الأسباب . ولذلك رأيناه ينزل بالصحف صنوف البلاء وانواع التنكيل مثل الانذارات والفرامات والتعطيل والاعلاق . ولكن الصحافة ظلت تصبر وتصابر على هذا البلاء وزادت فى نقدها واشتدت فى حملاتها (١٠) .

ان هذا الارهاب الذى تعرضت له الصحافة يتناقض تماما مع ما أورده كرومر فى تقريره عن سنة ١٩٠٣ ، الذى تناول فيه مسألة الصحافة لأول مرة ، وهو يتحدث عن الحرية المزعومة ورحلة السلام والامان التى قطعتها الصحافة منذ بداية الاحتلال . فقد بين ان هناك « اعتراضين على تقييد حرية الصحافة . الاول أن وجود حامية انجليزية فى القطر يضمن أن الكتابات المهيجة لا تقضى الى الاخلال بالامن اخلالا عظيما . والثانى أن من العبث سن قانون

خصوصى للجرائد الوطنية ما لم يتمش ذلك القانون على الجرائد الأوروبية أيضا لأن كل صاحب جريدة وطنية يخشى طائلة القانون ينقل حقوقه وامتيازاه الى رجل أوروبى فعلا أو اسما . ثم ان الدول الأوروبية والحكومة الانجليزية فى مقدمتها على الأرجح تعترض على كل قانون يقصد به تقييد حرية الصحافة « (١١) » .

والحق أن اللورد كرومر أخفى عن حكومته ما أصاب الصحافة المصرية على يديه وايدى أعوانه من الانجليز الذين اختفوا وراء نيو بار باشا بالذات (١٢) . وينقض تاريخ (الأهرام) أيضا ما ذهب اليه كرومر ، فقد « كانت صحيفة الأهرام مثلها كمثل الصحف الأخرى فى مهاجمة الاحتلال البريطانى وأعوانه وزاد نشاطها على الحد الذى يحتمله الانجليز وترتضيه الحكومة فصدر أمر تعطيلها شهرا « (١٣) فالحكومة المصرية قد عاملت الصحف معاملة غيها من القسوة ما ينقض اقوال العميد البريطانى ، والحكومة المصرية هنا تمثل الرغبات الانجليزية ولا تجيز شيئا لا يرضاه الانجليز (١٤) .

ولكن الميزة الظاهرة للاستعمار البريطانى أنه يصطنع الحلم ويطيل الصبر على حملات النقد ضده . فهو لا يضيق بالمقالات الحادة فى الصحف مادام يحس بأن الحركة الوطنية اضعف من أن تنتزع له من الأرض جذرا أو تسيل له دما . بل انه يسره أن توجه حيث يحكم حملات نقد وصحف تحتج وتشكو لأن ذلك ينفس عن الأبخرة المحبوسة فى الصدور ويسمح له بأن ينسب الى نفسه بذر بذور الديمقراطية وحرية الراى وتمويد الناس على المشاركة فى شئون الحكم (١٥) .

فهذه الحرية المزعومة ، لم تكن الا للتفيس عن المصريين ، ولإقامة سياج يحمى الصحافة الموالية للاحتلال ، لاسيما ان هذه

الصحافة قادرة على أن توجه حملاتها وهجماتها حيث يشاء الاحتلال وضد كافة الخصوم . فقد اهتم رجال الاحتلال باصدار صحف يحاربون بها الصحف المناوئة لهم ، وعملوا على دعمها ماديا وادبيا . ومن ذلك كانت صحيفة (الأعلام) التي اصدرها (محمد بيرم الخامس التونسي) في يناير ١٨٨٥ ، وذلك « للتقبيح بسياسة الحكومة الفرنسية في تونس » والعمل على « محاسنة الانجليز وخدمة مصالحهم في وادي النيل » (١٦) .

وسعى المحتلون أيضا الى اجتذاب عدد من الصحف نحوهم ، ومنها : مرآة الشرق والاتحاد المصري والبرهان والزمان التي عاودت صدورها بعد أن عطلها الاحتلال لفترة من الزمن . ولكن هذه الصحف لم تكن بالقوة والتأثير الذي يتفق وحجم الأحداث السياسية التي رافقت الاحتلال ، وأعماله ومعاركه المنتظرة ضد الحركة الوطنية . ولم تكن هذه الصحف احتلالية خالصة ضالعة مع الاحتلال ونق ما يرتثيه رجاله وعميده ، في الوقت الذي اتخذته فيه (الأهرام) موقفا صلبا ضد الاحتلال ، في الوقت الذي كان فيه الاحتلال يأمر الحاجة الى تثبيت أقدامه في مصر في مواجهة السياسة الفرنسية والتركية .

من هنا كان اهتمام المحتلين بإيجاد صحيفة تنطق بلسانهم ، وتعادل (الأهرام) في قوتها وتأثيرها ، وتقف في مواجهتها . فقد « تعجب رجال الاحتلال أنفسهم من تقلب الأهرام ، وأذهلهم رجوعها الى صفوف الوطنيين ، فعملوا على اصدار جريدة المقطم ليحاربوا بها الأهرام » (١٧) .

هوامش التمهيد

- (١) جمال حبدان ، شخصية مصر : دراسة في مبقرة المكان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٨١
- (٢) محمد أنيس وسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث دالر النهضة العربية ، القاهرة ، د.ت ، ص ١١ .
- (٣) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
- (٤) محمود نجيب ابو الليل ، الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٢ .
- (٥) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
- (٦) عبد الرحمن الرافعى ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٤ .
- (٧) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ ولن ، مؤسسة مجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣٧ .
- (٨) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩ .
- (٩) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام ، ص ٢٣٧ .

- (١٠) محمود نجيب أبو الليل ، الاحتلال البريطانى والمصحف الفرنسية ،
ص ٦٧ .
- (١١) كرومر ، تقرير عن المالية والإدارة والحالة المبودية لى مصر والسودان
سنة ١٩٠٤ ترجم وطبع بإدارة المتظم — ص ٤٩ .
- (١٢) ابراهيم عبده ، جريدة الاهرام ، ص ٢٢٧ .
- (١٣) محمود نجيب أبو الليل ، الاحتلال البريطانى والمصحف الفرنسية ، ص
٦٧ ، ٦٨ .
- (١٤) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٣٦ .
- (١٥) غنى رضوان ، مصطفى كامل ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، القاهرة ،
١٩٧٥ ، ص ٢١٦ .
- (١٦) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، ص ٩٤ .
- (١٧) عبد اللطيف حمزة ، ادب المغتالة الصحفية ج ١ ، دار الفكر العربى ،
القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٢ .

الفصل الأول

إصدار جريدة المقطم

صدر المقطم :

صدر العدد الأول من جريدة المقطم في الرابع عشر من فبراير سنة ١٨٨٩ م « جريدة يومية سياسية تجارية أدبية » (١) . وقد أصدرها أصحاب مجلة المقتطف : فارس نهر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس ، الذين قدموا طلبا لإدارة المطبوعات في ١٨ أبريل عام ١٨٨٨ لإصدارها « جريدة سياسية تجارية غرضها خدمة الوطن واسمها المقطم ويكون صدورها يوميا » (٢) .

وتوضح المقطم هويتها للقراء في افتتاحية عددها الأول قائلة أنها « الجريدة السياسية التجارية التي حظيت عند الجمهور قبل أن تظهر في عالم الوجود ، فطار خبرها في الآفاق قبل أن نعد القوم بإصدارها ، وتحديث بأمورها الأقارب والأبعاد على اختلاف المشارب والشئون قبل أن نستكمل صورتها أو نرد مصدرا لأخبارها . ف جاء ما نالته من الخطوة مخالفا لما قدرناه لها موافقا لأقوال الجم الغفير من الأفاضل الذين كانوا يزينون لنا نهج هذا المنهج ويحضوننا على تولي هذا العمل » (٣) .

ويقول فارس نهر أن عملية إصدار المقطم جاءت ثمرة للبحث عن إيجاد الوسائل الكفيلة بإدارة حركة مطبعة المقتطف « لنستعين

به على سد نفقاته ونفقاتنا » ، ذلك لأن إصدار (اللطائف) الأدبية التى تولى الإشراف عليها شهاين مكاريوس لم يأت « بالفائدة المرومة » وهنا « خطر لبعضنا أن نصدر جريدة أسبوعية ننشر الأخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية ، فعارضت فى ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم وتخونا من عواقب الدخول فى مآزق السياسة ، حتى اشتدت الحاجة الى تدبير عمل كاف للمطبعة . وجعلنا نذكر أما فى إصدار جريدة أسبوعية وأما المهاجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة الى الديار المصرية . ولكن تغلب رأى شريكى على رأى ، وأزمعنا إصدار جريدة اخبارية أسبوعية تكفى مع المقتطف لإدارة حركة المطبعة وتثمين رأس المال الذى أنفق عليها . وبينما نحن نستعد لذلك ، شاء القدر أن يتصدى من استخف بهزة نفسنا واستفزنا الى استبدال الجريدة الأسبوعية بجريدة يومية رغما عنا » (٤) .

أما عن تسميتها بالمقطم فان محرريها يشرحون ذلك بقولهم :

« اقترح علينا هذه التسمية صديق فاضل من رجال العلم وأهل الذوق ، فعلمنا باقتراحه لتمام مناسبته ، لأنه جرت العادة عند كثيرين من أرباب الجرائد فى المشرق أن يسموا جرائدهم بمسمى مشهور فى البلاد التى هم فيها . فاختارنا اسم جبل المقطم ، لأنه لم يسبق الى التسمية به ، حال كونه أعظم ما فى بلاد مصر شأنا وأقدمها زمانا . وجد قبل أن توجد ذرة من وادى النيل ، وقطعت من الصخور المعاصرة لصخوره أحجار الأهرام ، وبنيت من مقالعه بيوت القاهرة ، ولولا ما امتد منه شمالا وجنوبا مستعرضا شسرقى القاهرة بين عدوة النيل والصحراء ، لكانت بلاد مصر بلقما صفصفا بل لم يكن لهذا القطر السعيد عين ولا اثر . فأحر بما كانت القاهرة ابنته والأهرام أبناء أخيه ووادى النيل

بأنه مستندريا به ، ان تسمى به جرائد القطر ، وتجري في ظله
جياذ اقلام الادباء . فباسم هذا الجبل المبارك سمينا جريدتنا
تفاؤلا بان تكون مثله ثابتة الأركان سامية المبادئ فاصلة بين الحق
والباطل فاصلة بين الخصب والجذب ترتاح اليها نفوس الفضلاء
ارتياح المستندرين بظله من هجير الصحراء « (٥) .

وقد صدرت الأعداد الثلاثة الأولى في فترات متباعدة ، ولكن
بعد ذلك أصبح صدورها يوميا .

ويعتبر اصدار المقطم الحلقة الثالثة من حلقات احكام الحصار
حول الراى العام في مصر ، اذ كان أصحابه الثلاثة يصـدرون
مجلة المقتطف العلمية في مصر منذ ١٨٨٥ ، ثم أصدر أحدهم وهو
شاهين مكاريوس مجلة اللطائف الأدبية الاتجاه عام ١٨٨٦ ، ثم
صدر المقطم الذى اختص بالنواحي السياسية (٦) . ذلك أن رجال
الاحتلال لم يكتفوا « بالصحف التى كانت تدعو اليهم والى سياستهم
بل ساعدوا أصحاب المقتطف — صروف ونمر ومكاريوس — على
أن يصدروا لهم صحيفة يومية سياسية تأخذ بناصرهم » (٧) .

ويرى الدكتور محمد حسين هيكى أن الانجليز كانوا يعتقدون
أن الحركة الوطنية آتية لا محالة ، فشجعوا على انشاء جريدة
المقطم عقب الاحتلال للدفاع عن سياستهم (٨) . أما الدكتور ابراهيم
عبيد فبرى أن العميد الانجليزى اراد بايعازه بانشاء المقطم أن
يحارب الصحافة بالصحافة . وأن تقوم هذه الصحيفة ببنائى
الأهرام ومعارضتها ، وحماية المصالح البريطانية مثل ما كانت
الأهرام تؤيد المصالح الفرنسية (٩) .

وقد نشأ أصحاب المقطم « فى اعظم مدرسة غربية أسست
فى الشرق وهى الكلية الأمريكية الكائنة ببيروت واخذها علومهم

من أعظم حكيم غربى قطن الشرق وهو الدكتور فائديك ، فمروا
التمدن العصري وبرعوا فى العلوم الجديدة واثربوا الحرية ،
فشبوا عليها كأنهم ولدوا فى اوطانها « (١٠) .

وقد احتفلت المدرسة الكلية السورية بملح درجة دكتور فى
الفلسفة لفارس نمر ويعقوب صروف ، وذلك من مدرسة نيويورك
الجامعة ، وهذا اللقب يمنح « لخدمة العلم الشريف الذين ثابروا
على الاشتغال بالمعارف واحرزوا فيها المراتب العالية » (١١) .

وكان أصحاب المقطم قد نالوا شهرة فى عالم الكتابة والتأليف
الأدبى والعلمى بواسطة المقتطف ، تلك « المجلة العلمية الشهيرة »
التي « أنشأها صروف بالاشتراك مع رصيفه فارس نمر سنة
١٨٧٦ وهما فى المدرسة الكلية السورية . وظلا يجرانها معا
الى أن صدر المقطم سنة ١٨٨٩ ، فانقطع الدكتور نمر لانشاء
المقطم والدكتور صروف لانشاء المقتطف . ولما انتقلا بالمقتطف الى
القطر المصرى سنة ١٨٨٥ ، كانت شهرتهما العلمية قد سبقتهما اليه
فرحب بهما عظماء مصر وعلمائها « (١٢) .

ويقول أحمد شفيق ان فارس نمر ويعقوب صروف وفدا الى
مصر فى فبراير ١٨٨٥ ، وهما « من خيرة متخرجى الجامعة
الامريكية بببيروت ، وكانا يصدران مجلة المقتطف المزينة بالصور
التي ذاع صيتها ليس فقط فى بيروت بل فى العالم الشرقى خصوصا
فى مصر » . وكانت هذه المجلة « فريدة فى بابها لما كانت تحويه
من الموضوعات العلمية والأدبية والصناعية » . وكانت « رسائل
التشجيع ترد عليها من كبار المصريين » مثل شريف باشا ورياض
باشا « وقد صدر أول عدد منها بمصر فى يوم ١٠ مارس ١٨٨٥
وهو الجزء السادس من العام التاسع للمجلة » (١٣) .

وكانت المقتطف تثبت على غلافها أنها « جريدة علمية صناعية » تصدر أول كل شهر ، لمنشئها يعقوب صروف وفارس نمر ، قيمة الاشتراك ليرة انجليزية فى السنة « (١٤) . والمقتطف فى نظر شقيقتها المقطم مسرح « لفارسان العلوم تتسابق فى بهادين الاكتشاف والاختراع وتبارى فى نوادي المعقول والمنقول بين باحث عن الحقائق العلمية والنواميس الطبيعية لاثارة الازهان وتوسيع الاهتمام ومستخدم هذه المباحث لراحة الانسان وتخفيف الآلام والأسقام » (١٥) . وهى « أول جريدة وطنية اذاعت فضائل الشرقيين وبرهنت على جودة فطرتهم وسمو آدابهم . وهى أول جريدة وطنية تحرت جميع الادلة والشواهد على ذكاء عقول المشاركة واستعدادهم لارتقاء اعلى مراقى الفلاح » (١٦) .

اصحاب المقطم والسوريون فى مصر :

ولكى تتضح حقيقة الظروف التى اجاطت باصحاب المقطم ، يجدر بنا الاشارة الى الاوضاع التى عاشها السوريون فى مصر ، والذين بدأوا يحتلون الوضع الذى صار لهم فى مصر ، عندما اتجه اسماعيل باشا الى صيغ الإدارة المصرية بالصيغة الأوروبية . فقد اخذ الطلب يزداد على المواطنين الذين يعرفون اللغتين العربية والفرنسية ويستطيعون استيعاب طرق الإدارة الأوروبية والتعامل معها فى مصر . ولما عجز عدد المصريين المتقنين ثقافة أوروبية عن القيام بهذه المهمة ، استعان بالسوريين الذين سرعان ما نجحوا فى تسلم المناصب الكبرى لما تميزوا به من طموح ومقدرة على التلاؤم مع المجتمعات التى هى خليط من كل الاجناس (١٧) ، وكانوا نظرا لتعليمهم الاوروبى ، وافادتهم من الثقافة الغربية يشبهون وايطة بين الاوروبيين والشرقيين . وكانت اهم الصحف العربية فى مصر فى ايديهم وخصوصا اهرام تقلا ومقطم نمر (١٨) .

فقد كان من نتائج سياسة السلطان عبد الحميد فى اضطهاد
الأحرار فى بلاد السلطنة أن أخذت إدارة المعارف فى الآستانة
تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حرية المطبوعات فى بلاد الشام .
وكان من اثر ذلك أن انتقل الكثير من صحفى الشام الى مصر ،
وعلى رأس هؤلاء جاء أصحاب المقتطف الذين لقوا من عظماء
المصريين ترحيبا بهم (١٩) .

وقد ساهم السوريون بالنهضة الصحفية والثقافية فى مصر
» والحق يقال أن أكبر مجلات القطر المصرى كالمقتطف وأعظم
جرائده كالأهرام كان يحررها السوريون « (٢٠) .

وتنشر المقطم مقالة بعنوان (نهضة الأدب) ، يتحدث فيها
كاتبها عن مآثر السوريين ودورهم فى الحياة الثقافية فى مصر
قائلا انه « لو لم يكن للسوريين فى مصر غير المقتطف لكفى به
غخرا لهم ودليلا على قصدهم افادة من عاشوا بين ظهرانيهم
وأصطفوهم اخوة وأخوانا » وأن مصر « مدينة بحياتها الفكرية
وبنهضتها الأوربية الى الصحافة ، وهذه ولا مرية مدينة الى
السوريين بقسط عظيم من حياتها وأسباب وجودها » (٢١) ويتساءل
كاتب آخر « وهل ينكر المصريون على طبقة الكتاب والعلماء من
السوريين فضلهم فى خدمة اللغة العربية وفضلهم فى حث المصريين
على العمل فى الكتابة والانشاء مع أن لهم اليد الطولى فى الجرائد
المتداولة بين أيدينا بل الكتب التى نقرؤها فى أهم
الموضوعات ؟ » (٢٢) .

وكانت المقطم تركز فى تعليقاتها على هذه المسألة نتيجة لما
حدث من منافسة بين المصريين والسوريين على صعيد الأعمال
والوظائف . وقد « جاء الاحتلال البريطانى فلم يعدل من الموقف
فى شىء » بل حاول أن يستغل المنافسة بين المثقفين المصريين

والعناصر الشامية التي كانت تحتل مناصب البيروقراطية في مصر . فنشبت معركة بين الطرفين غذاها الاحتلال في خبث « (٢٣) . وكانت « الصحف هي ميدان الصراع بين الفئتين » (٢٤) .

وعندما أصدر (رياض باشا) رئيس النظار قرارا في عام ١٨٩٠ بوقف توظيف اهالي الشام في المصالح الحكومية ، تدخل اللورد كرومر ووقف في وجه قرار رئيس الحكومة المصرية لمنع تنفيذ القرار « مادام هناك جندي بريطاني واحد في شوارع القاهرة » (٢٥) .

وتخاطب (المقطم) رياض باشا مدافعة عن السوريين بقولها انهم « جميعا من اكبر موظف في خدمة الحكومة الى اصغر محترف منهم في مدن القطر ، متكفون كلهم لسانا واحدا وقلبا واحدا ونفسا واحدة ونية واحدة ، مجتمعون تحت لواء الاخلاص يقولون لا دولة لنا الا دولة آل عثمان ولا امير لنا الا توفيق العصر وسيد مصر صاحب المنة والاحسان ، ولا مدبر لنا ولا حباثنا المصريين في هذه القطر المبارك الا همك واقتدارك » (٢٦) . وفي عدد آخر تقول المقطم « واكره شئ على السوريين ان يقع الجفاء بينهم وبين قوم نزلوا بلادهم واستوطنوا وطنهم وتخلقوا بأخلاقهم واختاروهم على اهل بلادهم ، واحب الامور اليهم ان يكونوا مع المصريين على اتم الوفاق واصدق الولاء » (٢٧) .

وترى (المؤيد) ان المقطم هي السبب في احداث النفرة والجفاء بين السوريين والمصريين (٢٨) .

وكانت المقطم تطالب الحكومة المصرية بصفة دائمة ، بمنح السوريين الذين يعيشون في مصر ، الجنسية المصرية لانهم يحبون

إن تكون « الأمة المصرية أعظم أمة عزيزة شرقية » ، وذلك لأن إعطاءهم الجنسية « يفرض لهم من الحقوق قدر ما يفرض عليهم من الواجبات » ، وأن « أحرار الأمة المصرية الفوائد الجليلة الكثيرة من تجنس السوريين بجنسيتها هي الحقيقة التي يعترف بها جمهور العقلاء في هذا القطر » (٢٩) .

أصحاب المقطم الثلاثة نهر وصروف ومكاريوس

فارس نمر :

ولد فارس في بلدة (حاصبيا) بلبنان في ٦ يناير ١٨٥٦ . وقد قتل والده في أحداث ١٨٦٠ الدامية . وفي أواخر سنة ١٨٦٣ انتقلت به والدته إلى القدس والحقت بالمدرسة الانجليزية التي مكث فيها خمس سنوات تعلم خلالها الإنجليزية والألمانية والتاريخ والحساب وعلم تقويم البلدان . ثم عادت به إلى بيروت في أواخر سنة ١٨٦٨ فالحقته بمدرسة (عبية) . ولكنه لم يتم فيها إلا أربعة أشهر عاد بعدها إلى قريته . ثم عاد بعد سنة إلى بيروت ، فعمل في محل تجاري لمدة قصيرة ثم تركه والتحق بالكلية السورية . وفي سنة ١٨٧٤ نال شهادة البكالوريوس . وكان على رأس الناجحين فيها فاختاره العلامة (الدكتور فانديك) ليكون معاون له في المرصد الفلكي في بيروت ومعلما لعلم الجبر في المدرسة الكلية وكان يعلم أيضا اللغة الانجليزية في مدرسة البطريركية للروم الكاثوليك . وفي عام ١٨٧٥ ترجم كتاب « الظواهر الجوية » من تأليف لويس الأمريكي . وفي عام ١٨٧٦ أنشأ بالاشتراك مع زميله الدكتور يعقوب صروف مجلة المقتطف . ثم عين مدرسا للآداب اللاتينية في المدرسة الكلية . وفي عام ١٨٨٢ أنشأ بالاشتراك مع الدكتور فانديك والدكتور صروف والدكتور بشارة زلز وجرجي زيدان

وغيرهم من أقطاب العلم (المجمع العلمى الشرقى) فى بيروت .
 وفى عام ١٨٨٢ عين مديرا للمرصد الفلكى بدلا من الدكتور فانديك .
 وظل يباشر عمله الى أن ترك المدرسة الكلية وقدم الى الديار
 المصرية . ولم تمض سنتان على وجوده فى القاهرة حتى أنشأ
 فيها بمساعدة بعض أصدقائه من العلماء (جمعية الاعتدال) وذلك
 فى عام ١٨٨٧ . ثم انتخب عضوا فى مجمع بريطانيا الفلسفى عام
 ١٨٨٩ م (٣٠) .

وقد أشاد الخديو (عباس حلمى الثانى) وهو يحدث عن
 « أولئك الذين وهبوا أنفسهم فى عهده للنهضة الوطنية » أشاد
 « بالدكتور نمر محرر المقطم » وبذلك المجلات الشهرية بما تنشره
 من « بحوث متعمقة ودراسات ناضجة وفى طليعتها المقطبيه
 للدكتور نمر والدكتور صروف » (٣١) . ويقول أحمد لطفى السيد
 فى مذكراته انه انتخب مع الدكتور فارس نمر وكيلين لنقابة الصحافة
 المصرية التى أنشئت عام ١٩١٢ « والتى لم تعمر طويلا بسبب
 الحرب العالمية الأولى » (٣٢) .

وفى مقابلة لمجلة (المجلات الانجليزية) مع فارس نمر . قال
 محرر المجلة ان « الدكتور المشار اليه كان أولا استاذا فى الكلية
 الأمريكية ببيروت ، ولكنه مال الى مصر منذ عشرين سنة لأن
 الاحتلال الانجليزى نشر عليها لواء الحرية . ولما كان رجلا واسع
 العقل متوقفا ذهنه بهتم بأمر الجمهور سررت بسنوح هذه الفرصة
 لمقابلته » (٣٣) . ويرى (مارلو) ان كرومر كان يعتمد على سكرتيره
 الشرقى للاتصال بالرأى العام المحلى غير الرسمى فى مصر ،
 وهو (هارى بويل) الذى كان واقعا تحت تأثير فارس نمر صاحب
 ومحرر جريدة المقطم (٣٤) ، الذى كان يعتبر من أخلص الأصدقاء
 والمستشارين الثقات للورد كرومر (٣٥) .

« وكان فارس نهر » صديقا حميما للخديو عباس وكان رسوله الى السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا عندما تخرجت علاقات الخديوى مع الحكومة البريطانية ، وكان صديقا للخديوى توفيق وللسلطان حسين وللملك فؤاد وللأمير محمد على . وكان مستشارا غير رسمى ووسيطا غير رسمى « (٣٦) . وفى أثناء زيارته للندن فى عام ١٨٩١ أجرت جريدة (الفلوب) الانجليزية حديثا مع فارس نهر قال فيه :

« ان الجانب الأعظم من المصريين — اذا لم نقل كلهم — راض بنتائج الاعمال التى تمت فى مصر منذ الاحتلال الانجليزى ، فان الجانب الخديوى والحكومة المصرية انجزا بمساعدة الانجليز كثيرا من الاصلاح الحقيقى » . ودعا فارس نهر رجال الاحتلال فى مصر « أن يجتهدوا فى درس أخلاق المصريين وعوائدهم والتدقيق فى معرفتها أكثر مما يعرفونها الآن ويجارونهم على مقتضاها . ولا ريب فى أن بعضا من رجالكم محبوبون كثيرا الآن فى مصر . وبقينى أنه متى عرف الانجليز والمصريون بعضهم بعضا حق المعرفة وفهم كل فريق حقيقة الفريق الآخر يكتسب الانجليز حب المصريين كما اكتسبوا ثقتهم » (٣٧) .

وتمتقب (اللواء) على زيارة فارس نهر للندن وتصريحاته فيها عام ١٩٠٦ بأنه « يستحيل عليه أن يقضى فسحة الصيف فى انجلترا . بغير أن يوغر صدور الانجليز على المصريين ويسمعى بالنميمة ضدهم . ولم يكف ذلك النمر المقطمى السعاية فى السر ضد المصريين بل عززها نكايه بهم فى العلن . ومن ذلك انه قال لمحمر احدى الصحف الانجليزية ان المصريين لم يروا انفسهم قط بآمن من سوء استعمال السلطة كما يرون انفسهم الآن » (٣٨) .

ويعترف فارس نمر بالسياسة (الاحتلالية) التى انتهجها
 فى تحرير جريدة المقطم بقوله : « نعم انهم لقبونى بشيخ الاحتلالين
 بين الصحافيين كما لقبوا من هم اعظم منى بشيوخ الاحتلالين بين
 الموظفين والوطنيين . وعيرونى كما عيروهم بالانتصار للمحتلين .
 فان كانوا يقصدون بتلقيبى وتعييرى انى اعترفت للاحتلال بالاصلاح
 وللمحتلين باعمال حسنة كثيرة فى هذا القطر فانا على رؤوس
 الاشهاد احتلالى من اكبر الاحتلالين لانى جاهرت وشهدت ولم اخف
 ولم انكر ان المحتلين اصلحوا فى هذا القطر اصلاحا عظيما وانهم
 نشروا عليه ألوية العدل والحرية وانهم قووه ماديا وأدبيا فى أمور
 كثيرة » (٣٩) .

ويصف عمله فى (المقطم) بأنه كان مثار متاعب جسيمة له
 بسبب الاشتغال بالسياسة « التى كثيرا ما غادرتنى اقضى الليالى
 وانا اتقلب على فراش الهوم والغوم من تعاقب الاضطهاد تلو
 الاضطهاد بسبب الدسائس التى تحاك لنا فى الظلام ، وقد بلغ
 منى انى كنت اتلقى اخبار الحكم على بالاعدام من الناقمين على
 بسبب سياسة المقطم وانا صامت حتى الفت الصبر على المكائد ولم
 اعد اعبأ بتلك الأحكام بعدما تكررت على ثلاثا بالاعدام » (٤٠) .

يعقوب صروف :

ولد يعقوب صروف فى قرية (الحدث) ببلبنان فى ١٨ يولية سنة
 ١٨٥٢ . وتلقى العلوم العالية فى المدرسة الكلية السورية فى
 بيروت . واقام سنتين فى صيدا يدرس اللغة العربية للمرسلين
 الأمريكيين . ورأس المدرسة العالية التى انشأها المرسلون
 الأمريكيون فى طرابلس الشام لمدة سنة واحدة ، اختارته الكلية
 السورية بعدها لتدريس العلوم الرياضية والفلسفة الطبيعية . .

ثم قام بتدريس الكيمياء الوصفية والتحليلية ، والف وهو فى المدرسة الكلية كتابا فى الكيمياء ، وترجم كثيرا من الكتب الادبية ككتاب (سر النجاح) و (الحرب المقدسة) و (الحكمة الالوية) ، وترجم بالاشتراك مع زميله الدكتور نمر كتابي (سير الابطال والعظماء) و (مشاهير العلماء) ووضعها هذه التراجم فى اللغات العربية والانجليزية والفرنسية . ولكن العمل الكبير الذى وقف له العمر هو مجلة المقتطف التى تفرغ لتحريرها . وقد تولى الدكتور صروف رئاسة (جمعية شمس البر) بضع سنوات ، ثم رأس (المجمع العلمى الشرقى) ، وهو الذى وضع قانونه وله اليد الطولى فى تأسيسه . وزار عواصم أوروبا سنة ١٨٩٣ . وقد انتدبته لجنة مجمع الممرض الأمريكى العالم مع زميله الدكتور نمر للكتابة عن احوال القطر المصرى ومستقبله فأنشأ فى ذلك رسالة مصهبة باللغة الانجليزية تليت فى احدى جلسات ذلك المجمع (٤١) .

أما آراؤه السياسية فلم تكن تختلف عن آراء زميله فارس نمر ، فقد صرح صروف فى لندن التى زارها عام ١٨٩٣ لندوب جريدة (ادبلى كرونكل) الانجليزية بقوله : « اننى لا اظن أن افراد الانجليز مكروهون فى مصر خصوصا ، بل أرى بالضد من ذلك أن كثيرين منهم معتبرون ومحبوبون » . ودعا الانجليز فى حديثه « أن ينتقوا الموظفين الذين يرسلونهم الى مصر من الرجال الاكفاء الذين يتكسبون ثقة المصريين بهم واعتبارهم لهم . ويجب أن يكونوا من الممتازين بلين الجانب ورقة الأخلاق والرغبة فى ارضاء الأهالى . لأنه اذا لم يتصف موظف واحد من الانجليز بهذه الاوصاف حمل الأحزاب المعارضة على بغضه وبغض كل امته من أجله كان الفرد يقوم مقام أمة » (٤٢) .

شاهين مكاربوس :

ولد شاهين مكاربوس فى قرية (ابل السقى) من قرى مرج عيون بلبنان فى ٢٠ مارس ١٨٥٣ . وتعلم القراءة البسيطة فى قريته على يد القس يواكيم مسعود . وعندما أسس عمه جرجس شاهين المطبعة الوطنية فى بيروت تعلم شاهين مكاربوس جمع الحروف واتقن صناعة الطباعة وأصبح مديرا لهذه المطبعة . ثم التحق بالمطبعة الأمريكية فى بيروت . وبالإضافة الى عمله فى الطباعة كان له اهتمام واسع بالأدب والشعر . وقد عقد صداقات أدبية واسعة مع أهل العلم والأدب فى مصر وسوريا وسائر البلدان الشرقية وخاصة بعد أن تسلم مهام إدارة أعمال المقتطف (٤٣) .

وقد ارتبط تاريخ شاهين مكاربوس بالحركة الماسونية التى كان واحداً من أقطابها البارزين . وفى سنة ١٨٧٤ دخل محفل لبثان الماسونى التابع لشرق فرنسا السامى فى باريس . ثم دخل محفل فلسطين الاسكوتلاندى . وتقلب فى كل وظائف المحفل . وفى سنة ١٨٨٣ نال درجة ماسونية من محفل القوسان . وكان بينه وبين رؤساء المحافل الماسونية فى أمريكا مودة ومراسلة . . وعندما حضر الى مصر فى ديسمبر ١٨٨٤ ودعه فى ميناء بيروت « جمهور غفير من أعيان بيروت وأكابرها وجميع الاخوة الماسون » وفى « سنة ١٨٨٦ أنشأ مجلة اللطائف ، وهى أول جريدة أنشئت فى الشرق وتكلمت عن الماسونية بحرية تامة ولذلك كافأته المشرق السامية بوسامات الشرف » وفى ١٨ يونيو ١٨٨٨ انتخبه محفل (الثبات) رئيس شرف له . وفى ٢٧ مارس ١٨٩١ نال الزخوة بإنشاء محفل اللطائف بمصر . وعقد أول جلسة له فى ١٦ أبريل ١٨٩١ ورأس المحفل فى عامى ١٨٩١ و ١٨٩٢ (٤٤) . ونكرت المقطم ان المجمع الاعلى الماسونى فى شيكاغو بأمريكا قد

انتخب شاهين مكاريوس عضو شرف فيه ، وبعث له الدبلومة بذلك (٤٥) .

وإذا كانت اللطائف التي أصدرها شاهين مكاريوس قد تخصصت في نشر « كل ما تشتهل فائدته من البحوث والأخبار الماسونية مع الاناضة في شرح الدستور الماسوني العمومي » (٤٦) ، فإن المقطم قد اهتمت فقط بنشر أخبار متفرقة عن المحافل الماسونية بمصر وانشطتها المختلفة والخدمات التي تقدمها في المناسبات والمواقف الانسانية . ومن هذه الانشطة ما قامت به في ذكرى الأربعين لوفاة الخديوى توفيق ، حيث « عقد جميع الماسون أعضاء المحافل المصرية حفلة حافلة في قاعة الهمبرا شهدها نحو ستمائة نفس منهم ومن بقية المحافل المتحابية . وقد تليت الخطب الحسان والمرثى الغراء باللفتين العربية والفرنسية (٤٧) . وذكرت المقطم عددا من الأخبار تتعلق بتبرعات وخدمات مقدمة لعدد من الجهات مثل الجمعيات والمدارس الخيرية والمستشفيات ، قدمتها محافل (السلام الماسوني) (٤٨) و (المحفل الوطنى الأكبر) (٤٩) . و (محفل اللطائف) (٥٠) و (محفل حياة مصر التابع للمحفل الأكبر الوطنى المصرى) (٥١) . ونشرت المقطم خبرا عن اجتماع لحفل يسمى محفل المقطم ويرأسه الدكتور محمد الطاف (٥٢) .

وقد تولى شاهين مكاريوس « رئاسة تحرير جريدة السودان وما لبث أن تسلمها منه خليل ثابت وعاد شاهين الى القاهرة » (٥٣) . وكانت جريدة السودان التي ظهرت « على يد أصحاب جريدة المقطم في مصر أول صحيفة اخبارية في السودان . وقد ظهر العدد الأول منها في الخرطوم في ٢٨ سبتمبر ١٩٠٣ » (٥٤) . وقد نشأت الصحيفة وثيقة الصلة بالحكم البريطانى ، وكانت تنال المساعدات الحكومية الوفيرة وتهتم بوجه خاص بانباء مصر وتعيد نشر

المقالات الواردة فى جريدة المقطم الصحفية الام بالنسبة
للسودان (٥٥) .

وعندما توفى شاهين مكاريوس فى الرابع عشر من يونية
سنة ١٩١٠ نعاه زميلاه فى المقطم ، وتحدثنا عن عصاميته وكفاحه
فى مجال الصحافة والطباعة ، وعن العلاقة الوطيدة التى تربط
شركتهم الثلاثية (٥٦) .

سياسة المقطم :

حددت المقطم فى افتتاحية العدد الاول منها الخطوط العريضة
للسياسة التى تنوى السير عليها فنقول : « وفى اعتقادنا أن اسمى
فرض يجب على الجرائد أن تسمى اليه فى ايامنا هذه هو تقريب
الصلات بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة حتى تتم مقاصد
الهيئتين على اسهل مسلك وأقرب طريق » ، وتبدى اعجابها بخطة
الخدوى توفيق السياسية التى ستقوم بالتقريب بين سلطته
والهيئة المحكومة « فأبىر البلاد سمو الخديوى المعظم واقطاب
حركتها وزيره وسائر النظائر الفخام ومن يتلوهم من رجال الحكومة
ناظرون الى مصلحة البلاد ساعون الى خيرها » . ولذلك « عقدنا
النية على جعل هذه الجريدة واسطة لابلاغ مقاصد الهيئة الحاكمة
الى الهيئة المحكومة وايضاح حسن نواياها ، ولبسط آمال الهيئة
المحكومة امام الهيئة الحاكمة وابلاغ امانيتها اليها » وأعلنت لقرائها
أن المنهج الذى ستتسير عليه فى كتاباتها هو « منهج الاعتدال
ومراعاة قوانين الآداب » (٥٧) .

أما الزاوية الرئيسية فى سياسة المقطم التى انتهجتها منذ
صدورها ، فتمثل بموقفها من الاحتلال الانجليزى ، الذى صدرت

فى ظل وجوده ، وفى عهد الخديوى توفيق الذى شهد وقوع الاحتلال بعد احباط القوات البريطانية لثورة أحمد عرابى . وقد اوضحت المقطم أن سياستها هذه بنيت على الاسس التالية :

« **أولا :** ان المحتلين احتلوا هذا القطر ولا يخرجون منه الا بارادتهم أو بقوة تفوق قوتهم .

ثانيا : ان لا نفع للمصريين من معاندتهم ومعارضتهم والاستعانة بالدول الأخرى عليهم ، لأن المعاندة والمعارضة تضران بالمصريين ولا تخرجان المحتلين من القطر ولأن الدول الأخرى لا تحارب المحتلين لتخرجهم من بر مصر .

ثالثا : ان مصلحة المحتلين توافق مصلحة المصريين ، ولذلك يقصد المحتلون تنظيم أمور مصر واصلاح حال المصريين ، فلذلك يقضى حسن السياسة علينا بمسائلهم ومحاسنهم ومعاونتهم على اصلاح أحوالنا واصلاح بلادنا لأن ذلك كله خيرنا .

رابعا : ان المصريين يصبون طبعاً الى بلوغ الاستقلال والتخلص من الاحتلال . وكلا الأمرين يتوقف عليهم ، فليجدوا ويكدوا ويسعوا فى التعليم ونشر العلوم والمعارف بين عامتهم ، وتوثيق عرى الاتفاق والاخلاص بين المحتلين وحكومتهم وليعدوا أنفسهم حائىء المحتلين واصدقاءهم لا خصومهم ولا اعداءهم حتى تتم ثقة المحتلين بهم ويسهل عليهم انجاز وعدهم بالجلاء عن مصر » (٥٨) .

وكان ذلك بالفعل هو المحور الرئيسى الذى دارت حوله كتابات المقطم السياسية ، فيما يتعلق بالوجود الانجليزى فى مصر . أما موقفها من الخديوى توفيق فقد كان انعكاساً لعلاقات توفيق بالانجليز ، الذين تدعمت أركان عرشه فى حماية حراهم . وقد

استمرت صداقته للانجليز « حتى آخر أيام حياته ، فكان بذلك موضع ثقتهم واحترامهم » (٥٩) . ويقول الخديوى عباس حلمى عن سياسة أبيه انه « اضطر الى الخضوع لما اقترحه البريطانيون من ان يعهد بتنظيم الادارة الى خبراء من الانجليز » ، وذلك بهدف تكوين « عناصر صالحة لقيادة ادارة مصرية بحتة » ، ولكن « الوقائع أثبتت ان بريطانيا لن تتخلى عن نظام الرؤوس الانجليزية والايدي المصرية » (٦٠) . وامام هذه السيطرة البريطانية كان توفيق « لا يرد للمعيد الانجليزى اللورد كرومر طلبا ، وقد أضفى على الادارة الحكومية روح الاستسلام لارادة الانجليز ، واللورد كرومر هو صاحب الأمر والنهى فى شئون الحكومة ، يتدخل فى كل وزارة بواسطة الموظفين الانجليز الذين كانوا على رأس المصالح المهمة » (٦١) .

وكان صدور المقطم فى عهد الوزارة الرياضية الثانية التى شهدت « تغلغل النفوذ البريطانى فى الحكومة ، كما استمر اسناد اكبر المناصب الى الانجليز » . وهى الوزارة التى شهدت تعيين (جون سكوت) مستشارا قضائيا لنظارة الحقانية « فكان اول مستشار انجليزى عين لهذه الوزارة وكانت مهمته السيطرة على وزارة الحقانية ، كما سيطر الانجليز على الوزارات الأخرى » (٦٢) .

فلا عجب والحالة هذه ، ان يكون توفيق بالنسبة للمقطم هو (عزيز مصر) الذى تكيل له المديح والثناء باستمرار طيلة حياته ، بل الاشادة بسياسته ومسالمته للاحتلال بعد وفاته . وتساءل المقطم : فكيف لا تجتمع القلوب على حب من جعل حب الرعية دأبه؟ وكيف لا تخلص الرعية الولاء لمن لا يريد لها الا رغد العيش والصفاء؟ وقد اختار لتدبير شئونها رجالا من احكم العقلاء وأعدل الوزراء ناشتهر حكمه وبن ، واعترف بارتقاء مصر الخافقان . فعزيز

مصر عزيز حقيقة لا مجازا لأنه اجتذب بحبه واعتداله القلوب ،
ولذلك لقبوه بالأمير 'المحبوب' « (٦٣) . وعندما توفى توفيق نعته
المقطم بأسلوب مؤثر ، وقد ظهرت مجلة بالاطارات المريضة
السوداء ، وقدمت ترجمة لحياته وتعليمه ومنجزات عهده (٦٤) ثم
تحدثت عن دورها فى دعم سياسته ومواقفه قائلة : « ولقد كان
فى الامكان ان نتخذ اسم الفقيد فى حياته ترسا نتقى به سهام
اللائمين ونرمى من ورائه أغراض المعارضين ، ولقد كان لنا ذلك
الحق دون سوانا لانا كنا المدافعين عن سياسته المؤيدين لأرائه
والمظهرين فضله وفضل حكومته ولكننا أبينا ذلك تأدبا منا وعملا
بمهيئته » (٦٥) .

أما الوزارة الرياضية الثانية التى صدرت المقطم فى عهدها
فقد كانت موضع الثقة والمديح الدائم ، وعندما يستتيل رياض
تودعه المقطم بالثناء على شخصه ، فهو يتصف « بالصدق
والاستقامة والغيرة الوطنية والشهامة » ، وعلى منجزاته فقد
« تنحى عن الوزارة والخزانة المصرية عامرة والاموال فيها وفى
الديار المصرية طائلة وانرة ، والقراطيس المصرية بالغة جدا لم
تبلغه فى سالف الأيام ، وصيت مصر فى الخارج كنفع المسك وريا
الخزام » (٦٦) .

وكانت المقطم بين الفينة والأخرى تشير الى سياستها
الاحتلالية ، التى تسميها « السياسة الفائزة » ، فهذه السياسة
فى نظرهما مؤيدة بالأدلة العقلية « فلا يعقل ان دولة عزيزة الشأن
واسعة السلطان شديدة الصولة وامرة الثروة كدولة الانجليز
تهرق دماء رجالها وتبذل قوتها وتبذر مالها حتى توطد قدمها فى بلاد
لمقاصد اهمها لها دفع الغير عنها ثم تخرج من تلك البلاد بمجرد
طلب ذلك الغير خروجها منها او بطعن الجرائد عليها وتنديدها

نهاية» . أما الذين يزعمون « أن سياستنا انجليزية فإن كان مرادهم من ذلك ما نقصده قلبا وقالبا ، وهو قول الحق ولو على أنفسنا ، ومدح ما يستحق المدح وذم ما يستحق الذم ، وتقريب الهيئة المحكومة من الهيئة الحاكمة حتى يتم الخير والاصلاح للوطن على أسهل سبيل ، فليقولوا في سياستنا ما شاعوا وليصفوها بأى وصف أرادوا ، اذ لا فرق عندنا حينئذ سواء وصفوها بالانجليزية أو بالصينية » (٦٧) .

وترى المقطم انها بهذه السياسة تقف على قاعدة صلبة وعلى « اركان الصدق المتسامى الى ذرى الحق ، حيث يستنشق المطالع نسيم الانصاف والامتدال ويرد الرائد منها أصفى من الزلال » (٦٨) . وتؤكد ان مقاصدها معلومة لقرائها « واتباعها خطة الانصاف بما تصل اليه مقدرتنا بعد البحث والتروى أمر لا ينكره علينا منصف ، ومرشدنا فيما نكتبه العقل لا الفرض ، ومشاهير الكتاب لا الاحلام والاهام » (٦٩) ، فهذه « هى سياستنا وهذا هو مضمون اقوالنا ، وقد طالما سألنا الأدباء ان يخطئونا فيها اذا كانوا يحسبوننا خطأ ، ويظهروا لنا ما هو احسن منها وأصلح لخير البلاد وأهلها ، فنقبله منهم شاكرين ونتبعهم فيه قلبا وقالبا ساعين معهم الى خدمة البلاد وخير أهلها ، فما وجدنا مجيبا مخالفا لنا على رأينا الا المشاغبيين فى الجرائد الذين يلتمسون الرزق بالذم والشتم والاختلاق والافتراء » (٧٠) . وتصر المقطم على ان هذه هى سياستها « منذ البداية ، وستبقى سياستها الى النهاية وهى السياسة التى يوافق عليها كل عاقل يهيمه خير البلاد ولا يستحل التهميه على العباد » (٧١) . وتزعم المقطم ان سياستها الداعية للإحتلال « تسهل السبل للمحتلين ليخرجوا من هذا القطر باظهارها لهم حسنات أعمالهم وثمراتها فى البلاد ، وبإقامتها الشواهد والأدلة على ان البلاد قد صارت من حسن الى احسن » (٧٢) .

وتتحدى المقطم الوزارة الرياضية الثالثة التي جاءت في أعقاب
الازمة الوزارية المعروفة باقالة الوزارة الفهمية (يناير ١٨٩٣) .
وكان يتوآفر بينها وبين المقطم قدر من الكراهية ، فنقول : « آلت
الوزارة على نفسها أن تسكت المقطم أو تستغفى من منصبها » .
ولكن المقطم مستندة على دعم الوكالة البريطانية تتحدى حكومة
رياض قائلة : « ومادام المقطم يتحرى الصدق وأظهار الحقائق في
أقواله ، فاسكاته ليس بالآمر اليسير ولو كره ذلك ذوو المفاسد
ومحبو التفرير » (٧٣) .

وتدعيا لسياستها الاحتلالية أخذت المقطم تطلق على أركان
سياستها ومؤيديها والداعين لها والذين يستحسنونها اسم « حزب
الإصلاح » . ولم يكن هذا الحزب تنظيما سياسيا حزيا بل تلاقيا
في الاتجاهات والأفكار بينها وبين مجموعة المنتفعين بالاحتلال (٧٤) .

وتحاول المقطم جاهدة اثبات طهارة مسلكها وبراءة منهجها
بالحديث عن مقاصدها السلمية ، فهي تسأل المنصفين أن يرشدوها
« الى أوجه الانتقاد والتخطة التي تمصر المقطم أن يوفيهها حقها مع
المحتلين ، أثبت أنهم يرتشون ولم يذمهم على الرشوة أم أنهم يسلبون
وينهبون ولم يذمهم على السلب والنهب أم أنهم يبتزون أموال الفقير
ويجورون على الأرملة واليتيم ويدوسون حقوق الضعفاء
والمساكين » (٧٥) .

وتتباهى المقطم بسياستها التي ثبتت عليها والمتملة
« بمسألة المحتلين ومحاسنتهم لاكتساب صداقتهم ومخالفتهم لان
صداقتهم تنفعنا وعداوتهم تضرنا » (٧٦) . وهي في هذا كله تدعى
أنها « تتوخى فيما تكتبه تقرير الحقائق وإبطال الأباطيل » (٧٧) .
وكررت المقطم مرارا مقولتها بأن الأمانى القومية لا تتحقق الا

باسلوب « تربية الامة على المبادئ القوية بنشر المعارف بين
ابنائها وحضهم على التشبه بالامم الراقية ، ونى مقدمتها الامة
الانجليزية المحتلة لهذا القطر » (٧٨) .

سياسة المقطم فى الميزان :

لقد وجدت هذه السياسة من يشجعها ويدعمها ويبررها
ويحضى عليها ، ووجدت ايضا من يقدر ويضمن فيها ويدعو الى
مقاومتها . فقد كانت المقطم موضع رعاية اللورد كرومر الذى « قدم
لها من التأييد ما هيا لها فرصة التقدم » (٧٩) ، وأدها « بكل ما
تحتاج اليه » (٨٠) ، وأباح « لها وحدها أن تدخل دواوين الحكومة
لتذيع أخبارها . وحرّم ذلك على المؤيد حتى أصبحت المقطم جريدة
شبه رسمية فى مصر » (٨١) . فقد « ظهرت المقطم تروج للسياسة
الانجليزية وتدعو المصريين اليها » (٨٢) . وقد اعتمد الاحتلال عليها
بالإضافة الى صحيفة الاجبشيان غازيت الانجليزية والبروجريه
الصادرة باللغة الفرنسية (٨٣) . وكان أصحاب المقطم فى تأييدهم
مصلحة انجلترا لا يجدون طريقة سوى « التعالى والتفانى فى اطراء
كل ما يفعله الانجليز او ينوون فعله بدون تمييز ومحاسبة فى ذلك
الاطراء » (٨٤) .

وعاشت تلك الجريدة عمرها تقول ان احتلال الانجليز لمصر
خير من استقلالها (٨٥) ، ولا هم لها « الا ذكر معائب المصريين
والسكوت عن معائب الانجليز وعدم السماح بنشر شئ عنها » (٨٦)
وعاش أصحابها « يتقلبون مع رياح السياسة ولا يعنون بمصلحة
هذا الوطن لأنهم ليسوا من ابنائها ، وكانت سياستهم التى ساروا
عليها بريئة من كل فكرة وطنية ولم تكن تتأثر يوما بغير المصلحة
الذاتية الوقتية » (٨٧) . فكانت بذلك « العدو الأزرق للمصريين » (٨٨)

وقد تركز دورها كما يقول (دوجلاس سلادين) على دعم علاقات
المصريين بالأوروبيين المقيمين بينهم. ودفع عملية التقدم في مصر
لقطع الطريق على الوطنيين المصريين فاقدى الخبرة والتجربة
بإعادتها الى حالتها البربرية (٨٩) .

وتصف (الشعب) لأمين الرفاعي سياسة المقطم بأنها
« انجليزية صرفة لولا أنه يكتب بحروف عربية . وكل أعمال
الحكومة ممدوحة لديه طبعاً . ولقد بلغت ثقة الاحتلال به حداً
متناهيًا ، حتى أنه يقوم بترجمة وطبع التقرير الذي يصدره المعتمد
البريطاني سنوياً فيكون علمه به أسبق بكثير من علم أعضاء البرلمان
الانجليزي ، ولذلك بلغت به الدالة اعتماداً على هذه الثقة الى أنه
يحدد الوزارة أحياناً . وأصحاب المقطم أغنى الصحفيين مالا وأكثرهم
اطمئناناً ، ورغم أن الصحافة في مصر مجلبة خسارة فائتة جمعوا
منها ثروة يقصر عن جمعها أكثر أرباب المشروعات . وربما كان
لهم في كل شركة أسهم وفي كل مشروع نصيب . وهم أقدر
الصحفيين على الضغط على عواطفهم ودس أشد المطاعن وأكثرها
افعالاً بالسموم في قالب نصيحة مبرقشة » (٩٠) .

ويقول سلامة موسى أنهم كانوا « لا يباليون بالأذى يصيب
عقولنا . وهم أغنياء يملكون دوراً كالقصور ويعيشون في ترف قد
لا يبلغه الوزراء » (٩١) . وتقول جريدة الاستاذ أنهم « الأجراء »
الذين « التزموا في جريدتهم اليومية تنفير الأمة وتحسين الاعتراف
بسلطة النير والتلويح بما يشف عن سوء مقاصدهم في الجانب
الخدوي ، والتزوا ترجمة أوهام مستاجريهم التي توهم الوعيد
والتهديد ليظهروا للأمة وجه المسند الخديوي وقوة مستاجريهم » ،
وهم بالنسبة للانجليز « عبيدهم الواقفون على أعتابهم ، وخدمهم
المخلصون وجواسيسهم الناقلون وتراجمتهم المتبرعون » (٩٢) .

وتصف جريدة (الاتحاد المصرى) المقطم بأنه « آلة شر وعداء . وطبع خديعة ورياء . فكان هذا المقطم أخذ السفه نصيبا فما يتحول عنه . وعانق السباب حبيا فما يمل منه » (٩٣) . والمقطم « جريدة قد اشتهر امرها بالخيانة والنفيمة والدسائس واثارة الخواطر وحطة المقام لدى اهل مصر ، بدليل كرههم لها ونبذهم اياها » (٩٤) . اما صحيفة (لوبسفور اجبسيان) فانها تسمى المقطم « صحيفة القاهرة التى يحررها السوريون الثلاثة » ونظرا « لاسفاف المقطم فى خصوصتها معها » فانها « اصبحت تسميها الجريدة الخاصة للوكالة البريطانية فى مصر ، وتسمى رئيس تحريرها رئيس الثعابين » (٩٥) .

وتتحدث (اللواء) عن المقطميين الذين « طفوا وبغوا واستكبروا انفسهم واستنكروا غيرهم اعتزازا بالاحتلال واتكالا عليه ولهذا صار المصريون اذا عدوا سيئات الاحتلال كانت حمايته ونصرته للمقطميين فى مقدمة تلك السيئات » (٩٦) . وقد اشتهر هؤلاء « الدخلاء من يوم أن ابتلنا بهم الشام بافتراء السوء على المصريين وتزييف الاباطيل ضدهم ومحاربتهم فى شعورهم وامانيهم . وقد استمروا على هذه الخطة طيلة وجودهم فى مصر ، حتى علم الخاص والعام أنهم اعداء لهذه البلاد » (٩٧) . وتحلل (اللواء) طبيعة العلاقة التى تربط بين اصحاب (المقطم) وعبيد الاحتلال قائلة : « ولقد بلغ من ثقة ذلك العميد بهم ان صار ياتمنهم على اهم اسراره فيعطيههم تقاريره قبل ان يطلع عليها رؤساؤه فى انجلترا وقبل ان تنشر باشهر ، وكلها مملأ بالاسرار السياسية والافكار الاحتلالية ، ويطلعهم على خطبه السياسية قبل ميماد القائها بأيام لينشروها عقب القائها . وفى مقابل هذه الثقة كان يساعدكم باعطائهم الاطيان الواسعة من املك الحكومة بأبخس الاثمان وبغير مزاد علنى ويخصص لهم قسما كبيرا من مطبوعات الحكومة بالاجور

الباهظة كل عام مع وجود مطبعة اميرية ومطابع اهلية وطنية كثيرة» (٩٨) .

وتنشر (اللواء) قصيدة (للمقاد) يخاطب بها اللورد كرومر بخصوص جريدة (المقطم) يقول فيها :

نصبت لنا ذاك المقطم داعيا
فهل عاد الا بالخسار المقطم

واصلتنا جمر القطيعة والأذى
كانك فينا بالقطيعة مفرم (٩٩)

ويصف (عبد العزيز جاويز) اصحاب (المقطم) بأنهم « حجاج بيت اللورد كرومر الحرام يتعمدون بطوانه ولثم حلقة بابه » (١٠٠) وبنفس الحدة تقول صحيفة (العلم) عن اصحاب (المقطم) انهم « خرجوا من ديارهم كأنهم حجارة تتساقط على من حلوا بينهم وكان من سوء حظ هذا البلد ان اتخذ هؤلاء الدسائس تجارة لهم » (١٠١) .

وقد ساند الانجليز « بنفوذهم جريدة المقطم التي اصبح اصحابها بهذا السند القوى من اغنياء القطر المعدودين » (١٠٢) . وقد اعلن (الفريد بلنت) في أوروبا ان « وزارتي الحربية والداخلية قد دفعتا لصحيفة المقطم مبلغا عظيما من المال ليدافع عن تصرفات الانجليز فيها » (١٠٣) . واخذت « السلطة المصرية والانجليزية في قصر الاخبار الرسمية على المقطم واستخدام البوليس في توزيعها في البلاد ، وامداد السلطة البريطانية لها بالمال والتشجيع » (١٠٤) . وكان « الاحتلال ينفق على جريدته هذه ويساعدها بكل انواع المساعدات التي وصلت حد تزويدها بالأحكام القضائية لتنشرها قبل النطق بها » (١٠٥) ، كما حدث عندما « نشرت نص حكم محكمة

مصر المختلطة فى القضية التى رفعها الدكتور ملتن على صاحب جريدة البوسفور قبل ان تنطق به المحكمة بأسبوعين . ولما نطقت به كان صورة مماثلة لما نشرته المقطم « (١٠٦) وذلك لأنها تعد مطية من « مطايا الراى الانجليزى ولسانه عند الناس . فهى قوية قادرة تنجدها الحكومة ومن ورائها الاحتلال اذا أعوزها مال او خبر « (١٠٧) . وكان دعم السلطات الانجليزية للمقطم بطريق الاشتراك دافعا لانتقاد بعض الصحف وهجومها على المقطم والذين يقفون الى جانبه « فأكثر الناس يرفضونه ويردونه فيرجع اليهم بوجهه نضب منه الحياء فيقولون يا قوم ما سمعنا وما نظرنا أن الاشتراك بالجراند يكون بصغة اجبارية « (١٠٨) . ويهاجم (عبدالله النديم) « الطريقة التى يوزع بها المقطم بعد أن قاطعه القراء ، بواسطة التهديد ، بين الموظفين والاعيان والعبد ومشايخ البلاد ، ونفى دعوى مروجيها انها الجريدة الرسمية ، وهاجم وكلاءها الذين يدعون أن من لم يشترك فيها وأعادها دون قراءة ناله ضرر فى معاشه وربما تعطلت مصالحه فى الحكومة أو صودرت أملاكه « (١٠٩) .

وترد الصحيفة على انباء نشرتها الأهرام عن رد المشتركين لأعداد المقطم بأن ذلك غير صحيح ، وأن « فضلاء المصريين راضون كلهم عن المقطم » (١١٠) . ويؤكد (المقطم) مرة أخرى أن المشتركين فيه « يزدون يوما فيوما وأن قراءه مجتمعون على صدقه وأخلاصه » (١١١) . وينفى شاهين مكاريوس ما نشرته (الأهرام) من أن « سعادة مدير الدقهلية الفاضل حجاز من راتب حضرة مفتش صحة المديرية قيمة اشتراك المقطم » . وينفى مكاريوس أيضا أن يكون « أحد البكوات أجبر على الاشتراك ثم رفض » . وأن يكون « سعادة المدير حجاز على مبلغ وافر من مرتبات المستخدمين » (١١٢) وتقول (المقطم) أن (الأهرام) « يدعى أن الحكومة تجبر الأهالى

على الاشتراك في الجرائد لخلجه من تأخره وانحطاطه وحسده
على تقدمها ونجاحها « (١١٣) .

ويعترف كرومر بأن الأنباء التي ترددت في أواخر عام ١٨٩١
في إنجلترا عن قرب تحديد موعد للجلاء عن مصر ، أحدثت ردود
فعل انفعالية كان منها توقف مائة وعشرين مشتركا في جريدة كبرى
تؤيد السياسة البريطانية في مصر عن الاشتراك فيها (١١٤) .

وتخاطب (الاتحاد المصري) المقطم حول مسألة الاشتراكات
بقولها : « الم تجعل الاشتراك فيك غلابا . والاقبال عليك اغتصابا .
الم تستنجد لذلك بالحاكم والمامور . الم تستعمل في ذلك الخديعة
والفرور . ثم قل لنا الم تجعل الاشتراك فيك بتعهدات وقسائم .
الم تتخذ لك من الحكام أنصارا يأخذون ختم المشترك فيدمغونه على
قسامم الاشتراك في يدك حتى لا تعود تقبل لهم في رده
انكارا » (١١٥) وتقول (المؤيد) ان من أكبر أخطاء (المقطم) انه
جعل الأرباح أولى غايته (١١٦) ، فهو يأخذ حوالى ٢٧٥٠ جنيتها
من « مصلحة البوليس كل سنة اما أجره مطبوعات واما جبرا لكسر
أجره المطبوعات كالمصاريف السرية » (١١٧) . وترد المقطم على هذا
الاتهام بأنه « كذب واختسلاق ، ولا أصل له من الحقيقة على
الاطلاق » (١١٨) .

وتعقب (المقطم) على سؤال النائب (روبرتسن) الذي وجهه
في مجلس النواب البريطاني عن مقدار الإعانة التي تعطى لبعض
الجرائد ومنها (المقطم) وجواب ناظر الخارجية له بأنه لا يعلم
شيئا عن ذلك ، بأن « السؤال كاذب والمقطم ينكره على رعوس
الشهاد ويرفع رأسه وسط كل قوم مفتخرا بأنه قضى كل هذه
الاعوام من يوم انشائه الى اليوم وهو حر في قوله ثابت على
سياسته لا يثنيه انعام كبير عن رايه ولا يحوله غنى موسر عن

مبذنه . ولا بد للمقطم يوما من ذكر الاعانات والانعامات التي عرضت عليه ثمن سكوته ورفضها رفضا . وان الشـرق لم يعدم رجلا يحافظون على رأيهم ويثبتون على مبدئهم من عزة نفس وشرف اخلاق لا طمعا باعانة مالية من وكالة بريطانية في مصر او وديعة في بنك بلندن « (١١٩) . وان الانجليز ليس لهم « منفعة خصوصية من بذل مالهم على جريدة حرة مستقلة كالمقطم ولا سيما بعدما اثبتت للناس كلهم انها لا تعرف غير الحق سيذا ولا تخون مبدأها ولا تحيد عن خطتها قلت عليها الاموال أو كثرت » (١٢٠) .

والحقيقة ان التأييد الانجليزي للمقطم لم يتوقف عند حدود التمويل وتوفير الاشتراكات واكرام الناس عليها ، بل تعدى ذلك الى حماية الصحيفة من التعرض للقضاء والمساغة وهي تمارس دورها الذي رسمته لها الوكالة البريطانية في مصر . فقد كان من أبرز ما اتصفت به سياسة كرومر ، مناهضة الخديوى عباس والحد من سلطانه بل تجريده من هذا السلطان فأوحى كرومر الى المقطم ان تطعن في الخديوى وان تهاجمه ففعلت في كثير من الاستهتار بصاحب الأمر الشرعى في مصر ، وهاجمت الخديو هجوما عنيفا ، فلما أعلن استيائه من هذا الهجوم العلنى السافر على شخصه وعلى مقام عرشه ، وطلب محاكمة المقطم أو تطبيق قانون المطبوعات الصادر في سنة ١٨٨١ عليها ، أعلن كرومر أن قانون المطبوعات قد ألغى قانون العقوبات ، وأنه لا يستطيع ان يقدم المقطم للقضاء لانه من انصار حرية الرأى وحرية الصحف ، وأن هذه الحرية من قواعد العدالة التي جاء الانجليز ليقبوا ببناءها في مصر (١٢١) .

ولم يكن صحيحا ما يزعمه كرومر من أن الانجليز جاءوا الى مصر لينشروا العدل فيها ، ولكن الصحيح أن « استخدام قوانين مصادرة الحرية من جانب سلطات الاحتلال له مخاطره . فالى جانب

امكان توجيه هذه القوانين للصحف الممادية للاحتلال كان فى امكان الخديوى فى نفس الوقت ان يوجهها للصحف الاحتلالية التى تبناها كرومر وعلى راسها المقطم ، لان هذه الجريدة بالتزامها بموقف المعتمد البريطانى كانت لا تتفأ تهاجم الخديوى وتشهر به . ويعترف المقطم بأن تجسيد قوانين مصادرة الحرية كان من اهم اسبابه الرغبة فى حمايته « (١٢٢) .

وقد اعترف كرومر فى كتابه (عباس الثانى) باتجاهات المقطم الانجليزية وهو يعلق على احداث الازمة الوزارية عام ١٨٩٣ حيث « قامت مظاهرة سخط استعمل معها العنف امام ادارة جريدة المقطم وهى جريدة متشيعية للانجليز » (١٢٣) ويقدر كرومر بجهودات اصحاب المقطم وموقفهم ازاءه فقد « تولوا منذ اعوام مضت ترجمة تقاريرى السنوية الى العربية على ما فى ترجمتها من العناء والمشقة » (١٢٤) .

وهكذا « نجحت سياسة كرومر من حيث محاربة الصحافة بالصحافة ، فقد تمكنت المقطم من الذبوع والانتشار وكانت خصما لا يستهان به فى اخراجه وتحريره . ولم تعد الاهرام باتزانها والوطن بتفاهة تحريرها قادرين على مواجهة حماسة المقطم » (١٢٥) ووجدت هذه السياسة من يبررها ولا يجد فيها غضاضة كصاحب كتاب (مرآة المصر) الذى يقول : « وقد يتنها البعض بالمغالاة فى مدح المحتلين والتطرف فى الطعن بالدولة العثمانية ولكنها متى فعلت ذلك فهى تقف فيه عند حد الحقيقة لاتتعداها فى شىء الى ما وراء النزاهة والقصد السليم فاذا اساء البعض ظنهم بها فذلك ما يسميه الناس بجرح الحقيقة » (١٢٦) .

هوامش الفصل الاول

- (١) لا توجد اعداد الشهور الثلاثة الاولى من المقطم فى دار الكتب المصرية . وقد حصلت على صور لصفحات العدد الاول من مكتبة جامعة أكسنورد ، للتثبت من مجلد واحد عن السنة الاولى كانت المقطم تخصصه لأبرز مواد عددها اليومى .
- (٢) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٤٨ .
- (٣) المقطم ١٤ فبراير ١٨٨٩ ! .
- (٤) المقتطف ، مقال لغارس نهر بعنوان « بعد ستين سنة — ذكريات فى عهد الضبا لأحد منثنى المقتطف » . — مايو ١٩٢٦ .
- (٥) المقطم ٢٦ فبراير ١٨٨٩ — من مقالة بعنوان (جبل المقطم وجريدة المقطم) نقلًا من المقطم الأسبوعى — مجلد السنة الاولى (١٨٨٩) .
- (٦) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، ص ٩٧ .
- (٧) خليل صابات وسامى عزيز ويونان لبيب رزق ، حرية الصحافة فى مصر ، مكتبة الوعى العربى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ص ١١٨ .
- (٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية — ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٢ .
- (٩) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٤٨ .
- (١٠) ولى الدين يكن ، المعلوم والمجهول ج ١ ، مطبعة السمادة ، ١٩٠٩ ، ص ١١ ، ١٢ .
- (١١) المقطم ١٤ يوليو ١٨٩٠ .

- (١٢) فليپ دى طرازى ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ٢ ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص ١٢٥ .
- (١٣) احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
- (١٤) المقتطف ، مايو ١٨٨٥ م .
- (١٥) المقطم ٢٧ سبتمبر ١٨٩٠ م .
- (١٦) المقطم ٢٢ يناير ١٨٩٣ .
- Cromer, Earl of , Modern Egypt, vols. 1, 11, (١٧)
PP. 626 — 632, London, 1911.
- Harris, Durray, Egypt under the Egyptians. (١٨)
P. 167, London, 1925.
- (١٩) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
- (٢٠) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ٦٧ .
- (٢١) المقطم ٢٣ ابريل ١٩١٢ .
- (٢٢) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٠٢ .
- (٢٣) محمد انيس والسيد رجب حراز : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ١٦٨ .
- (٢٤) سامى عزيز ، الصحافة المصرية ، ص ١٠٧ .
- Cromer, Earl of, Modern Egypt, O.P. Cit., P. 217. (٢٥)
- (٢٦) المقطم ١٠ سبتمبر ١٨٩٠ .
- (٢٧) المقطم ٢٣ ابريل ١٨٩١ .
- (٢٨) المؤيد ٤ نوفمبر ١٨٩٣ .
- (٢٩) المقطم ٢٢ يوليو ١٨٩٨ .
- (٣٠) المقطم ١٧ ديسمبر ١٩٥١ .
- (٣١) مذكرات عباس حلى الثانى ، جريدة المصرى ، ٢١ مايو ١٩٥١ .
- (٣٢) مذكرات احمد لطفى السيد ، المصور ، ٢٧ اكتوبر ١٩٥٠ .
- (٣٣) المقطم ٢٩ ديسمبر ١٩٠٦ .
- Marlowe, John, Cromer in Egypt, P. 232, London, (٣٤)
1970

- (٣٦) المقطم ١٧ ديسمبر ١٩٥١ — مقال وديع فلسطين في نعيه لفارس نمر .
- (٣٧) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٨٩١ .
- (٣٨) اللواء ٢٢ أغسطس ١٩٠٦ .
- (٣٩) المقطم ٢٩ يناير ١٩١٠ .
- (٤٠) المقتطف — مايو ١٩٣٦ — مقال فارس نمر .
- (٤١) غليب دى طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ص ١٢٤ — ١٢٨ .
- (٤٢) المقطم ٢١ أغسطس ١٨٩٣ .
- (٤٣) المقطم ١٤ يونيو ١٩١٠ .
- (٤٤) الياس زخورة ، مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال ببصر ،
ج ٣ ، المطبعة العمومية ببصر ، ١٨٩٧ ، ص ٤١٨ — ٤٢٤ .
- (٤٥) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٣ .
- (٤٦) سامى عزيز ، الصحافة المصرية ، ص ٣١٢ .
- (٤٧) المقطم ١٧ فبراير ١٨٩٢ .
- (٤٨) المقطم ٢ فبراير ١٨٩٣ .
- (٤٩) المقطم ١١ فبراير ١٨٩٣ .
- (٥٠) المقطم ٢٤ ابريل ١٨٩٣ .
- (٥١) المقطم ١٠ ابريل ١٩١٢ .
- (٥٢) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٠٠ .
- (٥٣) محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية في نصف قرن ١٩٠٣ — ١٩٥٣ ، ج ١ ، قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم ، الخرطوم ، ١٩٧١ ، ص ٢٢
- (٥٤) حسنين عبد القادر ، تاريخ الصحافة في السودان ، ج ١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٢ .
- (٥٥) محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية ، ص ٢٢ — ٣٣ .
- (٥٦) المقطم ١٤ يونيو ١٩١٠ .
- (٥٧) المقطم ١٤ فبراير ١٨٨٩ .
- (٥٨) المقطم ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧ .
- (٥٩) احمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، ص ٥٢٧ .
- (٦٠) مذكرات عباس حلمي الثاني ، المصري ، ١٩٥١/٧/١٠ .

(٦١) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٠ .

(٦٢) عبد الرحمن الرافعى ، مصر والسودان فى اوائل عهد الاحتلال
ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦٣) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٨٩٠ .

(٦٤) المقطم ٨ يناير ١٨٩٢ .

(٦٥) المقطم ٩ يناير ١٨٩٢ .

(٦٦) المقطم ١٣ مايو ١٨٩١ .

(٦٧) المقطم ١ أغسطس ١٨٨٩ .

(٦٨) المقطم ٢٤ مارس ١٨٩١ .

(٦٩) المقطم ٢٩ يوليو ١٨٩١ .

(٧٠) المقطم ٢٠ مايو ١٨٩٢ .

(٧١) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٨٩٢ .

(٧٢) المقطم ٦ فبراير ١٨٩٣ .

(٧٣) المقطم ١٢ أبريل ١٨٩٤ .

(٧٤) المقطم ٧ نوفمبر ١٨٩٤ . مقالة بعنوان (حزب الإصلاح وسياسته)
ونسبة المقطم لجامعة المنتفعين بالاحتلال بحزب الإصلاح لم تكن تعنى بالطبع أكثر
من تسمية نظرية وهذا يختلف كلياً عن ذلك الحزب الذى انشأه (الشيخ على
يوسف) فى ٩ سبتمبر ١٩٠٧ باسم (حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية) .

(٧٥) المقطم ٧ أكتوبر ١٨٩٧ .

(٧٦) المقطم ٢٢ يوليو ١٨٩٩ .

(٧٧) المقطم ٨ فبراير ١٩٠٠ .

(٧٨) المقطم ٩ يوليو ١٩١٠ .

(٧٩) إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٦٨ .

(٨٠) مجلة الشباب ١٦ مارس ١٩٣٦ — مقال محمد أمين عبده المحامى .

(٨١) مجلة الشباب ٢٠ أبريل ١٩٣٦ — مقال محمد أمين عبده المحامى .

(٨٢) محمد فريد ، مقالة فى صحيفة (الجون ترك ١٦ يناير ١٩١٠) نقلنا من
محمد أمين عبده المحامى .

Wood, H.F. Egypt under the British, P. 118, (٨٣)
London, 1896.

- (٨٤) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر ج ٤ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٠٠ .
- (٨٥) سلامة موسى ، الصحافة حرفة ورسالة ، سلامة موسى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٨ ، ٩ .
- (٨٦) السياسة ١٢ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (٨٧) السياسة ٢١ يناير ١٩٢٥ .
- (٨٨) الأهرام ٤ سبتمبر ١٩٢٣ ، عبود على الهاشم ، الصحافي المعجور .
- Sladen, Douglas : Egypt and the English,
(٨٩)
P. 134, London, 1908.
- (٩٠) الشعب ٨ مايو ١٩١٢ .
- (٩١) سلامة موسى ، الصحافة حرفة ورسالة ، ص ٩ .
- (٩٢) الأستاذ ٢٣ مايو ١٨٩٣ .
- (٩٣) الاتحاد المصري ١٣ أكتوبر ١٨٨٩ .
- (٩٤) الاتحاد المصري ١ ديسمبر ١٨٨٩ .
- (٩٥) محمود نجيب أبو الليل ، الاحتلال الإبريطاني والصحف الفرنسية ، ص ٨٢ ، ٨٥ .
- (٩٦) اللواء ١٥ يوليو ١٩٠٦ .
- (٩٧) اللواء ٢٠ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٨) اللواء ٣ يوليو ١٩٠٧ .
- (٩٩) اللواء ١ يوليو ١٩٠٧ .
- (١٠٠) اللواء ٨ سبتمبر ١٩٠٨ .
- (١٠١) العلم ٢٨ يوليو ١٩١٢ .
- (١٠٢) سلامة موسى ، الصحافة حرفة ورسالة ، ص ٦ .
- (١٠٣) الشباب ١٦ مارس ١٩٣٦ - مقال أمين عبده الحامي .
- (١٠٤) على الحديدي ، عبد الله النديم خطيب الوطنية ، سلسلة اعلام العرب (٩) ، القاهرة ، ص ٢٤٩ .
- (١٠٥) أحمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٦٧ .
- (١٠٦) الشباب ١٦ مارس ١٩٣٦ .
- (١٠٧) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ ومن ، ص ٢٩٩ .
- (١٠٨) الاتحاد المصري ٢٠ أكتوبر ١٨٨٩ .

- (١٠٩) على الحديدى ، عبد الله النديم ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
- (١١٠) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٣ .
- (١١١) المقطم ٦ فبراير ١٨٩٣ .
- (١١٢) المقطم ١٧ يناير ١٨٩٣ .
- (١١٣) المقطم ٨ يناير ١٨٩٠ .
- Zetland; Lord Cromer, P. 19, London, 1932. (١١٤)
- (١١٥) الاتحاد المصرى ٧ نوفمبر ١٨٨٩ .
- (١١٦) المؤيد ٧ نوفمبر ١٨٩٣ .
- (١١٧) المؤيد ١٩ نوفمبر ١٨٩٣ .
- (١١٨) المقطم ٢٠ نوفمبر ١٨٩٣ .
- (١١٩) المقطم ١٤ ابريل ١٩٠٧ .
- (١٢٠) المقطم ٨ يوليو ١٩١٥ .
- (١٢١) الشباب ، ٢٠ ابريل ١٩٣٦ ، مقال محمد أمين عبده الحامى .
- (١٢٢) يونان لبیب رزق ، الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ، مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٥ .
- Cromer, Abbas 11, P. 35, London, 1915. (١٢٣)
- (١٢٤) كرومر ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان، ترجمة وطباعة دار المقطم ، ص ٣ .
- (١٢٥) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٥١ .
- (١٢٦) الیاس زخورة ، مرآة العصر ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ .

الفصل الثانى

المقطم والحركة الوطنية

(١٨٨٩ - ١٩١٢)

بين المقطم والمؤيد :

كانت الفترة التاريخية التى صدرت فيها المقطم ، مرحلة استسلام حكومى كامل للمحتلين وكانت (المقطم) تردد افكار الحكومة البريطانية حول الجلاء وزمان تحقيقه ، عندما يطمئن المحتلون الى مقدرة مصر على حكم نفسها ، وادارة عجلة التقدم فيها . فالمقطم ترى ان « منزلة الحكومة البريطانية من امير البلاد وحكومته منزلة الخل النصوص من خليله . فباى معنى تكون مصر قد فقدت استقلالها وما الذى خسرت به ذلك » (١) ، وأن انجلترا ستجلو عن مصر متى علمت ان « الاحوال قد استتبت على مايرام فلا يخشى بعدها من اضطراب داخلى او طارىء خارجى » (٢) .

واتخذت افكار (المقطم) هذه شكلا أكثر حدة عندما بدأت (المؤيد) تحمل لواء الهجوم على الاحتلال . فقد صدرت المؤيد فى أول ديسمبر ١٨٨٩ ، بعد شهور من ظهور (المقطم) . وقد صدرت « لمحاربة الاحتلال والمقطم » (٣) ، وذلك بعد ان « عز على الوطنيين فى مصر ان يكون للاحتلال البريطانى فيها جريدة ولا تكون لهم فى بلادهم مثل هذه الجريدة » (٤) . وكان للمؤيد « غرض كبير فى بعث الروح الوطنية ، وتنبيه الراى العام فى مصر الى تعرف حقائق الحالة السياسية التى وصلت اليها البلاد فى عهد الاحتلال » (٥) .

ولكن المقطم تحاول بث اليأس فى الروح الوطنية التى وقفت
تدعم المؤيد وتوجهها فيما كانت تسميه المقطم (بالمعارضة) فنجدها
تقول انه لا باعث على هذه المعارضة فى مصر . وان لا محل لها
ولا فائدة منها ونتيجتها الحتمية هى الفتنة والثورة (٦) .

وتستنكر (المقطم) موقف فرنسا ازاء الاحتلال الانجليزى لمصر
ومطالبتها المستمرة بالجلء ، وترى أن هذا الموقف لا يزيد الانجليز
« الا تشبثا بهذا القطر طبقا لما قالوه مرارا لا تحصى أنهم يجلون
عن مصر من تلقاء أنفسهم متى حكموا بمناسبة الجلء عنها » (٧) ،
وان الراى الذى يعول عليه فى مسألة الجلء هو راى بارنج
(كرومر) ورايه معروف ومشهور وهو أن زمان الجلء لم يحن حتى
الآن (٨) .

وتبدأ (المؤيد) هجومها على (المقطم) الذى « لا يهمه انجلء
ولا الاحتلال فهو يشتغل لجمع الدراهم بأى طريقة » (٩) ، وان
غاية (المقطم) الوحيدة « دوام الكراهة بين المصريين
والانجليز » (١٠) . وترد (المقطم) بأن طلب الجلء سابق لأوانه
« لان المسألة بيد أوروبا وليست بيد المؤيد » (١١) .

وكان الخديوى عباس حلمى الذى تولى الحكم عام ١٨٩٢ قد
دخل عنصرا جديدا قويا الى جانب التيار الوطنى الذى اتخذ
(المؤيد) وسيلة لنشر افكاره ومطالبه . فقد بدأ حكمه بالاتصال
بالشعب وبتوسيع نفوذه عن طريق « الرحلات فى المديرىات
ومقابلة الأعيان والعلماء وتكليفه المختصين كتابة التقارير عن نظم
التعليم والجيش ونحو ذلك . فبدأ شىء من الجفاء بينه وبين اللورد
كرومر » (١٢) . وحدثت بينه وبين كرومر عدة احتكاكات مثل أزمة
اقالة وزارة مصطفى باشا فهمى فى يناير ١٨٩٣ وهو صديق حميم

للانجليز وازمة الحدود فى يناير ١٨٩٤ . وقد اضطر الخديوى فى هاتين الحادثتين الى الخضوع والتسليم لكرور . ولكن هذه المواقف كانت تلهب الشعور الوطنى . فقد قاد مصطفى كامل مظاهرة الى دار جريدة (المقطم) تستنكر دورها فى خدمة اهداف الاحتلال اثناء ازمة اقالة وزارة مصطفى فهمى المستسلمة (١٣) .

وكانت هذه الحادثة سببا فى المقالات الوطنية التى كتبها عبد الله النديم فى مجلة الاسفاذ حيث قام « يستنهض الهمم ويحض على مؤازرة الخديوى ، ونبذ طاعة الاحتلال » (١٤) ، الامر الذى ادى الى اغلاق مجلة الاسفاذ بايعاز من اصحاب (المقطم) الذين اتفقوا كرومر بذلك . ثم نفى النديم بقرار من الخديوى خضع فى اصداره لأوامر كرومر .

لقد أصبح عداء (المقطم) موجها ليس الى (المؤيد) فحسب بل الى الخديوى ايضا ، فالخديوى فى نظرها « واقف للمحتلين بالرصاد ويعاملهم معاملة الاعداء ، والجرائد المحلية تحرض سموه على معاداتهم وتختلق الاكاذيب عنهم وتخفى حسناتهم وتهيج الاهالى عليهم » (١٥) .

وكانت (المؤيد) تحتضن كتابات مصطفى كامل وتنشر مقالاته وخطبه التى تعبر عن رغبة الامة فى الجلاء والاستقلال . فتقابلته (المقطم) بالسخرية ، لانه شاب يافع حديث العهد بالسياسة ، فهو فى نظرها « الفتى المغرور » و « المأجور المغرور » (١٦) ، « ويا ذل البلاد التى يقوم امثال مصطفى كامل فيها مقام الذائد عن حقوقها والمطالب باستقلالها » (١٧) . وهاجم المقطم « حزب التعصب الاعمى الذى تسمونه الحزب الوطنى ، والذى قال عنه ولد الخيبة والندامة مصطفى كامل ان تياره فى ازدياد كل يوم ولم يخجل أن يدعى بان سمو الخديوى أوجده » (١٨) .

وفى واقع الحال لم يكن هناك « حزب وطنى بالمعنى القانونى ، ولكنه كان يمثل قوة معارضة حية تناهض المحتل » (١٩) .
وتواصل (المقطم) هجومها الساخر على مصطفى كامل : « فياقوم
لسنا بمصطفى كامل ننال الحرية والاستقلال . ولا بمعادة المحتلين
ومخاشنتهم ننهي لعصر جديد مظفر مجيد » (٢٠) . وترى (المقطم)
أنه منذ شاع وجود حزب وطنى فى مصر ضد الحالة الحاضرة ،
وهى تنقب عنه فلم تجد غير شرذمة من الأحداث صفار الأحلام (٢١) ،
وأن الأولى بزعماء الاستقلال والمدعين مجارة الراى العام أن
يعلموا الراى العام قبل أن يحملوا الحملات المنكرة باسمه (٢٢) ،
فتحرير الوطن لا يكون بمثل هذا المجون (٢٣) .

وعندما توقع الحكومتان المصرية والانجليزية اتفاقية السودان
فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ، تقول (المقطم) أن كلام (المؤيد) عن تصميم
الخبوى على المعارضة فى اتفاقية السودان ذهب أدراج الرياح ،
وذلك اقتناعا بأن المصلحة لا تصان الا بالاتفاق والوئام (٢٤) .

وقد جاء توقيع الاتفاقية عقب حادثة فشودة التى كانت بمثابة
اختبار لمقدرة فرنسا على الوقوف فى وجه المطامع الانجليزية ،
ومقدرتها على التأثير عليها واجبارها على الجلاء . ولكن فرنسا
فشلت فى ذلك ، فهى « تختفى مرغمة من افئنا وتحول نظراتها
المتعبة وجهة أخرى . لقد انتهى الصراع بتنازل كانت مصر
فديته » (٢٥) . فقد كانت حادثة فشودة « فوزا كبيرا للاحتلال
وصنائعه فى مصر وبعثت اليأس فى نفوس الوطنيين . وخمدت
جذوة الوطنية فى النفوس . ولكنها لم تخد فى نفس مصطفى
كامل ، بل ضاعف جهاده وكفاحه بمقدار ما ازدادت العقبات
والمصاعب فى طريقه » (٢٦) . وتعتبر المقطم عن سرورها بهذه
الضربة التى تلتقتها القوى الوطنية ، فنراها تدعو الى التسليم

الكامل للاحتلال ، فانه ما دام قد صار « مؤبدا فخير للمصريين أن يتمتعوا بمزايا دوامه جهرا ، من أن يحرموا منها ويقتنعوا بأن يكون اختلالا قولاً مع علمهم أنه حكم وملك فعلا » (٢٧) .

ولكن مصطفى كامل يصدر صحيفة (اللواء) فى اوائل عام ١٩٠٠ تعبيرا عن اصراره على رفض اليأس الذى غرقت فيه البلاد بعد توقيع اتفاقية السودان التى اظهرت ضعف الخديوى والحكومة المصرية امام الاحتلال . وعن اصدار (اللواء) يقول محمد فريد لقد « سار الشيخ على يوسف وطنيا خديويا وكنا كلنا معه ، ثم لما اثرى قليلا وظهر اسمه اخذ يزاحم مصطفى كامل عند الخديوى ويعاكسه بعدم نشر مقالاته التى كان يرسلها من أوروبا . فقررنا انشاء جريدة وطنية للتخلص من معاكسات الشيخ على فأسس مصطفى كامل اللواء » (٢٨) .

وتجاهل المقطم صدور اللواء فلا تشير اليها الا فى اغسطس من العام نفسه وذلك ضمن تعليق تهاجم فيه صاحب (اللواء) لعلاقته بالدولة العثمانية ونيله النياشين منها (٢٩) . وتهاجم خطبته التى القاها بمناسبة عيد الجلوس الخديوى ، وقالت أنه تمادى فى غيه ونهض يحرض على الثورة « فمن يفهم هذا الفلام المفتون أن مثل هذا الهذيان لا يسع صاحبه الا المارستان » (٣٠) . ويرد مصطفى كامل على اصحاب المقطم حول فشله فى الاعتماد على فرنسا وذلك بعد حادثة فشودة بأن « الوطنى الذى يحب بلاده من صميم الفؤاد يجب عليه الا يتاخر لحظة واحدة عن طلب المعونة من أى انسان مادام يعتقد انها فى الامكان » (٣١) .

ويزداد عنف (المقطم) وسخريتها من مصطفى كامل فتقول :
« إن خب الوطن فى عرفه هو أن يبذل كل غنى ماله الطائل لينقذ

به الوطن العزيز بسبب المحتلين « (٣٢) . وهو في نظرها « مقرر مصر نهر ٢ الذي طالما كسب المال باطالة اللسان على الاحتلال » (٣٣) . وكانت (المقطم) تطلق لقب (محرر مصر نهر ١) على (الميسو ديونكل) السياسي الفرنسي الذي كان يتعاطف مع الاماني القومية المصرية .

ويطرا تغيير كبير على سياسة جريدة (المؤيد) عندما يعلن الشيخ على يوسف اثناء زيارته للندن مرافقا للخديوي باننا « نحن معاشر المصريين نحب وطننا ونتمنى له قبل كل شيء ان يكون حرا بعيدا عن كل تدخل اجنبي . ولكن ان لم نستطع ان نكون كذلك فاولى بنا ان نكون اصدقاء لامة قوية مثل الامة الانجليزية تنفعنا صداقتها » ، فتجد هذه الكلمة ترحيبا شديدا من (المقطم) ، وغضبا اشد من (اللواء) والاوساط الوطنية . فهذه هي السياسة « التي طالما نصح (المقطم) باتباعها » . وهي تثني على صاحب المؤيد « لما اظهر من الشجاعة الادبية في مجاهرته بأقواله فهذا يدل على كرم اخلاق وشهامة خليفة باطيب الثناء . والامل وطيد ان يحذو (اللواء) حذو (المؤيد) قريبا » (٣٤) .

الاتفاق الودي والحركة الوطنية :

لقد كانت بريطانيا حريصة كل الحرص على انتزاع اعتراف من فرنسا باحتلالها مصر (٣٥) . من هنا كانت اهمية الاتفاق الانجليزي الفرنسي الذي عقد عام ١٩٠٤ ، وسمى بالاتفاق الودي « فبهذه الاتفاقية اطمانت انجلترا الى مركزها في مصر ، وبخروج فرنسا من الميدان زالت المعارضة الخارجية للاحتلال الانجليزي لمصر ، كما زال كثير من القيود المالية التي كانت تعرقل الادارة الانجليزية » (٣٦) ، فبعد هذا الاتفاق لم يعن المسؤولون الانجليز

بتجديد أى وعد بالجلء أو تصريح باحترام مركز مصر الدولى .
وعملوا على حرمان الحركة الوطنية فى مصر من تأييد فرنسا (٣٧) .

وبالفعل فقد خسرت الحركة الوطنية الكثير من هذه الاتفاقية
لأنها كانت تتطلع الى فرنسا ومعونتها ، ولم تفقد الأمل نهائيا بها
بالرغم من حادثة فشودة قبل ذلك بسنوات قليلة . فان « فرنسا
فى تلك الأيام كانت المثل الأعلى لجميع الأحرار فى كل مكان بما
كانت مبادئها تدعو اليه من حرية وأخاء ومساواة » (٣٨) . وان
مصطفى كامل « كان وثيق الصلة بممثلى فرنسا فى الوقت الذى
كانوا يعملون فيه فى مصر على معاكسة السياسة
الانجليزية » (٣٩) .

وهنا نجد (المقطم) تؤكد على أن « اتفاق انجلترا وفرنسا
على مصر لا يغير شيئا فى أحوالها ولكنه يزيد نفوذ الانجليز الأدبى
فيها قوة على قوة » (٤٠) . وتهاجم (المقطم) صاحب (اللواء)
الذى ازدادت دائرة نشاطه وازدادت حدة قلبه ضد الاحتلال وأعوانه
فتسمى التيار الوطنى الذى يقوده مصطفى كامل « بقوات المعارضة
والتأخر » و « بحزب المعارضة والتأخر » الذى « يعارض الإصلاح
السائر بالبلاد فى سبيل الارتقاء والتقدم » (٤١) .

وبعد الانتقاد الذى وجهته (اللواء) للخديوى لوقوفه تحت
الراية البريطانية للمرة الثانية فى عامين متتاليين ، بمناسبة عيد
ميلاد ملك الانجليز ، ترد (المقطم) على (اللواء) زاعمة أن
الضفائن والعداوات التى يثيرها صاحب (اللواء) هى « أعظم
العوامل فى إبلاغ الخديوية المصرية هذه المنزلة السياسية
والاجتماعية » (٤٢) .

مشكلة العقبة بين المقطم ومصطفى كامل :

وفى أوائل عام ١٩٠٦ تحدث مشكلة احتلال القوات التركية لقرية (طابا) فى منطقة العقبة ، مدعية انها من ممتلكات الدولة العثمانية . وتجد (المقطم) فيها فرصة مواتية لشن حملات قاسية ضد الحكومة الحميدية ، أرضاء للحكومة الانجليزية ولرجال الاحتلال فى مصر ، وانتقاما من الحركة الوطنية التى كانت تجد فى الدولة العثمانية نصيرا لها ضد الاحتلال البريطانى . فتظهر (المقطم) وطنية زائفة « فبعدما مدت الحكومة المصرية يد الإصلاح الى تلك الاراضى النائية لا يكاد يحتمل انها تترك الحكومة الحميدية تعتدى عليها وعمال المابين يعيثون فيها فسادا » (٤٣) .

اما الوطنيون المصريون فقد ابدوا « عظما على وجهة النظر التركية وموقف تركيا ، وأنكروا على بريطانيا تدخلها فى المشكلة وتفسير موقفهم انهم استنكروا دور الحماية الذى اتخذته بريطانيا بالنسبة لمصر فى المشكلة ، وخشوا أن تكون تلك مقدمة لانهاء السيادة التركية وضم مصر الى الامبراطورية البريطانية أو اعلان الحماية عليها » (٤٤) . فقد كانت الحركة الوطنية تتطلع الى مجابهة الاحتلال ضمن إطار الجامعة الاسلامية التى كان صاحب فكرتها السلطان عبد الحميد الثانى « كفكرة تستهدف جمع المسلمين فى حوزة دولة واحدة تحت ظل الخلافة العظمى ، ورأى أن استغلال هذه الحركة هو بمثابة صخرة النجاة له وللإمبراطورية العثمانية على السواء » (٤٥) .

وقد كان « من الطبيعى أن يتطلع المصريون الى تأييد دولة اسلامية كبرى كالدولة العثمانية . وأن يجدوا فى دعوة الجامعة الاسلامية عامل دعم لهم فى نضالهم ضد الاحتلال البريطانى » (٤٦) .

وكان طبيعيا أيضا أن تسجل (المقطم) تحركات بريطانيا فى مشكلة (طابا) والاشادة بها وبفاعليتها ، وبضعف الحكومة التركية أمامها ، فان « بريطانيا العظمى قد تحركت ، والليث البريطانى اذا تحرك من عرينه لم يسهل لقاؤه ولا تسكينه » (٤٧) . وتقول (المقطم) انها تنصر مصر فى هذه المسألة لان مصر اقرب اليها من تركيا ولان مصر « اولى بالنصر من الحكومة الحميدية ولان بقاء طورسيناء بيد حكومة مصر نعمة لأهلها ورحمة ، ودخوله فى يد الحكومة العثمانية عذاب لأهلها ونقمة » (٤٨) . وهى ترى أن زيادة أعداد جيش الاحتلال فى مصر فى اثناء هذه المشكلة جاءت نتيجة تحريض الجرائد الوطنية « فكان ذلك شبه عقاب للأمة لا للجرائد وللمحرضين لها ، لان زيادة جيش الاحتلال تستلزم زيادة صرف الأيوال » (٤٩) . وتقول (المقطم) لهؤلاء الوطنيين الذين يعترضون على تدخل بريطانيا فى الأزمة انها لا تظنهم « جهلون أو يتجاهلون أن الانجليز هم الذين يتولون ادارة الأحكام فى مصر الآن » (٥٠) . فليست حدود الأزمة اذن بين الحكومة المصرية والحكومة العثمانية .

وبعد أن تم التوصل الى حل للأزمة بانسحاب القوات التركية من (طابا) بفعل الضغوط السياسية التى مارستها بريطانيا ، فضلا عن تهديدها بتفجير مواجهة عسكرية مع تركيا ، تخاطب (المقطم) صاحب (اللواء) بأسلوب ينم عن الفطرسية والتشفى فتقول لقد « أثبت أمس أن طابا هى فشودة ثانية بلا مراجعة ولا منازعة واليك البيان : ان الفرق الوحيد بين مسألة طابا ومسألة فشودة فى فهم صاحب اللواء اللبيب ، هو أن خروج الفرنسيين من فشودة كان اهانة لهم لا تنسى ، أما الحكومة الحميدية فلم تحتل (طابا) الا لمنع بناء الاستحكامات فيها ، وهذا قد تم لها . ولذلك خرجت جنودها ظافرة مناخرة . هذا هو الفرق بين مسألة فشودة ومسألة طابا عند صاحب (اللواء) . وقد ثبت اليوم رسميا على رؤوس

الأشهاد أن الحكومة الحميدية أخرجت جنودها من طابا وطور سيناء كما أخرج الفرنسيون جنودهم من فشودة من غير أن تذكر كلمة عن قلاع أو استحکامات « (٥١) » .

وتواصل (المقطم) مهاجمة مصطفى كامل وتتهمه بأنه هو وأعوانه كانوا السبب في اهاجة سحق الدولة البريطانية حتى أبت الا معاملة الدولة العثمانية بمنتهى الشدة فكانت مسألة العقبة أشد محنة وبلية على الدولة العلية حيث جرعتها غصص الذل والهوان وتركت السيادة العثمانية على مصر أثرا بعد عين « (٤٢) » وتنطلق المقطم من هذه الحادثة لتبين للقوى الوطنية التي تنادى بالجامعة الإسلامية ، ان ارتقاء البلاد لا يكون الا بالاعتماد على الجامعة الوطنية المصرية في المسائل الدنيوية سياسية واقتصادية واجتماعية . وأن تكون الجامعة الإسلامية مظلة للأمور الدينية فقط « (٥٣) » .

وهذه الرؤية التي تقدمها (المقطم) ، ترى انها ميزة تمتاز بها الصحف العثمانية والكتاب العثمانيون على الصحف والصحفيين المصريين (وهى تقصد بالعثمانيين هنا أصحاب الصحف من السوريين الذين يقيمون في مصر) . ذلك أن كثيرين من أرباب الصحف والكتاب المصريين بل أكثرهم « لا يعترفون بالجامعة الوطنية بل يزدرون الجامعة الوطنية المصرية ويعادون كل من يدعو المصريين اليها ولا يعترفون الا بجامعة واحدة هى الجامعة الإسلامية » « (٥٤) » . وترى (المقطم) أن هؤلاء الكتاب كانوا يتظاهرون بالغيرة الوطنية تحت رعاية حزب الاستعمار الفرنسى « فلما فرغت جيوبهم التمسوا للرزق سبيلا آخر وهو الطنطنة بالجامعة الإسلامية » « (٥٥) » .

حادثة دنشواى :

بعد وقوع حادثة دنشواى التى تمثلت فى اشتباك مدد من الضباط الانجليز مع فلاحى قرية دنشواى (فى مديرية المنوفية) نتيجة قيام هؤلاء الضباط بصيد الحمام الذى يملكه أهالى القرية ، مما أدى الى وفاة ضابط انجليزى وجرح آخرين . بعد هذه الحادثة مباشرة كتبت (المقطم) تعبر عن سخطها على فلاحى دنشواى : « هذه الحادثة قد « أهاجت خواطر الناس هنا وفى بلاد الانجليز هيجانا عظيما جدا ، أولا لأن عاقبتها مشنومة ، وثانيا لوقوعها بعد هيجان الخواطر فى مسألة العقبة . وانما نقول ان هذه الحادثة شؤم ووبال على الذين ارتكبوها وعاقبتها مخومة على الأمة من كل وجه ، اذ معظم علم الأجانب بأميال الوطنيين ولاسيما الفلاحين وآرائهم مستمد من الجرائد الوطنية فهم يعتقدون أن هذه الجرائد تنطق بلسان الوطنيين وتفصح عن ضمائرهم . ومن سوء الحظ وخرق السياسة ، أن أكثر الجرائد الوطنية تطرق على سفندان واحد وهو أن الوطنيين نافرون من المحتلين حاقدون عليهم لا يصفون لهم ويرمون كل وطنى لا يجرى على قولهم بالرياء والتلق والمروق من الوطنية والدين » (٥٦) .

وقبل ان تنعقد المحكمة ، وقبل أن يجرى التحقيق تنشر (المقطم) خبر اصدار الأوامر الى مخازن البوليس فى بولاق بتجهيز المشنقة واعدادها ، حتى اذا اقتضت الأحوال ارسالها الى دنشواى ارسلت فى الحال (٥٧) . ويؤيد (المقطم) الرواية الانجليزية عن الحادث التى اعلنتها وزارة الداخلية فتقول : « وظاهر أن رواية نظارة الداخلية ، دلائل الصحة والتوفيق فى التحقيق واضحة عليها . وقد اسفرت لنا عن حقائق من الغرابة بأعظم مكان حتى حار فيها كل قارئها . فأول تلك الحقائق اعتماد الضباط الانجليز عن الشر

وحبهم العجيب للمسالمة وخلوص طويتهم وصفاء نيتهم الى حد لا يكاد يصدق . والحقيقة الثانية ان اهل دنشواى فعلوا حينئذ فعلا يجل عنه اهل الشيرى ولا يليق بأبناء مصر سلبلة العرب الكرام « (٥٨) » .

وترى (المقطم) ان القضية محصورة بين خمسة من الضباط الانجليز واهل قرية من قرى الريف ، فلا ينبغي ان تكون قضية سياسية بين الامة المصرية والامة البريطانية . وذلك « لعلنا ان كل مصرى ذى عقل ومروءة وانفة وحمية ، يابى هذا التقسيم الجائر فى حادثة كهذه الحادثة ، ويأنف ان يلطخ الامة المصرية بعار ارتكبه رعاع من أسفل طبقة من طبقاتها كما يأنف عقلاء كل أمة من الأمم ان يلطخوا أمتهم بعار ترتكبه جماعة من رعاعهم وسفلتهم » (٥٩) .

وبعد صدور حكم (المحكمة المخصوصة) التى نظرت القضية ، الذى قضى باعدام البعض وسجن البعض الآخر من المتهمين من اهالى القرية ، تكتب (المقطم) مبينة ان حكم القضاء (الرهيب) قد صدر على اهل دنشواى « جزاء ما جفت أيديهم واجراء للعدل وحفظا للنظام والأمن فى هذا القطر . وقد ساءت حادثة دنشواى هذه العالم المتمدن عموما وعقلاء مصر خصوصا ، لما ارتكبه اهل دنشواى فيها من الجرائم الفظيعة والعيوب الفاضحة حتى بات كل مصرى عاقل يفار على بلاده ويحافظ على كرامة أمة يتبرا منهم ويجل أمة عنهم » (٦٠) . وتأمل (المقطم) بعد انتهاء الحادثة بهذا الشكل المأسوى ان « تهدأ الخواطر وتسكن النفوس بعدما طال عليها زمان القلق والهيجان من ابتداء مسالة طور سيناء هذه السنة الى الآن » (٦١) .

ولكن حادثة دنشواى لم تمر هكذا ، وبدون عواقب ، فقد كانت مناسبة مهمة لمصطفى كامل ، لى يتحدث عن القضية المصرية

فى المحافل الدولية ، ومخاطبة الرأى العام فى كل من بريطانيا وفرنسا موضحا حقائق السياسة التى يمارسها الاحتلال الانجليزى فى مصر .

وكان « هذا الحادث مما الهب حرارة الوطنية فى نفوس المصريين ورفع مكانة مصطفى كامل أيا ارتفاع » (٦٢) . وكان أن انتعشت الحركة الوطنية وازدادت قوة ، بعد فترة ركود وضعف قبل دنشواى ، هذا الانتعاش ترتب على أن دنشواى زودت زعماء الحركة الوطنية بمعين لا ينضب للهجوم — بحق وبديل عملى — على الاحتلال وعلى سياسته فى مصر (٦٣) . وبدأ التاريخ ينظر الى حادثة دنشواى على أنها « نقطة التحول الحقيقى فى الحركة الوطنية والنشاط المصرى » (٦٤) . وقد اتخذت هذه الاعمىة التاريخية « لما كان لها من الأثر البالغ فى تطور الحركة الوطنية ، وفى مركز الاحتلال فى نهاية عهد كان الاحتلال يتمتع فيه بالاستقرار والطمانينة وبداية مرحلة جديدة من مراحل الجهاد القومى عم فيها الشعور الوطنى بعد أن كان الظن أن سواد الأمة راضى عن الاحتلال » (٦٥) . ويشهد الخديوى عباس حلمى فى مذكراته بأن « البيان الذى نشره مصطفى كامل فى جريدة الفيجارو الباريسية فى ١١ يولية ١٩٠٦ قد أحدث دويا عظيما وأثار ضمير العالم » (٦٦) .

ومع هذه الحملة الاعلامية العالمية التى قادها مصطفى كامل استنكارا لاعدام فلاحى دنشواى ولسياسة الاحتلال ، تظهر فى بريطانيا نفمة رمى المصريين بتهمة التعصب ، الصقها بهم وزير الخارجية البريطانى (ادوارد جراى) ، فتتلقف المقطم هذه التهمة لتنسبها الى الحركة الوطنية المصرية وجرائدها « نعسى أن يتبين سكان هذا القطر أن الذين ينادون باسمهم وينفخون روح التعصب فى البلاد ليسوا منهم ولا هم مسئولون عما يفعلون » (٦٧) .

وتقول (المقطم) ان كتاب الجرائد المصرية يتوكانون على اقوال (الشواذ) من الكتاب الانجليز الذين يحتدون على حكومة بلادهم . وتستنكر الصحيفة اتهام اللورد كرومر باختراعه تهمة التعصب اختراعا لكى ينجى الوزارة الانجليزية من الموقف الحرج الذى أوقعها فيه جلد بعض المحكوم عليهم من اهالى دنشواى امام المحكوم عليهم بالاعدام وتدفع (المقطم) هذه التهمة عن كرومر الذى يتصف « بالشمال الحميدة » (٦٨) . وتهاجم (المقطم) الكتاب الوطنيين الذين « تعرفوا بنفر من رجال الانجليز المحسوبين بين قومهم من الشواذ الذين لا يعجبهم شئ بل يعدهم قومهم من أعداء وطنهم » (٦٩) . وتطالب الجرائد الوطنية بالكف عن « الخوض فيما يزيد الوحشة والنفور ، والا فالعاقبة وخيمة عليها وقد تجر الضرر على البلاد ايضا » (٧٠) .

واشتدت حملة (المقطم) من ثم على مصطفى كامل الذى استثمرت خطورة تحركه ضد الاحتلال ، فتلقيه (بالهجاص) وتقول فيه : « ان الذى أوهم المتطرفين فى انجلترا وجمهورا عظيما فى مصر ، بأنه زعيم عظيم يحمى امير مصر ظهره ، وتشدد الأمة المصرية ازره ليس الا — هجاصا — فاق الاقران فى قرع طبول — هجصه — حتى حصل مالا من بعض الموسرين ليستعين به على توسيع شغلته وزيادة ربحه » (٧١) . وان الحوادث كل يوم تجيء مكذبة لاقواله مبطللة لدعواه ، فمسألة العقبة اظهرت كذب وطنيته بأجل بيان حيث وقف فيها عدوا لمصر وناصرا للما بين خصمها (٧٢) . وتركز (المقطم) على فقرة وردت فى تقرير كرومر السنوى عن الحزب الوطنى ، بأنه لا ينوب عن السواد الاعظم من الأمة فى رغائبها وآمانها ، وأنه يعتمد على الجلبة والصياح (٧٣) . وترفع نغمة التحدى لدى (المقطم) فتقول ان كل ما يقدمه الحزب الوطنى والويته لن يزحزح وجود الاحتلال الذى تقرر أنه باق الى ما شاء

الله (٧٤) . وتحذر (المقطم) من أن المصريين لن ينالوا استقلالاً أبدياً
الدهر » لأن الأمة التي يكون زعيمها مثل صاحب اللواء أحوج إلى
النصح والإرشاد منها إلى حكم نفسها بنفسها « (٧٥) . وترى المقطم
أن من نتائج أعمال الحزب الوطني اتساع الهوة بين الحكومة
الإنجليزية والخديوى » حتى صارت جريدة التيمس تقول إذا شاء
سموه أن يساعدنا في الإصلاح فله ، وإن لم يشأ فنحن مستفنون
عنه « (٧٦) .

ولكن (المقطم) تعبر عن سرورها عندما يذاع في لندن حديث
منسوب للخديوى ، أجراه معه (المستر ديسى) ونشرته (الديلى
تلغراف) ، يعلن فيه الخديوى أن الاحتلال يتفق وطبيعة الأوضاع
في مصر . فتتل (المقطم) لهذا الحديث نظراً لانسجامه مع
السياسة التي تدعو لها باستمرار (٧٧) . ونظراً لردود الفعل
العنيفة التي أحدثها هذا الحديث الصحفي في أوساط الحركة
الوطنية ، تقول (المقطم) أن صاحب (اللواء) ضاع صوابه بعد
هذا الحديث الذي « أبطل دعاويه ، وقطع أوصاله وعلمه أن كان
يصح لمثله أن يقول أن (المقطم) الصديق في خدمة مصر وأهلها
جريدة احتلالية صحت أن يقال أن سمو الخديوى المعظم نفسه أول
احتلالى « (٧٨) . ويصل الأمر (بالمقطم) بعد أن أحست بابتعاد
الخديوى عن الحركة الوطنية أن تطالبه وتطالب معه الكبراء والعبيد
البريطانيي بمحاصرة هذه الحركة وإسكانها » وبأن يكونوا شر أولئك
الزعماء الذين يلقبون أنفسهم بالحزب الوطني لأن كم أنفواهم من
مصلحة البلاد ومصلحة الساكنين فيها « (٧٩) .

عزل كرومر :

وكان من آثار حادثة دنشواى عزل الحكومة البريطانية لكرومر ، المعتمد البريطانى الذى أقام بمصر أربعاً وعشرين سنة متصلة ، شهدت فيها تغييرات واحداً جساماً ، كان فيها كرومر يمثل دور الطاغية المتجبر الذى لا ترد له كلمة . وقد تضافرت عدة عوامل على اقالته من منصبه وهى : « تحالف الخديوى والحركة الوطنية ضده بعد دنشواى ، والحملة ضده وضد سياسته فى مجلس العموم البريطانى وأثرها فى مصر ، وتخطى الحكومة البريطانية عن تأييد سياسته ، وضعف صحته وعجزه عن مواجهة الحملات دون تأييد من الحكومة » (٨٠) .

وكانت اقالة كرومر موضع أسف وحزن لدى (المقطم) ، ومبعث هجوم متصل على القوى الوطنية التى كانت تسدد له الهجمات الشديدة فى أعقاب دنشواى . وتقول (المقطم) : انه « لا ريب ان استعفاء اللورد كرومر يسوء اهل القطر عموماً حتى الذين يتباهون فى هذه الأيام بالتطاول عليه ويفتخرون بالوقاحة وقلة الأدب فى توجيه اقوالهم اليه . ولكن ما يخفف على المصريين الم هذا التغيير أن الذى حل محله انما هو تلميذه الذى ربى فى كنفه منذ نعومة أظفاره ، وتخرج فى السياسة والإدارة تحت عنايته وأدرك مبادئ ادارته وغايات سياسته » (٨١) ، وتقصد به (السير الدون جورست) المعتمد البريطانى الذى خلف اللورد كرومر فى مصر .

وتنكر (المقطم) على الحركة الوطنية دورها فى عزل اللورد كرومر قائلة : « وغنى عن البيان أن الهجاصين سيحاولون ايها البسطاء بأنه كان لهم يد فى هذا الاستعفاء » (٨٢) . وترى (المقطم)

انه ليس هناك موجب لفرح هؤلاء ، فان جورسيت هو تلميذه وسوف يسير على سياسته ، بل اننا « استبدلنا الشيخ بالشاب وبنى ذلك خير كثير » (٨٣) . وتقول ان الاستعفاء كان بعيدا عن الاسباب السياسية وانما كان لاسباب صحية فقط . وان كان ما يقوله صاحب (اللواء) مغايرا لذلك ، فهو غير صحيح (٨٤) .

الحزب الوطنى الحر :

مع اعلان الاحزاب المصرية فى عام ١٩٠٧ ، وهى الحزب الوطنى حول صحيفة (اللواء) ، وحزب الأمة حول صحيفة (الجريدة) ، وحزب الاصلاح على المبادئ الدستورية حول صحيفة (المؤيد) ، ظهر الحزب الوطنى الحر برئاسة محمد وحيد الايوبى الذى اتخذ جريدة (المقطم) منبرا له ، وان لم تكن صحيفته الخاصة به .

ويبدو هذا الحزب كانه (الصورة السلبية) للحزب الوطنى ، فقد كان فى نشاته او فى برنامجه او فى كيانه او فى تصرفاته ، اقرب الى ان يكون رد فعل عكسيا لحزب مصطفى كامل . فمن حيث النشأة ظهر (حزب الاحرار) من خلال رد فعل للهجوم السنوى الذى اعتادت (اللواء) ان تشنه على تقرير اللورد كرومر السنوى ، فردا على هجوم ١٩٠٧ نشر محمد بك وحيد مقالا فى (البروجريه) يتهم فيه مصطفى كامل وجماعته بانهم « جرثومة التعصب والفتن » (٨٥) . وقد اطلق الايوبى اسم الحزب الوطنى الحر ليدل على منافسته ومعارضته المضادة للحزب الوطنى (٨٦) .

وقد بدأ محمد وحيد نشاطه بالكتابة السياسية على صفحات المقطم ، فيكتب سائلا المولى ان يحتفظ كل فئسى من الوقوع فى شرك « حزب الفساد الما جور الذى يوسوس فى صدور الجهلاء

والغوغاء وبعض الصعاليك» (٨٧) . ويقصد بذلك الحزب الوطنى . ويتبع (المقطم) طريقة جديدة لنشر أفكار محمد وحيد ، وذلك ينشر رسائل موقعة بأسماء عدد من المواطنين تتضمن آراء تتفق وأفكار محمد وحيد وسياسة (المقطم) ، وذلك تحت شعار : « اصحاب المصالح الحقيقية » تذييل بتعليق خاص لوحيد على كل رسالة منها . وتركز هذه الرسائل على اعجاب اصحابها بسياسة (المقطم) وخطة محمد وحيد (٨٨) .

ويكتب محمد وحيد قائلا ان « آراء عقلاء الوطنيين اصحاب المقامات والحيفات والمصالح الحقيقية ، هى التساهل ومسالمة المحتلين وجميع الاجانب قلبا وقالبا وليست كما تدعى جرائد التهور والهياج لترويج بضاعتها فى سوق البساطة والجهل » (٨٩) . وتأتى رسالة لـ محمد وحيد تنشرها (المقطم) يعلن فيها صاحبها سخطه على (اللواء) و (المؤيد) اللذين « أضرا بالبلاد ضررا عظيما وعبثا بحرمة المصريين بأقوالها الشائنة وخصوصا وقاحتها ضد مصلح مصر اللورد كرومر » (٩٠) . ويخاطب محمد وحيد مصطفى كامل وعلى يوسف ساخرا « يا مصطفى كامل يا أخانا وياعم الشيخ على » مطالبا اياهما بأن يكفيا عن خطتهما . ثم يقول ان هذه الجرائد التى « تتسافه على المحتلين والاجانب ليست الا جرائد تهجيص وتدجيل لا نعمل على أقوالها ولا تنطق الا بلسان اصحابها » (٩١) . وعلى هذا المنوال سار محمد وحيد مكررا الانتكار والاتهامات نفسها ضد مصطفى كامل و (اللواء) ، ويربط بين دعوة الحركة الوطنية للاستقلال وايجاد المجلس النيابى والأزمة المالية التى شهدتها البلاد فى اوائل عهد المعتمد البريطانى الجديد جورست . ويخاطب وحيد رجال المال والبنوك الاجانب بأن يطمئنوا على مصالحهم المالية فى مصر لان « ادعاء الوطنية الهجاصين »

لا يعبرون عن « أصحاب المصالح الحقيقية » الذين يريدون بقاء الاحتلال ، وإنما يعبرون عن انفسهم ومصالحهم الذاتية .

وقد بدأ وحيد منذ ٨ يونية ١٩٠٧ يطلق على نفسه ومؤيديه لقب « حزب الاحرار » ويخطبه أصحاب الرسائل المؤيدة له « بالوطنى الغيور » و « الشهم الحر » (٩٢) . ويوقع بعضهم تحت أسمائهم بأنهم « من ذوى الاملاك والاطيان » (٩٣) . ويتساءل وحيد ساخرا « وهل بمصطفى كامل وعلى يوسف خرج الانجليز من مصر ؟ تالله لا فرق بين هذه الفئة التى تتوارى خلف ستار الصحافة وضاربى الارمال وفاتحى الكتب وكتابتى الحجب وكاشفى البخت ورواة قصص ابى زيد والزنانى » (٩٤) . وهو يدعو المصريين الى مبادئه باسم « الحزب الوطنى الحر وباسم الوطن والحرية وباسم العقل والروية » (٩٥) ويرى محمد وحيد أن القاعدة التى يجب أن يتبعها أبناء مصر والنسب تناسب الاحوال الحاضرة هى « سلامة المصريين فى مسألة المحتلين » (٩٦) . ويقول ان « الهيئة الحاكمة للأمة لا ترى ان الأمة قادرة الآن على تولى أمور مجلس نيابى .. فالضاربون على نفمة هذا المجلس انما يضربون لاغراضهم الشخصية واطوارهم الذاتية » (٩٧) .

ويطلق وحيد صرخة يطالب فيها أبناء الأمة ووجهاءها وأعيانها بالمجاهرة « بأن الأمة برمتها ساخطة على هؤلاء المهيجين المفسدين وبريئة من اذليلهم واباطيلهم » (٩٨) . وتصل حدة الهجوم على مصطفى كامل بان تدعوه المقطم الى ترك خطته « المبقوتة » والانضمام الى الحزب الوطنى الحر (٩٩) . وتنتشر (المقطم) برقية وحيد التى أرسلها باسم حزبه الى جورست يعلن فيها اعتماده على « الدولة المحتلة المحبوبة العادلة فى جميع شئوننا الادبية والمادية » (١٠٠) . ويعبر وحيد عن سرور للزيارة التى قام بها الخديوى لسفير بريطانيا فى الآستانة فى برقية نشرتها (المقطم)

باسمه وباسم أعضاء حزبه الذين « يأملون أن هذا الاتحاد وهذا "وداد يدومان طول الأيام" (١٠١) . وتدعو (المقطم) وحيدا لان بنتهز فرصة الضربة القادمة التى تنبأت للحزب الوطنى بتلقيها نتيجة لسياسته وخبطته بقولها : « فليفتح الحزب الوطنى الحر عينيه واذنيه وليستعد لضرب حزب الهجاصين كل ساعة بين عينيه حتى يعلم العالم أن الأمة المصرية ليست على رايه وأنه لا يجوز أن تؤخذ بجريرة جهله ونزقه وطيشه » (١٠٢) .

وتنشر المقطم برنامج الحزب الوطنى الحر « الذى اتخذه قاعدة لأعماله ومنهجاً ينفذه ذووه » ، ويتكون من ستة بنود تتضمن الدعوة لمسالة المحتلين ومسالة الأجانب المقيمين فى البلاد والسعى لتعميم التعليم الابتدائى والسعى للاستفادة من التمدن الغربى والسعى للحكم النيابى تدريجاً عندما تقتنع الدولة الانجليزية بمسالة المصريين واستعدادهم لذلك . وتعلق المقطم على برنامج الحزب الوطنى الحر بقولها انه مطابق لرأى العقلاء ولصلحة مصر وان « قيام هذا الحزب كان آتية على الحزب الوهمى الذى يسميه ذووه كذبا بالحزب الوطنى » (١٠٣) .

ولعله لم يكن هناك فى تاريخ مصر من الأحزاب من أيد الاحتلال بالشكل الذى عبر عنه هذا الحزب (١٠٤) . وقد ظل وحيد « مادة للتشهير به كممثل للعملاء المفضوحين حتى اختفى ولم يسمع عنه بعد ذلك أبداً » (١٠٥) . ولم يكن لهذا الحزب شأن خطير فى البلاد خاصة اذا عرفنا انه لم يكن له أعضاء ما عدا محمد وحيد نفسه كرئيس ومحمد بك نشأت كوكيل (١٠٦) . وكان محمد وحيد قد أصدر صحيفة له باسم الأحرار « وواضح أن صدور هذه الجريدة قد تمخض عن الخلاف بين محمد وحيد وجريدة المقطم التى اتخذها منذ البداية منبرا لنشر آراء حزبه واخباره » (١٠٧) . ولم تستمر هذه الصحيفة فى صدورها لمدة طويلة (١٠٨) .

مرحلة الوفاق بين الخديوى والاحتلال :

بمجيء جورست خلفا لكرومر ، بدأت سياسة جديدة بين الخديوى والمعتمد البريطانى اطلق عليها « سياسة الوفاق » وذلك فى اعقاب « سياسة الخلاف » بين الخديوى وكرومر حيث « فكرت بريطانيا فى اتباع سياسة جديدة تحاول فيها ارضاء المصريين واعطاءهم نصيبا اكبر من حكم بلادهم ، وارضاء عباس باعادة قدر من سلطاته اليه ، واستخدامه كأداة لضرب الحركة الوطنية » (١٠٩) . وقد « نتج عن سياسة الوفاق هذه فتور عام فى فكرة الاستقلال وتراخى فى مفاصل الوطنية الصحيحة ، وانصرفت النفوس طبعاً عن التعلق بالخديوى الذى كان ينسب كل تصرف سيئ للانجليز الى رضاه عنه واقاراره عليه . وكان اللورد كرومر والجرائد الانجليزية لا تدع فرصة تمر الا انتهزتها للثناء على الخديوى واطرائه ، بابلغ الاطراء » (١١٠) . وتثنى (المقطم) على هذه السياسة فترى أنه اذا كانت السياسة الجوهريّة لجورست لا تختلف عن سياسة كرومر ، فان العلاقات الخصوصية له مع الخديوى تختلف عما كانت عليه الحال بين الخديوى وكرومر ، فالعلاقات الآن تقوم على الثقة المتبادلة والصفاء التام بعد أن كانت مضطربة ويشوبها الجفاء (١١١) .

وقد تصدت الحركة الوطنية للاحتلال والخديوى معا فى هذه المرحلة ، واحست قياداتها بضرورة الحذر خشية التعرض للتصفية التى قصد الاحتلال القيام بها بتنفيذ هذه السياسة التى تحمل فى طياتها اخطارا كبيرة بالرغم من كونها لينة المظهر .

وكان زعيم الحركة الوطنية فى هذه المرحلة محمد فريد ، الذى تسلم رئاسة الحزب الوطنى بعد وفاة رئيسه مصطفى كامل فى فبراير ١٩٠٨ . وقد طالب فى خطبته الاولى بعد انتخابه لرئاسة

الحزب بالدستور والمجلس النيابى ، وهما المطلبان اللذان كانا محور نشاط الحركة الوطنية وجهدها السياسى والاعلامى ، فقد « طرحت قضية الدستور فى الصحافة المصرية بعد الاحتلال بصفتها جزءا عضويا من طلب المجلس النيابى . وذلك أن المفهوم السائد للدستور فى ذلك الوقت كان يقتصر فى معناه على نوع خاص من التنظيم السياسى ، تقيد فيه سلطات الحكم وتقرر ضمانات مهمة لحريات الأفراد » (١١٢) . وترد (المقطم) على مطالب محمد فريد ، بأن الحزب الوطنى وسائر الأحزاب المصرية مدعوة لتوجيه العناية الى اعداد العامة للنظائىم النيابية ، عوضا عن اضاءة الجهد فى طلب الشئ قبل اوانه (١١٣) . وترى (المقطم) أن المطلب الوطنى المصرى سواء فيما يتعلق بالجلء والاستقلال أو انشاء المجلس النيابى يجب أن توجه الى الدولة الانجليزية مباشرة وليس الى معتمديها فى مصر لأن بريطانيا هى التى تقرر السياسة العامة فى البلاد (١١٤) .

وفى أثناء احتفال (المقطم) باعلان الدستور العثمانى الذى استقبله بالتهليل والابتهاج ، ترى أن الحياة الدستورية التى يطلبها المصريون يضمنها لهم الاحتلال الانجليزى أو البرلمان البريطانى ، فهذا الضمان « مجرب ومكنول يقيكم شر الغدر بكم والانقلاب عليكم ويفنيكم مؤقتا عن التعرض للأخطار والأهوال » (١١٥) . وترفع نفمة المقطم المضادة للدستور والمجلس النيابى مبينة أن الخديوى لا يستطيع اتخاذ اجراء ما فى القطر الا بعد الرجوع لانجلترا . وعليه فانه « مادامت الحكومة الانجليزية لا توافق على منح مجلس نيابى فالمجلس النيابى لا ينجح » (١١٦) . وتأتى نفمة المقطم هذه فيما يبدو ، ردا على ما اعلنه محمد فريد من اننا — لا نطلب الدستور الا من الخديوى وإذا جاءنا من الدولة المحتلة فلن نقبله — فتناشده المقطم بقولها : « اننا نتوسل اليك يا حضرة الاخ فريد بك اذا

سمحت بالأخوية الوطنية ان تتنازل عن هذه الشسدة فى القول والطلب لأنه ليس وراءها الا الخسران « (١١٧) .

وتجرى (المقطم) حديثا صحيفا مع جورست يعلن فيه أن مصر غير مهيأة لنيل الدستور واقامة حكومة نيابية ، لأن درجة ارتقاء الاهالى فى العلم والمعرفة لا تسمح بذلك « والتفكير فى ادخال تغيير يحدث انقلابا كهذا الانقلاب ضرب من حماقة والجنون « (١١٨) . وتطالب (المقطم) أعضاء مجلس شورى القوانين بالاعتدال فى مواقفهم وعدم الالتفات الى ما تكتبه جرائد التهور والطيش (١١٩) . وتنشر الصحيفة رسالة بتوقيع (الميرالاي ابراهيم بك راجى) يثن فيها حملة على الحزب الوطنى ويتهمة بافساد اخلاق التلاميذ وانه سبب الازمة المالية التى تعاني منها البلاد (١٢٠) .

احياء قانون المطبوعات لحاصرة الصحافة الوطنية :

لجأت الحكومة المصرية بضغط من الخديوى وبناء على اتفاقه مع معتمد الدولة المحتلة الى سلاح قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١ لتكليم الصحافة الوطنية ، بعد أن حققت الحركة الوطنية تقدما ملموسا لاسماع مطالبها الوطنية الى الراى العام الأوروبى .

ويبحث القانون من جديد فى عهد وزارة بطرس غالى فى مارس ١٩٠٩ . واعتبر صدوره « أول مظاهر تحالف الخديوى والوزارة والاحتلال على الحركة الوطنية » (١٢١) . ويرى أحمد شفيق باشا أن احياء قانون المطبوعات جاء بسبب حدة الصحافة المنتبئة للحزب الوطنى « التى تمادت فى شدتها ضد شخص الخديوى ، حتى كانت ترميه بخيائته لوطنه والاتفاق مع الانجليز ضد مصالح الامة ، فضاع سموه ذرعا بهذه الحملات وسلم بالنظرية الانجليزية فى سنن

القانون بل اضحى هو صاحب الرغبة والسمى فى ذلك فكلف بطرس باشا بالتعجيل فى تنفيذ هذه الفكرة واستقر الراى على بعث قانون سنة ١٨٨١ لتحاسب الصحف بمقتضاه « (١٢٢) . وكان بطرس غالى من ناحيته يشعر بالضيق ازاء الحملات الصحفية التى استهدفتها حيث « استقبلت جرائد الحزب الوطنى الوزارة التى ألفها بطرس باشا غالى فى منتصف نوفمبر ١٩٠٨ أسوا استقبال » . وقد « كان منطقيا بعد هذا الموقف من الصحافة الوطنية أن يمتلىء رئيس الوزراء بدوره بمرارة شديدة منها ، ويتبنى لو أتاحت له الفرصة ليخمد أنفاسها . وقد منحت هذه المشاعر بطرس باشا حساسة لقانون المطبوعات عندما عرضت فكرة إعادة تطبيقه الى حد أنه عندما اعترض بعض الوزراء على اصدار هذا القانون كان لدى رئيس الوزراء الرغبة فى الاستقالة وعودة تأليف وزارة يخرج منها الوزراء المعترضون » (١٢٣) .

وتستقبل (المقطم) قانون المطبوعات بذرف دموع الأسف على حال الصحافة ، محملة الحزب الوطنى مسؤولية إعادة العمل بهذا القانون وما يحدث للصحافة من مضايقات « فلولا طيش الطائشين وحماسة المتطفلين على موائد الصحافة لدامت لنا هذه النعمة الى ما شاء الله سامحكم الله على ما جنيتم على الوطن والوطنية وعلى الاستقلال والارتقاء والحرية » (١٢٤) . ولكن (اللواء) ترد على (المقطم) مبينة لها خطأ هذا الاتهام وذلك بأسلوب لاذع وتحت عنوان « لا كرامة لماجور » (١٢٥) . وتستنكر (المقطم) قيام المظاهرات الاحتجاجية على قانون المطبوعات ، وتهزا بالمظاهرين الذين لا يفقهون معانى الألفاظ التى يرددونها فى هتافاتهم وهم لا يدركون أن مظاهراتهم هذه هى التى أدت الى هذه النتيجة (١٢٦) ثم تورد (المقطم) قولاً منسوباً للخدوى يصف فيه المظاهرات المطالبة بوقف العمل بقانون المطبوعات بأنها « الأعيب صبيان » (١٢٧) ..

وتهاجم الصحيفة اعضاء مجلس الشورى الذين تاثروا بأفكار الحزب الوطنى ، فهذا النفر فى رأيها « تغريه بهرجة الصحف المتطرفة ويحمله حب الظهور والشهرة على الاشتغال بأمور غير مأمونة العواقب بل قد يضر بلاده من حيث يريد النفع لها » (١٢٨) . وترى (المقطم) أن محمد فريد لم يكتف بكونه السبب فى بعث قانون المطبوعات بل وأنه يستنجد بالدولة العثمانية على الدولة الانجليزية من أجل منح الدستور لمصر كأنه بذلك يدعو « لمصارعة عنيفة بين طفل ابن أيام واسد ضرغام » (١٢٩) .

ويقول سعد زغلول ان اعادة قانون المطبوعات ، أدت الى هبوط فى الحركة الوطنية « والسبب فى ذلك أن مصدر هذه الحركة نفسها لم يكن فى الأمة نفسها بل فى ولى أمرها الذى تعودت الخضوع اليه من عدة اجيال ، ورسخ فى طبعها الاستعباد له ، فهو الذى بعث فيها هذه الحركة لتنصره ضد الاحتلال وقت الخلاف مع عميده فلما زال هذا الخلاف وحل محله الوفاق تخطى عن امداد هذه الحركة فاستمرت بعد تخليه عنها بقوة التصور الذاتى ولكنه أخذ الآن يعاكسها فلم تجد شيئا يسندها فهبطت ولا بد أن يلزمها هذا الهبوط مادام الأمد منقطعاً والمعاكسة مستمرة » (١٣٠) وقد حدث ما تنبأ به سعد فى مذكراته من ضعف الحركة الوطنية وهبوطها .

مشروع القناة :

ولم تحد (المقطم) عن خطتها فى تأييدها لسياسة الحكومة المصرية والاحتلال فقدمت تأييدها لمشروع اطالة امتياز القناة . وركزت على أن المشروع مالى بحت ولا دخل للسياسة فيه (١٣١) . ثم قامت بحملة صحفية مكثفة حول المشروع عندما كان معروضا على الجمعية العمومية بقصد التأثير على أعضاء الجمعية بما يتفق

وسياسة الاحتلال ، ولم يخل عدد من اعدادها من الحديث عن فوائد المشروع للقطر المصرى(١٣٢) .

وترى المقطم أن الذين يدعون أن المسألة سياسية تخدم الانجليز فى اطالة احتلالهم هم جماعة (اللواء) . ولكن (اللواء) واتباعه لا قيمة لهم(١٣٣) . ولكن اللواء لم تقصر فى الهجوم على (المقطم) فى هذه الفترة . وكان من أعنف ما كتبته مقال بعنوان : « لا كرامة للمأجور — ليخرس المقطم »(١٣٤) . وبعد رفض الجمعية العمومية مشروع مد امتياز القناة ، تقول (المقطم) ان هذا الرفض لم يرض فريقا كان يعتقد أنه نافع للقطر كثيرا . وتنتقد بسخرية لاذعة المظاهرات التى خرجت بهذه المناسبة منادية بالاستقلال(١٣٥) .

وزارة محمد سعيد وسياستها القمعية ضد الحركة الوطنية :

وتثور ثائرة (المقطم) ، اثر حادثة مقتل بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية بيد ابراهيم ناصف الوردانى أحد شباب الحزب الوطنى ، فتصفها بأنها « جناية فظيعة وجريمة هائلة لأبد ان يتلوها تحقيق وتشديد وعقاب شديد » . وذلك لأن « الفقيد الكريم المجنى عليه رجل لا كالرجال بل من أعظم أعظم مصر المعدودين بقوة العقل وسعة الصدر » ، ومقتله « أعظم خسارة أصابت مصر فى هذا العصر ، وفى كثير من العصور »(١٣٦) . وكان طبيعيا أن تتهم (المقطم) جماعة الحزب الوطنى بتدبير اغتيال رئيس الحكومة المصرية فهى ترى أن هذه (الجناية) يجب أن يتحمل نتائجها « نفر من المحرضين المغرورين الذين يجب مقابهم بشدة »(١٣٧) .

وكان سقوط الوزارة البطرسية بمقتل رئيسها « بمثابة اسدال

للاستار على مرحلة المواجهة بين السلطة والحركة الوطنية بعد أن وصلت هذه المواجهة الى ذروتها «(١٣٨) . وقد اختير (محمد سعيد) لرئاسة الوزارة خلفا لبطرس غالى ، وقد كان يشغل منصب وزير الداخلية فى الحكومة السابقة . وكان اختيار محمد سعيد مثيرا للتساؤل لأنه كان من المتعاطفين مع الحزب الوطنى . ويفسر الدكتور يونان لببيب رزق هذا الاختيار فى ضوء الاعتبارات الآتية :

« ١ — منح الحركة الوطنية احساسا مؤقنا بالأمان .

٢ — محاولة نثر بذور الشقاق بين زعامات هذه الحركة مما يؤدي الى اختلال الموازين واختلاط الأمور أمام هذه الزعامات .

٣ — ان محمد سعيد باثا كان من جناح الحزب الوطنى الذى استمر على تعاطفه مع الخديوى بالرغم من تغير موقف هذا الاخير بعد سياسة الوفاق «(١٣٩) .

وتستقبل (المقطم) وزارة محمد سعيد بمطالبتها باستعمال الشدة فى معاملة « المهيجين » (١٤٠) . وتعتبر (المقطم) عن سعادتها بخروج عبد العزيز جاويش من رئاسة تحرير (اللواء) بعد النزاع الذى نشب بين ورثة مصطفى كامل والحزب الوطنى ، الأمر الذى حدا برئاسة الحزب الى اصدار (العلم) (١٤١) . وتدافع (المقطم) عن الوزارة السعيدية معبرة عن دهشتها واستنكارها لهجوم الحزب الوطنى عليها متسائلة عن اسباب الهجوم « على هذه الوزارة الوطنية وهم الذين يدعون الغيرة على الوطن والانتصار لرجال الوطن » (١٤٢) . وتطلب فى الثناء على حديث الخديوى لمكاتب جريدة (التان) الفرنسية الذى جاء فيه قوله عن الحزب الوطنى انهم جماعة من الذين اخروا تقدم الأمة بالحاحهم فى طلب الدستور قبل اوانه (١٤٣) .

وتشعر (المقطم) بالحاجة الماسة الى ردع الحزب الوطنى ،
فنراها تطالب المعتمد البريطانى جورست بشكل ملح ، فى ان
يستخدم الشدة مع هؤلاء ، ووضعت أمام أحد أمرين « فاما الرحيل
عن القطر مع اللين أو البقاء فى القطر مع الشدة » (١٤٤) . وتعقب
على قرار منع عبد العزيز جاويش من الخطابة فى (مسرح الحمراء
بالاسكندرية) بأن جاويش الذى كان السبب فى منع حرية القلم
قد واصل خطته ليصبح السبب فى منع حرية اللسان (١٤٥) .

ومع بداية سياسة القمع التى كلفت بها وزارة محمد سعيد
لتصفية الحركة الوطنية ، « لم تكف سلطات الاحتلال بقانون
المطبوعات الذى أعادته الى الوجود خلال العام السابق لتعقب
الصحف ، وانما أضافت اليه قانونا جديدا لتعقب الصحفيين باحالة
الجنايات أو الجنح التى تقع بواسطة الصحف الى محاكم الجنايات
بدلا من محاكم الجنح ، وأن يكون حكمه غائرا قابل
للاستئناف » (١٤٦) .

قضية ديوان (وطنيتى) ومطاردة محمد فريد :

وتظهر فوق سطح الأحداث قضية ديوان (وطنيتى) للشيخ
على الغياتى أحد أعضاء الحزب الوطنى ، الذى تضمن ما اعتبرته
السلطات تطاولا « على المقام الخديوى » (١٤٧) . وقد اعتبرت النيابة
العامة وضع هذا الديوان جنحة . وعدت تقييظ ما جاء فيه من
الأمور التى يعاقب عليها القانون جنحة أيضا . وعزمت على محاكمة
صاحب الديوان والذين قرظوه سواء كانت تقاريرهم قد نشرت
فى الديوان نفسه أو فى الصحف السيارة (١٤٨) . وقالت (المقطم)
ان الغياتى « كانت له كتابات فى المقطم تمدح المحتلين ولكنه سار
مع التيار وصار وطنيا » ، وذلك عندما انتشرت « البدع الأخيرة

على السياسة المصرية وانتهاز الحزب الوطنى الفرص للاستفادة من كل تغيير يطرأ ، ففكر أمره وعظم وفتح الناس القهاوى والبارات والدكاكين والصيدليات على أسـمه ترويجا لبضاعتهم وتكثيرا لمعاملهم» (١٤٩) . وذكرت (المقطم) أن النيابة اعتبرت عبد العزيز جاویش ومحمد فريد فاعلين أصليين (١٥٠) . وبعد أن صدر الحكم بالحبس ستة أشهر على محمد فريد بمناسبة قضية ديوان وطنيتى انتهزت (المقطم) هذه الواقعة لتوجه نداء الى قيادات الحزب الوطنى تخطيء فيه سياستهم التى لم تخرج الانجليز من مصر ، ولم تقصر أجل الاحتلال ، ولم تقرب زمن الدستور الذى يطلبونه بالسنتهم وأقلامهم كل يوم (١٥١) .

وتنكر (المقطم) وجود قوة للأمة فى مصر لأن القوتين الموجودتين فقط هما القوة الخديوية والقوة الاحتلالية . وأما قوة الأمة « التى هى أعظم القوات بلا ريب متى وجدت فلم توجد حتى الآن » . وأن ما يدعيه الحزب الوطنى حول وجودها مجرد أوهام يتاجر بها (١٥٢) . وترى (المقطم) أن نسبة كل الأعمال من (اعتصابات) ومظاهرات للحزب الوطنى أمر مبالغ فيه ، لأن الحزب الوطنى ليس سوى أفراد « يعدون على أصابع اليد » . وفيما سوى ذلك فهو اسم بلا معنى فعلا ، وان كان لأفراده صياح كثير وطنين ورنين» (١٥٣) . وأما « وطنية الحزب الوطنى فأعظم أركانها سب حكومة الوطن والهيئة المصرية المقومة للوطن فما ألطف هذه الوطنية» (١٥٤) .

وتقرر الجمعية العمومية للحزب الوطنى بقاء محمد فريد رئيسا للحزب طيلة حياته ، ويلقى محمد فريد خطبة سياسية جامعة بهذه المناسبة يحمل فيها على الاحتلال والمتعاونين معه مؤكدا على مطالب الحزب فى الدستور والاستقلال . فتهاجمه (المقطم) بأسلوب لاذع

وصل حد السباب المقذع . وتقول (المقطم) ان النيابة ستحقق مع محمد فريد بشأن عبارات وردت فى خطبته الأخيرة ، أعتبرت « محقرة للحكومة ومحرضة للأهالى » (١٥٥) . وتنشر (المقطم) نصوص مداوالات المحكمة فى القضية . وقد صدر الحكم فيها غيابيا على محمد فريد بالسجن سنة واحدة مع الشغل (١٥٦) . وفى هذه الأثناء كان محمد فريد يطوف العواصم الأوروبية للدعوة للقضية المصرية ، بينما ترى (المقطم) أنه ينتقل من مكان الى آخر فى أوروبا ، فرارا من وجه القضاء المصرى . وانه يدس الدسائس لأميره وأكابر قومه . وهو مع ذلك يدعى الفيرة على الأمة ومحبة الأوطان . وانه قد اتقن صناعة الاختلاق ونصب شرك المكائد اتقاناً فائقاً (١٥٧) . ويأتى هذا الهجوم العنيف على محمد فريد مع الحملة التى بدأت فى تلك الفترة لاتقصائه عن رئاسة الحزب الوطنى ، لهجومه على الخديوى . وقد نشرت (المقطم) استقالة محمود فهمى حسين سكرتير الحزب وعضو لجنته الادارية (١٥٨) .

ويصدر قرار الحكومة بالغاء جريدة (العلم) آخر صحف الحزب الوطنى ، بسبب تعرضها لعدد من الساسة الأتراك . وكانت وزارة محمد سعيد قد طبقت قانون المطبوعات بكل قسوة « وفى فترة تزيد على عام قليلا ، كان قد تم اسكات كافة صحف الحزب الوطنى تقريبا باغلاقها ، وفى اكتوبر ١٩١١ تم اغلاق جريدة (مصر الفتاة) وفى ٧ ابريل من العام التالى أغلقت (وادى النيل) لسان الحزب الوطنى بالاسكندرية ، وفى اول سبتمبر من هذا العام تم اغلاق (اللواء) لسان الحزب القديم ، وقبل أن ينتهى عام ١٩١٢ تم اغلاق (العلم) لسان حال الحزب » (١٥٩) . وتحمل (المقطم) كعادتها مسئولية ذلك الى محمد فريد الذى « آلى على نفسه ألا يترك لحزبه الوطنى عينا ولا اثرا ، فضرب الحزب الضعريات الصاعدة التى مزقته ، وأجهز اليوم عليه ومحا أظهر أثر من آثاره

بالفء جريدة العلم «(١٦٠) . وترى (المقطم) ان هذه الضربات التى تعرض لها الحزب الوطنى ، كانت السبب فى الهدوء الذى تنعم به (الاريكة الخديوية) . وذلك « باتحاد القلوب واجتماع الكلمة . ولا بدع فتاريخ الحزب الوطنى يشهد من بداية وجوده الى النهاية ان خطته كانت تؤدى دائما الى ضد غايته «(١٦١) .

ولكن هل نعمت الاريكة الخديوية بالهدوء ؟! ان واقع الحال يقول عكس ذلك تماما ، فقد جاء كتشنر يقيد سلطات الخديوى ويظهر بمظهر الحاكم الشرعى فى البلاد « فانه منذ عين معتمدا فى مصر لا يفتأ بهتم بأبسط المسائل ويزور البلاد ويتحدث مع أهلها ويسمع اقتراحاتهم كانه الحاكم الشرعى فى البلاد » ، وان الخديوى «عندما رأى تغفل نفوذ كتشنر فى البلاد ، وانه لم يبق له أية سلطة ، اعتكف فى سراى القبة وامتنع عن التدخل فى أمور البلاد ولم ينزل الى سراى عابدين الا للضرورة القصوى ولم يرأس مجلس النظار الا نادرا وترك العمل لكتشنر ومحمد سعيد «(١٦) . ويقول الخديوى عباس حلمى فى مذكراته ان الخلافات تتابعت بينه وبين كتشنر منذ عين فى مصر الى ان رحل عنها فى عام ١٩١٤ (١٦٣) . وكان طبيعيا الا ينعم الخديوى بالهدوء ، فان كتشنر جاء لينفذ سياسة جديدة لا تروق للخديوى هى أشبه بالسياسة الكروهرية ولكن مع كثير من العنف والقسوة . « ولاشك ان اتجاه السياسة البريطانية فى مصر كان مدركا لضرورة التغيير فى التكتيك السياسى بعد تدهور الحركة الوطنية ونشوء وضع دولى جديد . فتدهور الحركة الوطنية كان يطرح قضية العودة الى سياسة الحكم شبه المباشر وتحيية الخديوى جانبا . وخطورة الموقف الدولى كانت تحتم ضرورة التشدد ، كما كانت تحدد شخصية الذى يقوم بتنفيذ هذا التكتيك الجديد سياسيا وعسكريا «(١٦٤) .

هــاءـشـ الفصل الثاني

- (١) المقلم ١٩ يونيو ١٨٨٩ .
- (٢) المقلم ٢٩ يوليو ١٨٨٩ .
- (٣) مذكرات محمد فريد — كراسة ٢ — ص ٥٧ — دار الوثائق القومية .
- (٤) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية ج ٤ ، ص ٧٨ .
- (٥) عبد الرحمن الرافعي ، مصر والسودان ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- (٦) المقدم ١٨ نوفمبر ١٨٨٩ .
- (٧) المقلم ٢٥ يونيو ١٨٩٠ .
- (٨) المقلم ٣ نوفمبر ١٨٩١ .
- (٩) المؤيد ٤ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٠) المؤيد ٢٦ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١١) المقلم ٣٠ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٢) أحمد أمين ، عماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٣٥ .
- (١٣) فتحي رضوان ، مصطفى كامل ، ص ٩٢ .
- (١٤) عبد الرحمن الرافعي ، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٥٧٧ .
- (١٥) المقلم ١٠ فبراير ١٨٩٤ .
- (١٦) المقلم ٤ يوليو ١٨٩٦ .

- (١٧) المقطم ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ .
- (١٨) المقطم ٩ نوفمبر ١٨٩٦ .
- (١٩) أحمد رشاد ، مصطفى كامل حياته وكفاحه ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٦٧ .
- (٢٠) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٨٩٦ .
- (٢١) المقطم ١٤ يناير ١٨٩٦ .
- (٢٢) المقطم ١٩ يونيو ١٨٩٧ .
- (٢٣) المقطم ٢٨ يناير ١٨٩٦ .
- (٢٤) المقطم ٢٠ يناير ١٨٩٩ .
- (٢٥) مذكرات عباس حلمي ، المصري ، ٨ مايو ١٩٥١ .

تتمثل حادثة فشودة بالزحف الفرنسي الذي قاده الجنرال (مارشان) لاحتلال منطقة فشودة الواقعة في أعلى النيل على مفترق الطرق الواصلة من الخرطوم والحبيشة الى جنوبى السودان وذلك لوقف النفوذ البريطانى فى افريقيا ومحاربة فتح باب المسألة المصرية لاجبار بريطانيا على تنفيذ وعودها بالجلء عن مصر . وقد تم الاحتلال الفرنسي لفشودة فى ١٠ يوليو ١٨٩٦ . ولكن بريطانيا أرسلت كتشتر سردار الجيش المصرى على رأس قوة مصرية — بريطانية لإبلاغ مارشان بالاحتجاج على احتلاله الذى تعتبره بريطانيا انتهاكا لحقوق مصر وممتلكاتها وبأنه سيرفع العلم المصرى فى فشودة . وقد توترت العلاقات البريطانية — الفرنسية اثر هذه الحادثة وساد الاعتقاد لدى المصريين بأن الفرصة قد حانت لجلء بريطانيا عن مصر مقابل جلء الفرنسيين عن فشودة . ولكن فرنسا لم تستطع مواصلة النحدي فتراجعت خشية الصدام المسمى مع بريطانيا وانسحبت قواتها من فشودة فـ، ١١ ديسمبر ١٨٩٨ ، الامر الذى أشاع اليأس من إمكانية الجلء والحصول على الاستقلال .

(٢٦) عبد الرحمن الراعى ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص

١٢٥ ، ١٢٦ .

- (٢٧) المقطم ٧ مارس ١٨٩٩ .
- (٢٨) مذكرات محمد غريد ، كراسة ٢ — ص ٥٨ .
- (٢٩) المقطم ٣١ أغسطس ١٩٠٠ .
- (٣٠) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٠٠ .
- (٣١) اللواء ١٢ يوليو ١٩٠٢ .
- (٣٢) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٠٢ .

- (٢٣) المتظم ٣ يونيو ١٩٠٣ .
- (٢٤) المتظم ٢٢ يوليو ١٩٠٣ .
- Zayid, Mohmud : Egypt's struggle for independence, (٢٥)
Beirut, 1915, P. 50.
- (٢٦) محمد مصطفى صفوت ، مصر المعاصرة ، الألف كتاب (٢٤٠) ، القاهرة ،
١٩٥٩ ، ص ٥٣ .
- (٢٧) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٩ ، ٢٠ .
- (٢٨) ابراهيم عبد : جريدة الأهرام تاريخ و فن ، ص ١٥٢ .
- (٢٩) صبحى وحيدة ، في أصول المسألة المصرية ، مطبعة مصر ، القاهرة ،
١٩٥٠ ، ص ١٨٩ .
- (٤٠) المتظم ٢٤ مارس ١٩٠٤ .
- (٤١) المتظم ١١ يونيو ١٩٠٤ .
- (٤٢) المتظم ١٠ نوفمبر ١٩٠٥ .
- (٤٣) المتظم ١٣ فبراير ١٩٠٦ .
- (٤٤) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٦٤ .
- (٤٥) عبد العظيم محمد رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، دار الكاتب العربى ،
القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣١ .
- (٤٦) فاروق أبو زيد ، الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر ، كتاب الاذاعة
والتليفزيون ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١١٧ ، ١١٨ .
- (٤٧) المتظم ٢٧ ابريل ١٩٠٦ .
- (٤٨) المتظم ٧ مايو ١٩٠٦ .
- (٤٩) المتظم ٨ مايو ١٩٠٦ .
- (٥٠) المتظم ١٠ مايو ١٩٠٦ .
- (٥١) المتظم ١٥ مايو ١٩٠٦ .
- (٥٢) المتظم ٢٣ مايو ١٩٠٦ .
- (٥٣) المتظم ٢٥ مايو ١٩٠٦ .
- (٥٤) المتظم ٢٨ مايو ١٩٠٦ .
- (٥٥) المتظم ٢ يونيو ١٩٠٦ .
- (٥٦) المتظم ١٥ يونيو ١٩٠٦ .
- (٥٧) المتظم ١٨ يونيو ١٩٠٦ .

- (٥٨) المقطم ١٨ يونيو ١٩٠٦ .
- (٥٩) المقطم ١٩ يونيو ١٩٠٦ .
- (٦٠) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٠٦ .
- (٦١) المقطم ٢٩ يونيو ١٩٠٦ .
- (٦٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ، ص ٣٠ .
- (٦٣) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، ص ١٠٤ .
- (٦٤) عبد اللطيف حبرة ، مستقبل الصحافة ج ١ (الادب والصحافة) ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٦٨ .
- (٦٥) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٩٩ .
- (٦٦) مذكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى ، ١٩ مايو ١٩٥١ .
- (٦٧) المقطم ١٠ يوليو ١٩٠٦ .
- (٦٨) المقطم ١٣ يوليو ١٩٠٦ .
- (٦٩) المقطم ١٤ يوليو ١٩٠٦ .
- (٧٠) المقطم ١ اغسطس ١٩٠٦ .
- (٧١) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٠٦ .
- (٧٢) المقطم ٨ فبراير ١٩٠٧ .
- (٧٣) المقطم ٥ ابريل ١٩٠٧ .
- (٧٤) المقطم ٦ ابريل ١٩٠٧ .
- (٧٥) المقطم ٢٠ ابريل ١٩٠٧ .
- (٧٦) المقطم ٩ مايو ١٩٠٧ .
- (٧٧) المقطم ٢٧ مايو ١٩٠٧ .
- (٧٨) المقطم ٣٠ مايو ١٩٠٧ .
- (٧٩) المقطم ٨ يونيو ١٩٠٧ .
- (٨٠) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، ص ١٢١ .
- (٨١) المقطم ١٢ ابريل ١٩٠٧ .
- (٨١) المقطم ١٢ ابريل ١٩٠٧ .
- (٨٣) المقطم ١٦ ابريل ١٩٠٧ .
- (٨٤) المقطم ١٨ ابريل ١٩٠٧ .
- (٨٥) يونان لببى ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ٣١ .

- (٨٦) لاندائو ، جاكوب ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر ، مكتبة مديونية ،
ترجمة سامي الليثي ، القاهرة ، ص ١٤٦ ، د. ت .
- (٨٧) المقطم ١٨ مايو ١٩٠٧ .
- (٨٨) المقطم ٢٤ مايو ١٩٠٧ .
- (٨٩) المقطم ٢٨ مايو ١٩٠٧ .
- (٩٠) المقطم ٢٩ مايو ١٩٠٧ .
- (٩١) المقطم ١ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٢) المقطم ١٠ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٣) المقطم ١٢ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٤) المقطم ١٤ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٥) المقطم ١٨ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٦) المقطم ٢١ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٧) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٨) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٠٧ .
- (٩٩) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٠٧ .
- (١٠٠) المقطم ٢ يوليو ١٩٠٧ .
- (١٠١) المقطم ١٠ يوليو ١٩٠٧ .
- (١٠٢) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٠٧ .
- (١٠٣) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٠٧ .
- (١٠٤) على الدين هلال ، السياسة والحكم في مصر ، مكتبة نهضة الشرق ،
القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٧٦ .
- (١٠٥) لاندائو ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر ، ص ١٤٦ .
- (١٠٦) سعيد اسماعيل على ، المجتمع المصري في عهد الاحتلال البريطاني ،
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٧٠ .
- (١٠٧) يونان لبيب ، الحياة الحزبية في مصر ، ص ١٥٠ .
- (١٠٨) أصدر محمد وحيد صحيفته (الأحرار) في ١٥ مارس ١٩٠٨ ، معلنا انها
(لسان حال حزب الأحرار) وكانت أسبوعية ولكنها لم تكن منتظمة في صدورها .
- وتؤكد الأعداد الموجودة منها حقيقة صدورها غير المنتظم خلال عامي ١٩٠٨ — ١٩٠٩ .
- (١٠٩) محمد جمال الدين المسدي ، دنشواي ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .
- (١١٠) مذكرات أحمد لطفي السيد ، المصور ، ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ .

(١١٢) ناروق أبو زيد ، أزمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية ، مكتبة مبولى ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٧٩ .

(١١٣) المقطم ١٨ أبريل ١٩٠٨ .

(١١٤) المقطم ٥ مايو ١٩٠٨ .

(١١٥) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٠٨ .

(١١٦) المقطم ٧ أكتوبر ١٩٠٨ .

(١١٧) المقطم ٨ أكتوبر ١٩٠٨ .

(١١٨) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٠٨ .

(١١٩) المقطم ٥ يناير ١٩٠٩ .

(١٢٠) المقطم ٨ يناير ١٩٠٩ .

(١٢١) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد رمز الاخلاص والنضحية ، مكتبة

النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٢ .

(١٢٢) أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ١٧٤ .

(١٢٣) صابات وآخران ، حرية الصحافة فى مصر ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١٢٤) المقطم ٢٥ مارس ١٩٠٩ .

(١٢٥) اللواء ١ أبريل ١٩٠٩ .

(١٢٦) المقطم ٢ أبريل ١٩٠٩ .

(١٢٧) المقطم ٧ أبريل ١٩٠٩ .

(١٢٨) المقطم ٢٨ يونيو ١٩٠٩ .

(١٢٩) المقطم ١٣ يناير ١٩١٠ .

(١٣٠) مذكرات سعد زغلول ، كراسة ١٥ ، ص ٨٠٩ ، محفوظات دار الوثائق

القومية .

(١٣١) المقطم ٤ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٢) المقطم ٨ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٣) المقطم ١٩ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٤) اللواء ١٩ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٥) المقطم ٨ أبريل ١٩١٠ .

(١٣٦) المقطم ٢١ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٧) المقطم ٢٢ فبراير ١٩١٠ .

١٣٨) يونان لبیب بزق ، تاریخ الوزارات المصرية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٥ .

١٣٩) يونان لبیب . تاریخ الوزارات ، ص ١٥٧ .

١٤٠) المقطم ٢٨ فبراير ١٩١٠ .

١٤١) المقطم ١١ مارس ١٩١٠ .

١٤٢) المقطم ٢٣ مارس ١٩١٠ .

١٤٣) المقطم ٢٦ ابريل ١٩١٠ .

١٤٤) المقطم ٢٨ ابريل ١٩١٠ .

١٤٥) المقطم ٢٩ ابريل ١٩١٠ .

١٤٦) يونان لبیب ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ٢١٢ .

١٤٧) المقطم ٦ يوليو ١٩١٠ .

١٤٨) المقطم ٩ يوليو ١٩١٠ .

١٤٩) المقطم ١٣ يوليو ١٩١٠ .

١٥٠) المقطم ١٤ يوليو ١٩١٠ .

١٥١) المقطم ٢٣ يناير ١٩١١ .

١٥٢) المقطم ١٨ أكتوبر ١٩١٠ .

١٥٣) المقطم ٢ نوفمبر ١٩١٠ .

١٥٤) المقطم ١١ يناير ١٩١١ .

١٥٥) المقطم ٢٥ يناير ١٩١٢ .

١٥٦) المقطم ٣٠ ابريل ١٩١٢ .

١٥٧) المقطم ٣٠ أغسطس ١٩١٢ .

١٥٨) مصطفى النحاس جبر يوسف ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية

١٩٠٦ - ١٩١٤ ، البيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٢ .

١٥٩) يونان لبیب ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ١٦٣ .

١٦٠) المقطم ٧ نوفمبر ١٩١٢ .

١٦١) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩١٢ .

١٦٢) أحمد شليق ، مفكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

١٦٣) مفكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى ، ١٩٥١/٧/٥ .

١٦٤) مصطفى النحاس جبر ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ،

ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

الفصل الثالث

المقطع والحوادث في الحرب العالمية الأولى

الجمعية التشريعية :

كان افتتاح الجمعية التشريعية ، من أبرز الأحداث السياسية الداخلية فى مرحلة ما قبل اعلان الحرب العالمية الاولى ، وبالتالى اعلان الحماية البريطانية على مصر فى اواخر عام ١٩١٤ . فقد شهدت بداية ذلك العام هذا الحدث البرلمانى الذى لم يكتب له ان يعمر طويلا .

وقد استقبلت (المقطم) هذا الحدث بتعليق عنوانه « يوم مشهود - رحلة فى سبيل الحكم النيابى » قالت فيه : « ان الأمة انتخبت للنياحة عنها جماعة من فضلائها والواقفين على حقيقة احوالها فتألفت الجمعية التشريعية من نخبة كرام هذا القطر فلذلك عظمت الآمال بنجاح الجمعية فى مهمتها الشاقة ، وقوى الرجاء بان يشدد نجاحها عزائم الذين يريدون توسيع السلطة النيابية والقاء جانب من تبعة حكم البلاد على اهلها بواسطة نوابهم الذين يختارونهم للنطق بلسانهم والاعراب عن مشيئتهم ورغائبهم » (١) . ونشرت فى اليوم التالى خبرا عن حفلة شاي اقامها كتشنر فى دار الوكالة البريطانية تكريما لاعضاء الجمعية التشريعية (٢) .

ثم تدور مناقشات حامية فى الجمعية حول من من الوكيلين ينوب عن الرئيس فى حالة غيابه ؟ الوكيل المعين من قبل الحكومة .

وقد كان عدلى باشا ، أم الوكيل المنتخب وقد كان سعد زغلول ؟ تعقب عليها (المقطم) مناصرة لموقف الحكومة وداعية الى مسايرتها بقولها : « وقد رأينا من الشواهد ما يعد منه ولا يعدد على أن أولى الحل والعقد لا يتقون بمجالسنا الشورية اذا وقفت موقف الخصم للحكومة . ولا يقتنعون بانها سائرة فى السبيل المؤدى الى الغاية المرومة اذا كانت تسير فى جهة والحكومة تسير فى جهة مضادة لها وكانت العـلائق بين الهيئتين علاقات تنافر وتباعد لا اتفاق وتقارب » (٣) . وتبدى الصحيفة مزيد الأسف لوقوع الانقسام فى صفوف الأعضاء بسبب هذه المسألة ، النابعة فى رايها من الخلافات الشخصية ، وتقول : « ويظهر لنا أنه لو لم يكن الوكيل المنتخب شخصا عظيما وزعيما لجمهور كبير لما نازع اثنان من حزبه فى مبدأ انابة الوكيل المعين عن الرئيس لانهم ان كانوا قد قبلوا مبدأ تعيين الحكومة لرئيس الجمعية عن طيب نفس حال كون منصب الرئيس اهم من منصب الوكيل بكثير فكيف ينازعون فى مبدأ انابتها الوكيل المعين عن ذلك الرئيس فى جلسة أو جلسات قليلة يمكن أن يغيب الرئيس فيها ؟ » (٤) .

وبمناسبة اختتام دور الانعقاد الأول لجلسات الجمعية التشريعية ، كتبت (المقطم) تشيد بها باعتبارها خطوة برلمانية متقدمة ولكنها ترى أن من الخطأ ايجاد حزب داخل الجمعية معارض للحكومة فى كل أعمالها لأن ذلك سيضطر الحكومة الى ايجاد حزب مؤيد لها تماما داخل الجمعية . وقالت ان الواجب يحتم علينا أن ننأى عن حكم الأحزاب بالشكل الذى هى عليه فى البلاد الخارجية (٥) ثم بدأت (المقطم) تنشر الاخبار الخاصة بتأجيل انعقاد الجمعية بين فترة وأخرى ، نظرا للظروف التى نشأت عن اعلان الحرب العالمية الاولى واعلان الحماية ، الى أن يصدر مرسوم أخير من السلطان حسين بتأجيل انعقادها ، وذلك لأن « الأسباب التى

دعت الى هذه التأجيلات المتوالية لاتزال باقية . وهى تدعو الى تأجيل جديد لمدة أخرى ليس من الميسر تحديد مقدارها من الآن «(٦) . وكانت نهاية المطاف بالنسبة لهذه الجمعية التى لم تجتمع بعد ذلك أبدا .

عباس يفسد البلاذ :

قبل أن يفسد الخديوى عباس حلى أرض مصر لقضاء الصيف فى العاصمة التركية ، قام بجولة فى مدن الوجه البحرى ، رغبة منه فى « أن يقيم الدليل على ولاء الشعب له والتفاف السراة ورؤساء العشائر حوله »(٧) . وقد أقيمت الزينات للخديوى وكانت تلقى أمامه الخطب التكريمية من جانب الوجهاء والأعيان فى سائر المدن والبنادر والقرى التى زارها أو مر بها فى جولته . وعبر الخديوى عن سروره بالحفاوة التى لقيها فى برقية أرسلها لرئيس نظاره حسين رشدى قال فيها : « لقد تمت بعون الله رحلتنا بأقاليم الوجه البحرى ، واننا لمنشردو الخاطر لما رايناه فى جميع الانحاء التى مررنا بها من علانم الرقى والتقدم كما اننا مبتهجون لما أظهره لنا الاهالى على اختلاف طبقاتهم من عظيم الولاء والاخلاص »(٨) .

وعندما سافر الخديوى ، ودعته (المقطم) بالدعاء الى الله أن « يرعى سموه بعين عنايته فى الحل والترحال ويؤيده بالسعد والعز والاقبال »(٩) . ومثل هذا الدعاء ينشر للمرة الأولى فى (المقطم) فلم يحدث أن ودعته بمثله فى المرات السابقة وهى كثيرة كانها تعلم انه الوداع الاخير لامير مصر .

ويعتدى شاب مصرى يدعى محمود مظهر على حياة الخديوى فى الآستانة ، ويقتل الجانى فى الحال ، أما الخديوى فيصاب بجراح شفى منها ، وتصف (المقطم) الحادث بأنه جرم كبير واعتداء فظيع

على « أمير مصر المحبوب وخديويها المفدى » . وتحمد الله « على سلامة ملكنا وأميرنا من شر هذا الاعتداء الفظيع ونسأله تعالى أن يجعل شفائه ويعيده الى هذا القطر الذى يكاد أهله يطربون شوقا اليه . ويرده محفوظا باليمن والاقبال والعز والجلال ترمقه العناية وتحرسه ملائكة الرحمن » (١٠) .

الحرب العالمية الاولى :

وتنطلق شرارة الحرب العالمية الاولى فى اواخر يوليو ١٩١٤ ، وتبدأ (المقطم) بنشر (تلغرافات رويتر) عن اخبار القتال الذى بدا بين النمسا والصرب فى بعض المواقع قبل ان تعلن الحرب رسميا (١١) . ثم تنتشر الخرائط الخاصة بالبلاد التى أصبحت مسرحا للحرب ، كذلك أنباء التحركات الروسية والالمانية والبريطانية واتساع نطاق القتال (١٢) .

ويهمنا هنا أن نبين انعكاسات الحرب على الموقف داخل مصر ومستقبلها السياسى وراى (المقطم) فى ذلك كله . فهى ترى أن « أهم ما تتجه اليه الأنظار فى هذه الحال بقاء مصر على الحياد طبقا لما جرى فى الحروب الأخيرة ، وهو ما ينتظر فى الحالة الحاضرة أيضا . فقد قدر المصريون فائدة هذا الحياد حق قدرها » (١٣) . ولكن الحالة الاستثنائية التى ترى (المقطم) أن مصر تتميز بها ، كونها خاضعة للاحتلال البريطانى ، وتابعة فى الوقت نفسه الى السيادة العثمانية ، هذه الحالة تجعلها تسير فى طريق كسر قاعدة الحياد ، لأن الحرب بين بريطانيا والمانيا جعلت الجيش البريطانى فى مصر معرضا لهجوم الالمان عليه « أى صار الدفاع عن مصر وحفظ الأمن فيها معرضين للخطر وهذا يدعو طبعا الى صيرورتها فى دار الحرب » ، وإن المطلوب من مصر أن

« تؤيد الجيش البريطانى الذى يدافع عنها اذا اقتضت الحال ذلك » (١٤) .

وتنشر (المقطم) خبرا عن وصول (السير ريجنالد ونجت) سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام الى القطر ليتولى القيادة العليا للجيش الانجليزى والجيش المصرى وان من المرجح اقامته فى الوكالة البريطانية لادارة الأعمال العسكرية منها (١٥) .

وتدافع (المقطم) عن الأخبار التى تنشرها عن سير القتال ، والتى تستقيها من لندن وتجزم بصحتها ، لان الحكومة الانجليزية « تترفع عن ان تخدع شعبها ولا تستطيع ان تخدعه لانه لابد من ان يكتشف خداعها ، ويعاقبها باسقاطها . ولذلك نعتقد ان الأخبار الرسمية التى تنشرها عن هذه الحرب صحيحة كلها . ونعتقد ايضا ان الجرائد الانجليزية الكبيرة لا تحاول خداع قرائها باختلاق الاخبار الكاذبة لان الشعب الانجليزى شديد النقمة يكره الكذب فاذا اشتهرت جريدة لديه بنشر الاكاذيب أهملها فتنسقط فتبوت » (١٦) .

وبدأت (المقطم) تعزف على نغمة الضرورة الملحة لمعاونة بريطانيا ومساعدتها فى الحرب ، وان واجب المصريين بذل كافة الجهود الممكنة لمعاونة بريطانيا ، تقديرا لدورها فى اصلاح القطر ، فيما يبدو انه تمهيد للمستقبل السياسى الجديد الذى ستكون عليه مصر ، اثر التطورات الدولية المرتبطة بسير الحرب ونتائجها ، « فهذا الشعب الانجليزى الكريم المشهور بالثبات والتؤدة وأصاله الراى يجب على المصريين ان يحبوه ويكرموا ويحترموا ولو كان غير اهل لذلك لما ارسل سكان المستعمرات تلك الرسائل التفرافية ولما عزموا على انجاده حتى ان الاسـتراليين الذين أصلهم من الالمانيين عزموا على نصره دولتهم انجلترا انتصارا للانسانية » . ويتابع الكاتب تسبيحه بحمد الانجليز قائلا : « اللهم اننا نشهد

أمامك أننا نحب الانجليز ليس لأنهم لم يؤذونا ولا تعرضوا لمعتقدنا ولا لحريتنا فقط بل لأنهم تولوا أمورنا فحسنوا أحوالنا واننا نقدر الخدم التي قدمتها الحكومة الانجليزية للمصريين في كل زمان حق قدرها «(١٧) . وبنفس الأسلوب ، تابعت المقطم نشر الرسائل الموقعة بالأسماء أو الحروف الأولى للمواطنين وكلها تؤكد المعاني السابقة نفسها ومنها رسالة بتوقيع (ا . م) وثانية بتوقيع (فؤاد أبو السعود) وثالثة بتوقيع (السيد الشيعي) (١٨) .

وتعلن (المقطم) انها تسطر « بمداد الشكر والفخر ما فعله كرام الضباط المصريين وسبائير موظفي نظارة الحربية وحكومة السودان في هذه العاصمة من المبادرة الى جمع الاعانة للمكوبين بهذه الحرب في البلاد الانجليزية » . وتقدم شكرها لفضلاء الوطنيين الذين زاروا الوكالة البريطانية متمنين الخير والنصر والسعادة لبريطانيا وذلك « اظهارا للعواطف الشريفة والقيام بالواجب » (٢٠) . « فلولا وجود الانجليز في مصر لكانت الحال على غير ما نرى بل كانت الفوضى ضاربة في طول بلادنا وعرضها وكانت هناك صعاب كثيرة لا نقدر على تذليلها . فلنحمد الله على نعمه وآلائه ولنشكر للدولة المحتلة حسن صنيعها » (٢١) . وتحدث (المقطم) تحت عنوان (وطنية الانجليز) عن انواع المساهمة المختلفة التي يقدمها الانجليز لمناصرة دولتهم في الحرب الدائرة . وتصل الى ان « امة كهذه لا تسهل محاربتها لان كل من فيها يحارب فاذا لم يكن في ميادين القتال ففى دائرة وجوده ببذله ما اوتى من جاه وعلم ومال وقوة في خدمة بلاده ووطنه خدمة صحيحة تعود عليه بالفخر » (٢٢) . وتنشر تلغرافا من لندن يشير الى شكر الانجليز للهدية التي ارسلها الهلال الاحمر المصرى برئاسة الامير محمد على الى جمعية الصليب الاحمر البريطانى مما جعل الانجليز يطنبون في اطراء المصريين واظهار ولائهم والتقوية بودادهم (٢٣) .

وتنشر (المقطم) رسالة من ضابط مصرى متقاعد يرجو السردار قبوله ضابطا متطوعا بالجيش الانجليزى ليحارب تحت « رأيكم وفى بلادكم اعترافا بما اجرىتم فى قطرنا من الاصلاحات العظيمة ، يا عطوفة السردار كيف يسمح للهندي بالتطوع ونحن المصريين الذين ذقنا الحرية باحتلاكهم السعيد بلادنا أحق منه بذلك ؟ » (٢٤) .

وكتبت (المقطم) العديد من التعليقات تدعو فيها الدولة العثمانية الى التزام الحياد بين الدول المتحاربة وذلك فى الوقت الذى كانت فيه المفاوضات دائرة بين بريطانيا وتركيا حتى تظل هذه على الحياد من أجل ضمان سلامتها . ولكن تركيا تدخل الحرب الى جانب ألمانيا ضد الحلفاء فتكتب (المقطم) مقالا تهاجم فيه الحكومة الاتحادية التركية باعتبارها مسئولة وحدها عن هذا التصرف الذى لا يعكس اطلاقا رغبة الأمة العثمانية ولا العقلاء من العثمانيين وذلك تحت عنوان « ماذا يصيب الآستانة بجناية الحكومة المنتحرة » حيث تقول : « فما دامت حكومة الآستانة الاتحادية قد شاعت الانتحار فلا تجد عاقلا يقابل عملها بغير الذم والاستهجان ، نقول حكومة الآستانة الاتحادية ونعنى بها أولئك الأغرار الطائشين الذين جعلوا الخيلاء والغطرسة عنوان حكمهم والرياء والمداهنة عنوان سياستهم » (٢٥) .

وواصلت (المقطم) هجومها ، فى العديد من المقالات والتعليقات على الحكومة الاتحادية لدخولها الحرب ضد دول الحلفاء التى كانت دائما فى رأيها صديقة للدولة العلية . ومن هذه التعليقات ما جاء تحت عنوان « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » (٢٦) . واوردت (المقطم) نص رسالة نشرت فى جريدة (السندرد) البريطانية تتضمن « رأى أمير مصرى » هو الأمير محمد على حليم ، شقيق الصدر الأعظم ، يقول فيها :

« أود أن يعلم الشعب البريطانى انه فى الحرب مع تركيا يبقى كل مصرى حقيقى على ولائه للدولة الانجليزية التى اغنت المصريين ورقتهم » (٢٧) .

واخذت (المقطم) تمهد عبر عدد من المقالات التى كتبتها بعنوان (اهل مصر والتغيير المنتظر) للسياسة التى قررتها بريطانيا فى مصر بعد دخول تركيا الحرب وهى ان « تلتفى انجلترا ما لتركيا من حقوق فى مصر وان تأخذ بيدها هذه الحقوق ، وان تعلن حمايتها على مصر ، وان تذكر فى الوقت نفسه انها اخذت هذه الحقوق بيدها وديعة للشعب المصرى » (٢٨) . فقد جاء فى تعليق لها ، انه « لا يخفى ان وقوع الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا ادى الى نتائج عظيمة الشأن فى هذا القطر وسيؤدى ايضا الى نتائج اخرى لا تقتل عن تلك منزلة . فان الحرب نقضت جميع المعاهدات والاتفاقات المبرمة مع تركيا » (٢٩) .

وترى (المقطم) ان مصالح المصريين تلتقى مع مصالح الانجليز وليس مع تركيا التى تقاثل ضد بريطانيا ، فسكان مصر « مصريون وليسوا تركا وهم يتكلمون باللسان العربى ومصر فوق ذلك تبتغى الارتقاء وهى ايضا لم توضع تحت رعاية انجلترا الا برضاء السلطان وجميع الدول . والمصريون لا ينكرون أنهم لم يروا فى جميع ادوار حياتهم اياما كلها خير وبركة وطمأنينة كايام حكم الانجليز لهم الذين رتقوا البلاد ماديا وادبيا واغدقوا عليها الرفاهية وعمموا فيها العدل » (٣٠) . وتستنكر (المقطم) دعوة الاتحاديين لتخليص مصر من الاحتلال البريطانى .

وكانت (المقطم) تنشر كل ما يصل اليها من بلاغات قائد جيش الاحتلال ، فيما يتعلق بالقوانين المستخدمة فى ظل الاحكام العرفية المفروضة على البلاد ، وكذلك البلاغات الصادرة عن ادارة قلم

المطبوعات ، فقد « منعت السلطات البريطانية الجرائد المصرية من نشر أى أخبار لها صلة بحركات الجيش » . وأصبح « قلم المطبوعات المرجع الوحيد للصحف فى هذا الشأن ، فإذا سمح بالنشر نشرت وان لم يسمح اضطرت الى اغفال هذا النوع من الأخبار » . وفرضت السلطات « رقابة مشددة على البرقيات والأخبار التى تتعرض لأحداث الحرب وكذا القوات الحربية والبحرية » (٣١) . فان بريطانيا « تأمينا لوجودها وسلامة جيوشها التى أخذت تتدفق على البلاد أعلنت الاحكام العرفية وفرضت الرقابة على الصحف فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ » . وقد اشتدت الرقابة على الصحف « خاصة بعد دخول تركيا الحرب فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وبلغ الامر الحد الذى جعل الرقيب يوجب على صحيفة الاهالى فى عددها الصادر فى ١٠ نوفمبر أن تبدو بيضاء تقريبا » (٣٢) .

الحماية البريطانية على مصر :

وتعلن الحماية البريطانية على مصر فى الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٤ ، فتنتشر (المقطم) النبا فى (مانشيت) ضخمة كالتالى : اعلان الحماية البريطانية على مصر - بسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر اليوم . وقد نشرنا على الصفحة الخامسة الاعلان الصادر بذلك . وفى صدر الصفحة الاولى وعلى عمودين كاملين تنشر قصيدة للشاعر ولى الدين يكن (٣٣) تحت عنوان (الى جلالة ملك بريطانيا وامبراطور الهند) يقول فيها :

يا ايها الملك العظيم سلام
هتفت ببيعتها لك الاقوام

مصر الوفية لا تزال وفية
وكما عهدت النيل والاهرام

نالت حمايتك التى اعترت بها
 أمثالها واستمكن الاسلام
 اليوم تحسّد عزها جاراتها
 ويود ما نالت اخوها الشام
 ذهب مخافات المظالم وانتهى
 حكم الهوى واكبت الأصنام
 اليوم مصر قد ارتقت وسترتقى
 ولكل مجد فى حماك تمام

وعلى الصفحة الخامسة ، وفى اعلى الصفحة تنشر
 (المقطم) صورة البلاغ الذى أعلنت به الحكومة البريطانية ببسط
 حمايتها على القطر المصرى . وتكتب مقالا بعنوان « الحماية
 البريطانية تظل الديار المصرية — نعمة للمصريين وعبرة للعثمانيين »
 تؤكد فيه انكارها وخطها السياسى الذى تنتهجه منذ صدورها ،
 من تأييد كامل للاحتلال البريطانى الذى تمكن وترسّخت اقدامه
 بالحماية ، ومن محاربة للدولة العثمانية التى انتهت سيادتها
 الاسمية على مصر باعلان الحماية البريطانية عليها ، تقول (المقطم) :
 « نحن اليوم بهراى من أول امر من الامور العظيمة الشأن التى
 اعددتنا القراء لها منذ شهر من الزمان . فقد بسطت بريطانيا العظمى
 حمايتها على مصر وقضى الامر وهذا الحادث وان لم يكن عبارة
 عن قيام مملكة وسقوط أخرى فانه عبارة عن حلول دولة محل
 أخرى وابدال سيادة تركيا القائمة على شفا جرف هاو بسيادة
 بريطانيا سيدة البحار والابصار » .

وترى (المقطم) أن هذا التفسير يتفق مع مصلحة مصر وأن
 الأمة مرتاحة اليه ، فان المصريين ، وقد أعلن ساستهم مرارا عن

الحاجة الى دولة قوية تشد أزهم وتحمى ظهرهم لو خيروا « لاخترأوا بريطانيا العظمى لامدادهم بهذه الحماية ، لما هو مشهور عن استقامة مبادئها وحفظ عهودها واعلائها منار الحق والعدل والحرية بين اللانذين لحماها ، ورفقها بالفقير ودفاعها عن الضعيف واحترامها العادات والتقاليد فى الأمم المتصلة بها » . وان مصر بخروجها من السيادة العثمانية الى الحماية البريطانية ، تكون قد خرجت من « تحت سيادة ذليلة ضعيفة واستظلت بسيادة عزيزة منيعة وكانت امارة تنظر اليها الآستانة وهى دونها نظر الأعلى الى الأدنى فأصبحت سلطنة شامخة البنيان عزيزة الأركان تخفق رايات العدل على صروحها ويضىء سنى الهيبة والسطوة حواليتها . مرعية المقام . محترمة الجانب . استقلالها الداخلى مضمون اذا جد ابناءؤها الآن فى اكتساب ثقة حاميتها . وتقدمها الادبى قائم على مبادئ مقررة وأركان ثابتة . وتقدمها المادى مكفول مادامت العناية البريطانية شاملة لها والأموال الانجليزية غير محبوسة عنها » .

وترى (المقطم) أن الحماية ربح للمصريين وخسارة للعثمانيين وان عار هذه الخسارة يقع على « فريقين من الناس . الفريق الواحد جماعة من الأغرار سموا بالحزب الوطنى المصرى فنبذ الوطن أشدهم طيشا نبذ النواة . والفريق الآخر اترك الاتحاد والترقى الذين طاشوا طيش من عندهم من أعضاء الحزب الوطنى فاتحدوا وارادوا أن يكونوا مطايا الألمان وزين لهم الغرور الاستخفاف بالانجليز ومناواتهم » . وذكرت (المقطم) أن بطاريات القلعة ستطلق مائة مدفع ومدفعا واحدا ايذانا ببسط الحماية البريطانية على الديار المصرية . ونشرت (المقطم) فى العدد نفسه ، الصادر يوم اعلان الحماية ، عددا من الأخبار عن تحركات قادة الجيش الانجليزى ، وعن مقابلة قائد جيش الاحتلال للأمير حسين كامل ، وعن القيام بنصب سرائق كبير امام التشريفات فى سراى عابدين

استعدادا لاحتفال كبير قادم . وكانت تقصد بذلك الاحتفال بتنصيب الأمير حسين كامل سلطانا على مصر . وذلك بعد خلع الخديوى عباس حلمى الثانى عن عرش مصر وهو ما أبرزته المقطم فى عدد اليوم التالى يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . فقد نشرت فى أعلى الصفحة الأولى (مانشيتا) ضخما بعنوان « سلطنة مصر وسلطاتها — عرض سرير سلطنة مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا فقبله . وقد نشرنا الاعلان بذلك على الصفحة الخامسة) .

وكتبت (المقطم) مقالة بالمناسبة تحت عنوان « بين الحماية والسلطنة — سقوط الامارة وتجديد الوزارة » أوضحت فيها أن سقوط الامارة العباسية كان يجب أن يحدث منذ سنوات بعيدة لولا أن الانجليز صبروا عليه كثيرا . فقد كانت علاقاته بهم تحتم اللجوء الى أحد أمرين « إما اكراه المحتلين على الجلاء ، وذلك لم يكن مقدورا للأمير ولا لسواه . وإما اسقاط الامارة العباسية ، فذلك ميسور للانجليز متى شاءوا لأن الأعوام التى جلس فيها على سرير الخديوية كانت محفوفة بالمعارضة لهم ولكل مصرى يعاونهم » ، وأن عباس حلمى عند وقوع الحرب « ظن أن ما كان يتوقعه قد تم ، وأن الانجليز اعتدوا خلعهم عن الامارة وقضى الأمر ، ، وغلب عليه هذا الظن ، حتى جعل يبنى عليه اقواله وأفعاله فعماف مشاورة وزرائه ، وصم أذنيه عن سماع نصائحهم ، وتنكب أخصاءه الصادقى الولاء له وأبعدهم عن مجالسه ، وانضم الى الاتحاديين وانحاز الى أعداء المحتلين لبلاده . وانتهى الأمر الى أن عقد امارته وحرّم منها ذريته » .

وفى العدد نفسه ، تنشر (المقطم) عددا من الاخبار عن رفع الرايات على المباني العمومية وتزيين الدكاكين والمنازل بالأعلام احتفالا ببسط الحماية . وعن اطلاق واحد وعشرين مدفعا احتفالا بجلوس الأمير حسين كامل على سرير السلطنة . وخبرا عن تعيين

السير (هنرى مكماهون) نائباً لملك بريطانيا فى مصر . وهو اللقب الذى اصبحت يحمله المعتمد البريطانى فى مصر بعد اعلان الحماية . وتحدثت (المقطم) عن « الموكب العظيم — انتقال السلطان الى سراى عابدين — المقابلات السلطانية » . وكذلك « تبادل رسائل التهانى والولاء بين جلالة ملك انجلترا وعظمة سلطان مصر » . والبرقيات المتبادلة بين السلطان وكنتشمر وبين رشدى وكنتشمر . ويمين الطاعة الذى رنعه الضباط المصريون والانجليز الى السلطان فى سراى عابدين . وكذلك تغيير اسم المعية السنية الى الديوان السلطانى (٣٤) .

وتعود اسباب هذا التحمس للانجليز من جانب (المقطم) الى العلاقة الودية والمصلحية التى تربطها بهم منذ انشائها والى العداء المستحكم بينها وبين عباس الثانى والى التعاطف مع السوريين الواقعين تحت الحكم التركى والمناهضين له وقتذاك (٣٥) .

ونشرت (المقطم) ابرز ما جاء فى حديث السلطان حسين لجريدة (التيمس) الانجليزية حيث قال « وانى اعتقد ان حكومة بريطانيا العظمى مستشد أزرى فى ادراك غايتى » . وكذلك فاننا « لا نستطيع ان نفى بريطانيا العظمى حقها من الشكر على ما فعلته لمصر » . ويظهر السلطان ولاءه ومسالته ويشيد بماضيه المسالم مع انجلترا فيقول : « انى اثق بانجلترا تمام الثقة وارجو انها تثق هى بى ايضا وتاتمنى . فقد كنت مستقيما فى معاملتى على الدوام وماضى يشهد لى بذلك . وكنت أسعى دائما فى التوفيق بين مصر وانجلترا » . واثاد السلطان فى حديثه بمسلك ضباط الاحتلال وجنوده مع اهل البلاد (٣٦) .

وبدأت (المقطم) تكيل المديح لهذا السلطان المسالم الطيع الذى يرجو انجلترا ان تثق به ، وبدأت تنشر المقالات التى تشيد

بحكمة السلطان وسعة صدره واتزانه واهتمامه بمشاكل الشعب .
ومن ذلك ما جاء تحت عنوان : « اعلاء شأن السلطان اعزاز لمقام
الامة » (٣٧) . وتنشر (المقطم) حديثا مع السير هنرى مكهاون
(نائب الملك) اجراه (مكاتبها) فى لندن ، وذلك قبل وصوله
لممارسة مهام منصبه فى مصر ، قال فيه ان كافة التغييرات التى
سـتتم فى مصر على اثر اعلان الحماية سـتكون لخير مصر
ومصلحتها (٣٨) .

وتعقب (المنظم) على حديثى السلطان حسين ومكهاون فى
تعليق لها بعنوان : « الحديثان العظيمان — السلطان ونائب الملك
متفقان على السعى فى خدمة الامة وخير السلطنة » ، تقول فيه :
« فالانسان متفقان على ان يستعين كل منهما بالآخر فى ترقية البلاد
وخير الامة وان يبنيا عملهما على سياسة الاتفاق والوئام طبقا لما
كان عظمة السلطان يفعله قبل جلوسه كما قال فى حديثه . ومما
يزيد الامال تعلقا بنجاح المسعى ان بريطانيا العظمى اختارت
للنيابة عن جلالة الملك عندنا سياسيا مجريا واداريا محنكا وخبيرا
بالاشغال العمومية التى عليها معظم الممول فى الديار
المصرية » (٣٩) .

وتتحدث (المقطم) عن تقدير مصر لدور انجلترا فى رفع
« نير الاستبداد التركى » عن كاهلها ، وان الرخاء قد عاد الى مصر
بفضل انجلترا وهى « تنظر الآن بعين الامل الى الوقت الذى تبلغ
فيه ذلك الشأ واللائق بها فى مصاف امم العالم » (٤٠) . وتقدم
(المقطم) وصفا شاملا لاستقبال مكهاون ووصفا لشخصيته
وملامحه وتقول ان مقابلته اثرت فى الجمهور تأثيرا حسنا « حتى
لقد قال سعد باشا زغلول على مسمع منا ومن سوانا ان دلائل
الخير بادية على وجهه فاملنا ان الله يجزل لمصر الخير على
يده » (٤١) .

ويتظاهر طلاب مدرسة الحقوق فينزل بهم عقوبات رادعة وتكتب (المقطم) : « ان اشتغال الطلبة بما لا يفيهم وعدم تفرغهم لدروسهم من أشد الأمور اضرارا بمستقبلهم ومستقبل التعليم في مصر ، وأن الفيرة الوطنية تقضى على كل وطنى أن يقاوم بكل الوسائل اشتغال الطلبة بأمور خارجة عن دروسهم » (٤٢) .

وكانت المظاهرات التى تكرر انفجارها فى هذه الآونة ، تعبر عن الاحساس الحاد بالضيق والسخط لدى جماهير الشعب لما تقاسيه من معاناة بسبب ظروف الحرب ، وما تلبيه من خضوع هيئة الحكم المصرية ممثلة بالسلطان ووزرائه لسلطات الحماية البريطانية . وذلك لأن « كلا من الفريقين ليس له سلطة ذاتية ولكنه يستمد سلطته من الحماية فهم فى الحقيقة موظفون خاضعون لأوامر الحماية » (٤٣) وكان السلطان « لا يشعر الا بقوة الحراب البريطانية » وتحول وزراؤه « الى صنائع فى أيدي المستشارين البريطانيين » (٤٤) .

ولم يتوقف التعبير عن السخط العام عند حد المظاهرات ، بل تعداه الى محاولات الاغتيال التى تعرض لها السلطان حسين ، وكانت المحاولة الأولى تلك التى قام بها (محمد خليل) وقد أوردت (المقطم) تفاصيلها . ونشرت قصائد التهئة بسلامة السلطان (٤٥) . وكتبت تعلق على (ابتهاج) الصحافة البريطانية بسلامة سلطان مصر ، وعزت ذلك الى « ما انطوى عليه عظمته من حب الخير لرعيته والاهتمام بترقية شئون القطر ونشر العلم بين ابنائه » (٤٦) . وطالبت المقطم بأن يقوم صفوة القوم باعتبارهم القدوة ، ببث روح المحبة والاخلاق الفاضلة فى نفوس العامة . وطالبت بنشر أسلوب التربية الفاضلة لسد ابواب الجناية والكراهية والبغضاء فى صفوف أبناء الشعب « فالأمة يجب أن يربى بعضها بعضا ويرشد بعضها بعضا » (٤٧) .

وتجرى المحاولة الثانية لاغتيال السلطان حسين فى يوليو من العام نفسه على يد صالح عبد اللطيف فتندد (المقطم) بالفاعلين ، وتكيل المديح للسلطان الذى « حقق آمال جميع محبى الشرق والراغبين فى ارتقائه فهو المدافع عن الفضيلة والأخلاق والآداب وهو منشط العلم ومكرم العلماء ، وهو أبو الفلاح المحافظ على ثروة هذا القطر ، وهو الكريم الجواد الذى عم احسانه جميع المحتاجين الى بره وجوده ، فلا ينقضى يوم الا وابل جوده ينعش قلوب فريق من ابنائه فى هذا القطر » (٤٨) .

ويتحدث السلطان حسين للمقطم قائلا ان فى البلاد جرثومة للفساد مضرّة بالمجموع ولا بد من استئصالها . وعبر عن تألمه من وجود البعض الذين يحكمون أهواءهم بدلا من عقولهم ولا يدركون المغزى الحقيقى لتسلمه زمام الحكم الذى يستحق شكرهم ، لان نفعه لا يعود عليه بشكل شخصى بل على البلاد بأسرها (٤٩) . ويرى سعد زغلول ان هذه النفمة التى يضرب عليها السلطان « من التنديد بالامة وأبنائها وتقبيح سيرتها والتشنيع بها تطرب الانجليز كثيرا وتمهد السبيل لاضعاف الناشئة وحرمان المصريين من حقوقهم الطبيعية » (٥٠) .

وتكتب (المقطم) مقالا تحت عنوان (ولاء الامة لسلطانها) مدافعة عنه ، ومهاجمة المعتدين عليه ، والرافضين لجلوسه على العرش ، فهو يجلس على كرسى الحكم اقتناعا منه « بوجود القيام بواجبات عظيمة لا يسع الكريم الأخلاق الحر الشماثل أن يقتصر فيها أو يمتنع عن القيام بها . وقد رضى أن يجلس على سرير مصر ليحفظ ميراث آبائه واجداده » (٥١) .

وتجرى محاولة الاغتيال الثالثة للسلطان حسين ، بالقاء قنبلة على موكبهِ فى مدينة الاسكندرية ، اتهم فيها شابان مصريان هما محمد شمس الدين ، ومحمد نجيب الهلباوى ، ولكنه ينجو من الموت فيها أيضا (٥٢) .

وتحدث (المقطم) عن الفوائد التى جنتها مصر من الحرب ، وعن عدم تعرضها للمحن بسببها . وترجع ذلك الى الوجود البريطانى ، فتقول : « واذا كان هذا القطر قد نجا من غوائل الحرب ورزاياها وخسارتها وبلاياها فالفضل فى ذلك يرجع لقيام بريطانيا العظمى على حمايته وذودها عن حدوده البرية من الشرق وكونها صاحبة السيادة فى البحر » . ثم تحدثت (المقطم) عن بعض الخسائر الاقتصادية التى أصابت بعض الأفراد الذين فقدوا وظائفهم فى المصانع والمحال التجارية بسبب قلة الأموال والرغبة فى الاقتصاد ، الا ان القطر بمجمله على حد رأيها قد استفاد كثيرا وخصوصا ما ينفقه الجيش البريطانى فى مصر (٥٣) . ولكن (المقطم) تناقض نفسها ، فتكتب بعد شهور من كلامها هذا ، معبرة عما وصلت اليه الحالة الاقتصادية من سوء بسبب الحرب ، حيث « لا يخفى ان الازمة المالية التى ضربت اطنابها فى هذا القطر مدة طويلة ، لم تعقبها أيام يسر ورخاء وسعة وثناء بل اننا لا نكاد نجتاز العام العسير حتى ندخل فى أعسر منه لأسباب متعددة لا محل لاستيفاء الكلام عليها الآن » (٥٤) .

فقد شهدت البلاد استغلا لا بشعا من جانب السلطات البريطانية ، لمئات الألوف من العمال والفلاحين وتجنيدهم فى خدمة المصالح البريطانية ، وكانت أعدادهم تزداد تدريجا باتساع ميادين القتال (٥٥) . كذلك أنفقت الحكومة المصرية منذ نشوب الحرب لحساب الحكومة البريطانية ولاغراضها العسكرية مبالغ طائلة فى مختلف المصالح (٥٦) .

ولم تكف (المقطم) عن نشر كل ما يصل إليها من بلاغات دار الحماية من أوامر خاصة بالأحكام العسكرية المفروضة على البلاد . وعندما وافق مجلس الوزراء على مذكرة وزير الحربية بشأن طلب الرديف ، قالت (المقطم) ان الغرض من الرديف المصرى هو الاستعانة بمساعره على تنظيم التسهيلات اللازمة للدفاع عن القناة » وقد علمنا ان الحكومة البريطانية عرضت ان تنقدهم اجرة تعبهم اسوة لهم بغيرهم من الذين استاجرتهم من غير العساكر فابت مصر قائلة انى آنف ان يقال عنى انى أوجر رجالى للذود عن قناتى بمال غيرى وليس بمالى « (٥٧) .

وتجرى (المقطم) حديثا مع السلطان حسين بشأن اقامة (تذكار) للورد كتشنر ، بعد ان لقى مصرعه فى الحرب . فيقول السلطان لقد « سرنى ان اهل بلادى يقدرون قدر الرجال حتى اهتم اهالى الاسكندرية باقامة تذكار للورد كتشنر اهتماما يذكر فيشكر . ولكن لو كان الورد كتشنر حيا الآن واستثنىناه فيما يريد ان يكون هذا التذكار الذى نقيمه له ، اكننت نظن يادكتور انه يشير باقامة تمثال له . كلا بل لأشار بها هو اهم من ذلك اى بما تحتاج اليه البلاد التى كان يحبها حبا جما « (٥٨) . وينفس أسلوبه فى احاديثه السابقة ، يردد السلطان حسين افكاره وآراءه حول علاقته ببريطانيا ، فقد جاء فى حديث له نقلته (المقطم) عن التيمس ان « مستقبل مصر مكتول تحت حماية بريطانيا العظمى اعظم الدول الحرة » (٥٩) . هذه الحماية التى كانت حقيقة وواقعا « حادثا خطيرا اهتز له الوطن » (٦٠) . وكان معناها ان « يمتد الاحتلال البريطانى الى اجل غير مسمى ، ذلك الاحتلال الذى قيل عنه انه مؤقت » (٦١) . وكان من أبرز آثارها الغاء « احد رموز السيادة الوطنية المصرية وهو نظارة الخارجية المصرية » (٦٢) .

وترحب المقطم (بنائب الملك) الجديد (وينجت) الذى يخلف
مكهاون فى مصر ، وترى ان « من حسن حظ مصر ان يعود هذا
الصديق الصادق اليها ليسهر على مصالح أهلها . وسيكون مقرونا
بأعظم اسباب التوفيق والنجاح . وفى مقدمة هذه الأسباب حكمة
الجالس على سرير مصر عظمة مولانا السلطان وصدافته الخالصة
لفخامته من جهة وإخلاص عظمته التام للدولة البريطانية من جهة
أخرى » (٦٣) . ثم أخذت تنشر أخبار الوفود التى تأتى من أقاليم مصر
المختلفة الى دار الحماية للسلام على نائب الملك الجديد . كذلك
كان من بين ارتباطات (المقطم) بدار الحماية ، قيامها بنشر أسماء
المتبرعين من المواطنين لهيئة الصليب الأحمر البريطانية . وكانت
تنشر القوائم بأسماء المتبرعين من كل مديرية من مديريات مصر
على حدة (٦٤) .

وفاة السلطان حسين وتعيين السلطان فؤاد :

وعندما يتوفى السلطان حسين تنعاه (المقطم) بأسلوب مؤثر
فيه أطراء كبير على مناقبه وطريقة حكمه . فتقول : « فقدت مصر
يفقد سلطانها المحبوب ذخرا عظيما وكنزا لا يقوم بثمن . فما كل يوم
توفق الأمم بملك عرك الدهر وذاق منه الحلو والمر ، فأعدته التجارب
للحكم وعلمته غير الزمان سياسة الأنام » . وأنه قد « ترك لخلفه
حكما دستوريا حسن النظام وطيد الأركان حالا فى اعتبار الأمة
أسمى مكان » . وترحب (المقطم) بالسلطان الجديد أحمد فؤاد
قائلة : « وقد أدام الله نعمته لهذا القطر باختيار أمير عاقل حليم ،
ربى فى مهاد الدستور ، وسبر غور الأمور ، وضارع أخاه الفقيد
الكريم فى صفاء النية وحسن الطوية وحب الخير للأمة المصرية ،
فقد جبر الله قلوبنا بسلطاننا المعظم السلطان أحمد فؤاد » (٦٥) .
ونشرت المقطم نصوص البرقيتين المتبادلتين بين السلطان أحمد

فؤاد وملك بريطانيا حول مسؤولية العرش في المرحلة القادمة ، ونشرت كذلك تلغرافاً لمراسلها في لندن يقول فيه ان (التيمس) كتبت افتتاحية عن السلطان جاء فيها : « ان السلطان فؤاد عرف بسعة الصدر والفضل وكان على الدوام معروفاً بصداقته ومودته ببريطانيا العظمى » (٦٦) .

انتصارات الحلفاء :

كانت (المقطم) في عامي ١٩١٧ و ١٩١٨ تخرج كأنها نشرة حربية مع خلوها شبه التام من التعليقات الخاصة بمستقبل مصر ووضعها السياسي . وكانت المادة الرئيسية الغالبة على صفحاتها هي اخبار القتال على كافة الجبهات : ولا تدع (المقطم) مناسبة تمر دون الاشادة بقوة بريطانيا العسكرية . فتقول : « تحمي بريطانيا العظمى بأساطيلها بحار الدنيا . ولولا الاساطيل البريطانية لما أبقي الالمان للحلفاء خشبة تطفو على البحر ولا راية ترتفع على سطحه . أما في البر فكيفما اتجه المرء في ميادين القتال ير الجيوش البريطانية قد قامت كالسد المنيع في وجوه الأعداء ، وفي كل ميدان يحارب البريطانيون فيه يصد الجرمان وحلفاؤهم . فلبريطانيا العظمى الجحافل في فرنسا والبلجيك . والحرب في الميدان الغربي للبريطانيين . ومعظم المعارك الكبيرة تقع في ميدانهم أما في ميادين الشرق فالبريطانيون يكادون يقومون بعبء الحرب كلها » (٦٧) . وتبدى (المقطم) اعجاباً شديداً بالقائد الانجليزي (اللنبي) بمناسبة استيلائه على القدس . فتتشر نصوص البرقيات المتبادلة بينه وبين ملك بريطانيا . وكذلك البرقيات المتبادلة مع السلطان احمد فؤاد بهذه المناسبة (٦٨) .

ويزور (اللنبي) مصر فتقدم (المقطم) وصفاً شاملاً لحمل الاستقبال الذي أعد له : « وقد تمت الزيارة » بعدما دخل القدس

الشريف منتصرا ظافرا . فاستقبل فى المحطة استقبالا رسميا جمع
كبراء مصر وعظماءها ففرشت أرض المحطة بالطنائس الحمراء
وفتح الباب السلطاني واجتمع الناس أفواجا على جانبي الساحات
والشوارع المؤدية الى المحطة « (٦٩) . وعندها زار حسين رشدي
رئيس الوزراء المصرى مدينة القدس انتهاز مكاتب (المقطم) فيها
المناسبة للاشادة بالجنرال اللنبى (منقذ القدس) . ودعا المدينة لأن
تنهض « . وتقيم لمنقذها العظيم تمثالا اثريا جميلا تضيفه الى آثارها
السابقة وتجعله عنوانا خالدا للشكر ومعرفة الجيل « (٧٠) . وبزور
النبى مصر للمرة الثانية . فتقول (المقطم) ان مصر استقبلت
« قائدا من اشهر القواد العسكريين فى الحرب الحاضرة ، بما
يليق بقدره وفعاله من الترحيب والتكريم ، واشترك فى استقباله
مثلو جميع طبقات السكان فى هذا القطر السعيد » . وهذا
« التكريم الذى اشترك فيه اقطاب السلطنة المصرية ملكيين
وعسكريين وسكان هذه العاصمة على اختلاف طبقاتهم انما هو
تكريم البراعة والكفاءة المطلوبين من كل قائد عسكرى وللاإنسانية
والرفق وسائر المبادئ السامية » (٧١) .

وفى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩١٨ ، تركزت اخبار (المقطم)
على انتصارات الحلفاء النهائية فى الحرب ، واستعراضات
الفرق العسكرية الانجليزية فى شوارع القاهرة وهفافات الجباهير
لها . وكذلك البرقيات المتبادلة بين السلطان أحمد فؤاد وملك
بريطانيا حول انتصارات الحلفاء واعلان الهدنة بين المتحاربين .

مقدمات ثورة ١٩١٩ :

ولكن احداث السياسة الداخلية المرتبطة بمستقبل مصر ، لم
تكن موضع اهتمام أو بحث من جانب (المقطم) . أما حديث ١٣
نوفمبر ١٩١٨ الذى أجراه سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز

فيهمى مع المندوب السيامى البريطانى فلم يرد ذكره فى (المقطم)
ولكنها أوردت خبر اجتماع هؤلاء الزعماء برئيس الوزراء حسين
رشدى (٧٢) .

وكان حديث ١٣ نوفمبر ، الذى أصبحت مصر تحتفل بذكره
فيها بعد كعيد للجهاد الوطنى ، وطلب فيه الزعماء الثلاثة السماح
لهم بالتوجه الى لندن لعرض مطالب الأمة المصرية على الحكومة
البريطانية ، كان علامة تحول فى تاريخ النضال الوطنى ، أعقبه
تشكيل (الوفد المصرى) وحركة التوكيلات التى جمعها الوفد من
سائر الطبقات ، ضامنا لشرعية تفويضه للمطالبة بالاستقلال التام
باسمها ، وما كان من السلطة العسكرية البريطانية من التصدى
لهذه التوكيلات ومن الحيلولة دون سفر رجال الوفد الى لندن ،
مما لم يرو شيئا عنه على صفحات (المقطم) .

كما أن اعلان سعد بطلان الحماية فى جمعية الاقتصاد
والتشريع عقب القاء المستر (برسيغال) مستشار الاستئناف
محاضرته حول مشروع القانون الجنائى ، أوردته على أنه ابداء
« بعض الملاحظات » من جانب سعد (٧٣) . وقد كان للرقابة
المفروضة على الصحف دورها بالطبع فى عدم التوسع بنشر هذه
الأمور .

وفى أوائل مارس ١٩١٩ تقبل استقالة وزارة رشدى التى
ظلت معلقة منذ ديسمبر ١٩١٨ ، حيث كان مصرا على استقالته
بالرغم من الحاح الانجليز والسلطان عليه بالعدول عن الاستقالة .
ولكن رشدى جعل ذلك رهنا بموافقة الانجليز على سفر الوفد
المشكل من سعد زغلول وبعض أعضاء حزب الأمة بالسفر الى
لندن وباريس للمطالبة باستقلال مصر ، وجاءت الاستقالة بعد
رفض الانجليز لهذا الطلب (٧٤) . وكانت من أشد بواعث الأسف

لدى السلطان نؤاد (٧٥) . ولكنها قوبلت من جميع طبقات الأمة
بالثناء والتقدير لموقفه الوطنى (٧٦) . وقد نشرت (المقطم) خبر
استدعاء الجنرال (وطسن) لسعد زغول وجماعة من أعيان
العاصمة حيث « ابلغهم أن البلاد خاضعة للحكم العسكرى وأنهم
إن فعلوا ما من شأنه أن يعرقل قيام الحكومة بمهمتها يعرضوا
أنفسهم للوقوع تحت طائلة الحكم العسكرى » (٧٧) . كما نشرت
خبر القاء السلطة العسكرية القبض على سعد زغول وزملائه
على النحو التالى : « قبضت السلطة العسكرية أول أمس الساعة
السادسة مساء على حضرات صاحبى المعالى سعد زغول باشا
واسماعيل صدقى باشا وحضرات صاحبى السعادة محمد محمود
باشا وحمد الباسل باشا وأرسلوا الى مالحطة » (٧٨) . فكانت ثورة
مارس ١٩١٩ .

هوامش الفصل الثالث

- (١) المقطم ٢١ يناير ١٩١٤ .
- (٢) المقطم ٢٢ يناير ١٩١٤ .
- (٣) المقطم ٢٧ فبراير ١٩١٤ .
- (٤) المقطم ١٨ مارس ١٩١٤ .
- (٥) المقطم ١٩ يونيو ١٩١٤ .
- (٦) المقطم ٢٨ أكتوبر ١٩١٥ .
- (٧) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، دار الشروق ، بيروت ، ص ١٧٥ ، د.ت .
- (٨) المقطم ٣٠ أبريل ١٩١٤ .
- (٩) المقطم ٧ مايو ١٩١٤ .
- (١٠) المقطم ٢١ مايو ١٩١٤ .
- (١١) المقطم ٢٧ يوليو ١٩١٤ .
- (١٢) المقطم ٢٧ يوليو ١٩١٤ .
- (١٣) المقطم ٣ أغسطس ١٩١٤ .
- (١٤) المقطم ٣ أغسطس ١٩١٤ .
- (١٥) المقطم ٧ أغسطس ١٩١٤ .
- (١٦) المقطم ٧ أغسطس ١٩١٤ .
- (١٧) المقطم ٢٠ أغسطس ١٩١٤ .

- المقطم ٣١ أغسطس ١٩١٤
 - المقطم ٨ سبتمبر ١٩١٤
 - المقطم ١٢ سبتمبر ١٩١٤
 - المقطم ٥ أكتوبر ١٩١٤
 - المقطم ٧ أكتوبر ١٩١٤
 - المقطم ٧ أكتوبر ١٩١٤
 - المقطم ١٥ أكتوبر ١٩١٤
- واسم هذا الضابط الملازم محمد توفيق طه - بالنيا . وقد نشرت رسالته تحت عنوان : « تطوع المصريين انتصارا للانجليز » .
- المقطم ١٠ نوفمبر ١٩١٤
 - المقطم ٢٠ نوفمبر ١٩١٤
 - المقطم ٢٠ نوفمبر ١٩١٤
- (٢٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
- المقطم ٢ ديسمبر ١٩١٤
 - المقطم ١٢ ديسمبر ١٩١٤
- (٣١) صابات ، وآخرون ، حرية الصحافة في مصر ، ص ٣٠٠ .
- (٣٢) خليل صابات ، الصحافة المصرية ودورها في ثورة ١٩١٩ ، محاضرات لطلبة ليسانس الصحافة بأداب القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .
- (٣٣) الشاعر ولي الدين يكن من الأحرار العثمانيين الذين كانت بينهم وبين السلطان عبد الحميد عداوة شديدة . وقد لجأ الى مصر للاحتباء بالسلطات الانجليزية التي استخدته لتحقيق أهدافها في الهجوم المواصل ضد السلطان العثماني وحكومته . وقد أفردت له صحيفة المقطم صفحاتها لكتابة المقالات والتقايد التي تتفق وسياستها الاحتلالية . ويبدو ان هذه التقايد التي تظعن في الضمير الوطني لشعب مصر جعلت صاحبها يفقد مكانه بين الشعراء الذين أسهوا في نهضة الشعر العربي الحديث في مصر .
- المقطم ٢١ ديسمبر ١٩١٤
 - صابات وآخرون ، حرية الصحافة في مصر ، ص ٢١٤
 - المقطم ٢٢ ديسمبر ١٩١٤
 - المقطم ٢٣ ديسمبر ١٩١٤
 - المقطم ٢٦ ديسمبر ١٩١٤

- (٣٩) المقطم ٣٠ ديسمبر ١٩١٤
- (٤٠) المقطم ٨ يناير ١٩١٥
- (٤١) المقطم ١١ يناير ١٩١٥
- (٤٢) المقطم ٢٦ فبراير ١٩١٥
- (٤٣) مذكرات سعد زغلول ، الكراسة ٢٥ ، ص ١٣٢٨
- (٤٤) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، مكتبة
مديبولي ودار العودة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ ، ٣٥
- (٤٥) المقطم ٩ ، ١٠ أبريل ١٩١٥
- (٤٦) المقطم ١٠ أبريل ١٩١٥
- (٤٧) المقطم ١٢ أبريل ١٩١٥
- (٤٨) المقطم ١٢ يوليو ١٩١٥
- (٤٩) المقطم ٢٠ يوليو ١٩١٥
- (٥٠) مذكرات سعد زغلول ، الكراسة ٢٥ ، ص ١٣١٤
- (٥١) المقطم ٢٢ يوليو ١٩١٥
- (٥٢) المقطم ١٦ ، ١٧ مايو ١٩١٦
- (٥٣) المقطم ٣٠ يوليو ١٩١٥
- (٥٤) المقطم ٨ نوفمبر ١٩١٥
- (٥٥) محمد انيس ، مقال بعنوان : « دور الفلاحين في ثورة ١٩١٩ » ، مجلة
آفاق عربية ، بغداد ، العدد السابع ، السنة الثانية ، آذار (مارس) ١٩٧٧
- (٥٦) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ١ ، كتاب الشعب ، القاهرة ،
١٩٦٨ ، ص ٣٨
- (٥٧) المقطم ٢١ يناير ١٩١٦
- (٥٨) المقطم ٥ يوليو ١٩١٦
- (٥٩) المقطم ١٣ أكتوبر ١٩١٦
- (٦٠) محمد زكي عبد القادر ، مجلة الدستور ، مكتبة مديبولي ، القاهرة ،
١٩٧٣ ، ص ٣٨
- (٦١) مذكرات عباس حلمي الثاني ، المصري ، ١٩٥١/٧/١٧
- (٦٢) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ١٩٠
- (٦٣) المقطم ٨ نوفمبر ١٩١٦
- (٦٤) المقطم ١ ، ٢ ، ٤ ديسمبر ١٩١٦

- (٦٥) المقطم. ١٠ أكتوبر ١٩١٧ .
- (٦٦) المقطم ١١ أكتوبر ١٩١٧ .
- (٦٧) المقطم ٧ نوفمبر ١٩١٧ .
- (٦٨) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩١٧ .
- (٦٩) المقطم ٨ يناير ١٩١٨ .
- (٧٠) المقطم ١٠ أكتوبر ١٩١٨ .
- (٧١) المقطم ٢٥ نوفمبر ١٩١٨ .
- (٧٢) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩١٨ .
- (٧٣) المقطم ١٠ فبراير ١٩١٩ .
- (٧٤) مذكرات محمد فريد ، كراسة ١١ ، ص ٢٠ - ٣٣ .
- (٧٥) المقطم ٤ مارس ١٩١٩ .
- (٧٦) مؤسسة الأهرام ، ص: ٥٠. عابا على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٦٩ .
- (٧٧) المقطم ٨ مارس ١٩١٩ .
- (٧٨) المقطم ١٠ مارس ١٩١٩ .

الفصل الرابع

أساليب المقطم في الدعاية للاحتلال البريطاني

أسس الدعاية وقواعدها فى (المقطم) :

كانت جريدة (المقطم) تمارس فنون الدعاية بأساليب مختلفة من أجل انجاح وتعميق الأفكار التى تدعو إلى غرسها فى أذهان الجماهير ، ومن أجل التأثير على الجماهير لازالة ما لديها من اتجاهات وأفكار سابقة ، وسارت فى ذلك على خطة محكمة تميزت بالاستمرارية والتنوع والتكرار والوضوح والمباشرة . وهى الخطة التى وصفها الباحثون فى علم الدعاية بأنها أنجح الطرق والأساليب للقيام بدعاية ناجحة . فهى تكرر الأفكار التى تدعو إليها ، وتلح عليها باستمرار ، وبشكل لا يعرف الكلل والملل والانتقطاع . وذلك من أجل ترسيخ هذه الأفكار فى أذهان الناس وتثبيتها وجعلها مقبولة مستساغة .

ان هذا المبدأ الذى انتهجته (المقطم) ، يعتبر باعتراف الباحثين « الشرط الأول للدعاية الحسنة » ، كما يقول دوميناك (١) . ولا تختلف الدعاية السياسية التى مارستها (المقطم) فى أهدافها وأغراضها عن الدعاية التى وضع لها الباحثون بعد سنوات عديدة قواعد وأسساً معينة تنسجم مع طبيعتها ، وتعريفات تحدد هويتها وأبعادها ، فقد عرفها الباحث الأمريكى (ولتر ليبمان) بأنها « محاولة للتأثير فى شخصيات الأفراد فبالسيطرة على سلوكهم

لأغراض تعتبر غير علمية ، أو ذات قيمة مشكوك فيها فى مجتمع ما فى زمن بالذات « (٢) . أما (نورمان جون بول) فيعرف الدعاية بأنها « عملية نشر الآراء ووجهات النظر التى تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كليهما معا » (٣) . فهذه التعريفات تشترك معا فى إيضاح دور الدعاية فى التأثير على الاتجاهات والأفكار والسلوك لدى الأفراد والمجتمعات . وعلى نفس النسق جاء تعريف (كالتز) للدعاية بأنها « المحاولة المقصودة التى يقوم بها فرد أو جماعة من أجل تشكيل اتجاهات جماعات أخرى أو التحكم فيها أو تغييرها ، وذلك عن طريق استخدام وسائل الاتصال » (٤) . وتهدف الدعاية من ذلك بالطبع الى خلق استجابات ايجابية للأفكار التى تطرحها لتحقيق أغراضها ومصالحها التى تسعى اليها . وتعتبر الصحيفة وسيلة مهمة للدعاية لأنها تستطيع أن « تستخدم التكرار والتنوع فى التأثير على القراء » (٥) ، فالصحيفة هى « الاداة الحديثة العلمية الحقيقية للدعاية » (٦) .

وتتمثل الأسس والقواعد التى رسمتها وسارت عليها جريدة (المقطم) فى عملية الدعاية السياسية فيما يلى :

أولا : التكرار .

ثانيا : التنوع .

ثالثا : الوضوح

رابعا : التبسيط والتركيز .

خامسا : المبالغة .

سادسا : تقمص المصالح الحقيقية للجماهير .

سابعا : الثـمـنـات .

ثامنا : الاستناد الى المعرفة الدقيقة بـ"مجرىات" الأمور والمعلومات ذات القيمة .

تاسعا : الدعاية المضادة .

عاشرا : الدعاية غير المباشرة .

ولم تكن اشكال الدعاية واساليبها المختلفة الا وليدة الظروف والمواقف المستجدة . فالدعاية التى مارستها صحيفة (المقطم) خدمة للاحتلال ، كان لها منطلقات فكرية وسياسية معينة ، مستمدة من واقع الاحتلال وظروفه والقوى التى تواجهه فى الداخل والخارج ، مما أوجد أساليب خاصة للدعاية له وخلق طرائق معينة أتبعتها (المقطم) ، لكى تكون وسيلة مهمة للدعاية . وقد رأينا تقسيم هذه الأساليب الى ثلاثة أقسام رئيسية ، هى الدعاية المباشرة والدعاية غير المباشرة والدعاية المضادة علما بأن الحدود الفاصلة بين هذه الأساليب الثلاثة ليست حدودا ثابتة بل تتداخل معا لتخدم الأفكار الرئيسية التى قدمتها الصحيفة خدمة للاحتلال .

١ - الدعاية المباشرة

اولا : الدعوة لمسالة المحتلين :

كانت فكرة المسالة مع المحتلين وعدم طلب جلائهم ، هى لب السياسة التى تدعو اليها (المقطم) ، فالاحتلال لا غنى عنه من أجل مصلحة مصر ومستقبلها ، والجلاء لو تم فانه « لا يمضى زمان طويل حتى تصبح مصر بلادا فوضى لا حاكم لها ولا نظام بها أو تحتلها دولة أخرى . والماقبة وخيمة على الحالين » (٧) . وتشرح (المقطم) ميزات سياسة المسالة فتقرر انها « السياسة الوطنية الحقيقية المعجلة زمان الجلاء والمائدة على البلاد بالمنافع الحقيقية » (٨) .

وتكتب (المقطم) بمسائلة « يأى حق يزعم الضلال أن المصريين عن بكرة أبيهم ييغضون الانجليز . ويفضلون الماضى على الحاضر ؟ » (٩) . وترسم الصحيفة الطريق للسياسة التى ينبغى على مصر اتباعها وهى « سياسة المصافاة والمجاملة التى تصون نفوذ الخديوية وتحفظ الحكومة المصرية فى عيون الرعية وتدفع من البلاد ألف بلية وبلية » (١٠) . وهذه السياسة يقرها « أهل الشرف ومكارم الأخلاق » الذين يعترفون « بإصلاح الانجليز الذين أوصلوا البلاد الى درجة لا تضارعها فيها بلاد شرقية » (١١) . هؤلاء الذين لا يريدون جلاء الانجليز ، لأنهم يعلمون أن الجلاء لو تحقق « لاصطكت منا الركب وارتجفت القلوب واضطرب الجنان وما ذلك الا من تأثير الزمن السابق الذى كان فيه الظلم مقبها والاستبداد مخبها والنهب والسلب يجريان علنا » (١٢) . ونقمة المقارنة بالأوضاع السابقة على الاحتلال ، كانت مستحبة لدى (المقطم) تكرر دائما . وتشير (المقطم) الى أن سياسة المسالة « انفع لمصر كثيرا من سياسة الاختلاف والانشقاق » ، وأنها « أصلح من سياسة المجافاة والمقاومة » (١٣) .

وعقب أحداث التمرد التى جرت فى صفوف الضباط والجنود المصريين فى أم درمان تهيىب (المقطم) بكل « عقل من أهل مصر أن ينصح أبناء وطنه من الضباط الاحداث باجتناى اسباب الخصام والتزام جادة السلام » (١٤) .

وعلى اثر زيارة الخديوى للندن تشيد (المقطم) بالعلاقات بين الامتين المصرية والانجليزية ، وتتساءل : « واية أمة امترجت مصالحها بمصالح أمة أخرى وارتبطت بها تجارة وصناعة وإدارة قدر ارتباط الأمة المصرية بالأمة الانجليزية ؟ » . وتريد (المقطم) بذكر هذه العلاقة الوصول الى ما تهدف الى الدعوة له وهو أن « محالفة المصريين للانجليز محالفة طبيعية قضت بها عليهم مصالحهم

المرتبطة بعضها ببعض والفوائد الجمة التي تعود على الأمتين من توثيق عرى الاتحاد والاتفاق بينهما « (١٥) . كذلك تدعو (المقطم) الى توطيد « اركان الاتفاق. والوثام بين سكان هذا القطر وكل ما يجمع بينهم في امورهم المعاشية مها اختلفوا في عقائدهم ، لأن في ذلك اوسع السبل المؤدية الى الاستقلال « (١٦) .

ثانيا : الاحتلال يصلح البلاد ويرقيها :

كانت (المقطم) تلح على أن الاحتلال ما حدث الا من أجل تعميم الإصلاح وترقية البلاد. وتقدمها وخير سكانها ، ونشر الأمن في ربوعها . وهي ترى أن الاحتلال جاد تماما « في سبيل الإصلاح وتحسين الحال » (١٧) ، وأن مصر تتقدم على يديه « فقد أصبحت غير ما كانت عليه سنة ١٨٨٢ » ، فان الإصلاح دخل كل دائرة من دوائر الحكومة والمصالح الاميرية وخطا فيها خطوة تذكّر . والإدارة قررت على اركان العدل والصواب . والمالية انتظمت احسن انتظام « (١٨) . وتعدد الصحافة أوجه التغيير في السياسة الداخلية التي أحدثها الانجليز مثل المجالس المحلية واصلاح السجون وتنظيم الجيش المصري والبوليس وتعميم الري وشق ترع جديدة واصلاح احوال المستشفيات « (١٩) . وتصل الى أنه « اذا قابلنا ما كانت عليه مصر سنة ١٨٨٢ بما صارت اليه سنة ١٨٨٩ ، ظهر الحق وبنان واتضحت فوائد الاحتلال وحسن مساعي الحضرة الفخية الخديوية ووزرائها للعيان » (٢٠) .

وتقرر (المقطم) أن الجميع من اصديقاء واعداء متفقون على « تحسن احوال هذا القطر وانتظام اعماله واداراته بعد احتلال الانجليز له » (٢١) . وأن مهمة انجلترا فيه تتمثل باصلاح « حالة هذا القطر ، حتى يعيش اهله في بسطة من العيش وتتوافر لديهم

أسباب الثروة والعز. وتعم العدالة كل أطراف البلاد « (٢٢) . وأن التفكير في الجلاء لا يكون الا بعد أن يتأكد المحتلون « بأن حالة البر أصبحت على ما يرام وانما اتهمنا ما تعهدنا به عند دخولنا اليه « (٢٣) .

وتقول (المقطم) ان « جميع الذين شافهنهم في امر الاحتلال ونتائجه متفقون على انه احيا البلاد وانتقذها من البوار « (٢٤) ، وانه لا غرابة بعد أن تأكدت هذه النتيجة في عرف (المقطم) ان تدعو الخديوى ورئيس نظاره الى الاستعانة التامة « بقوة انجلترا وحكمها في سياسة مصر الخارجية . وبالعارفين النابغين من رجالها على تحسين شئونها الداخلية « (٢٥) .

وتمنح (المقطم) نفسها صفة التحدث باسم السواد الأعظم من المصريين ، قائلة بلسانهم ان سياسة الاحتلال تطابق المصلحة العامة للبلاد ، وان الواجب يقتضى تقدير مساعى المحتلين حق قدرها (٢٦) . وتنشر (المقطم) مقالة باتساع الصفحة الاولى يتحدث فيها كاتبها عن « نعيمنا الحاضر » مقارنا بفساد الماضى (٢٧) . وتقرر ايضا ان الخاصة والعامة يعترفون بأن « احوال المعيشة قد تحسنت وتيسرت بما تم من الاصلاح في عهد الاحتلال « (٢٨) .

وتقدم الصحيفة شكرها للحكومة البريطانية لتخفيضها أجور المراسلات بين مصر والسودان ومختلف البلدان التى تحتلها بريطانيا . وتمنت أن هذا « الاصلاح يعم سائر العالم المتمدن بفضل المساعين فيه من رجال اقدام والهمة بين الانجليز وغيرهم « (٢٩) . وتعقب على زيارة قام بها الخديوى للندن قائلة ان « الجنب الخديوى يعلم حق العلم ان امارته قد علت شأننا وزادت عزة وجاها بسمى البريطانيين « (٣٠) .

ثالثا : الاحتلال يحسن المالية المصرية :

وترى (المقطم) فى التحسن الطفيف الذى طرأ على المالية المصرية ، دافعا للاستفادة بالاحتلال وفوائده وخدماته لمصر ، فتورد مقالين متصلين بعنوان « المالية المصرية ما كانت عليه وما صارت اليه » تحدثت فيهما عن الديون وأوجه الانفاق الباهظة فى عهد الخديوى السابق اسماعيل ، وعن تحسن الحالة فى عهد الخديوى توفيق بفضل الاحتلال (٣١) . وفى معرض الحديث عن تحسن أحوال المالية ، تشيد المقطم « بالوزارة الوطنية الرياضية » ، التى « عرفت داء البلاد فأبراته بنجاع الدواء وعلمت حاجة الأمة فالتبست سدها من اقرب الانحاء » ، وتقدم شكرها لموظفى الشئون المالية من الانجليز : بلوم وبالمز وملتر « وسائر الآخذين بمهام المالية الذين يؤمل منهم فى المستقبل اضعاف ما تم فى الماضى » (٣٢) .

رابعا : الاحتلال يشجع التعليم :

وترى المقطم أن التعليم قد تقدم فى زمن الاحتلال « وان كان زمان الاحتلال هو الزمان الذى هبت فيه الأمة الى احياء العلوم والمعارف » ، فانه يكون بذلك « أحسن زمان انعم الله به على مصر وأفضل عصر يستحق أن يمدح ولا يذم » (٣٣) . وتدافع الصحيفة عن موقف الاحتلال بالنسبة « لتعميم المعارف والعلوم » فالاحتلال يدعو الاهالى الى الاهتمام بالتعليم ونشره وليس الحكومة « كما هى سياسة الانجليز فى بلادهم » ، ولأن هذه السياسة أثارت «محررى مصر » الذين « يتشدقون بالوطنية » فقد بدأت الحكومة تعمل على تنشيط التعليم ، وينبغى على الجميع « أن يشدوا أزرها فى ذلك ويحثوا الكتابيب على قبول اشارتها والاجتهاد فى نيل اعانتها » فان ذلك ما تقتضيه الوطنية ، وما يجب على ذوى الفسيرة الحقيقية (٣٤) .

خامسا : الاحتلال يحمى الفلاح :

وتركز (المقطم) فيما تكتبه عن شئون البلاد الداخلية ، على ان الاحتلال أنعمش الفلاح المصرى ، وأن الإصلاح شمل نوعية حياته وأحواله المعيشية منذ عام ١٨٨٢ ، فتقول : « اتفق الذين بحثوا عن ديون الفلاح على أنها قلت جدا عما كانت عليه سنة ١٨٨٢ ، حتى لقد أصبحت قلة دينه دليلا من أقوى الأدلة عندهم على تحسن الأحوال فى هذا القطر » (٣٥) . وتورد (المقطم) « محاوره بين ناظر قسم معزول وفلاح مزارع » قصدت بها الثناء على الاحتلال على لسان الفلاح الذى يعلن استعداداه للقتال وبذل الروح دفاعا عن « شجرة الحرية » التى غرسها الانجليز بعد أن ذاق « من ثمراتها حلوة الاستراحة من السخرة وما كان يفرضه علينا الحكام حسب أهوائهم من أنواع الضرائب التى ضاقت الدفاتر بأسمائها » (٣٦) .

وترى (المقطم) ان الفلاح « بعد أن كان يكتفى فى المعيشة بما يتيسر من الخبز واللباس والمأوى أخذ يرتقى فى المعيشة ارتقاء سريعا ظاهرا من يوم الى آخر » (٣٧) . وبدأ يتخلص من العهود التى كان يسام فيها ضعف العذاب « فان فلاح مصر كان واحسرتاه يترك أولاده وزوجته على الطوى ويفر تائها فى وجه الأرض من نير العبودية القاسية فتؤخذ عائلته المسكينه بغير جريرة وترج فى السجن وتذوق مر العذاب وعذاب المر لأسباب لا دخل للعدالة فيها » (٣٨) .

سادسا : جيش الاحتلال .. الشجاعة والقوة :

ولا تفوت (المقطم) فرصة ألا تنتهزها للإشادة بجيش الاحتلال ودوره فى خدمة البلاد وحفظ أمنها وتعزيز الجيش المصرى « وحسب الجيش المصرى أن فيه من أشهر ضباط المسكونة أناسا

دائنين على ترشيعة ورفع شأنه ويعلم انها عماد العزة الوطنية» (٣٩)،
وان في وجود جيش الاحتلال بمثل « هذا العدد العظيم في مصر ما
يقينا غائلة الدراويش ويطشهم ويحفظ البلاد من سطوة حريهم » ،
اما الفوائد المادية فتمثل « برواج التجارة في البلد خصوصا في
الاشياء اليومية » (٤٠) . وتدافع (المقطم) عن جيش الاحتلال ، بعد
حادثة دنشواي ، فتقول : « ان جيش الاحتلال البريطاني ليس في
جيوش الأرض كلها اعظم منه حلما واكثر رفقا وابعد عن الاذى
واقل تكليفا للاهالي واخف وطأة عليهم » (٤١) .

تسابقا : متابعة دائمة لآخبار الاحتلال :

ولا يخلو عدد من اعداد (المقطم) من أخبار رجال الاحتلال ،
وجيش الاحتلال ، والفلاقات المصرية البريطانية ، وهذه نماذج
من تلك الاخبار . فخير عن « امتحان صف من الضباط الانجليز باللغة
العربية في ديوان عموم جيش الاحتلال » (٤٢) . وخبر عن بدء
انعقاد جلسات المنتدى الانجليزى المصرى الذى تمنى له التقدم
والنجاح (٤٣) . وخبر عن مهرجان للألعاب الرياضية والعسكرية
سيقيمه جنود الاحتلال وسيشاهده « الجناب العالى وخلق كثير جدا
من الأجانب والاهالى » (٤٤) وخبر عن قدوم « حضرة الفلكى
الانجليزى الطائر النصيت في الأفاق صديقنا المستر نورمن لكين
محرر جريدة ناتشر أشهر جرائد العالم العلمية » (٤٥) . وخبر عن
وصول قطع من الأسطول الانجليزى الى الاسكندرية (٤٦) . وكذلك
اخبار الاعتداءات على جنود الاحتلال كخبر الاعتداء الذى قام به
« لصان وطنيان على جندى انجليزى » (٤٧) . « قيام » بعض
الاشقياء من الاهالى بالاعتداء على بعض الجنود الانجليزية من
اليهود في عزبة العرب بالمباسية » (٤٨) .

ثامنا : الموظفون الانجليز فى مصر .. كفاءة عالية واخلاق ممتازة :

لا تدع (المقطم) مناسبة لتعيين موظف انجليزى فى الحكومة المصرية ، أو نقله منها بعد انتهاء خدمته أو وفاته ، دون أن تصفه بكل الصفات والخصال المثالية ، كالشرف والامانة والاخلاق النادرة ، والكفاءة العالية ، فى مقابل طعنها بالموظفين المصريين واتهامهم بالمعجز والتقصير فيما يعهد اليهم من « الوظائف الادارية والقضائية » (٤٩) .

لذلك فانها ترى فى تعيين الموظفين الانجليز ما يكفل تعويض هذا التقصير نظرا لما يتوافر لديهم من « المعرفة الصناعية والفنية التى يحصلها الاوروبى ويجهلها المصرى » . ولكونهم يتمتعون « بالاخلاق والتربية التى لا غنى عنها لاصلاح الاحوال وترقية مصالح الامة فى بعض الوظائف » (٥٠) .

فوكيل المالية (ملتر) ، تعتبر (المقطم) خروجه من خدمة الحكومة المصرية خسارة فادحة ، نظرا للمحبة والانسجام بينه وبين كافة العاملين معه الذين « اجتذب اليه أفئدتهم واكتسب ثناءهم جميعا بدمائة اخلاقه وحسن اوصافه وصدق اخلاصه » (٥١) . ووكيل الأشغال العمومية (مونكرىف) تحزن الصحيفة لمغادرته البلاد ، لما له من « الأيادى البيضاء والمآثر الحسان مدة توليه وكالة نظارة الأشغال العمومية فى القطر المصرى » (٥٢) . أما (جون سكوت) أول مستشار قضائى انجليزى فى مصر ، فقد كان « عالما بتبحرا سديد الراى واسع النظر محبوبا عند معارفه » (٥٣) . وفى نعيها لـ (بالمر) محافظ البنك الاهلى تقول (المقطم) ، انه كان « اعظم مالى فى القطر المصرى » وانه أصبح « محور حركة الأشغال المصرية وروح النهضة المالية الحالية » (٥٤) . وتعبّر عن أسفها وأسف المزارعين لفراق (جارستون) وذلك فى تلغرافات منسوبة الى

« معظم عمد وكبار مزارعى بعض المديریات » الذين يرجون تبليغه
« عظيم ممنونيتنا وأسفنا على فراقه » (٥٥) . وتودع الصحيفة
بحرارة المستر (كوكسن) مدير بنك الانجلو اجبسيان الذى له
« اليد الطولى فى اختيار عمال هذا البنك وفى تدريبهم على اتمام
الامال بالامانة والدقة » (٥٦) .

تاسعا : كرومر محور رئيسى فى الدعاية للاحتلال :

كان كرومر ، وكيل دولة بريطانيا ، وممثل الاحتلال فى مصر ،
محورا رئيسيا فى كتابات (المقطم) السياسية ، من تعليقات
ومقالات واخبار ، فهو رمز الاحتلال ، وهو الذى يدير دفة الحياة
السياسية فى البلاد ، بصلاحيات واسعة من دولته .

فتعلق (المقطم) على خبر حول احتمال ترقيته سفيرا لبلاده
فى الآستانة بأنه « طبيعى أن من خدم حكومته خدمة جليلة مثل خدمة
جناب السير بارنج (كرومر) تنتظر له الترقية والمكافاة » (٥٧) .
وتنوه « بليلة أنس » اقامها فى منزله بأنها كانت « ليلة راق
صفاءها وشاق بهاؤها حتى تنهى الليل وخرج المدعوون يشكرون
لما شاهدوه من أنس حضرة السير افلن بارنج والطاق حضرة
اللاى بارنج قرينته » (٥٨) .

واتبعت (المقطم) عادة نشر تقارير المعتمد البريطانى التى
يرفعها سنويا الى وزير خارجيته عن مجمل الاحوال فى مصر ، ثم
عن مصر والسودان بعد ذلك ، مع تعليقات من الصحيفة حول بعض
النواحي التى تناولها التقارير . وتقول عن تقرير عام ١٨٩٠ انه
وقع « موقعا عظيما عند عقلاء المصريين وودوا لو تيسر لهم حفظه
ولذلك رغب الينا جماعة منهم فى طبعه على حدة فلبينا الطلب » (٥٩)
وبدات تنشر الاعلانات المختلفة عن تقارير كرومر ، التى تقوم

بترجمتها الى العربية وطبعها. وتوزيمها بثمن زهيد مع تقديمها
للمشتركين مجاناً .

وتمتدح (المقطم) كرومر بشيء كبير من المبالغة عن صدقه
ونزاهته « لأنه لا يقول الا الحق ولا يفعل الا الحق » . وتزعم أنها
تفقل اقوالا عن بعض الانجليز في مصر بأن « أكثرهم غير راض
عنه ، ويقولون انه يضحي بحقوق الانجليز لأجل المصريين » (٦٠) مع
ما في ذلك بالطبع من التمويه وعدم التزام الصواب . وعندما يحصل
(بارنج) على لقب اللورد من حكومة بريطانيا « اعترافاً بتمام ثقتها
به واعتمادها عليه ورغبتها في مكافأته على ما استحقه بعلو همته
وعظيم عنانيته وحكمة سياسته » تهنئه المقطم بحرارة ذاكرة « ما له
من الأيادي البيضاء في هذه الديار » (٦١) . وتشير الصحيفة الى
تغيير اسمه من بارنج الى كرومر نسبة لأملاك يمتلكها في بلاده
يقال لها كرومر (٦٢) . وتنفي (المقطم) اشاعة عن نقل كرومر من
مصر واحتمال تعيين (أوكلند كلفن) مكانه ، وتقرر انه « سيبقى
في هذه الديار الى ما شاء الله » (٦٣) . وتنتشر (المقطم) ترجمة
كاملة لحياة اللورد كرومر ، نشأته وتعليمه والرتب والنياشين التي
حصل عليها وذلك « ليطلعها حضرات القراء ويعلم الذين لم يعلموا
منهم مكانة جناب اللورد المشار اليه في بلاده واعتباره في عيون
قومه » (٦٤) .

وتبالغ (المقطم) في حديثها عن دور كرومر في مصر فهو
برأيها « أعظم من وضع أساس الحرية في هذه البلاد وضرب على
يد الظلم والاستبداد وأعان على اخراج الاصلاح بمصر من القول الى
الفعل وحقق كثيرا من آماني المصريين » (٦٥) . وتحدث (المقطم)
عن قصيدة كتبها المستر (جبراي) بعنوان (طيف الحرب) وقد
صدرها بمقدمة الى اللورد كرومر لأنه « هو الذي اجتمعت فيه آمال
بريطانيا العظمى ، كما اجتمعت فيه مخاوفها بالنظر الى مركزه الفريد

بين مراكز أبناء هذا العصر ، وجبه اليائس لوطنه وجبره على
صمود مصر « (٦٦) .

وعندما كان موضوع مستقبل السودان مطروحا على بساط
البحث ، وقبل عقد الاتفاقية المشهورة بأيام قليلة ، تجيب (المقطم)
عن تساؤلات السائلين عن مستقبل السودان بقولها : « ائستحيل
علي عقل فاق عقول معظم اهل مصر ، مثل عقل اللورد كرومر
وادارة حيرت ادهى ولاة الامور في كل قطر مثل ادارته استنباط
امر لم يجبر عليه الاوائل ولم يهتد اليه الاواخر ؟ » (٦٧) . وكانت
اتفاقية السودان التي وقعها كرومر وبطرس غالي ، وقد دافع هذا
الاخير حياته ثمنها لها كما قال الخديوي عباس في مذكراته .

وجينيا يجار (حافظ ابراهيم) في قصيدة له بالشكوى من
غلاء الاسعار تحيل (المقطم) الشكوى الى كرومر للنظر فيها بصفتها
« مصلح مصر العظيم » ولن يعجزه حلها لانه « اعظم ادارى ساس
البلاد في هذا العصر » (٦٨) .

وعندما اقيه كرومر من منصبه ، ودعى من جانب حكومته
للمعودة الى لندن ، حزنت (المقطم) ابلغ الحزن واشده ، فتصعب
وقع نبا (الاستعفاء) بانه « انقض انقضااض الصاعقة على هذه
العاصمة » (٦٩) . هذا النبا الذى « رج الأرض رجا وكاد أن يمس
الجبال بسا فيجعلها هباء منبثا . نبا لو وقع على السماء لانطمرت .
وعلى الكواكب لانتثرت . وعلى البحار لفجرت . نبا شخّصت
من هوله الابصار . وبلغت القلوب الحناجر . وخشمت الاصوات
فلا تسمع الا هيسا » وتخطب كرومر باننا « مقيمون على ولائك
ومرتلون آيات آلائك . في البعد اضعاف اضعاف ما كنا في
القرب » (٧٠) . فكرومر الذى تلقبه (المقطم) دائما بالمصلح العظيم
له فضل على مصر « راسخ في تاريخ الدهور رسوخ اهرام مصر

على من العصور» وأنه « إذا قلنا اليوم أن أعمال كرومر في مصر أعظم من أعمال باني الأهرام وأعظم من أعمال رمسيس أكبر الفراعنة ، وأعظم من أعمال بونابرت ومحمد علي ، حسب أكثر القراء أن ذلك من مبالغات الشُّعراء التي يعتمد عنها المؤرخون » (٧١) .

وتنشر كلمة من هذا القبيل لمحمد وحيد رئيس الحزب الوطنى الحر يودع فيها أول مصلح لمصر وأول مشيد للعدل فيها وأول مؤسس لأسباب الرخاء في ربوعها (٧٢) . ثم تنشر (المقطم) الوقائع الكاملة للاحتفال الذى اقيم في الأوبرا الخديوية لوداع كرومر (٧٣) . وتعلق على خطبته التي القاها بالمناسبة بأنها « أعظم خطبة سياسية خطبت في الديار المصرية » (٧٤) . وعندما وصل إلى بلاده عائدا من مصر قالت (المقطم) انه استقبل استقبال الملوك والقيصرة (٧٥) .

عاشرا : بريطانيا .. القوة والعظمة واتساع الثروة :

وكثيرا ما عزفت (المقطم) على نغمة قوة بريطانيا واتساع ثروتها فهي أمة « لا تجارى في حلبة الحضارة ولا تبارى في الثروة والهمة والتجارة ولم يسمع في العصور الغابرة ولا الأزمان الحاضرة أن أمة من الأمم سادت كما سادوا أو شادت في بناء الاجتماع الانساني كما شادوا » (٧٦) .

وترى (المقطم) أن ما تنفقه الحكومة المصرية على جيش الاحتلال يعتبر مبلغا زهيدا لا يجوز الاعتداد به أو ذكره لأن المصالح المالية التي تقدر قيمتها بمشترات الملايين من الجنيهات لا يجوز أن يذكر بجانبها « مائة ألف جنيه ومائتا ألف جنيه ، وأن الرجل الواحد من الانجليز يهب هبة واحدة تقدر بمئات الألوف من الجنيهات ، كما

هو معلوم ومشهور « (٧٧) . وهى بذلك تريد اظهار الانجليز بمظهر الكرم .

وتدعو الصحيفة المصريين الى الاقتداء بالانجليز ومناظرتهم فى « الفيرة على مصالح الحكومة والامة وعفة النفس والاستقامة وطهارة الذمة » (٧٨) . وتتضح من ذلك سياسة (المقطم) فى الطعن على اخلاقيات المصريين وحاجتهم الى من يعلمهم عفة النفس . اما الانجليز الذين تنطق باسمهم فى مصر فانها لم تجد « اى امة اكرم منهم اخلاقا واسلم منهم جوارا » (٧٩) . ومن هنا كان على مصر ان تخضع لهم فى رأى (المقطم) لانهم « امة اعظم منا واقوى وحجتهم ان احتلالهم قد متع هذه البلاد كثيرا بالاصلاح الذى تم فيها ولم يضرها قط ، فلا وجه لمصر ان تتظلم منهم وهم يدفعون الظلم عنها ويعملون لخيرها » (٨٠) .

وبريطانيا هى « الامة التجارية » فقد « اشتهرت الامة البريطانية بكونها امة تجارية وامتازت على سائر الامم فى ذلك » . ولذلك فانها تحكم « ربع المسكونة بحكمتها واتساع تجارتها » (٨١) . وبريطانيا هى « مالكة البحار وربة الاستعمار ، فقد استوثق لها الامر ودان القدر ، ولم يبق لها منازع تهابه ولا مزاحم تخشاه » (٨٢) . وعلى اثر زيادة جنود الاحتلال بعد حادثة (طابا) ، تقول (المقطم) ان هذه الزيادة وقتية ، ومن قبيل « الاحتياط وتنبية الغافل » لان « سلطنة البحار لها فى كل بقعة جيش جرار فلا يتوهم ان نقل الجنود يعسر عليها من اقصى الارض الى اقصاها » (٨٣) .

حادى عشر : ملوك الانجليز فى اعلى منزلة لدى المقطم :

ومادامت بريطانيا هى الدولة المحطة ، ومادامت (المقطم) هى جريدة الاحتلال فانها لا تفتأ تنشر كل ما يتعلق بالملوك الذين تعاقبوا على الحكم فى بريطانيا وكذلك امراء الانجليز وكبرائهم

وكانت أكثر احتناء بالملكة فكتوريا التي كانت متربعة على العرش في بريطانيا عندما صدرت (المقطم) ، فكانت أخبارها وأعيادها موضع اهتمام (المقطم) ، فهي تنشر خطابها في مجلسين الأعيان والنواب في لندن (٨٤) . وتنشر وصفا كاملا لاحتمال الجنود الانجليز في مصر بعيد ميلاد الملكة واستعراضاتهم في ساحة عابدين (٨٥) . بالإضافة الى الاحتفالات بعيد جلوس الملكة (٨٦) . وتنشر (المقطم) كشفا بأسماء الضباط الانجليز الذين أنعمت عليهم الملكة فكتوريا بالرتب والنياشين لاشتراكهم مع الجيش المصري في الحملة السودانية (٨٧) . وبمناسبة يوبيل الملكة تنشر (المقطم) تقريراً وافياً للإنجازات التي تمت في عهدها بالإضافة الى قصيدة تهنئة من نظم الشاعر أسعد داغر (٨٨) . وعندما توفيت الملكة فكتوريا نعتها (المقطم) بشكل مؤثر ، وصدرت وصفحتها الأولى مجللة بالسواد ، تعبيرا عن حزن الصحيفة على ملكة الانجليز ، ونشرت تفاصيل حياتها وتعليمها ومنجزاتها وقصيدة رثاء لها من نظم الشاعر حافظ إبراهيم يقول فيها :

« أعزى القوم لو ستمموا عزائي
واعلمن في ملكتهم رثائي
وادعوا الانجليز الى الرضاء
بحكم الله جبار السماء
أعزى فيك تاجك والسريرا
أعزى فيك ذا الملك الكبير
أعزى فيك ذا الأسد الهضورا
على القلم الذي ملك الدهورا » (٩٨)

وتابعت (المقطم) تعبيرها عن الحزن والأسى بفقدان الملكة التي « سادت على قلوب شعبيها بمزايا حكمها . فإذا ذكرت الفتوحات

وضخامة الملك كان الاسكندر وقبصر ونابليون بونابرت دونها كثيرا
لانه لم يحكم احد منهم على ربع اهل الأرض مثلها ولا أنشأ سلطنة
لا تغيب الشمس عنها مثل سلطنتها « (٩٠) » .

وعندما جلس الملك ادوارد السابع على عرش بريطانيا بعد
وفاة امه رحيب (المقطم) بجلوس « ملكنا النبيل القدير ادوارد
السابع » على سرير الملك فى بريطانيا ، ونشرت وقائع حفل
الجلوس (٩١) . وقدمت الصحيفة ترجمة لحياته واثارت الى انه
بتربع على عرش « اوسع ملكة واضخم ملك ارتقى اليه ملك من
بدء العالم الى هذا اليوم » (٩٢) . وعند الاحتفال بتتويجه قالت
(المقطم) انه « اول ملك توج فى العالم ورعاياه يبلغون ٤٠٠ مليون
فناقوا على الأصح رعايا سلطان الصين » وان جميع هؤلاء
الرعايا يجب أن يعيهم الفرح والسرور بهذه المناسبة « وأولهم
بلاشك ولا ريب جمهور عقلاء المصريين » الذين رأوا أن بلادهم
وما تتمتع به « من العدل والحرية والراحة والاطمئنان » ، انها
يعود الفضل فيه « لرجال الملك الذى يتوج الآن . ادامہ الله للعدل
والحق والحرية سندا وزاده قوة وعزا ومجدا » (٩٣) . وفى العدد
نفسه تنشر قصيدة بعنوان (التاج والقمر) للشاعر حافظ ابراهيم
تفنى فيها بالتاج وصاحبه . وقصيدة ثانية للشاعر أحمد نسيم
بعنوان (قول مصر فى صاحب التاج) تضمنت افكارا مماثلة .

٢ - الدعاية غير المباشرة :

ومارست (المقطم) ايضا دعاية غير مباشرة للاحتلال . ومن
ذلك الدعوة لتعلم اللغة الانجليزية لغة المحتلين ، والدعوة للاتحاق
بالمدارس الانجليزية التى تخرج العلماء والمطباء ، والدعوة للكتب
المؤلفة عن الانجليز فى بلادهم او عن احتلالهم لمصر . وكذلك
الإشادة المستمرة بأصدقاء الانجليز من المصريين والدعوة للسير

على سياسة المعتدلين الذين لا يرفضون التعاون مع الاحتلال ،
واستخدام أسلوب المقارنات بين الاحتلال الانجليزى وما جاء به
فى رايها من عدالة وحرية وأمن ورفاهية لمصر ، والظلم
والاضطهاد والاستبداد الذى تعيشه الولايات التركية تحت الحكم
الحميدى . فقد كانت اوضاع الدولة العثمانية المهترئة عاملا فعلا
فى تنشيط دعاية (المقطم) الاحتلالية . وكذلك المقارنات بين
اوضاع مصر تحت الاحتلال الانجليزى واوضاع تونس والجزائر
تحت الاحتلال الفرنسى . وذلك ردا على موقف فرنسا من الاحتلال
الانجليزى وسميها فى بعض المراحل لوضع حد له . ويدخل فى
الدعاية غير المباشرة ايضا اللجوء الى لغة الادب باعتبارها فنا
يلانم اذواق العصر فكانت تستخدم أسلوب الرواية الهزلية بما
فى ذلك من الحوار التمثيلى الذى يشد الانتباه . وكذلك الشعر
باعتباره فن العربية الاول يقبل عليه القراء برغبة ونهم .

اولا : الاتسادة بأصدقاء الانجليز من المصريين :

تبدى (المقطم) اعجابها بفخرى باشا الذى يتعاون مع
الاحتلال وهو وزير للأشغال العمومية ، لانه آمن بنفع المحتلين
لبلاده ، وتهاجم الصحافة الوطنية التى تنتقده « كأنه هبط فى
اعتبار المعارضين هبطة واحدة من قمة النهضة الوطنية الى فخر
خيانة الأمير وخدمة المحتلين » (٩٤) . وتعتقد (المقطم) ان فخرى
باشا يتعرض لهجوم المعارضين لمجرد قبوله الوزارة ، فماذا
سيكون الحال « لو سار مع المحتلين بالحب والاتفاق فى انجاز
الاعمال واتمام الإصلاح » وتجيب عن تساؤلها بأنه سيكون موضع
الانتقام من جانبهم (٩٥) .

اما عهد وزارة مصطفى فهمى فهو عهد النور الذى يليق
« بأمة متمدنة مصلحة محبة للنور وكارهة للظلمة » (٩٦) . فهذا

الوزير في اعتبار المقطم « رجل عاقل ينظر الى بعيد ويدرك عواقب الأمور . فقد رأى بثاقب بصيرته منذ عهد قديم ان مسالة المحتلين ومعاونتهم على الاصلاح اصلح للوطن وأنفع للأمة فاختار السياسة التي اختارها جمهور العقلاء بعده لأنهم راوا وجه الصواب فيها وتحققوا النفع لأنفسهم ولوطنهم منها فكلهم يمدحه اليوم عليها وينسب اليه الفضل العظيم فيها » (٩٧) . وتودعه عند استقالته بالثناء على عهد وزارته التي « دامت ثلاث عشرة سنة تماما ورات مصر في أيامها ما رات من دلائل الاصلاح والتقدم وتمتعت بما تمتعت به من سنى الرخاء والرفاه » ، أما هو فيمتاز « بيسموه أدبه وكرم أخلاقه وشرف صفاته » (٩٨) .

أما محمد سعيد رئيس النظار الذي خلفه وزارة بطرس غالى ، فان (المقطم) ترى ان نسب منحه وساما من ملك الانجليز جاء تقديرا لما اظهره من « المقدرة والكفاءة وحسن السياسة » وانه « ازال سوء التفاهم من بين الملقاة اليهم مقاليد الأمور ، ووفق بين المختلفات ووجهها الى الغاية الوافية بحاجات البلاد » وكان أقوى عامل في اسكان ربح الفرور » (٩٩) . وتتصد (المقطم) من ذلك الاشادة بسياسة القمع التي مارسها محمد سعيد ضد الحركة الوطنية وضد قياداتها .

ثانيا : الاشادة بسياسة العقلاء والمعتلين :

كانت (المقطم) تركز في العديد من مقالاتها وتعليقاتها على فئات العقلاء الذين لا يرفضون التعاون مع المحتلين . وذلك بعد ان أدركوا مقاصدهم . فهؤلاء العقلاء في اعتبار الصحيفة أخذوا « يشيرون على أبناء وطنهم بمسالة المحتلين ومحاسنتهم لحسن مقاصدهم وبمجاراتهم على الاصلاح لأن الفرض منه ترقية مصر وخير المصريين » (١٠٠) . وترى ان الخير معقود على سياننة

العقلاء ، فإن « معظم الفضل فيما نمتع به وما تشكر عليه من نعم الراحة والخيرة والتقدم والإصلاح هو لحكومتنا الجامعة بين عقلاء الوطنيين وحكام المحتلين » (١٠١) . من هنا كان ترحيب (المقطم) بالتغيير الذى حدث فى سياسة صاحب (المؤيد) فهو قد « اعترف بالصدق وشهد بالحق وأخلص النصح لبنى وطنه » . وبذلك يكون قد « اختار الصواب واكتسب مدح العقلاء » (١٠٢) .

وكان للشيخ محمد عبده خطوة كبيرة لدى (المقطم) بعد أن ابتعد عن الاشتغال بالسياسة واتجه الى الإصلاح الاجتماعى عندما عاد من منفاه ، فهى تنقل عن الجسراند الانجليزية أخبار زيارته للعاصمة البريطانية والاستقبالات الحافلة التى جرت له وأنه « اثنى على الانجليز شاءا جنيلا وسر بزيارته لبلادهم سرورا كثيرا » (١٠٣) . وتبتهج (المقطم) لتعيين فتحى زغلول وكيلا للحقانية ، وترى أن « ضمن » مصطفى كامل عليه لم يزد الا تقدما (١٠٤) .

أما سعد زغلول فانها امتدحه بعد أن اختير ناظرا للمعارف وذلك « لما امتاز به من كبر العقل وعلو الهمة » بالإضافة الى « ذكاء العقل وقوة المعارضة » (١٠٥) . ونرى أن كرومر اختاره لأنه من تلك المدرسة « التى كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها » والتى تميل الى الإصلاح وترقية البلاد ، ويرغب كرومر بتقليدهم « المفاضب السامية » فوقع اختياره على « ابنخ رجل منهم لأول منصب اقتضت الحال تقليده لشخص خاص به وهو متصب نظارة المعارف » وترى (المقطم) أيضا أن سعد زغلول هو الانسان الذى « يقصد خير وطنه وأرتقاء أمته قبل كل شىء وفوق كل شىء » (١٠٦) . وذلك ضد ما يراه الوطنيون من أنه سيعبر عنهم وعن عواطفهم .

ثالثا : الدعاية للمدارس الانجليزية :

وتحت (المقطم) اولياء الامور من المصريين على ارسال ابنائهم التلاميذ ، للتعليم فى المدارس الانجليزية وخاصة مدرسة (بورتسموث) ، وتدل على صواب دعوتها بما ارسله بعض الطلبة الذين يدرسون فيها يثنون « اطيب الفناء على نظامها وما شاهدوه فى اربابها من الانس والاکرام والاهتمام بأمرهم » وأن هذه المدرسة قد تخرج فيها « نخبة رجال انجلترا المقيمون فيها والمتغربون عنها . فحسب أهالى هذا القطر أن يعلموا بعض ابنائهم فى مدرسة يتعلم فيها أبناء القابضين على تجارة المسكونة ومنهم امر صناعها واكبر ساستها » (١٠٧) .

رابعا : الدعاية للغة الانجليزية :

وتتحدث (المقطم) عن ضرورة تعلم اللغة الانجليزية ، لغة الدولة المحتلة ، وتبدى سرورها من تعلم أبناء الأعيان لها ، وبكونها مما لا يستغنى عنه عند فريق كبير من المصريين وأنه « اذا دامت الحال على هذا المنوال فلا يضى بضع سنين حتى تعم وتحل محل اللغة الفرنسية . ولذلك فالحكيم من استعد للانتفاع بها قبل أن يسبقه غيره الى منافعها » (١٠٨) . فهى من « أوسع لغات البشر وأكثرها انتشارا لأنها لغة شعبين عظيمين راقيين أعلى مراقى المجد فى هذا العصر ، وهما الشعب الأمريكى والشعب الانجليزى » (١٠٩) .

خامسا : الدعاية للكتب المؤلفة عن الانجليز :

وهذه طريقة غير مباشرة فى الدعاية للاحتلال ، بواسطة الاعلان عن الكتب التى تتحدث عن الاحتلال الانجليزى لمصر أو عن الانجليز فى بلادهم ، ومن ذلك ما أعلنت عنه (المقطم) بعنوان

(رواية تحفة العصر أو الانجليز فى مصر) . ويقول المؤلف (اسكندر شاهين) فى اعلانه عن كتابه انه تناول فيه « ما كانت مصر عليه وما صارت اليه وما تم من الاصلاح فيها فى حكم سمو الخديو الحالى ، وما نتج عن احتلال الانجليز لمصر » . وذلك على « سبيل الرواية بحيث لا يترك القارئ الكتاب حتى ياتى على آخره حبا بمطالعة هذه الرواية الشبيهة « ١١٠ » . وتدعو (المقطم) الجمهور الى اقتناء الكتاب الذى الفه (بشارة أفندى كنعان) وعنوانه (العلم الانجليزى) فانه « من افضل الكتب الجامعة لكل ما تهتم معرفته من احوال الأمة الانجليزية التى أدهشت العالم بصفاتها الادبية كما أدهشته بقوتها المادية » (١١١) .

سادسا : نشر اليأس من تحقيق الأمانى القومية :

وتعالج (المقطم) قضية استقلال مصر ، الذى تسعى له الحركة الوطنية ، بأسلوب بث اليأس فى النفوس وتثبيط الهمم ، وبيان ان لا فائدة من كل ما يقال تحت هذا البند . وهى ترى ان الأجدر بنا « ان نتذكر ما مضى ولا نفتر ببهرج الاستقلال الذى يزينونه لنا اليوم لئلا نعود الى ما جرى لنا منذ أعوام ، اذ تسطير شروط الاستقلال ونصوصه من الهنات الهينات . أما الوصول اليه فمسير ولا يتم فى هذا السبيل » (١١٢) . وترتفع نفمة القنيس لدى (المقطم) فى تناولها للمسألة المصرية فتقول : « قلنا منذ سنة ونصف ان باب المسألة المصرية قد أقفل الى ما شاء الله وقلنا منذ نصف سنة ان انجلترا لا تقبل كلاما فى الجلاء ولو بعد خمسة وعشرين عاما . ومن يعيش ير والايام مقبلة » (١١٣) .

سابعا : الموقف من الخديوى عباس فى ضوء علاقاته بالاحتلال :

بعد ان تسلم الخديوى عباس حلمى مقاليد الحكم عقب وفاة والده توفيق ، اتسمت مواقف (المقطم) تجاهه بسمات متباينة ،

حسبها كان يديه من مواقف ازاء الاحتلال البريطاني ، سواء ، كانت لينة أو متشددة فهي تثنى عليه ساعة لينة أو خضوعه لاوامر المحتلين . وهي تهاجمه بضراوة عندما تظهر منه بوادر التمرد على الاحتلال واثبات وجوده كحاكم للبلاد .

وقد حرصت الصحيفة منذ البداية على تطويعه للاحتلال وعدم خروجه على الدائرة التي ظل يحوم بداخلها والده ، فهي تصف لقاءه الأول مع المعتمد الانجليزى بارنج (كرومر) بأنه كان وديا وان العميد لقي منه « ما ايد ظنه وظن سائر الذين قابلوا سموه من النجاسة والذكاء والملاطفة والمجاملة » (١١٤) . وكانت تحرص على التاكيد على الاتفاق التام بينه وبين المحتلين الذين هم « أشد الأجانب حرصا على تاييد سلطة الجنب العالى واعتبار كلمته فى مملكته » (١١٥) .

وبعدما تم التوصل الى حل للمشكلة الوزارية المشهورة ، مشكلة اقالة الوزارة الفهمية ، التي كانت اولى بوادر التمرد لهذا الخديوى الشاب ، التي احبطها الانجليز بسرعة فائقة ، تشيد (المقطم) « بحكمة سمو الخديوى المعظم ورجاله الامناء وقد اطمانت الخواطر وفاضت عواطف الحب والولاء للجنب العالى من قلوب الرعية » (١١٦) . وعندما وقعت حادثة الحدود فى العام التالى ، التي وجه فيها الخديوى نقدا عنيفا للضباط الانجليز ، طالبت (المقطم) بضرورة « التروى والنظر فى عواقب الأمور » ، لكى يتم حل المشكلة وفق ما يرتئيه عميد الاحتلال ، الذى اصر على أن يتراجع الخديوى عن موقفه باصدار أمر يثنى فيه على الضباط الانجليز . وكانت هذه النتيجة وهذا الخضوع فى عرف (المقطم ، داعيا الى « الاستبشار بزوال الاشكال وتوطيد الاتفاق على ما به الخير لمصر فى الحال والاستقبال » (١١٧) . ذلك أن الواجب فى

نظرها يقتضى « الاتفاق التام مع المحتلين لأن محاربتهم لا يمكن أن تجدى نفعا وأنهم قادرون على التعامل مع كل الظروف » (١١٨) .
وهذه نسمة تهديدية للخديوى ، حتى لا يعاود التصدى لرجال الاحتلال .

وانسجما مع منهج الصحيفة ، فإنها ترى أن خديوى مصر « مرعى الحدود محفوظ المقام » . ولكن ذلك يظل رهنا باتباعه « السياسة القديمة وزيادة الاختبار على توالى الأيام » (١١٩) .
وفى هذا تحذير له بعدم مجابهة المحتلين . وتبتهج (المقطم) لاضطرار الخديوى الى التسليم للاحتلال بعد حادثة (مشودة) واتفاقية السودان ، فتقول ان علاقته مع الانجليز تنسم « بالاتفاق والوثام » (١٢٠) . وتلمس (المقطم) تقربا اكبر من الخديوى للمحتلين ، حيث كان يسير فى سياسته وفق ما تقتضيه مصلحته الشخصية ومصلحة حكمه ، فهو « يقدر صداقة الدولة المحتلة قدرها ويشكر لها حسن صنيعها ولذلك أعلن عزمه على زيارة ملكها » (١٢١) .
وبتأثير سياسة الخديوى فى التقرب من الاحتلال ، واغتيال (المقطم) بذلك ، تنشر الصحيفة بأسلوب ادبى رائق وصفا للاحتفالات التى أقيمت بمناسبة عيد الجلوس الخديوى (١٢٢) . ولأن (المقطم) تدرك حقيقة سياسة الخديوى المتقلبة ، فإنها تذكر بضرورة عدم الالتفات الى ما تكتبه الصحافة الوطنية حتى لا يفقد عرشه ، فان عذه الصحافة « تركبه أخشن مركب بين قومه فاذا جرى عليها وقاوم الانجليز خاطر بمقامه وسلطته » (١٢٣) .

ثامنا : موقف (المقطم) من رياض باشا :

وكانت (المقطم) ترى فى وزارة رياض باشا التى صدرت فى عهدها ، منبعا للخير والاصلاح ، فتدافع عنها بكل ما تملك من جهد ، وتنفذ ما تتعرض له من هجوم الصحف الأخرى ، لانه

كان يسير على طريقة أميره توفيق ، ولا تبدو منه بادرة اعتراض على المحتلين .

فهى تنشر العديد من قصائد المديح لرياض باشا « وزير مصر الأكبر » ومنها قصيدتان (لحمد أفندى عفت ، وحسن أفندى المدرس) (١٢٤) . وقصيدة بمناسبة « النشان » الذى أنعمت به عليه ملكة إنجلترا (١٢٥) . وتنفذ (المقطم) الدعاوى القائلة بقرب استقالة الوزارة الرياضية فهذه « أراجيف بعيدة عن الصحة » وأنه اذا كان هناك بعض الخلافات بينه وبين الوكالة البريطانية فان ذلك « لابد منه بين كل قوم يدبرون مهام الأمة ويبحثون عن خير البلاد » (١٢٦) . وتهاجم (الأهرام) التى تنكر « فضل الوطنى الشهير دولتو رياضى باشا الوزير الخطير » (١٢٧) . الذى يقود وزارة تعتبرها (المقطم) « وزارة انجاح واصلاح » وأن ذلك ما « يعترف به المراقبون » ولكن « ينكره المكابرون المعروفون » وأن « الجميع متفقون على اصلاح البلاد ولو كره المعارضون » (١٢٨) .

كان هذا الموقف للمقطم من رياض خلال عهد الخديوى توفيق ، ولكن الوضع يتغير فى عهد عباس الذى بدأ يسعى منذ توليته لتظليل سطوة كرومر واثبات شخصيته هو كحاكم لمصر . فتصبح الوزارة الرياضية التى تسلمت الحكم فى عهد عباس بغيضة للمقطم ، لأنها اتخذت بعض المواقف المعارضة للاحتلال وأيدت العناصر والأصوات الوطنية . فترى (المقطم) أن « المصريين لا يكرهون المحتلين ولكن الحكومة ترهبهم وترعبهم بها لديها من الوسائط اذا أظهروا حقيقة أميالهم » . وأن الوزارة بهذا المسلك قد « أسخطت الأهالى قبل سواهم » (١٢٩) . وهى تدعو الوزارة الرياضية الى عدم اغتصاب الدولة المحتلة ، لما ينتج

عن ذلك من آثار ضارة على الأمة المصرية (١٣٠) . وذلك لأن « سياسة المجاعة والمعارضة للمحتلين تعود بالضرر على مصر من كل وجه ولا تنفعها بوجه من الوجوه » (١٣١) .

تاسعا : الاستبداد التركي والعدل الانجليزي :

كان ضمن أهداف (المقطم) في ان تخلو الساحة المصرية للانجليز ، ان تعمل على تحطيم السيادة العثمانية على مصر ، التي كانت سيادة اسمية ، وبقيت كذلك بعد وقوع الاحتلال ، ولكنها كانت تدرك خطرها على المدى البعيد ضد الوجود الانجليزي . ولم تحاول (المقطم) الصدام في بداية صدورها مع الدولة العثمانية ، باعتبار أصحابها من الرعايا العثمانيين ، ولمسايرة الاحتلال الذي أعلن عن عدم رغبته في الانتقام من السيادة العثمانية ، ولتفويت الفرصة على الصحف التي كانت تضرب على وتر الاستعانة بتركيا لخراج الانجليز وتحقيق الجلاء .

ومن هنا كان حرص (المقطم) على التأكيد على صداقة الدولتين العثمانية والبريطانية « فانتصار انجلترا للدولة العلية واتحادها معها في حرب القرم أشهر من نار على علم » وأن « انجلترا هي الدولة الوحيدة التي تصدت للدولة الروسية في حربها الأخيرة مع الدولة العلية وتوعدتها بالحرب في أربع وعشرين ساعة اذا دخلت جيوشها الآستانة » . وهذا « بعض ما يشهد به التاريخ عن تقادم عهد الصداقة والوداد بين الدولة العلية والدولة البريطانية » (١٣٢) . فالدولة الانجليزية هي أصدق الدول في صداقتها للدولة العثمانية « وأرغبها في تعزيز شوكتها » وترى أن احتلال الانجليز لمصر « زاد سيادة الدولة عليها ووصلتها فيها قوة وتأييدا » (١٣٣) . وتنفى (المقطم) « جملة وتفصيلا » الاشاعات التي ترددت في الآستانة من أن الخديو « قادم ليبحث شكواه الى

الحضرة السلطانية ، ويسأل الدولة العلية أن تسعى فى اخراج انجلترا عن مصر «(١٣٤) . فان الدولة العلية لا تكن للانجليز غير الاخلاص والمودة . ودليل المقطم على ذلك استقبال السلطان العثمانى للأميرال سيمون « المشهور بضرب الاسكندرية بمقابلة لم يقابل الامراء والملوك بمثلها » ، فكيف تخص الآستانة بهذا الاستقبال « الأميرال الذى دك طوابى الاسكندرية ، لو كانت ناقمة على انجلترا بسبب احتلالها الديار المصرية ؟ »(١٣٥) .

ولكن (المقطم) تنتقل الى مرحلة الهجوم على الدولة العثمانية وعلى استبداد السلطان وحكومته وخفتها للحرية . وبدأت تنشر سلسلة من المقالات تتضمن الهجوم ضد الدولة والسخرية من السلطان عبد الحميد . وفى مقالة بعنوان « الملكان المطلقان » ، وتقصّد بهما السلطان العثمانى وقيصر الروس ، تقول عن السلطان عبد الحميد « انه من شدة خوفه على نفسه لا يبيت فى مخدع ليلتين متواليتين »(١٣٦) . وتعلن عن كتاب بعنوان « ما هناك » جمعت فيه ما كتبه من مقالات ضد الدولة العثمانية ، وذلك لكن يتسنى للقراء « كشف حقيقة افعال الدولة العلية واحوال السلطنة العثمانية وخفايا الما بين ودسائس المقربين »(١٣٧) . ثم تنشر مقالة ساخرة عن خصوصيات السلطان ، نومه وطعامه وحراسه وتقارير جواسيسه وخوفه المستمر من أن بدس له السم فى الطعام(١٣٨) . وتزداد هجوما عنيفا للحكومة العثمانية بسبب اساءة ولاية دمشق المعاملة لعدد من المواطنين المصريين « فالعار كله على حكومة أجمع الصادقون كلهم على أنها حكومة جواسيس ووشاة ورجال لا خلاق لهم »(١٣٩) . وتحدث عن البذخ الذى يظهره رجال الحكم فى الآستانة بينما تعد الأمة العثمانية التى يحكمونها من أفقر أهل الارض على الاطلاق(١٤٠) .

وتكتب (المقطم) عددا من المقالات تحت عنوان « علام يغبط
 العثمانيون المصريين ؟ » ، « لعثماني فاضل » ، يقول فيها ان
 العثمانيين يغبطون المصريين لما « أصابوه من رخاء العيش وهناء
 الحياة » وأنه قد آن « للحكومة العثمانية أن تنفس الخناق عن
 رعيتها وأن تمنحهم من الحرية والأمن ما يكفل لهم حفظ الحياة
 والمال » (١٤١) . وتخطب (المقطم) الحكام العثمانيين بمقال عنوانه
 « تعلموا سياسة العباد » ، وجهته اليهم من « السلطان عبدالحميد
 خان الى اصغر مأمور في حكومته » ، طالبتهم فيه بالامتداء بسياسة
 انجلترا ، وعدم الاعتماد على « جيوش الجواسيس المحشودة في
 الآستانة والمبتوثة في كل جهة من جهات السلطنة حتى في هذا
 القطر » . وتقارن بين الوضع في تركيا ومعاملة السردار
 الانجليزي (وينجت) لاهل السودان الذين « تعلقوا به تعلقا لا يكاد
 يصدق وجعلوا يتوسمون فيه الخير والسعد حتى صاروا يلقبونه
 بابى السعد » (١٤٢) .

وتدعو (المقطم) الحكام العثمانيين الى التشبه بالانجليز في
 فتح المجال لحرية الصحافة فالانجليز يظلون الصحافة « بظل
 عنايتهم وحمايتهم احلالا اقام الصحافة واعترافا بفضائل الحرية
 واحتراما لأرباب الأقلام » (١٤٣) .

وتقارن (المقطم) بين وضع مصر وأوضاع غيرها في الولايات
 العثمانية وخاصة سورية « فسبحان من قسم الحلو فقسم لهذا
 القطر حظ التقدم والسعادة والارتقاء ، وقسم لسيائر الاقطار
 العثمانية حظ التأخر والويل والخراب » (١٤٤) . فمصر في عهد
 الاحتلال تتمتع بالحرية ، وهذا ما يؤكداه المصريون الذين يذهبون
 للاصطلياف في سوريا ، فهم « لا يكفون عن التحدث بالحرية التي
 يتمتع بها أهل مصر ويعيرون اخوانهم سكان سوريا لسكوتهم على

الضيم والذل والظلم الذى يسومهم اياه حكامهم الطغام « (١٤٥) .
وتعقب الصحيفة على ما قاله (اللواء) عن قوة تركيا منسوباً الى
(المختار الفازى) بأن « ما قاله قصد الارهاب بما يرهب الساذج
منه ولا يعتد بالخبر العارف به . ومن فى الناس اخبر من الانجليز
بحقيقة احوال تركيا وما فعلت بها الحكومة الحميدية « (١٤٦) .
وتستنكر (المقطم) قول مصطفى كامل عن « اهتضام الانجليز
لحقوق المصريين » لأن الانجليز كما تقول (المقطم) اثروا مصر
وزادوا ثروتها ، اما الترك اصدقاء مصطفى كامل فهم جماعة من
الطفاة البغاة (١٤٧) .

عاشرا : الهجوم على فرنسا لصالح انجلترا :

ونكى تدعم حجة انجلترا فى احتلالها لمصر ، ولكى تفتح
الطريق امام كل ما تنتوى اجراءه فيها من اعمال ، كانت (المقطم)
تجهد نفسها بالهجوم على فرنسا ، لأنها المنافس الرئيسى الخطير
لانجلترا فى مصر وفى منطقة البحر الابيض المتوسط ، وكانت
(المقطم) تظهر زيف سياسة فرنسا المؤيدة للجلاء والمعارضة
للاحتلال الانجليزى فى مصر ، وذلك بالطبع قبل الاتفاق الودى
وما حدث من اتفاق فى مصالح الدولتين وتبادل لمناطق النفوذ فيما
بينهما .

فرنسا فى موقفها من الاحتلال الانجليزى فى راي (المقطم)
« لا تسعى الا وراء مصالحها ولو جردت لحم مصر عن
عظامها » (١٤٨) . وان « كل ما يقال عن الحب للمصريين والغيرة
على مصالحهم والرغبة فى تأييد استقلالهم ، حديث خرافة وتمويه
على عقول الأنام » (١٤٩) . وتبين (المقطم) أن كل ما تصرح به
فرنسا من معارضتها للاحتلال الانجليزى ومطالبتها بالجلاء لن يزيد
الانجليز الا تشبثا بمصر وان كل مواقنها « لم تخرج انجلترا من

مصر « (١٥٠) . وتنتقد (المقطم) بسخرية لازعة احاديث فرنسا عن تحرير مصر ، فان فرنسا « تغلل الذئس بتغيير الاحوال فى الاستقبال وانها تعد نفسها محررة لـمصر ولكن لا يعلم احد من اى رق حررتها » (١٥١) .

ولكى تبرهن على التقدم الذى افادت مصر منه فى عهد الاحتلال ، فانها تعقد المقارنات بين احوال مصر ، واحوال تونس والجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى لهما « فالكساد ضارب اطفاله فى اسواقهما الآن والزراعة متعسرة الاحوال بسبب ما الم بتونس من الجذب واصاب اراضيها من عوارض العسر . وقد كان من تأثير ذلك ان النفوس انقبضت والامال تقلصت والازمة اشدت » (١٥٢) ، وان « كل من قابل تونسيا وسأله عن احوال بلاده ووعدده ان كلامه لا يتعداه الى غيره سمع كلاما يوجع الفؤاد ويفتت الابدان » (١٥٣) . وتورد اقوالا عن الاحوال فى الجزائر وما « يساءه اهلها العرب من الخسف والعسف » على يد الاحتلال الفرنسى لها (١٥٤) .

ولكى تبين قوة بريطانيا ومقدرتها العسكرية امام فرنسا وغيرها ، تنشر (المقطم) بحثا احصائيا عن قوة الدولة الانجليزية والدولة الفرنسية ، لتخرج منه بنتيجة عجز فرنسا عن التصدى لبريطانيا والوقوف امامها فى اية مواجهة بينهما (١٥٥) .

حادى عشر : فكرة الغربى المتقدم والشرقى المتخلف :

ونشرت (المقطم) عددا من المقالات تحت عنوان « الشرقى والغربى » (١٥٦) ، تتحدث فيها عن الاختلافات فى التربية والتنشئة الاجتماعية ومناهج الحياة وطرائق التعلم التى تسسهم فى بناء شخصية كل منهما . وذلك للوصول الى الغاية التى تسعى اليها

الصحيفة ، من دعوة المصريين الشرقيين الى الافادة من حضارة الانجليز الغربيين وتقديمهم . وهى دعاية غير مباشرة للاحتلال تستخدمها (المقطم) لتدعيم خطها السياسى الاحتلالى وحملاتها الصحفية المتكررة .

ثانى عشر : اسلوب الرواية الهزلية :

وتستخدم (المقطم) اسلوب الروايات الهزلية القصيرة ، لث افكارها السياسية من خلالها ، ومنها ما جاء تحت عنوان « برج الخفاء وانكشف الستار » (١٥٧) . وابطالها « احد الاعيان . وفرنسى . وصاحب جريدة معارضة للاحتلال » . وباسلوب ساخر تهجم (المقطم) تعهدات فرنسا بعد حادثة فشودة موجهة هجومها « للفرنسى » وكان « احد الاعيان » ، كما قدمته الرواية مؤيدا للانجليز يصرخ « فلتعش فكتوريا — فلتعش بريطانيا يامسيو فشودة » . اما صاحب الجريدة فتصوره (المقطم) انسانا حزينا لفشل فرنسا ، ينسل بصمت ويتألم لانقطاع العون المادى له !

ثالث عشر : الشعر ون وسائل الدعاية السياسية :

ولعلم (المقطم) باهمية الشعر كوسيلة للتاثير فى النفوس خاصة فى ذلك الزمن الذى كان فيه الشعر بضاعة ادبية رائجة ، يتقبلها الناس بشغف وتنال لديهم الخطوة الكاملة ، لما يتميز به الشعر من موسيقى تؤثر فى عاطفة المتلقى ووجدانه ، فقد لجأت اليه ، واستخدمت فى ذلك شاعرين كبيرين هما احمد نسيم وولى الدين يكن بالاضافة الى عدد كبير من الشعراء المغمورين الذين تباروا فى مديح الاحتلال وعبيده . ولم يدعوا مناسبة تمر — بغض النظر عن حجم تلك المناسبة واهميتها — دون الاطئاب فى ذكر مناقب المحتلين وفوائد احتلالهم وعظمة بلوكتهم واهرائهم .

فهاهو أحمد نسيم يهنئ ملكة الانجليز بعيد ميلادها بقصيدة
على صفحات (المقلّم) يقول فيها :

فما حسن يوم صفت فيه قصائدى
بهـدح كرام ليس لى عنهم سـلو
وهنات فكتوريا بها بقـدومه
وبت وقلبى من هموم العنا خـلو
فيا ربة الشرقين دوى بعـزة
يجدد فى أيام ميلادك الصفو (١٥٨)

وكانت عودة كرومر من لندن بعد تضائه اجازة الصيف فيها ،
مناسبة لدى الشاعر نفسه ليططر قصيدة مفرقة فى المديح والثناء
والشكر يقول فيها :

تغربت حيناً طال كالشـهر يومه
ويارب يوم كان اطول من شـهر
نوالك فى كفى وشـكرك فى فمى
فقل لى متى اقضى حقوقك من شكرى
فلولاك لم تخطر ببالى قصـائد
ولم اتعلم فى الصبا صنعة الشعر (١٥٩)
ويهنئه بعيد ميلاده فيقول :

كرومر لا زلت خير الـورى
ولا زلت تحظى بشكرانها
بك ابتسمت مصر بعد العنا
ولاح السرور لقطانها

ورام الفبى جلاء ومسا
سواك جلاء لآحزانها(١٦٠)

وينتهز احدى نسيم الزيارة التى قام بها ولى عهد انجلترا لمصر
فى عام ١٩٠٦ ، ليكيل له المديح والاعجاب ، فهو البدر الذى تحيط
به الكواكب ، والفيث الذى يبلى جوانح مصر بالمطر .. وهكذا ..

لحت ركبك بالاجلال يقترب
وانت كالبدر سارت حوله الشهب
حللت ارضا اذا تاهت بزائرها
تبه الجلال فلا بدع ولا عجب

قد زارها الفيث فابتلت جوانحها
وهزها فى حماك السعد والطرب

يا ابن المليك انذى عزت برايته
هذى البلاد وذاك الجحفل اللجب(١٦١)

وعندما يفادر كرومر مصر بصفة نهائية ، لا تنسى (المقطم)
ان تفتح صفحاتها للشعر والشعراء ، يتبارون فى ذكر صفاته
وشماله وآثاره (الناصعة) واياديه (البيضاء) على مصر التى
جعلها كرومر بلادا تمطر الذهب كما تصور احمد نسيم فى قصيدة
الوداع الكرومرية ، وهى طويلة نقتطف منها ما يلى :

يا منقذ القطر لا ينسى لك النيل
يدا لها فى فم الاصلاح تقبيل

انا نودع فيك العرف اجمعه
وما لنا غير حسن الصبر تعليل
جعلت مصر بلادا اطمرت ذهبها
فقربها بمذاب التبر مبالول

لو كان بالناس عدل ما قضى عمر
رب العدالة فيهم وهو مقتول

فسر مع اليمين مصحوبا بادية
يخف ركبك تعظيم وتبجيل (١٦٢)

وياخذ الشاعر ولى الدين يكن مكان احمد نسيم فى مدح
الاحتلال ورجاله والثناء على ملوك الانجليز وامرائهم ، لأن نسيم
تحول عن هذا الاتجاه وبدأ يواكب الحركة الوطنية ومعاركها
بقصائده .

ويقول ولى الدين يكن فى قصيدة مهداة الى الملك ادوارد
السابع (ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند) :

فروق ومن فيها عليك يسلم
ومصر ومن فيها بتاجك يقسم

لك المتعة الدنيا التى لو سما لها
سواك انثنى عن نيلها وهو مرغم (١٦٣)

وعند وفاة هذا الملك الذى تقسم مصر بمن فيها بتاجه كما
يقول يكن ، ينهض الشاعر بقصيدة ييلفه فيها حزن النيل والاهرام
وبكاءهما عليه :

وداعا ايها الملك الجليل
دنا سفر ومهدت السبيل

ستحملك التجائب نحو ملك
كهذا الملك لكن لا يزول

وعرش ليس ترقاه المنايا
وتاج فوق راسك لا يميل

بكى (التاييز) صاحبه المئدى
فجلاوبه هنا هرم ونيل(١٦٢)

٣ - الدعاية المضادة :

وبرعت (المقطم) فى توجيه الدعاية المضادة التى تتركز فى الهجوم على الخصوم وتنفيذ دعاوى الخصوم ، لاحتباط الدعاية التى يقومون بها من جانبهم ، وكانت حريصة من أجل انجاح دعايتها على التركيز على الأشخاص بهدف عزلهم عن جماهيرهم ، وبهدف تفريدهم بحيث تسهل محاربتهم وسحب البساط الشعبى من تحت أقدامهم ، كما حدث فى الدعاية المضادة الموجهة ضد مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرها من قادة الحركة الوطنية .

وكان من أسلحتها المستخدمة فى هذا الصدد مهاجمة مواطن الضعف لديهم واللجوء الى السخرية بهم وبأعمالهم وإظهارهم بشكل لا يليق بالقادة والزعماء .

ومن أساليب الدعاية المضادة التى استخدمتها (المقطم) أيضا ، الهجوم المتواصل على الصحف المعارضة للاحتلال ، فكانت تقذفها بأقسى الاتهامات وبالفاظ مسفة . وكان هذا الهجوم المستمر صادرا عن ادراك (المقطم) لخطورة هذه الصحف على مركز الاحتلال ، وخطورة دورها فى تعبئة الراى العام ضده ، فى الوقت الذى تسعى فيه (المقطم) الى أن تكون الأرض ممهدة تماما للاحتلال ولرجالها وأعماله وأفكاره . ونقدم فيما يلى نموذجين للدعاية المضادة التى مارستها (المقطم) .

أولا : السخرية من مصطفى كامل :

كانت (المقطم) بالإضافة الى موقفها السياسى المعلن تجاه الحركة الوطنية وتجاه قيادتها ، لا تكفى بالتعليق السياسى فقط ، بل تلجأ الى أسلوب السخرية اللاذعة ، لظهار خصومها بمظهر من لا قيمة له ولا تأثير . فنجدها تهزأ بمجهودات مصطفى كامل الساعية لجلاء الانجليز فتصفه (بالهجاص) و « محرر مصر ثمرة ٢ » الى أن تقول « تم تحرير مصر وغدا يرحل اللورد كرومر » (١٦٥) . وذلك فى الوقت الذى كان فيه كرومر يتسلط على مقدرات مصر ولا تبدو فى الأفق ما يبشر بإمكان ازاحته عن موقعه .

وتقابل (المقطم) مسعى مصطفى كامل لمقابلة امبراطور المانيا بمعاونة سفير تركيا فى برلين ، لشرح وجهة نظره حول القضية المصرية ، تقابله بسخرية فتقول : « أصبح تحرير مصر أمرا لا ريب فيه » (١٦٦) . حتى وكالة (هافاس) الفرنسية للأنباء لم تسلم من هجوم (المقطم) عليها بسبب نشرها لخبر عن مرض مصطفى كامل ، فهذا يعتبر فى عرف (المقطم) من الأخبار المضحكة ولكن « الظاهر أن الذين ينتقون أخبار هذه الشركة فى باريس شبان أغرار لا يميزون بين الغث والسمين ولا يفرقون بين الأنباء التى تهم والأخبار المضحكة » (١٦٧) .

وترفض (المقطم) الدخول فى حوار مع صاحب (اللواء) واجابته عن عدد من الاسئلة التى طرحها حول الأوضاع السياسية فى مصر ، لأن (المقطم) ترى فيها « مباحكات صبيان » ، وتطلب منه أن يبحث عن غيرها لمحاورته « لأننا ان كنا نرى من الواجب علينا ان نمزق طبل هجسه فذلك لا يوجب علينا ان نجاوبه على هذيانه وهوسه » (١٦٨) . وتبلغ السخرية من مصطفى كامل مداها

عندما تقول (المقطم) عنه انه «بفدادي الأصل — كما يقولون —
وقد أصبح وطنيا فزعيبا للوطنية فحامى حوى الوطن فرييسا للأمة
فأميرا لها» (١٦٩) .

ثانيا : الهجوم على الصحف المعارضة للاحتلال :

وتستخدم (المقطم) اقصى الفاظ السباب والمهاترة ضد
الصحافة المعارضة لها وللاحتلال . فقد دارت بينها وبين (المؤيد)
معركة حول رسالة « الشيخ سليمان هزاع » التى نشرتها (التميس)
ابان فيها تأييده للاحتلال مما جعله عرضة لهجوم (المؤيد) وموضع
ثناء (المقطم) . فالمؤيد « يخلق التهم الباطلة ويكذب . ولا ذمة
تحرم عليه الكذب . وينم ويفترى ولا مروءة تصونه من الدناءة
والوشاية » (١٧٠) ، وانها تربا بنفسها عن الالتفات الى صاحب
امتياز (المؤيد) والالتفات الى اقوال «غر عاش فى المثالب والنفائم»
ولكنها تقصد بهجومها « دفع دسائس شرذمة من الموظفين ، وبعبارة
اخرى الشركة التجارية السياسية صاحبة (المؤيد) وحاميته التى
تنفت سم الحجاب وتبث آراءها من وراء الحجاب » (١٧١) . وترى
ان كل ما تتعرض اليه من اتهامات من جانب (المؤيد) « لا أصل
لها ولا باعث عليها » . ولكن دافعها الحقيقى هو « مرض الغرض
او الحسد وقلة الذمة » (١٧٢) . اما « الشيخ سليمان هزاع » الذى
سبح بحمد الاحتلال وعدد موائده فى رسالته فهو فى رأى (المقطم)
بريء من تهم (المؤيد) الموجهة ضده ، وان الظلم يسيطر على كل
سطر من سطره تجاهره (١٧٣) .

وتطلب (المقطم) من قرائها عدم الاكتراث بالمؤيد « بعد افترائه
وبذائه وطول اعتدائه » . وبعد أن « عرف قدره وقدر شرذمته
التجارية السياسية عند عقلاء الأمة المصرية » (١٧٤) . وتدعو
(المقطم) الوزارة الى عدم مد (المؤيد) بالاخبار المناهضة

للمحتلين (١٧٥) . وكانت (المؤيد) مقربة من الخديوى ورئيس نظارة رياض باشا . ولكن الموقف من (المؤيد) يتغير فى عهد وزارة مصطفى فهى التى حاولت فرض حصار اخبارى عليها وخصوصا فى حملة السودان الامر الذى نتج عنه تلك الحادثة المشهورة المسماة بحادثة التفجرات (١٧٦) .

وقد اتسمت معارك (المقطم) مع الصحف الفرنسية التى تصدر فى مصر بنفس الحدة بل باعنف منها ، وخصوصا مع صحيفة (لوبسفور اجيبان) . فتخاطب البسفور قائلة « فكناك تفريرا بنا ودعنا والانجليز فانهم أشسرف بكثير من صاحب بناما والسويس » (١٧٧) . اما (صاحب الأهرام) فان (المقطم) تقول انها لا تريد الرد على اتهاماته لها بان انجلترا تستخدمها لترويج مصالحها . وذلك لأنه « لا يليق (بالمقطم) ان يحط أصحابه الى منزلة صاحب الأهرام فيقابل بينهم وبينه أو يحمل عليه كما حمل هو عليهم » فهى تراه يقوم « بالتجسس والرياء واخفاء الحقائق » وأن هذه الخصال غير الحميدة ملأت جيوبه بالمال واعطته الالقاب وحلت صدره بالنياشين (١٧٨) .

يتضح لنا هنا الدور الذى قامت به (المقطم) كصحيفة احتلالية تؤدى دورها بشكل مدروس ومنظم فى خدمة الدعاية السياسية للاحتلال . سواء بشكل مباشر بالدعوة الصريحة للتسليم للاحتلال وبالإشادة المستمرة بأعمال رجال الاحتلال وافكارهم ومشاريعهم ، واخراجها الى القراء بأسلوب المبالغة الشديدة والتضخيم والاثارة أو بشكل غير مباشر كالدعوة للغة المحتلين ولدارسهم وللكتب المؤلفة عنهم والإشادة بأصدقائهم من المصريين وكذلك أسلوب المقارنات بين الحرية المحدودة التى منحها عميد الاحتلال للصحافة لتحقيق أهدافه وحماية أبواقه كصحيفة (المقطم) والأوضاع

التي كانت تعيشها الدولة العثمانية في عهد الحكومة الحديدية من قهر واستبداد ، وذلك لتحسين صورة الاحتلال أمام الشعب المصري . وراينا من خلال ما عرضناه من أساليب الدعاية التي اتبعتها (المقطم) كيف برعت في تكرار الأفكار التي تقدمها والالحاق عليها وفي تبسيط هذه الأفكار وجعلها في قوالب واضحة ، وكيف أبرزتها في شعارات تتفق وسياستها الاحتلالية .

هوامش الفصل الرابع

- (١) دومينك ، جان مارى ، الدعاية السياسية ، ترجمة صلاح مخير وعبد
ميخائيل رزق ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٨٩ .
- (٢) حسنين عبد القادر ، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، دار النهضة
المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٤ .
- (٣) محمد عبد القادر حاتم ، الاعلام والدعاية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ،
١٩٧٢ ، ص ١٣٩ .
- (٤) أحمد بدر ، الاتصال بالجمهور والدعاية الدولية ، دار القلم ، الكويت ،
١٩٧٤ ، ص ١٥٢ .
- (٥) حسنين عبد القادر ، الرأى العام والدعاية ، ص ١٥٠ .
- (٦) خليل صابات ، الصحافة رسالة واستعداد وغن وعلم ، دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣١٢ .
- (٧) المقطم ٩ نوفمبر ١٨٩١ .
- (٨) المقطم ١٢ مايو ١٨٩٣ .
- (٩) المقطم ٥ يناير ١٨٩٤ .
- (١٠) المقطم ٢١ فبراير ١٨٩٤ .
- (١١) المقطم ٨ يوليو ١٨٩٧ .
- (١٢) المقطم ٣١ يوليو ١٨٩٧ .

- (١٣) المقطم ٩ يناير ١٩٠٠ .
- (١٤) المقطم ٩ فبراير ١٩٠٠ .
- (١٥) المقطم ٧ يوليو ١٩٠٠ .
- (١٦) المقطم ٢١ مارس ١٩٠٨ .
- (١٧) المقطم ٤ يونيو ١٨٨٩ .
- (١٨) المقطم ٨ يونيو ١٨٨٩ .
- (١٩) المقطم ١٠ يونيو ١٨٨٩ .
- (٢٠) المقطم ١١ يونيو ١٨٨٩ .
- (٢١) المقطم ١٦ نوفمبر ١٨٨٩ .
- (٢٢) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٨٨٩ .
- (٢٣) المقطم ٢ يناير ١٨٩٠ .
- (٢٤) المقطم ٢١ أكتوبر ١٨٩١ .
- (٢٥) المقطم ٥ ديسمبر ١٨٩١ .
- (٢٦) ٢٥ أغسطس ١٨٩٢ .
- (٢٧) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٨٩٢ .
- (٢٨) المقطم ١٩ يناير ١٨٩٨ .
- (٢٩) المقطم ٥ ديسمبر ١٩٠٥ .
- (٣٠) المقطم ٣٠ يونيو ١٩٠٨ .
- (٣١) المقطم ٨ : ٩ أكتوبر ١٨٨٩ .
- (٣٢) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٠ .
- (٣٣) المقطم ٢٠ أغسطس ١٨٩٧ .
- (٣٤) المقطم ٣ فبراير ١٨٩٨ .
- (٣٥) المقطم ٦ أكتوبر ١٨٨٩ .
- (٣٦) المقطم ٣ نوفمبر ١٨٩٢ .
- (٣٧) المقطم ١٠ يناير ١٨٩٤ .
- (٣٨) المقطم ٢٩ يوليو ١٨٩٧ .
- (٣٩) المقطم ١٣ مايو ١٨٩٢ .
- (٤٠) المقطم ١٥ يناير ١٨٩٤ .
- (٤١) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٠٦ .
- (٤٢) المقطم ١٨ فبراير ١٨٩٠ .
- (٤٣) المقطم ١٧ أكتوبر ١٨٩٤ .
- (٤٤) المقطم ٤ فبراير ١٨٩٥ .

- (٤٥) المقطم ١١ فبراير ١٨٩٥ .
- (٤٦) المقطم ٢٠ مايو ١٩٠٣ .
- (٤٧) المقطم ١٨ يناير ١٩٠٦ .
- (٤٨) المقطم ١٧ يناير ١٩١٢ .
- (٤٩) المقطم ١١ مايو ١٩٠٣ .
- (٥٠) المقطم ٢٨ ديسمبر ١٩٠٦ .
- (٥١) المقطم ١١ يوليو ١٨٩٢ .
- (٥٢) المقطم ٢٢ أكتوبر ١٨٩٢ .
- (٥٣) المقطم ٣ مارس ١٩٠٤ .
- (٥٤) المقطم ٢٩ يناير ١٩٠٦ .
- (٥٥) المقطم ٢٥ مايو ١٩٠٨ .
- (٥٦) المقطم ١٣ يوليو ١٩١٤ .
- (٥٧) المقطم ١١ ديسمبر ١٨٩٠ .
- (٥٨) المقطم ٥ فبراير ١٨٩١ .
- (٥٩) المقطم ١٩ يونيو ١٨٩١ .
- (٦٠) المقطم ٩ مايو ١٨٩٢ .
- (٦١) المقطم ٢٤ مايو ١٨٩٢ .
- (٦٢) المقطم ٢٧ مايو ١٨٩٢ .
- (٦٣) المقطم ٢٨ نوفمبر ١٨٩٢ .
- (٦٤) المقطم ٢٠ يناير ١٨٩٤ .
- (٦٥) المقطم ٩ مارس ١٨٩٤ .
- (٦٦) المقط ٤ مارس ١٨٩٧ .
- (٦٧) المقطم ٩ يناير ١٨٩٩ .
- (٦٨) المقطم ١٩ أبريل ١٩٠٥ .
- (٦٩) المقطم ١٢ أبريل ١٩٠٧ .
- (٧٠) المقطم ١٣ أبريل ١٩٠٧ .
- (٧١) المقطم ٢٢ أبريل ١٩٠٧ .
- (٧٢) المقطم ٤ مايو ١٩٠٧ .
- (٧٣) المقطم ٥ مايو ١٩٠٧ .
- (٧٤) المقطم ٧ مايو ١٩٠٧ .
- (٧٥) المقطم ١٤ مايو ١٩٠٧ .

- (٧٦) المقطم ٢٨ فبراير ١٨٩٠ .
- (٧٧) المقطم ٢٤ أغسطس ١٨٩١ .
- (٧٨) المقطم ١٠ نوفمبر ١٨٩١
- (٧٩) المقطم ٢٢ يوليو ١٨٩٢ .
- (٨٠) المقطم ٢٢ يناير ١٨٩٤ .
- (٨١) المقطم ٢١ مارس ١٩٠١ .
- (٨٢) المقطم ٣١ مارس ١٩٠٥ .
- (٨٣) المقطم ٢٠ أبريل ١٩٠٦
- (٨٤) المقطم ٧ سبتمبر ١٨٨٩ .
- (٨٥) المقطم ٢٤ مايو ١٨٩٢ .
- (٨٦) المقطم ٢١ يونيو ١٨٩٤ .
- (٨٧) المقطم ١٨ نوفمبر ١٨٩٦
- (٨٨) المقطم ٢٢ يونيو ١٨٩٧ .
- (٨٩) المقطم ٢٤ يناير ١٩٠١ .
- (٩٠) المقطم ٢٥ يناير ١٩٠١ .
- (٩١) المقطم ٢٥ يناير ١٩٠١ .
- (٩٢) المقطم ٢٦ يناير ١٩٠١ .
- (٩٣) المقطم ٩ أغسطس ١٩٠٢ .
- (٩٤) المقطم ٥ يناير ١٨٩٥ .
- (٩٥) المقطم ٢٢ فبراير ١٨٩٥ .
- (٩٦) المقطم ١٢ أبريل ١٨٩٨ .
- (٩٧) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٠٥ .
- (٩٨) المقطم ١١ نوفمبر ١٩٠٨ .
- (٩٩) المقطم ١٤ يونيو ١٩١٢ .
- (١٠٠) المقطم ١٣ فبراير ١٨٩٧ .
- (١٠١) المقطم ٤ يناير ١٨٩٨ .
- (١٠٢) المقطم ١ أغسطس ١٩٠٣ .
- (١٠٣) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٠٣ .
- (١٠٤) المقطم ٦ فبراير ١٩٠٦ .
- (١٠٥) المقطم ٢٩ أكتوبر ١٩٠٦ .

- (١٠٦) المقطم ٧ نوفمبر ١٩٠٦ .
- (١٠٧) المقطم ١٩ نوفمبر ١٨٨٩ .
- (١٠٨) المقطم ٢١ نوفمبر ١٨٩٠ .
- (١٠٩) المقطم ١٨ فبراير ١٨٩١ .
- (١١٠) المقطم ١٨ مايو ١٨٩١ .
- (١١١) المقطم ١٧ أبريل ١٩٠٠ .
- (١١٢) المقطم ٢٠ أغسطس ١٨٩٦ .
- (١١٣) المقطم ٢٢ فبراير ١٨٩٧ .
- (١١٤) المقطم ٢١ يناير ١٨٩٢ .
- (١١٥) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ .
- (١١٦) المقطم ١٨ يناير ١٨٩٢ .
- (١١٧) المقطم ٢٦ يناير ١٨٩٤ .
- (١١٨) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٤ .
- (١١٩) المقطم ٢٥ يناير ١٨٩٩ .
- (١٢٠) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٩ .
- (١٢١) المقطم ١٦ مايو ١٩٠٠ .
- (١٢٢) المقطم ٩ يناير ١٩٠٤ .
- (١٢٣) المقطم ١٩ يناير ١٩٠٤ .
- (١٢٤) المقطم ٦ يونيو ١٨٨٩ .
- (١٢٥) المقطم ٢٠ يونيو ١٨٨٩ .
- (١٢٦) المقطم ٢ يونيو ١٨٩٠ .
- (١٢٧) المقطم ٢٣ أغسطس ١٨٩٠ .
- (١٢٨) المقطم ١٣ يناير ١٨٩٠ .
- (١٢٩) المقطم ٢٣ ديسمبر ١٨٩٣ .
- (١٣٠) المقطم ١٢ يناير ١٨٩٤ .
- (١٣١) المقطم ٣٠ يناير ١٨٩٤ .
- (١٣٢) المقطم ٢٦ يونيو ١٨٨٩ .
- (١٣٣) المقطم ١٣ فبراير ١٨٩٤ .
- (١٣٤) المقطم ١٧ يونيو ١٨٩٤ .
- (١٣٥) المقطم ١٨ سبتمبر ١٨٩٤ .

- (١٣٦) المقطم ٢٨ فبراير ١٨٩٦
- (١٣٧) المقطم ٥ أكتوبر ١٨٩٦
- (١٣٨) المقطم ١٤ يناير ١٨٩٧
- (١٣٩) المقطم ٢١ يوليو ١٨٩٧
- (١٤٠) المقطم ٢٠ يوليو ١٨٩٨
- (١٤١) المقطم ١٩ يناير ١٩٠٠
- (١٤٢) المقطم ١٦ أبريل ١٩٠٠
- (١٤٣) المقطم ١٩ أغسطس ١٩٠١
- (١٤٤) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٠٣
- (١٤٥) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٠٥
- (١٤٦) المقطم ٣ مايو ١٩٠٦
- (١٤٧) المقطم ١١ مايو ١٩٠٦
- (١٤٨) المقطم ٨ يوليو ١٨٨٩
- (١٤٩) المقطم ٧ يناير ١٨٩٠
- (١٥٠) المقطم ١٢ نوفمبر ١٨٨٩
- (١٥١) المقطم ٤ يونيو ١٨٩٠
- (١٥٢) المقطم ١٨ يناير ١٨٩٠
- (١٥٣) المقطم ٤ فبراير ١٨٩٠
- (١٥٤) المقطم ٢٤ فبراير ١٨٩٠
- (١٥٥) المقطم ١٥ أكتوبر ١٨٩١
- (١٥٦) المقطم ٢٨ ، ٢٩ أبريل ١٨٩١
- (١٥٧) المقطم ٣ مايو ١٨٩٩
- (١٥٨) المقطم ٢٥ مايو ١٨٩٩
- (١٥٩) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٠٠
- (١٦٠) المقطم ٢٦ ديسمبر ١٩٠٠
- (١٦١) المقطم ٣٠ مارس ١٩٠٦
- (١٦٢) المقطم ٤ مايو ١٩٠٧
- (١٦٣) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٠٨
- (١٦٤) المقطم ٢١ مايو ١٩١٠
- (١٦٥) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٠٢

- (١٦٦) المقطم ٨ يوليو ١٩٠٥ .
- (١٦٧) المقطم ٨ يناير ١٩٠٧ .
- (١٦٨) المقطم ٩ يناير ١٩٠٧ .
- (١٦٩) المقطم ١٧ أكتوبر ١٩٠٧ .
- (١٠٧) المقطم ٣ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٧١) المقطم ٥ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٧٢) المقطم ٦ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٧٣) المقطم ١٢ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٧٤) المقطم ٢٠ أكتوبر ١٨٩٣ .
- (١٧٥) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٨٩٣ .

(١٧٦) وقد وقعت هذه الحادثة خلال الحملة المصرية لفتح السودان عندما حالت السلطات دون نشر أخبار الحملة في الصحافة الوطنية في محاولة لضربها واضعاف شوكتها ، ولكن صاحب المؤيد استطلاع بوسائله الخاصة الحصول على برقيات الحملة المتبادلة بين ناظر الحربية وقائد الحملة ، وبشر البرقية الأولى في ٢٨ يوليو ١٨٩٦ وفيها أسرار خطيرة عن حالة الجند البائسة ومرض الكوليرا الذي اجتاح بعضهم الأمر الذي أثار غضب الحكومة ولجأت الى التحقيق ، ولكنها لم تتمكن من معرفة السر الكامن وراء هذه البرقية . وواصل الشيخ على يوسف تحديه لهذه السلطات بنشره برقية أخرى في ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ ، ادعت المقطم انها خاصة بها ، الأمر الذي دعا الى التحقيق معه ومع موظف بإدارة تلغراف الأزبكية يدعى توفيق كيرلس . ولكن المحكمة قضت ببراءة الرجلين . ولم تفلح المقطم بمعاللتها التحريضية المتوالية في التأثير على سير المحاكمة . وكانت تنشرها تحت عنوان : « سرقة التلغراف » .

- (١٧٧) المقطم ١٨ ديسمبر ١٨٩٣ .
- (١٧٨) المقطم ١٢ أغسطس ١٨٩٧ .

الفصل الخامس

المقطم وثورة سنة ١٩١٩

انطلاق الثورة :

تابعت (المقطم) الأحداث المتلاحقة التى شهدتها مصر منذ قيام السلطة العسكرية البريطانية بالقاء القبض على الزعماء الأربعة سعد زغلول واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل ونفيهم الى مالطة . فقد « كان هذا العمل الذى ارتكبته السلطات البريطانية بمثابة الشرارة التى فجرت الثورة المصرية الكامنة ، والتى طالما انتظرتها جماهير الشعب للتعبير عن آمالها ومطالبها واحتجاجا على الوان السخرة والاستغلال الذى خضعت له طيلة فترة الاحتلال البريطانى » (١) . ولم يكد يتراعى نبا القبض على سعد وصحبه ، حتى أخذت سمات الغضب ترتسم فى محيط العاصمة وتسرى منها الى الأقاليم . وبدأت الثورة بمظاهرات سلمية ألفها الطلبة يوم الأحد ٩ مارس ، اذ اضرَبوا عن تلقى الدروس وخرجوا من مدارسهم وساروا بادىء الأمر فى نظام وسكينة تتقدمهم اعلامهم وهم يهتفون بحياة مصر والوفد المصرى وسعد ، وسقوط الحماية البريطانية (٢) .

وقد سجلت (المقطم) انباء هذه المظاهرات تحت عنوان « المظاهرات فى العاصمة » قائلة ان « كل من يتتبع هذه المظاهرات يتأسف من وقوعها ومن ترك الطلبة لدروسهم والاستغلال بمثل هذه

الأمور التي تعطل أوقاتهم وتضرر مستقبلهم على غير طائل ، فيحسن بآباء التلاميذ أن ينصحوهم بالتفرغ الى دروسهم والاستغفال بها عن كل امر آخر « (٣) . فقد كانت دار (المقطم) نفسها هدفا لهجوم الطلبة المتظاهرين الذين هاجموا وهم يطوفون في الشوارع انتقاما من خطتها السابقة في الدعاية للاحتلال(٤) . وقد روى (مارشال) قصة مخاطبة الدكتور فارس نمر لمحمود سليمان باشا (والد محمد محمود باشا) لمساعدته في جنى القطن في مزارعه بعد ان رفض الفلاحون ذلك . وقد استجاب محمود باشا سليمان لغصن الزيتون الذي تقدم به صاحب (المقطم) (٥) .

وواصلت (المقطم) متابعة تطورات «المظاهرات في العاصمة» معبرة عن تأملها لمهاجمة الممتلكات ، ومن خروج المتظاهرين عن الاهداف السلمية التي انطلقوا من أجلها في بداية حركتهم « وصار اهم مظاهر الحركة بعد ذلك انصراف الرعاع الى الاعتداء على المخازن ومحال الأعمال وتكسير مركبات الترامواي وقلع الأشجار في الشوارع وتحطيم الواجهات وسلب ما تصل اليه أيدي الرعاع » (٦) . فقد تطورت الحالة الى العنف « عندما أخذت السلطات البريطانية تعتدى على المتظاهرين العزل من السلاح مما أدى الى سقوط الكثير منهم صرعى برصاص الانجليز . فقد فاضت روح السخط وانفجر بركان الغضب ، وانقلبت المظاهرات الى ثورة عارمة استخدمت فيها جميع وسائل النضال ، واشتركت فيها جميع عناصر الأمة وانطلقت شراريتها الى جميع أنحاء البلاد » (٧) . ويقول العقاد : ان « الباعث الأكبر الى التحطيم والتخريب كان اندفاعا جامحا بغير قصد مرسوم ، اندفاع الساخط يحار فيها يصنع وهو ساخط » (٨) .

وأصبحت (المقطم) تنشر احداث الحركة تحت عنوان « أخبار المظاهرات » بعد انتشارها الى سائر أنحاء الأقاليم

المصرية . ولم تعد تقتصر على العاصمة ، مشيرة الى ما يرد اليها من « مكاتبى المقطم فى جهات لتطر المصرى المختلفة » فى الاسكندرية وشبين الكوم وزفتى وطنطا وتلا وبنى سويف والزقازيق(٩) . نقد وقتئذ الامة المصرية بطبقاتها وطوائفها وعناصرها المختلفة من ملاحين وباشوات ، اميين ومتعلمين ، مسلمين واقباطا ، رجالا ونساء من خلف قيادة الثورة تدافع بشجاعة كبيرة وبتضحية هائلة عن المبادئ التى تمثلها(١٠) . كما ان شمول الحركة التى فجرها الطلاب لكل طبقات الشعب قد اصاب السلطة العسكرية للاحتلال بالذعر الامر الذى جعلهم يتدخلون بعنف لقمع الحركة ويصدرون الاوامر والانذارات والتهديدات لمن يحاول مخالفة دعوتهم بمنع التظاهر والتجمع(١١) ، الامر الذى حدا (بالمقطم) الى القول بأن « الامل معقود الآن بحكمة عقلاء الامة » الذين تقع عليهم مسؤولية دفع « هذه الكارثة عن الوطن العزيز ، وحقق دماء الابرياء والاهتداء الى حل للمشاكل الحالية على وجه يرضى الامة ويقي البلاد شر الفتنة ويهد السبيل لرد الاتفاق والوثام مع الحكومة البريطانية »(١٢) .

وكتبت (المقطم) عن « السكك الحديدية المصرية والمصائب التى حلت بها » قائلة انه ما كان يخطر ببالنا ان مصر « تنكب فجأة اشد نكبة ، وتضرب ضربة توهن قوتها وتحل عزيمتها وترجعها القهقرى مراحل عديدة فى سبيل التقدم والعمران . . فما كان اغنانا عن تلك الفتنة التى اضرمت فى مصر نار الشر وتركت هذا القطر محطا للحرق والسلب والقتل والنهب وقلبت راحته ورفاهته رأسا على عقب »(١٣) . ولم يكن فى حسابان (المقطم) بالطبع ان تتطور (المظاهرات) الى هذا العنف والانتساع والشمول ، بل ان تأخذ شكل الثورة ، كما ان الوفد لم يكن يتوقع « عندما بدأت المظاهرات الاولى عقب القبض على سعد زغلول باشا وصحبه ، ان هذه

المظاهرات سوف تتطور الى ثورة عارمة تكتسح البلاد من اتصاها الى ادناها» (١٤) . ليس هذا فحسب ، بل ان مظاهرة الطلبة الاولى وقعت « على خلاف النصيحة التى سمعها الطلبة من بعض اعضائه الذين بقوا فى القاهرة بعد اعتقال سمسد واصحابه الثلاثة » (١٥) . وقد روى محمد محمود باشا ان نسخة من جريدة (المقطم) كانت تشير الى قيام المظاهرات رآها سعد بمالطة وعقب عليها بان هذا دس خصيصة فى نسخة (المقطم) التى وصلتهم لكى يوجد الانجليز مبررا لاطالة اعتقالهم فى مالطة فهذا الحدث فى نظره بعيد الاحتمال (١٦) . وكانت (المقطم) هى الصحيفة المصرية الوحيدة التى سمح لسعد ورفاقه بقراءتها فى مالطة (١٧) .

وصول اللبى :

فاجات حوادث الثورة الحكومة الانجليزية والجمهور البريطانى ووقعت منها موقع الدهشة والاستغراب وقررت حكومة لندن استدعاء السير ونجت واستبدال مندوب آخر به اكثر شكية واقتوى بأسا واقدر على مواجهة الثورة وقمعها (١٨) . وكان هذا المندوب هو الجنرال اللبى الذى نشرت (المقطم) خبر وصوله بعنوان « وصول فخامة نائب الملك فوق العادة .. وكان فى انتظاره جم غفير من الكبراء والعظماء » . وكانت « الشوارع مكتظة بجماهير الاهالى والاجانب وهم يصفقون تحية لفخامته وتيمنا بمقدمه » (١٩) . وقد تحسن الموقف سريعا بوصوله ، ولكن هذا الحريق الهائل المنتشر على اوسع نطاق لم يكن من السهل اطفاءه فى لحظة واحدة ، لذلك فقد أصبحت مهمة الجنرال اللبى الاولى هى استعادة هيمنة الحكومة المدنية والتقليل الى ابعد حد من عوامل الفوضى والعنف ، ومن ثم كانت اتصالاته مع القيادات السياسية المصرية سعيا لتحقيق التسوية (٢٠) . وقد اقنعت اجتماعاته بالوزراء المصريين وغيرهم بضرورة اتخاذ اجراء عاجل لتهذئة الحالة (٢١) .

ونشرت (المقطم) البلاغ الرسمى المتضمن « خطاب فخامة نائب الملك الى اعيان مصر » ، والنداء الذى وجهه اعيان البلاد وزعماءها الى الامة يدعونها فيه الى التزام الهدوء والسكينة . « وقد امتنع البعض عن التوقيع على هذا البيان لانهم رأوا فيه انتحارا للقطر وامانة لمواطني أهله » (٢٢) ، فان « السياسة التى اتبعها اللورد اللبى كانت سياسة أكثر دهاء ، فقد اتبع منذ وصوله الى مصر سياسة السيف والدبلوماسية . فبينما ترى للأجراءات العسكرية ان تحدث مفعولها فى اخماد الثورة بالحديد والنار ، فقد لجأ الى ازالة اسباب الثورة عن طريق التفاوض مع رجال الوفد وزعماء البلاد » (٢٣) .

ونشرت (المقطم) ، دون تعليق ، خطاب اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية فى مجلس نواب بلاده ، حول القضية المصرية ، والذى وصف فيه الثورة المصرية بأنها حوادث سطو أكثر منها حركة سياسية ، وأن الشئ الوحيد الذى يغتبط له هو تصرف كثير من الموظفين المصريين ، وهو الخطاب الذى اثار استياء الموظفين مما جعلهم يضربون عن العمل ، فأثار اضرابهم « حماسة الجباهير لأنه حادث فذ فى حياة مصر القومية » (٢٤) . وقد تابعت (المقطم) أخبار الاضراب دون محاولة تفسير بواعثه ، فتحدثت عن قيام « بعض الموظفين والمستخدمين بالاضراب عن العمل فى بعض الوزارات » و « اقل كثير من المخازن والدكاكين وجانب من القهوات . وكان الباعة الجائلون أقل عددا منهم فى الأيام الأخرى » (٢٥) .

الافراج عن سعد وسفر الوفد الى باريس :

ولكن اللبى ، فى محاولة للتهدة ، يبرق فى ٣١ مارس الى حكومة بلاده ينصح باطلاق سراح زغلول وزملائه والسماح لهم بالسفر الى أوروبا . فكانت هذه التوصية منه صدمة للحكومة

البريطانية . لقد أرسلوا رجلا قويا ليخضع لهم شعبا عاصيا لكن أول اقتراح قدمه لهم تساهل سبق أن رفضوه مرتين ، ولكن كان من الصعب على الحكومة البريطانية أن تتفاوض عن نصيحة الرجل الذي أعطته كل السلطات التامة لمعالجة الموقف . فوافقت على اقتراحه على مضض منها . وأعلن النبی فی ٧ ابريل الافراج عن زغلول وزملائه الثلاثة والسماح لهم بالتوجه أينما يريدون (٢٦) . وقد أسهم الوزراء السابقون فی الوصول الى هذه النتيجة ، حيث أوضحوا للنبی ان اطلاق سراح سعد ورفاقه يشكل خطوة ضرورية لتحسين الأوضاع الداخلية فی البلاد ، وان ازالة حالة الاضطراب هی الوسيلة المثلى ندو تشكيل الوزارة المصرية (٢٧) .

ونشرت (المقطم) اخبار الافراج عن سعد فی مكان بارز من الصفحة الثانية المخصصة للأخبار المحلية تحت عنوان « بشرى — السفر لجميع المصريين ولسعد زغلول باشا ورفاقه » قائلة : « فلتنهأ البلاد بانفراج الأزمة وليعقد الجميع الخناصر على خدمة هذا القطر العزيز » ، وان ما حدث كان « بشرى لنا لمطابقتها رأينا وللأمة المصرية باجابة رغباتها » موضحة ان رأيها « كان دائما مطابقا لرأى الذين يريدون السماح بالسفر للوفد ولكل من شاء السفر أيضا خلافا لكل من يزعم ان رأينا غير ذلك . وهذا الرأى لم يقتصر على حفظه فی صدورنا بل جاهرنا به مرار ، وخصوصا عند أولى المقامات التى تقدم وتؤخر فی هذه المسألة » . بل أكثر من ذلك تتحدث (المقطم) عن دور مارسه لصالح الوفد ، ولمصلحة التحول الكبير الذى حدث ، وذلك بحكم صلاتها الوثيقة بسلطات الاحتلال طبعا ، فنقول : « انه بينما كان الغوغاء يهاجمون ادارة (المقطم) ويكسرون زجاجها وشبابيكها كما فعلوا بغيرها أيضا . وبينما كان اللصوص فی الأرياف يهاجمون مزارع أحد اصحاب (المقطم) وينهبونها كان اصحاب (المقطم) يجدون فی السير ذهابا

وايأبا بين اعيان الوطنيين وسسواهم لاصلاح ذات البين وتأليف الوزارة والتساهل الذى يرضى الوطنيين ، ويجبر خاطر الوفد أيضا وقد قضى اصحاب (المقطم) فى ذلك ايأما كما يشهد به غير واحد من الذين استعانوا بهم على قضاء هذه الغاية الوطنية « (٢٨) . ومن منطلق هذا التحول الذى شهد اول تجاوب للصحيفة مع الامانى الوطنية ، كان نشرها لاخبار « مظاهرات الفرح والسرور فى العاصمة » ، حيث خرجت المدينة كلها الى الشوارع والميادين والطرق « فما كانت العين تقع الا على مراكب كبيرة وصغيرة تروح وتجىء فى الشوارع والميادين حاملة الرايات والرياحين وهى تهتف لمصر هتاف الفرح والسرور « (٢٩) .

وقد استتبع قرار الامراج عن سعد ورفاقه ، تشكيل وزارة رشدى الرابعة ، بعد ان بقيت البلاد بدون وزارة طيلة احداث الثورة ، لان « الوزارة خلال هذا الشهر كانت رمزا للاستجابة للمطالب الوطنية بمعنى ان تشكيل وزارة جديدة كان من المستحيل اتمامه دون هذه الاستجابة « (٣٠) . وقد استقبلت (المقطم) هذه الوزارة بالترحيب قائلة ان « البلاد تدعو اليوم جميع ابنائها الى خدمتها النافعة ووزراؤها بحمد الله من اكرم من انجبتهم البلاد وقد عرفوا بصادق الخدمة فيما مضى واشتهروا بالغيرة الوطنية والحكمة والاخلاص « (٣١) . وتمنت للوفد المسافر الى أوروبا النجاح فى مهمته (لخدمة القطر واهله) ، قائلة ان اعضاء الوفد « كما هو معلوم للجميع من اكبر اعيان هذا القطر ورجاله المفكرين المحبين لوطنهم وقومهم الحائزين لثقة الأمة المصرية « (٣٢) . وتابعت الصحيفة اخبار المظاهرات والاضرابات فى البلاد . فقد « كان الظن حين تالفت وزارة رشدى باشا الرابعة ان يهدأ الموظفون ولا يعودوا الى الاضراب . . ولكن روح الاضراب تجددت فيهم بعد تأليف الوزارة « (٣٣) . ولم تفلح جهود الوزارة فى وقف هذه

المظاهرات والاضرابات برغم النداءات المتتابعة بضرورة الكف عن الاضراب والعودة الى العمل فى الدوائر والمصالح الحكومية ، وكانت نتيجة ذلك استقالة وزارة رشدى . وقد توقف اضراب الموظفين بصفة نهائية بعد استقالة الوزارة وبعد الانذار الذى وجهه للنبي بضرورة العودة الى العمل .

ونم تعلق (المقطم) على استقالة الوزارة وتوقف الاضراب ، كما انها وقفت صامئة ازاء اعتراف الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية بالحماية البريطانية على مصر ، وواصلت نشر الاوامر الصادرة عن السلطة العسكرية بمقتضى الاحكام العرفية او البلاغات المنشورة فى الجريدة الرسمية ، ومنها امر للنبي بان يتولى وكلاء الوزارات مهام الوزراء بعد استقالة الوزارة (٣٤) . وذلك بعد ان احجم الزعماء عن تأليف وزارة تصطدم بروح الثورة التى تسود البلاد . وقد استمرت الحال كذلك لمدة شهر بعد استقالة وزارة رشدى ، حتى شكل محمد سعيد باشا وزارته فى ٢١ مايو وذلك بعد اقناعه من جانب للنبي طيلة الاسابيع الاربعة التى عاشتها البلاد بدون وزارة (٣٥) . ويقول الرافعى ان هذه الوزارة كانت اولى الوزارات التى تألفت بعد الثورة على أساس الانفصال عن الحركة الوطنية ومناهضتها والاستخفاف بها . فلا غرو أن قوبلت بالاستياء والسخط ، لأن تشكيلها لم يسبقه تفاهم على برنامجها ، بحيث تسير الحركة الوطنية ولا تعرقلها ، ولم يخفف تيار الاستياء ما أعلنه سعيد باشا من أن وزارته ادارية لا تمت الى السياسة بسبب ، وهو اول من أبدع فكرة الوزارة الادارية ، وهى بدعة تنطوى على الخداع والمراوغة . ولم تكن هذه التسمية لتحجب الحقيقة الواقعة ، وهى أن عمل الوزارة بطبيعته عمل سياسى قبل كل شىء (٣٦) .

وقد الحب (المقطم) من جانبها على هذه الصبغة الادارية للوزارة والمتمثلة بتدبير « امور الامة وقضاء حاجاتها المحلية ، وعدم التعرض للمسائل السياسية الكلية ذات العلائق الدولية » (٢٧) . وهذا فى رايها يرضى « عقلاء الامة على اختلاف اميالههم وآرائهم » اذ « ان هناك شبه اتفاق فى الراى على وجوب توجيه همهم الآن الى شئونهم المحلية من زراعية وتجارية واقتصادية ونحوها لكيلا تترك فى حيز الاهمال والاغفال ويعقبها العطل والضرر على اهل القطر » (٣٨) . وايدت (المقطم) ما اقدمت عليه الوزارة ، لامتناس السخط والاستياء الذين قوبلت بهما من تقرير العلاوات للموظفين لتحسين احوالهم المعيشية ، لى يواجهوا تكاليف الحياة الباهظة (٣٩) . كما اشادت بجهود سعيد باشا للتخفيف من الاحكام الصادرة بحق بعض المواطنين فى حوادث الثورة ، ومنها حادثة قطار ديروط التى قتل فيها عدد من ضباط الجيش البريطانى ، وجنوده ، وكذلك جهوده لنقل اختصاصات المحاكم العسكرية الى السلطات المدنية ، والغاء الرقابة على المراسلات بين مصر والخارج قائلة : ان « جمهور المصريين الذى يميل بطبعه الى السكينة والسلام ، يتلقى بهزيد السرور بشرى الغاء القوانين الاستثنائية ورجوع الاحوال الى ما كانت عليه قبل الحوادث الاخيرة » (٤٠) . وعلقت على بلاغ ادارة المطبوعات حول « حوادث القتل بقطار ديروط » بقولها ان الضباط والجنود الانجليز قد « قتلوا بشكل من اشنع الاشكال اثناء عودتهم من الاجازة من الوجه القبلى بالقطار » (٤١) .

مماهدة الصلح :

تابعت (المقطم) اخبار (معاهدة الصلح) واستعداد مدن القطر للاحتفال بها واقامة « معالم التزيين فى حدائقها احتفالاً بعيد الصلح السعيد » (٤٢) . واعتبرت توقيع المعاهدة مقدمة لسلام

الانسانية التى تسعى للهدوء والمساكنة واحلال الهناء بدلا من الشقاء(٤٣) . وذلك فى الوقت الذى تضمنت هذه المعاهدة التى سميت بمعاهدة فرساي ، اسوا الشروط بالنسبة لمصر واهمها اقرار الحماية البريطانية على مصر . ولما وردت الأنباء الى مصر بامضاء هذه المعاهدة قررت الحكومة ابتهاجا بها اطلاق مائة مدفع ومدفع فى كل من القاهرة والاسكندرية وبورسعيد . وعطلت الوزارات والمصالح فى جميع نواحي القطر ، يوم الاثنين ١٤ يوليو . ومن المناقضات حقا ان تبتهج الحكومة المصرية لمعاهدة من أهم شروطها بالنسبة لمصر اقرار الحماية التى غرستها انجلترا عليها ، أما الشعب المصرى فقد قابل امضاء المعاهدة بالوجوم والسخط والحزن العظيم لما فيها من اهدار لحريته واستقلاله(٤٤) .

ونشرت (المقطم) تفاصيل الاحتفالات التى اقيمت بمناسبة امضاء معاهدة الصلح ومن ذلك الحفلة التى اقامها النبى وكانت « من أبهج الليالى فى دار الحماية »(٤٥) . أما العاصمة فقد « لبست زخرفها وبدت بأفخر زينتها »(٤٦) . وكان يوم عيد الصلح الذى احتفلت البلاد رسميا به « يوما مشهودا بأعياده وحفلاته » . وطارت الطيارات أسرابا فى سماء العاصمة فكان ذلك « من أبهج ما راته العين »(٤٧) .

وقد كان من نتائج امضاء معاهدة الصلح تساهل السلطة العسكرية البريطانية على بعض المطالب التى طلبتها الوزارة مثل الغاء الرقابة على المطبوعات ومنها الصحف ابتداء من اول يوليو ١٩١٩ ، عقب توقيع معاهدة الصلح(٤٨) ، غير أن التعليمات التى وزعت على مديري الصحف مع بيان الغاء الرقابة اخذت باليد اليسرى ما اعطته باليد اليمنى ، لقد أصبحت بمقتضى هذه التعليمات رقابية على نفسها ، وهذا اصعب انواع الرقابة فالصحف ممنوع

عليها ان تنشر أى مادة ثورية ولا أى مادة تحرض على أحداث فتن
أو تنطوى على عدم الاعتراف بالمرکز السياسى الحالى فى القطر
المصرى . فكذا هذه الاجراءات كانت صورية اذ لم يكن يسمح
للجرائد بأن تنشر ما يتنأى والتعليمات التى وزعت عليها بعد
اعلان الغاء الرقابة(٤٩) .

الوفد المصرى :

اشارت (المقطم) ، للمرة الاولى لآخبار الوفد المصرى فى
باريس ، فى الحديث الذى أجراه مندوبها مع عضوى الوفد العائدين
الى مصر : اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر حول الخلافات
الداخلية فى الوفد ، دون أن يوضح هذان العضوان طبيعة هذه
الخلافات التى أدت الى أول انشقاق عن الوفد المصرى(٥٠) . .
ولكن خروج صدقى وأبو النصر ، كان مبنيا على اعتقادهما بأن
الموقف بعد موافقة مؤتمر الصلح على الحماية البريطانية على مصر ،
يحتتم على الوفد ان يسعى للتفاهم مع انجلترا ، بالاضافة الى سبب
مباشر آخر تمثل فى احتجاجهما على نشر فظائع القوات العسكرية
البريطانية فى مصر فى حوادث نزلة الشوبك والعزيزية ، التى
وصلت الى الوفد كاملة من عبد الرحمن فهمى مدعومة بالصـور
والمستندات والتى قام الوفد بنشرها على العالم(٥١) . وقد نشرت
(المقطم) بعض اطراف المساجلات التى دارت بين هذين العضوين
واللجنة المركزية للوفد دون تدخل من جانبها(٥٢) .

وكانت (المقطم) قد اشارت ايضا للمرة الاولى الى اللجنة
المركزية للوفد ، بمناسبة بعض (التلغرافات) المتبادلة بين هذه
اللجنة وسعد زغلول التى نشرت قسما منها ، وكانت تصلها على
شكل بيانات من اللجنة المركزية للوفد بتوقيع رئيسها محمود سليمان
باشا وكان اهمها البيانات التى تشيد بموقف لجنة الشؤون الخارجية

بمجلس الشيوخ الأمريكى المؤيد للقضية المصرية ، هذا الموقف الذى استحق تأييد كثير من الهيئات والشخصيات فى مصر عبروا عنه (بالتلفرات) التى نشرت (المقطم) جانباً منها(٥٣) .

وكان سعد باشا قد أوكل لهذه اللجنة مهمة تدعيم الجبهة الداخلية لضمان وحدتها وتماسكها والتفافها حول الوفد « فلم يكن يقلقهم كثيراً وجود الوفد فى باريس وإنما كان مصدر قلقهم الوحدة الوطنية التى تلتف حول الوفد وقتذاك » ، وكان ذلك « من أخطر المسئوليات التاريخية التى القيت على عاتق اللجنة المركزية فى مصر وعلى عبد الرحمن غيمى بالذات »(٥٤) ، بالإضافة الى دورها فى قيادة الجمهور وابلاغه بتطورات الأحداث فى نفس الوقت الذى كان فيه سعد زغلول ورفاقه يقومون بخدمة القضية المصرية فى باريس(٥٥) .

ونلاحظ ان (المقطم) ، قد دأبت فى هذه الفترة على عدم ابداء رأيها فى تطورات الأحداث مكتفية بما تنشره من اخبار الوفد المصرى وبعض بيانات اللجنة المركزية للوفد ، بعد ان كانت تتصدى بقوة لحوادث العنف التى صاحبت انطلاق الثورة المصرية . ويعزز هذا الرأى ما أورده (الكولونيل ح.س. سايمز) فى تقريره عن الصحف المصرية للفترة ما بين منتصف سبتمبر الى ١٩ أكتوبر ١٩١٩ الذى قال ان موقف الصحف الاجمالى مائزال معاديا لبريطانيا ، أما صحيفة (المقطم) فقد « هوت الى مرتبة الصمت التام تقريبا »(٥٦) .

لجنة ملنر :

ورد الحديث على صفحات (المقطم) عن بعثة ملنر فى بيان اللجنة المركزية للوفد الذى يقر فيه « الامة على الخطة التى رسمتها لنفسها ، وهى مقاطعة لجنة اللورد ملنر مقاطعة تامة »(٥٧) . كما

تابعت الصحيفة أخبار مظاهرات الاحتجاج على اللجنة التى «أخذت منذ ٢٤ أكتوبر تصطبغ بصسبغة العنف وتلجأ الى التعبير عن معارضتها بالمظاهرات ، ولهذا شهدت الاسكندرية حوادث خطيرة اعادت الى الازهان حوادث مارس الشهيرة «(٥٨) . وقد سجلت (المقطم) مظاهر العنف التى حدثت فى الاسكندرية والمصادمات التى وقعت بين البوليس والمتظاهرين الذين كانوا يهتفون « لمر والاستقلال » . وقد اعتدى بعضهم على الاماكن والمحال فوصفتهم بالرعاغ ، وقالت ان « الهياج لايزال عاما للمدينة «(٥٩) . ونوهت بالاجتماع الذى عقده الاعيان مع محافظ العاصمة واستقر رأيهم على دعوة الجمهور للكف عن التظاهر ، قائلة « ولعل هذه المهمة التى يبدىها حضرات الاعيان تسفر عن النتيجة المطلوبة . وينصرف الجمهور الى الاكتفاء باحتجاجات الوفد وعتلاء الأمة بالطرق المشروعة «(٦٠) . ولكن المظاهرات تتجدد بعنف بعد البيان الذى اذاعته دار الحماية فى ١٤ نوفمبر عن قرب قدوم اللجنة والمهمة التى ستضطلع بها وقد رد الوفد المصرى ببيان على بلاغ دار الحماية اثار فيه الى مخالفته لقواعد الحق والعدل ولارادة الشعب المصرى والروح الاستقلالية السائدة فى العالم «(٦١) .

اما (المقطم) ، فقد خرجت عن صمتها تجاه الحالة الراهنة ، وعلقت على بلاغ دار الحماية مؤيدة بطريقة او باخرى لما جاء فيه عن خطة بريطانيا فى مصر ومهمة ملنر والشكل الذى قدمته الحكومة البريطانية لحمايتها على مصر ، ففراها تقول ان الحكومة البريطانية اوضحت « انها تقصد من بسط حمايتها على مصر القيام بواجب خطير الشأن تعده فى المنزلة الاولى من اعتبارها بالنسبة الى هذا القطر ، وهو ان تحميه من كل تعد ينافيه من خارجه « « ففتفرغ حكومته لترقية شئونونه وتدبير امور رعييتها ويحول اهله كل جهدهم الى تحسين احوالهم واحوال عيالهم « ، « ثم انه يستفاد من نص

البلاغ علاوة على ما تقدم أن الحكومة البريطانية مصممة على شد
أزر الحكومة المصرية فى انشاء نظام دستورى لمصر « أما مهمة
اللجنة فتمثل « بمشاورة رجال مصر فى أمر ذلك النظام ومعاونتهم
فى وضع سننه وقوانينه » (٦٢) .

وقد استقالت وزارة محمد سعيد احتجاجا على لجنة ملنر ،
وشكل يوسف وهبة باشا الوزارة التالية . وقصد الانجليز من هذا
التعيين ضرب الحركة الوطنية فى أقوى مراكزها الا وهى وحدة
عنصرى الامة ، تلك الوحدة التى تعتبر من أروع انجازات ثورة
١٩١٩ وحركة الوفد المصرى ، وكان رد عبد الرحمن فهمى على
ذلك ان جمع اللجنة المركزية على الفور ، وعين مرقس حنا عضو
اللجنة وكيلا للجنة ورئيسا بالنيابة ، وذلك فى مكان رئيسها ووكيلها
الذين ابعدا خارج القاهرة ، كما أسرع عبد الرحمن فهمى الى
اتخاذ الكنيسة المرقسية مركزا من مراكز الثورة (٦٣) وهكذا احبطت
الخطة الانجليزية لايقاع الفتنة بين المسلمين والاقباط . وغنى عن
الذكر ان الفضل الاول فى احباطها انما يعود الى انها عجزت عن
التنفس فى الجو القومى الذى كانت تعمل فيه الحركة الوطنية (٦٤) .
وقد شهد عهد هذه الوزارة مجيء ملنر بكل المد الوطنى الذى واجه
هذا المجيء مما استتبعه ان تعرض اعضاءها الى سلسلة من
الاعتداءات لم يتعرض لها أعضاء اية وزارة سابقة (٦٥) .

وازاء المقاطعة المحكمة التى اقامتها الامة حول ملنر ، لم
تستطع (المتطم) أن تدعو لكسر هذا الحصار صراحة ، ولكنها
لجأت الى التلميح واسلوب الرسائل الواردة من القراء ، فضلا عن
الفمز واللمز لعدم جدوى المقاطعة ، فهذه رسالة يدعو كاتبها الى
التعقل وعدم الاندفاع فى مواجهة اللجنة وعدم مقابلتها بالعنف
لاسيما انها قادمة لا محالة . وانها ليست آتية « بالأسطول والسيف

والمدفع « بل » آتية تبادلكم الأفكار ولتعرف منكم ما يجب عليها أن تعرفه « (٦٦) ورسالة ثانية يدعو فيها مرسلها أعضاء الوفد المقيمين بالقاهرة لمفاوضة لجنة ملنر « فان اتفقوا فيها ، وان لم يتفقوا فلا ضرر » . ويناشدهم « الحكمة وعدم التسرع فما لا يدرك كله لا يترك كله » (٦٧) وكتبت تطبيقا على شكل حوار ، قالت ان أحد مخابريها سمعه من بعض الناس الذين يتحدثون عن المقاطعة وجاء فيه على لسان أحدهم « فاذا قالوا لنا قاطموا التجار الانجليز ، أو لا تشقروا بضاعة انجليزية ، قلنا انهم يوصوننا بذلك لأنه يمكننا ان نستغنى عن بضائع الانجليز ببضائع غيرهم ، ولكن ما معنى قولهم لنا قاطموا الأطباء الانجليز الذين يطيبون مرضانا الفقراء مجانا ؟ » (٦٨) . وقدمت (المقطم) تعريفا بشخصية ملنر وأعضاء بعثته ، وذكرت أن البعض يقوم بتهديد اصحاب المحال في الأحياء الوطنية لجبارهم على اغلاقها احتجاجا على لجنة ملنر « فبثت العيون للقبض على كل من يحاول ذلك لمحاكمته أمام المجالس العسكرية » (٦٩) . وأشارت للمظاهرات التي قامت في الاسكندرية وقالت ان عددا من برقيات الاحتجاج قد وصلتها ، ولكنها لم تنشر شيئا منها (٧٠) . وتحدثت عن توسط (رسل بك) حكمدار العاصمة لدى السلطة العسكرية للانفراج عن بعض الطلاب المعتقلين « اجابة لتوسل آبائهم وذويهم ، وتعهدهم بردعهم عن اتيان ما يخالف أوامر الحكومة » (٧١) . وأشارت لدخول البريطانيين الجامع الأزهر وسحبهم منه ، واحتجاج علماء الأزهر الى معتمدى الدول على ذلك (٧٢) . وقد حركت هذه الحادثة في نفوس علماء الأزهر الجهر برأيهم في الموقف السياسى عامة ، فوضعوا بيانا أعربوا فيه عن أن الحل الوحيد للاضطراب السائد في البلاد هو أن تنهى الدولة الانجليزية بوعودها وتعترف للبلاد بالاستقلال التام أى أنهم شاركوا الأمة في معظم مطالبها السياسية (٧٣) . فكسبت الحركة الوطنية

على الفور الى جانبها السلطات الدينية العليا فى الازهر وكان الانجليز يعتقدون انها من الجهات الموالية(٧٤) .

وقد استنكرت (المقطم) حادثة الاعتداء على رئيس الوزراء يوسف وهبة التى قام بها شاب قبطى هو عريان يوسف سعد قائلة « ان الامة المصرية بأسرها ستقابل هذه الجناية بما تستحقه من السخط والاستياء الشديد سواء نظر اليها من الوجهة الدينية والادبية او من جهة تأثيرها السياسى هنا وفى سائر البلدان . . وحرام أن تشوه القضية المصرية بمثل هذه الجنايات التى لا يجنى منها سوى الخسارة العظيمة لوطن لا يتمنى له ابناؤه الا الخير والتقدم »(٧٥) . واشادت (المقطم) بجهود « قادة الامة فى مصر وكبار رجالها وفى مقدمتهم الوزراء السابقون . . لخدمة القضية المصرية وتحقيق امانى الامة . وقد شرح الذين اجتمعوا منهم بجناب اللورد ملنر هذه القضية شرحا وافيا وراوا من لينه وتساهله فى حديثه معهم عنها ما قوى آمالهم بتحقيق مساعيهم ، وافضى الى اصدار منشور جناب اللورد ملنر ، الذى وسع فيه دائرة المناقشة فى القضية المصرية » ، وان (ثقات الامة) الذين حادثوا ملنر اكدوا لها انه « أعرب عن رغبته التامة فى الاتفاق مع الامة المصرية بعقد يعقد بين انجلترا ومصر »(٧٦) .

فقد استطاعت لجنة ملنر محادثة بعض الوزراء السابقين ، وكان رشدى باشا وعدلى باشا وثروت باشا محور مساعيها ، فكتبوا الى سعد باشا بتفاصيل كل شىء وبمبلغ ما ظهر من لورد ملنر من الاستعداد وبرايهم فى ذلك(٧٧) ، ولكن ملنر لم يستطع النفاذ الى الجماهير الشعبية لسبر غورها ، ومعرفة أسباب انتفاضتها فقد كانت المقاطعة شاملة ليس ضد اللجنة مجتمعة فى القاهرة فحسب ، بل ازاء كل فرد من أفرادها يحاول التثقل على

مُسئوليته فى الأقاليم . وبدأ أن هناك هيئة دقيقة التنظيم قادرة على مراقبة تحركات جميع الأعضاء ، وبخاصة الذين يحاولون منهم الذهاب الى القرى والاتصال بالفلاحين(٧٨) . وقد ثمن سعد باشا هذه الوقفة الشجاعة للأمة فى نداءاته للجنة المركزية ، هذه الوقفة التى أثبتت « أن المسألة ليست لعب أطفال بل جد أمة »(٧٩) . فقد كان ملنر يقابل فى أى مكان يرتاده فى القاهرة بنظرات مقطبة تنم عن مشاعر غير ودية . وكلمات الصداقة التى فاه بها لم تجد صداها المناسب . فان مصر لم تكن تتحدث الا بلسان زغلول(٨٠) .

وقد استقالت وزارة يوسف وهبة ، وشكل محمد توفيق نسيم الوزارة التى خلفتها فى مقاعد الحكم . « وكانت هذه الوزارة استمرارا لوزارة يوسف وهبة باشا وهى من الوزارات التى اصطنعتها السراى ، وقامت على أساس الاستخفاف بالحركة الوطنية ومناهضتها ، فلا غرو أن قوبلت بالسخط العام »(٨١) . أما اللورد ملنر فقد عاد الى لندن فى مارس سنة ١٩٢٠ ، لكى يبدأ فى اعداد التقرير الذى سيقدمه الى الحكومة البريطانية من مهمته ، فى الوقت الذى أدرك فيه المعتدلون من المصريين «أن من المستحسن الاتصال باللجنة قبل أن تكتب تقريرها »(٨٢) . ولم يجد الوفد المصرى فى باريس عضدا فى مهمته ، فقد أوصدت دونه أبواب مؤتمر الصلح(٨٣) . وقد بادر ملنر بارسال المستر هرست أحد أعضاء لجنته الى باريس ليدعو الوفد للمجئ الى لندن للمفاوضة مع اللجنة ورأى الوفد قبل أن يلبى الدعوة ايفاد ثلاثة من أعضائه وهم : محمد محمود وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر « ليتبينوا مبلغ استعداد الحكومة البريطانية نحو المطالب القومية » . وبعد محادثة ملنر استقر « رأى الوفد على قبول دعوته والذهاب الى لندن للمفاوضة »(٨٤) . وبذلك تكون معركة المقاطعة قد انتهت بقبول الوفد وقبول لجنة ملنر ، التفاوض للوصول الى اتفاق يحقق كلا من استقلال مصر وصيانة مصالح بريطانيا(٨٥) .

مفاوضات سعد - مسفر :

كان ترحيب (المقطم) شديدا بهذه الخطوة من جانب الوفد ،
قائلة « ومما يقوى أملنا بنجاح المسعى اذا سلطنا فيه سبيل
الحكمة واعتصمنا بالسداد فى السياسة ، أن سعد باشا زغلول
أصبح معروفا عند الأمة الانجليزية حق المعرفة » ، وأن أقوال ملر
وغيره من الساسة الانجليز تدل « على أن الراى العام البريطانى
بعد زغلول باشا الآن لسان حال فريق كبير من الأمة المصرية ،
ومثلا لهم فى راىهم ، وناطقا بلسانهم وبناء على ذلك يود الانجليز
أن تكون لهم صلة به وبغيره من وجوه الأمة المصرية الذين يعبرون
ايضا عن آراء قوم منها قصد الوصول الى حل للعقدة الحالية والحكم
فى القضية المصرية » (٨٦) . ومن الثابت أن لجنة ملر لم تكن تميل
فى بداية الأمر الى الاعتراف بقوة الوفد ، ولا بأنه يمثل الأمة ،
ولكنها أخذت تتحول عن راىها تلقاء ما كانت تسمعه من عدلى باشا
وزملائه (٨٧) .

وقد رأت (المقطم) فى سفر مندوبى الوفد من باريس الى
لندن خروجاً بالقضية المصرية « من حيز القول الى حيز الفعل ،
وقع موقع القبول والارتياح عند الجمهور المصرى من اكابر خاصته
الى اصاغر عامته » (٨٨) . وضاعفت اهتمامها بنشر بلاغات اللجنة
المركزية ، كما نشرت حديثا لسعد باشا أجراه مراسلها فى باريس ،
أعلن فيه سعيه لتحقيق اهداف الأمة بما لا يخرج عن حدود توكيلها
للفد (٨٩) . وأوضحت (المقطم) أنها ستدخل معترك الحديث
عن القضية المصرية ، لأن التحول الجديد نقل القضية من محور
الجدال والمنازعات الى دائرة الفعل (٩٠) . وكررت الصحيفة نشر
الاحاديث المنسوبة لسعد باشا ، مما أدى الى مساجلة عنيفة بينها

وبين اللجنة المركزية للوند ، بسبب هذه الاحاديث التى أحدثت « ضجة فى البلاد » (٩١) . واضطرت اللجنة المركزية الى الاتصال بسعد وسؤاله عن صحة هذه الاحاديث ، فاجاب بأنه لا يعرف مراسل (المقطم) . ولم يتقدم اليه احد بهذه الصفة ، وتستطيع اللجنة تكذيب كل ما نشر على لسانه ويخالف مبدأ الوند ، وقد اوضحت (المقطم) ان المراسل لم يتقدم لسعد باسمها لانه مندوب جريدة الديلى اكسبريس البريطانية (٩٢) . وخاطبت اقطاب اللجنة المركزية معاتبة بقولها ، ان (المقطم) لم « يجن يوما ذنبا عليكم ولا على لجنتمكم ، ولا قاوم لكم عملا ولا عارض الوند فى القضية المصرية لا قولا ولا فعلا ، ولا نشر عن لسان رئيس الوند كلمة تخالف مبداه او مبادئكم ، ولا فتح عليه يوما بابا لعنتكم منذ أنشئت لجنتمكم ، فكيف ترضون ان أفرادا معلومين من لجنتمكم يضعون رئيس الوند فى موضع معرض للمؤاخذة والنقد » (٩٣) . وواصلت خطتها بنشر تصريحات سعد بعد وصوله الى العاصمة البريطانية ، فنقلت تصريحه لرويتز الذى أكد فيه على ان مصر المستقلة تبقى دائما صديقة لبريطانيا العظمى وحليفها الصادقة الولا ، وأنه لا تنازع بين استقلال مصر والمصالح البريطانية (٩٤) . وكان ذلك باعنا (للمقطم) للتحدث عن اعتدادها براياها وخطتها التى سارت عليها منذ زمن بعيد ، وكيف « ان السياسة المثلى التى تقضى بها مصر مصلحتها ويعود منها الخير على المصريين ، وهى سياسة الوثام وحسن التفاهم مع المحتلين » . وأشارت لخطا الحكومة البريطانية بمنعها الوند من السفر قبل انفجار حوادث مارس ١٩١٩ ، وأنه لولا هذا الخطا لسافر الوند الى لندن ووجد فيها « صدرا رحبا ، وعاد منها ظافرا شاكرا ، ولم يحصل مما اضر مصر وأمسى ذكره عبرة من العبر » . وترى ان الحكومة البريطانية باطلاق سراح سعد وسفر الوند تكون قد اصلحت خطأها ، وأن الوند كان عليه ان يتخذ من لندن وجهته بدلا من باريس ، التى اضاع فيها الوقت

والجهد متوهما « ان المسألة المصرية عادت فأصبحت مسألة دولية » . ولكن الوفد عاد وادرك « ان المسألة المصرية ليست مسألة دولية بل مسألة مختصة بالدولة الانجليزية ، وان القضية المصرية لن تحل ومصر لن تنال منها مناهها ، الا اذا عرضت على المحكمة المختصة بها ، وهى المحكمة البريطانية للنظر فيها ولسماع اقوال المصريين بشأنها » (٩٥) .

ونشرت (المقطم) لمراسلها (اللندنى) قوله ان المفاوضات غير الرسمية بين لجنة ملنر والوفد المصرى قد انتهت بانتظار تشكيل « لجنة ممثلة للأمة المصرية يمكن للحكومة البريطانية أن تفاوضها رسميا » . وعقبت على ذلك بقولها ، انه بالرغم من تأكيد الصحافة المحلية على أن الوفد انما ذهب الى لندن ممثلا للأمة المصرية فان (الثقات) يقولون ان الحكومة البريطانية انما تفاوض الوفد كما تفاوض غيره من اعيان المصريين ، فوزراء مصر كلهم أو بعضهم يمكن أن يشكلوا عنصرا آخر اذ القصد تكون لجنة جامعة لأعظم ما يتيسر جمعه من الآراء الممثلة لآراء الأمة بحيث يكون الاتفاق الذى يعقد بين هذه اللجنة والحكومة البريطانية اتناقا جامعا لرضا الجمهور ومانعا لشكوى فريق منهم (٩٦) . ولم يكن هذا الذى ذكرته (المقطم) منفصلا عن الموقف البريطانى نى ذلك الوقت .

وعلقت على قول سعد باشا للجنة المركزية بأن تشكيل اللجنة التى تحدثت عنها (المقطم) فيه اضعاف لصفة « الوفد ويمس كرامة القومية المصرية » ، قائلة ، ان ذلك يضعف صفة الوفد « اذا اعتبر معاليه أن الوفد وحده هو الممثل للأمة المصرية كلها ولا شريك له فى ذلك ، ولكن يلزم معاليه بعد هذا الاعتبار أن يثبت للأمة المصرية أن الحكومة البريطانية رضيت ان تفاوض الوفد بهذه الصفة اذ المفهوم والمنقول عن أعظم الثقات أن الحكومة البريطانية

لم تعترف للوفد المصرى بهذه الصفة .. وأما قوله ان ذلك يمس كرامة القومية المصرية فلا يكاد يصدق ان مراده منه هو أن يعد ضم آخرين من سراة مصر وأعيانها ووجوهها وأصحاب الراى الأصيل فيها الى اللجنة ماسا بكرامة القومية المصرية .. وكيف يعقل أن وطنيا مجربا مثل رئيس الوفد يعترض على اشتراك فريق من أبناء مصر الكرام مع الوفد المصرى فى عقد الاتفاق النهائى مع الحكومة البريطانية ؟ « (٩٧) .

وقد تمخضت المفاوضات عن تقديم ملنر لمشروع طلب الى أعضاء الوفد المصرى المفاوض مناقشته وابداء الراى فيه ، فرأى فريق منهم الموافقة عليه ، ورأى سعد « أن قبول المشروع بالصورة التى هو عليها فيه خروج على التوكيل الذى قيدت الأمة به مهمة الوفد » . وبدأت انياب الخلاف تهدد بالانقسام بين الفريقين . وهنا برزت فكرة تحكيم الأمة فى المشروع (٩٨) ورضى ملنر ورفاقه عن هذه الفكرة لأن المناقشة التى تقع فى مصر تمكنه من سبر غور الراى العام المصرى ، وأن يقارن — على حد قوله — بين قوة المعتدلين وقوة المتطرفين من أعضاء الحركة الوطنية (٩٩) واتفق الوفد مع اللورد ملنر على تأجيل المفاوضات حتى تتم هذه الاستشارة التى كانت فى ذاتها مكسبا للحركة الوطنية لأنها رجوع من الوفد الى الأمة وتثبيت لمبدأ (الأمة مصدر السلطات) الذى هو أساس النظام السياسى الصحيح (١٠٠) . وأعلنت (المقطم) ترحيبها بهذه الخطوة ، قائلة ان مجيء مندوبى الوفد الى مصر لهذا الغرض « يطابق ما يراه عقلاء القطر ، وما يتمناه كل ذى مصلحة حقيقية فيه . ولا ريب عندنا أن الأمة تقابل عمل الوفد هذا بمزيد الاستحسان وتتلقى ما تعلمه من أعضاء الوفد بالشكر والامتنان » (١٠١) .

وانطلقت (المقطم) من هذه التطورات المستجدة على القضية المصرية لتشرح مسلسل علاقاتها بالانجليز ، بعد أن وصلت مصر

بالمشروع البريطاني الجديد ، مرحلة جديدة تختلف كلية عما كان عليه الوضع منذ بداية الاحتلال البريطاني ، « فقد كانت مصالح مصر ومصالح أهلها جميعهم في عهدة الانجليز كل تلك السنين . . وكان الانجليز هم الذين يسهرون عليها ويحمونها ويسألون عنها . وهم الذين يديرونها ويديرون شئون القطر على الوجه الذي يختارونه لترقيتها ، وهم الذين يمدحهم العالم على ترقيتها اذا ارتقت ويذمهم على تأخرها وانحطاطها اذا تأخرت وانحطت . فكان المصالح المصرية كانت في عداد المصالح البريطانية بهذا الاعتبار أو من هذا القبيل . و (المقطم) كان — ولا يزال — يعتقد أن الانجليز مخلصون في غيرتهم على خير مصر ، وراغبون فعلا في ترقية مصالحها وأنه لا خوف على مصالحها منهم . واذا بدر منهم قصور أو وقع خطأ في بعضها فما ذلك عن سوء قصد منهم ولكن الانسان عرضة للقصور والنقصان ، والكمال لله وحده . ولذلك كانت سياسة (المقطم) مبنية على اعتقاده هذا ، وخطته مطابقة لحسن ظنه بالانجليز ولثقتهم بصدق مقاصدهم . وكان مبدؤه تقوية روابط الثقة بينهم وبين المصريين . وحض المصريين على شد أزهرهم في تدبير شئون مصر حبا بخير أهلها وترقية لمصالحها . فخالف (المقطم) باتباعه مبداه هذا سياسة كثيرين من الذين كانوا يرون أن مراقبة الانجليز لحكومة مصر وبقاء مصالح مصر في عهدهم ، ضرر على مصر وأهلها وتعطيل لمصالحهم . وكانوا يذمون ما يمدحه (المقطم) ويعارضون في سياستهم سياسة (المقطم) . ويوهمون العامة بأن (المقطم) لا يدافع عن مصالح مصر ، وإنما يدافع عن مصالح الانجليز ، وهي تهمة أقل ما يقال فيها أن الوهم سداها والباطل لحمتها ، إذ أقوال (المقطم) كلها تثبت أن غرضه أنها كان الدفاع عن مصالح مصر المنوط بالانجليز حفظها وترقيتها والسهر عليها . هذا ما كان منا حتى جد الاتفاق الذي اهتزت له مصر اليوم وستصبح مصر بمقتضى هذا الاتفاق ، متى تم ، مستقلة بأمورها

عن انجلترا ، وتصبح مصالح مصر خارجة عن عهدة الانجليز وملقاة على عاتق اهلها .. ولما كان مبدأ (المقطم) خدمة مصر بالحق وترقية مصالحها بالصدق مبدؤه هذا سيقضى عليه ان يناقش الانجليز حساب كل علاقة بين مصر وبينهم ، كما يناقش غيرهم بلا فرق ولا تمييز وان يدافع عن مصالح مصر ، فى كل حساب او اتفاق يقع بين مصر وبينهم ، ولا يراعى فى الدفاع عن مصالح مصر وخير اهلها رضا كبير او صغير بل يقوم بالواجب عليه علما منه انه بخدمة مصالح مصر واهلها يخدم نفسه واصحابه واولادهم وعيالهم الذين هم من جبلتهم » (١٠٢) .

وقامت بنشر ما يرد اليها من القراء حول المشروع تحت عنوان « الآراء فى مشروع الاتفاق » . كما قدمت شروحا لبندود المشروع ، وقالت ان « مصر تنال بالمعاهدة أكثر الامانى الجلى التى كانت تتبناها وكان معظم الناس لا يكادون يؤمنون بتحقيقها . لان مصر تصبح بعد هذه المعاهدة دولة مستقلة ملكية دستورية حائزة لجميع مزايا الاستقلال » . وهذا لا يعنى — كما تقول — عدم وجود مادة او مادتين فى المشروع بحاجة الى امان النظر فيهما من كل وجوهها وجلاء حقيقتهما للامة (١٠٣) . وبعد أن نشرت العديد من آراء الجمهور حول المشروع قالت ، اما « الآراء التى جاءتنا مقرونة بالتحفظات فكثيرة جدا .. واما رسائل المعارضة فأقل جدا مما تقدم » (١٠٤) ، وأن جميع الرسائل « طائفة بالاعراب عن الثقة بالوفد والشكر له على جهاده العظيم » (١٠٥) . وكانت نتيجة هذه الاستشارة ان فريقا من المصريين وخاصة الحزب الوطنى قد اعلن رفضه التام للمشروع ، وفريقا جذب قبوله ، ولكن الاتجاه العام كان يميل الى قبوله ان عدل على أساس (تحفظات) مختلفة (١٠٦) . وغادر اعضاء الوفد مصر الى باريس فى اوائل اكتوبر ١٩٢٠ . وهناك اوفد اللورد ملتر مندوبا خاصا لدعوة الوفد

الى موافاته بلندن لاتهام المفاوضات ، وعلى ذلك قرر الوفد تلبية الدعوة ، وان يصحبه عدلى باشا يكن ، فسافر اعضاء الوفد الى لندن على دفعتين (١٠٧) .

وعلقت (المقطم) على بدء الجولة الثانية من المفاوضات بقولها ، ان موقف الوفد فى زيارته الثانية للندن اثبت وامتن من موقفه فى زيارته الاولى بعد الذى ظهر من شعور الامة المصرية والراى العام البريطانى فى مشروع الاتفاق ورغبة الفريقين فى التفاهم وتوطيد قواعد الوثام والسلام « وعندنا انه مادام الاخلاص رائد الفريقين فيها يسعيان له من الاتفاق لمصلحة مصر وبريطانيا العظمى فلا يعجزان عن الوصول الى صيغ تعبر عن مرامى التحفظات التى حملها المندوبون معهم فى هذا القطر » (١٠٨) . ولكن الرياح جرت بها لا تشتهى سفينة (المقطم) ، فقد قطعت المفاوضات يوم ٩ نوفمبر ١٩٢٠ ، فى اجتماع عاصف عقد بين اعضاء الوفد ولجنة ملنر حيث تلا اللورد ملنر مذكرة صرح فيها بعدم قبول المناقشة فى (التحفظات) التى ابدتها الامة المصرية ، وترك المجال مفتوحا لمناقشتها فى مفاوضات رسمية (١٠٩) . ولكن الوفد يغادر لندن عائدا الى باريس ، وهناك يجتمع بكامل هيئته ويقرر الا يدخل المفاوضات الرسمية على اساس مشروع ملنر قبل تعديل هذا الاساس بالتحفظات التى ابدتها الامة (١١٠) .

الخلافات داخل الوفد :

ظهرت الخلافات والانقسامات بوضوح فى صفوف اعضاء الوفد خلال فترة تواجدهم فى باريس ، وادى الى تفاقمها « فساد العلاقة بين سعد رئيس الوفد وعدلى يكن ، الذى كان يقوم بدور الوساطة بين الوفد ولجنة ملنر » (١١١) . وأشارت (المقطم) الى ما تداوله بعض الصحف فى كل من مصر وبريطانيا ، حول الخلافات

بين رئيس الوفد وعدد من أعضائه (١١٢) . ورددت أصداء الترحيب الذى استقبل به عدلى لدى عودته الى مصر ، ونشرت التفرافات التى تشيد بجهوده فى خدمة القضية الوطنية ، مع الوفد المحبوب وسائر أعضائه الذين « ضحوا معكم كل مرتخص وغال فى تحقيق رغبات الأمة » (١١٣) . ودعت (المقطم) الى عدم الاستعجال فى اصدار الأحكام القاطعة على هذا الطرف أو ذاك ، فالمسألة المصرية خطيرة الشأن ويتوجب أن يكون الموقف فيها « موقف تعاون على تحقيق مصلحة مصر القائمة على مشيئة شعبها وضمان هذه المصلحة بخير ما تضمن به مصالح الشعوب » (١١٤) .

وقد أدت الخلافات الناشئة داخل الوفد الى عودة عدد من أعضائه الى القاهرة ، وهم : أحمد لطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل وعبد العزيز فهمى ، فتقول (المقطم) ، أن الآراء « قد تضاربت فى الغرض من قدوم حضرات الأعضاء القادمين وكثر القال والقليل . وعندنا أن خير ما يفعله الجمهور الآن انتظار وصول حضراتهم والبيان الذى ينشرونه على الأمة فى موضوع مهمتهم » (١١٥) . وبعد وصولهم وعلانهم التمسك بالغاء الحماية وبجميع تحفظات الأمة قالت انها « مصلحة مصر فاحرصوا عليها ولا تدعوها عرضة للخسارة أو الضياع فقد قطعت الأمة كبرى المراحل ولم يبق سوى صفراها ، ولكنها لا تقطعها بسلام الا اذا ظل الاتحاد شعارها والتعاون رائدها » (١١٦) ونشر هؤلاء الأعضاء وزملاؤهم الذين يقيمون فى مصر بياناً الى الأمة يؤكدون فيه على وحدة الوفد تحت قيادة الرئيس الجليل .

ولم يكن الأمر فى حقيقته متفقا مع ما أذاعه أعضاء الوفد ، فقد كانت الخلافات عميقة وكان سعد قد ودع زملاءه بشعور الغيظ والأسف ، وأراد أن يسبق الأعضاء العائدين الى القاهرة فى أخذ

المبادرة لنفسه وحتى يسمم الجو أمامهم فى مصر فأرسل تلفرافه المشهور (نبتت فكرة) الذى يحذر فيه أعضاء لجنة الوفد المركزية من أن العائدين يرون الدخول فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية بعد تشكيل حكومة مصرية موثوق بها بلا شرط ولا قيد . وقد كان لهذه البرقية أبلغ الأثر فى توسيع هذه الخلافات بل أنها كانت من العوامل الرئيسية التى دفعت هؤلاء الأعضاء وغيرهم الى تأييد عدلى يكن فى خلافه مع سعد زغلول وتخليهم غيما بعد عن عضوية الوفد المصرى (١١٧) . ولم تتدخل (المقطم) مباشرة فى الحديث عن هذه الخلافات وبواعثها ، ولكنها نشرت اقوال الصحف البريطانية مثل (المورنج بوست) و (التايمز) اللتين تحدثنا عن انفصال هؤلاء الأعضاء ونفاذ اموال الوفد واكتشاف « أن لا فائدة ترجى من الاستمرار على القواعد التى يصر زغلول باثسا على اتباعها » (١١٨) .

فى هذه الأثناء ، قدم ملنر تقريره الى حكومته ، التى سمحت بنشره فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢١ ، وقد أوردت (المقطم) أبرز الأفكار التى تضمنها التقرير وقالت أنه « منحى جديد فى سياسات الشعوب » ، وسيكون « علما يهتدى به فى فئانى السياسة الدولية » . ودعت اقران ملنر من أعضاء الوزارة البريطانية الى الاقتداء به « فبواصلوا السعى للتوفيق بين البلدين ويحكموا بناء صرح الشرق الاوسط على عواطف الولاء والصداقة بين الشعب المصرى الناهض المطالب بحقوقه والشعب البريطانى » (١١٩) . والواقع أن هذا التقرير يعتبر وثيقة سياسية بارعة ترسم الأسباب التى أدت الى الحركة المصرية فى سنة ١٩١٩ بصراحة ودقة ثم ترسم السياسة التى يجب على الحكومة البريطانية ان تتبعها فى مصر (١٢٠) . فقد كانت هى المرة الأولى التى تثن فيها الحركة الوطنية المصرية بصدق من قبل هيئة بريطانية رسمية (١٢١) . وقد

راى ملئر بوضوح ان الامبراطورية البريطانية لا تستطيع الاحتفاظ بمصالحها الحيوية وهى تواجه العداء الدائم من الشعب المصرى وأن عليها ان تنوز بثقته الى حد ما (١٢٢) . وعلى اثر دراسة الوزارة البريطانية — وزارة المستر لويد جورج — تقرير اللورد ملئر قررت اعتبار الحماية التى اعلنتها على مصر علاقة غير مرضية ، ودعوة مصر الى الدخول فى مفاوضات رسمية ، وقد ابلغ اللورد اللنبى هذا القرار الى السلطان فؤاد فى خطاب أرسله اليه فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ . وكان هذا الاعتراف حجة جديدة كسبتها مصر فى ميدان النضال (١٢٣) . لكن هذا التبليغ له الى جانب هذه الصورة القانونية البحتة صورة عملية . فهو يطلب الى مصر ان تعد المدة لاقامة علاقاتها مع انجلترا على أساس جديد . وهو يطلب الى صاحب العرش فى مصر ان يعين من يتولى المفاوضة لتصوير هذا الأساس الجديد وتفصيله . ولن يتولى ذلك الا وزارة تكون موضع ثقة الأمة التى اظهرت — فى غير لبس و لا ايهام — انها لن ترضى عن استقلالها بديلا (١٢٤) . وكانت وزارة عدلى الذى كلف بتشكيلها فى ١٦ مارس ١٩٢١ بضغط من المندوب السامى البريطانى ، نظرا لأن بريطانيا املت فيه الوصول الى توقيع المعاهدة نظرا لاتساق فكره مع مسلكه ومساغيه ايا كان نوعها (١٢٥) . والظاهر أن ما تام به عدلى باشا يكن من وساطة بين لجنة ملئر والوفد المصرى وما بذله من جهد فى أثناء مباحثات الهيئتين ، للتوفيق بينهما وتذليل الصعوبات ، رشحه فى نظر الحكومة الانجليزية ليكون الزعيم المصرى الذى يقبل التسوية فى جوهرها (١٢٦) .

وقد دئعت هذه التطورات برمتها سعدا الى التفكير الجدى فى العودة الى مصر ، فغراه يقول لسركتيره محمد كامل سليم ان المعركة كلها قد انحسرت داخل مصر فلا معنى لبقائنا هنا فى باريس ولا يمكن ان ادير معركة بالبرقيات الموجزة الغالية الثمن

او الرسائل المطولة التى لا يقرؤها الا اصحابها ومن حولهم من
الاصدقاء . ما هكذا يكون الكفاح ولا هكذا تدار المعارك (١٢٧) ، فقد
صدمته هذه الاخبار — كما يقول الجود — وهو فى باريس لأنه
كان يعتبر نفسه الممثل الوحيد للشعب ، فأدرك حقيقة الموقف وأعلن
بدء الحرب (١٢٨) . وبقرار سعد زغلول العودة الى مصر تبدأ
صفحة جديدة فى الكفاح الوطنى للشعب المصرى فى نضاله من أجل
اهدافه القومية .

* * *

وهكذا ، فعندما انطلقت الثورة كانت (المقطم) ماتزال ونية
لنهجها الاحتلالى القديم ، نرات فيها فتنة شديدة ونكبة كبرى ،
وفى مشعل نيرانها رعاها همهم السلب والنهب والتخريب ، وعندما
بدأت تتحدد ابعادها وتوضح آثارها تجاوزت (المقطم) معها الى
حدا ، وتحدثت عن مشيئة الامة ورغباتها . ولكنها ، بالرغم
من التجاوب المحدود ، فقد ظلت فيما تكتبه ، منسجمة مع السياسة
البريطانية وفق المتغيرات الجديدة التى طرات على الموقف البريطانى
ازاء مصر والدور الذى لعبته الثورة المصرية فى أحداث هذه
المتغيرات دون أن تغفل بالطبع ما فرضته هذه المتغيرات من اهتمام
بالامانى القومية المصرية .

هوامش الفصل الخامس

- (١) عبد الخالق لاثين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، دار العودة ، بيروت ، ومكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٩٩ .
- (٢) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١١٧ .
- (٣) المقطم ١١ مارس ١٩١٩ .
- Young, George, Egypt, London, 1930, P. 239. (٤)
- Marshall, J.B. The Egyptian Enigma 1890 -- 1928, London, 1928, P. 28. (٥)
- (٦) المقطم ١٢ مارس ١٩١٩ .
- (٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨ - ١٩٢٦ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٥ .
- (٨) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول مسيرة وتحية ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ٢٢٨ .
- (٩) المقطم ١٤ - ١٥ مارس ١٩١٩ .
- (١٠) عبد الخالق لاثين ، سعد زغلول ، ص ٢١٠ .
- (١١) عاصم عبد المطلب ، دور الطلبة المصريين في الحركة الوطنية ١٩١٩ - ١٩٥٢ ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨ .
- (١٢) المقطم ٢١ مارس ١٩١٩ .

- (١٣) المقطم ٢٤ مارس ١٩١٩ .
- (١٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ١٤٤ .
- (١٥) عباس العقاد ، سعد زغلول ، ص ٢٢٩ .
- (١٦) عاصم محروس عبد المطلب ، دور الطلبة المصريين ، ص ٥١ .
- (١٧) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٢١٨ .
- (١٨) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ج ١ ، ص ١٦٦ .
- (١٩) المقطم ٢٦ مارس ١٩١٩ .
- (٢٠) Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer,, Vo. 1, London, 1933, PP. 302 — 303.
- (٢١) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٨٥ .
- (٢٢) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .
- (٢٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ١٤٩ .
- (٢٤) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .
- (٢٥) المقطم ٢ أبريل ١٩١٩ .
- (٢٦) المارشال ويل ، اللبني في مصر ، ترجمة على إبراهيم الأنطش ومصطفى كامل فودة ، مكتبة مديبولي ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٤ .
- (٢٧) Newman, E.W. Polson, Great Britain in Egypt, London, 1928, P. 223.
- (٢٨) المقطم ٨ أبريل ١٩١٩ .
- (٢٩) المقطم ٩ أبريل ١٩١٩ .
- (٣٠) يونان لبیب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .
- (٣١) المقطم ١٠ أبريل ١٩١٩ .
- (٣٢) المقطم ١١ أبريل ١٩١٩ .
- (٣٣) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٠ .
- (٣٤) المقطم ٣٠ أبريل ١٩١٩ .
- (٣٥) Chiról, Sir, Valéntine, The Egyptian problem, London, 1920, P. 205.
- (٣٦) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٢٥ .
- (٣٧) المقطم ٢٣ مايو ١٩١٩ .
- (٣٨) المقطم ٢٤ مايو ١٩١٩ .

- (٣٩) المقطم ١٠ يونيو ١٩١٩ .
- (٤٠) المقطم ١٠ يوليو ١٩١٩ .
- (٤١) المقطم ١١ يوليو ١٩١٩ .
- (٤٢) المقطم ٢٦ يونيو ١٩١٩ .
- (٤٣) المقطم ١ يوليو ١٩١٩ .
- (٤٤) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٣١ .
- (٤٥) المقطم ١٢ يوليو ١٩١٩ .
- (٤٦) المقطم ١٤ يوليو ١٩١٩ .
- (٤٧) المقطم ١٦ يوليو ١٩١٩ .
- (٤٨) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٣١ .
- (٤٩) خليل صابات وسامي عزيز ويونان لبیب رزق ، حرية الصحافة في مصر ، مكتبة الوحي العربي ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٢٢ — ٣٣٥ .
- (٥٠) المقطم ١٣ أغسطس ١٩١٩ .
- (٥١) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣٦ — ٣٧ .
- (٥٢) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩١٩ .
- (٥٣) المقطم ١٩ أغسطس ، ٢٠ أغسطس ، ١ سبتمبر ، ٢ سبتمبر ١٩١٩ .
- (٥٤) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ١٢ .
- (٥٥) Zayrd, M.U. Egypt's Struggle for Independence, Beirut, 1965, P. 88.
- (٥٦) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٣٨٥ .
- (٥٧) المقطم ٨ أكتوبر ١٩١٩ .
- (٥٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ١٨ — ٢٦ ، ص ٢٢٦ .
- (٥٩) المقطم ٣١ أكتوبر ، ١ نوفمبر ١٩١٩ .
- (٦٠) المقطم ٧ نوفمبر ١٩١٩ .
- (٦١) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩١٩ .
- (٦٢) المقطم ١٨ نوفمبر ١٩١٩ .
- (٦٣) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٠ — ٥١ .
- (٦٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٢٢٩ .
- (٦٥) يونان لبیب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٧ .

- (٦٦) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩١٩ (محمد توفيق السيد ابلاظة) .
- (٦٧) المقطم ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ (على الجوهري — قليوب) .
- (٦٨) المقطم ٦ ديسمبر ١٩١٩ .
- (٦٩) المقطم ٩ ديسمبر ١٩١٩ .
- (٧٠) المقطم ١١ ديسمبر ١٩١٩ .
- (٧١) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩١٩ .
- (٧٢) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩١٩ .
- (٧٣) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٧٨ — ٧٩ .
- (٧٤) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٥ .
- (٧٥) المقطم ١٦ ديسمبر ١٩١٩ .
- (٧٦) المقطم ٣ يناير ١٩٢٠ .

(٧٧) محمود أبو الفتح ، المسألة المصرية والوفد ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٣٥ .
 Chirol, Sir Valentine, Op. Cit., PP. 263 — 364. (٧٨)

(٧٩) المقطم ٣ مارس ١٩٢٠ .

Elgood, P.G. The Transit of Egypt, London, 1923, (٨٠)
 PP. 254 — 255.

- (٨١) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٩٣ .
- (٨٢) المارشال ويفل ، اللنبى في مصر ، ص ٦٥ .
- (٨٣) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
- (٨٤) عبد الرحمن الرافعي ، ص ٩٦ .
- (٨٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٢٧٤ .
- (٨٦) المقطم ٢٢ مايو ١٩٢٠ .
- (٨٧) محمود أبو الفتح ، المسألة المصرية والوفد ، ص ٢٢٤ .
- (٨٨) المقطم ٢٧ مايو ١٩٢٠ .
- (٨٩) المقطم ٥ يونيو ١٩٢٠ .
- (٩٠) المقطم ١٢ مايو ١٩٢٠ .

- (٩١) أحمد شفيق ، حوليات مصر السياسية ، تهديد ، ج ١ . مطبعة شفيق
- باشا ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ٧٠٩ .
- (٩٢) المقطم ١٦ يونيو ١٩٢٠ .
- (٩٣) المقطم ١٧ يونيو ١٩٢٠ .

- (٩٤) المقطم ٥ يوليو ١٩٢٠ .
- (٩٥) المقطم ٦ يونيو ١٩٢٠ .
- (٩٦) المقطم ١٤ يوليو ١٩٢٠ .
- (٩٧) المقطم ١٦ يوليو ١٩٢٠ .
- (٩٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٢٩٤ .
- (٩٩) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٨٢ .
- (١٠٠) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .
- (١٠١) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٢٠ .
- (١٠٢) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٢٠ .
- (١٠٣) المقطم ١٥ سبتمبر ١٩٢٠ .
- (١٠٤) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٠ .
- (١٠٥) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٢٠ .
- (١٠٦) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية — البريطانية ، ص ٧٧ .
- (١٠٧) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
- (١٠٨) المقطم ١٤ أكتوبر ١٩٢٠ .
- (١٠٩) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٨٠ .
- (١١٠) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
- (١١١) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٤٨ .
- (١١٢) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٠ .
- (١١٣) المقطم ١ ديسمبر ١٩٢٠ .
- (١١٤) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩٢٠ .
- (١١٥) المقطم ٢٤ يناير ١٩٢١ .
- (١١٦) المقطم ٢٧ يناير ١٩٢١ .
- (١١٧) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٤٩ .
- (١١٨) المقطم ٤ فبراير ١٩٢١ .
- (١١٩) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٢١ .
- (١٢٠) محمد حسين هيكل ، مذكرات من السياسة المصرية ، ج ١ ، مكتبة

النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١١١ .

Zayid, M.Y., Egypt's Struggle For Independence, (١٢١)
Op. Cit., P. 92.

Berque, Jacques, Egypt : Imperialism and Re- (١٢٢)
volution, London, 1972, P. 318.

(١٢٣) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(١٢٤) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(١٢٥) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٢٢١ .

(١٢٦) محمد شفيق غريال ، تاريخ المفاوضات ، ص ٨٢ .

(١٢٧) محمد كامل سليم ، أزمة الوفد الكبرى سعد وعدلى ، كتاب اليوم ، دار

أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٧ .

Elgood, P.G., The Transit of Egypt, Op. Cit., PP. (١٢٨)
277 — 278.

الفصل السادس

المقطع وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

معركة سعد وعلى :

شاركت (المقطم) فى الابتهاج العام بعودة سعد ، واستعداد الأمة لاستقباله كابن كريم من ابنائها الذين أنجبتهم مصر لخير مصر (١) . وكتبت يوم وصوله تقول ان الأمة المصرية قد ضفرت هذه الايام « اكاليل الغار واخذت تضعها على مفارق الذين تريد تكريمهم اعترافا منها بفضلهم وجميل سعيهم وصدق خدمتهم .. واليوم تضع الأمة اكليلا خالدا من هذه الاكاليل على مفرق ابن كريم من ابنائها المجاهدين وتكرم معه كل مجاهد فى خدمتها وكل مدافع عن قضيتها .. وترحب مصر اليوم برئيس وندها ورافع صوتها فى مشارق الارض ومغاربها » (٢) . وقالت ان استقبال الاسكندرية لسعد سيظل « فى تاريخها مذكورا بجلال حفلاته ماثورا بعظم وقائمه ، وسيحدث الذين شهدوه الذين سمعوا بخبره ، فيصفون لهم ما رسخ فى اذهانهم من صور الجلال ومظاهر البهجة والسرور ، وآيات الاتحاد التى تتجلى به عظمة الشعوب » (٣) . ونشرت نصوص الخطب التكريمية التى القيت احتفالا بقدوم سعد وخطابه الذى رد به على مستقبله وقال فيه : ما سعد واصحابه بالانبياء فيكم اتوا بالمعجزات ، ولا هم باولياء اتوا بمكرمات بينكم ولكنهم افراد منكم وهم خدام مبادئكم . ووصفت استقبال القاهرة لسعد بانه « يوم القاهرة العظيم حيث اجتمعت مصر فى القاهرة لتكريم

ابن مصر الكريم وطاب فيها الاجتماع فكانت العاصمة القطر ، وكان القطر العاصمة فى كل مدينة من مدنه وقرية من قراه ، مثل ما فيها من الشعور والعواطف «٤) . ولم تكن (المقطم) مبالغة فى وصفها لاستقبال مصر لسعد ، فقد اتفق كل الذين كتبوا عن ذلك اليوم بأن الاستقبال كان منقطع النظير ، خرج فيه الشعب عن بكرة أبيه لتحية رئيس الوفد والهتاف باسمه بما لم تشهد له مصر نظيرا فى تاريخها من قبل(٥) .

وقد ملك سعد ناصية الموقف من ساعة وصوله الى شاطئ الاسكندرية وثبت فى عالم العيان ان كان فى شك من الأمر أن هذا الرجل اقوى قوة فى سياسة مصر القومية ، وأن كل اتفاق بين مصر وانجلترا يتم على الرغم من هذا الرجل أو مع اغفال شأنه وتهوين خطره مستحيل(٦) . وقد بدا سعد فور عودته بالتباحث مع الوزارة حول الشروط التى يقبل على أساسها اشتراكه فى المفاوضات الرسمية ، وتمثل هذه الشروط بأن تكون الغاية من المفاوضات الوصول الى الغاء الحماية بوجه عام وتحقيق الاستقلال الدولى والداخلى لمصر ، والغاء الأحكام العرفية ، وأن تكون للوفد أغلبية المفاوضات وكذلك الرئاسة . ولم يكن ثمة خلاف بين سعد وعدلى على الشرطين الاول والثانى ، أما عن الشرط الثالث وهو الخاص بالغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف قبل البدء بالمفاوضات ، فلم يكن فى مقدور الوزارة الغاء الأحكام العرفية ، لأن هذه الأحكام قد أعلنت بقرار من السلطة العسكرية البريطانية ، فكان لابد من موافقة هذه السلطة على رفعها أما الشرط الرابع المتمثل بالرئاسة ، فقد شكل الخلاف الجوهرى بينهما(٧) .

وتابعت (المقطم) قصة الخلاف منذ بدايته ، وحاولت أن تظهر بمظهر المحايد بين الطرفين ، وأن تكون عادلة فى الاهتمام بأفكار

كل طرف منهما وبياناته ، وركزت على الدعوة الى الاتحاد والرجوع الى الامة . ففراها تقول : « لدى الامة المصرية اليوم بيانان خطيران تاريخيان احدهما لوزارة الثقة وآخر للوفد المصرى بلسان معالى رئيسه ، وبیت التصيد فيها انها يدوران على محور واحد ، وهو ان الامة هى المرجع الاعلى فى مصيرها ولها دون سواها القول الفصل فى تقرير هذا المصير » (٨) . ودعت الى مواجهة الازمة التى بدأت بالتصاعد بين الوفد والوزارة باستخدام « الحصافة والدراية وسعة الصدر وبعد النظر » فان « لكل من هاتين الهيئتين ماضيا يشهد لهما بالجهد العظيم فى خدمة مصر وسكانها والدفاع عن القضية المصرية ، وكل منهما مؤلف من افراد عرفوا بطول الباع وبعد النظر وصدق الوطنية » (٩) . وقالت اننا ندع مسألة تاليف الوفد الرسمى والخطة التى تتبع فى ذلك وكيفية ادارة المفاوضات « لحكمة اقطابنا الذين وضعت الامة ثقتها فيهم » (١٠) ، فالغاية العظمى يجب الا تكون موضع خلاف مادام الوفد والوزارة العدلية يعلنان التزامهما بما تقرره الامة (١١) . ولكن (المقطم) سرعان ما تخرج عن حيادها بعد اعلان سعد اصراره على موقفه من مسألة الرئاسة بقولها : « ويرى بعض الذين ذاكرونا فى هذا الموضوع على اثر ما سمعوه من تصريح معاليه ان العرف المرعى بين الدون لا يجيز ان تكون الرئاسة لغير الوزارة اذا كانت داخلية فى المفاوضات ومهما يكن من الامر غالقضية المصرية قضية جدية لا يجوز تأجيلها لاعتبارات كالا اعتبارات المتقدمة » (١٢) .

وحاولت (المقطم) التقليل من شأن منصب رئاسة الوفد الرسمى « فترئيس الوفد الرسمى يجب ان لا تكون سلطته أكثر من سلطة زملائه ، فلا يبرم ولا يحل الا باجماع الهيئة وبموافقة اغليبيتها ، وليس له ان ينطق بلسانها من غير رضاها . فهو والحالة هذه عنوان سلطة الوفد ، ولكنه ليس بصاحب هذه السلطة وليس له

أن يستأثر بها » . وأما سعد « هذا الرجل الفرد الذى صار اسمه عنوانا للنهضة المصرية واحبته الأمة حبا يقرب من العبادة فجعلته رجلا الأوحى وبطلها الأجد ، أن هذا الرجل نال فى القلوب مرتبة سامية ليس فوقها مرتبة ، فكل منصب يتقلده إنما يكون دون هذه المرتبة التى له فى القلوب . وله فى شخصيته ما يجعله عديم الند والنظير » . وبناء عليه ، فإنه يلزم اتباع ما هو معروف من الأصول المرعية التى « يحافظ المشتغلون بالسياسة عليها أتم محافظة تفاديا من وقوع الاشكال وتكراره » (١٣) . وهى تقصد بذلك أن يتولى رئيس الوزارة رئاسة الوفد الرسمى . ودعت سعدا صراحة الى التخلّى عن مطالبه بقولها : « والأمة ولها الحق تنتظر من سعد أكثر مما تنتظر من سواء ابداء اخلاصه لأنها منحت ما لم يمنحه أحد من قبل فما أولاه أن يضحي شيئا طفيفا ذاتيا أن وجبت التضحية لانقاذ بلاده ومقابلته جميل الأمة بمثله » (١٤) .

ونشرت بيان بعض أعضاء الوفد الذين يحتجون فيه على تفرد سعد باتخاذ المواقف المعارضة لاجماع الوفد وخاصة فيما يتعلق باعلانه عدم الثقة بالوزارة ، مؤكدين من ناحيتهم ثقتهم بوزارة عدلى (١٥) . كما أبدت الاقتراحات الداعية لرأب الصدع التى تقدم بها عدد من الشخصيات والهيئات . ولكن الضجة التى رافقت انزعاج الأمة وانقسامها أضاعت معها « الكثير من الاقتراحات والأصوات التى سعت لحسم الخلاف بما لا يضيع على الأمة حقا من حقوقها » (١٦) . وتساعلت الصحيفة قائلة « أين محبو وطنهم ؟ وأين أصحاب الكلمة المسبوغة فى هذا الوطن ؟ وأين أرباب العقول الراجحة والآراء الناضجة ؟ وأين ذوو الحمية والغيرة القومية يجمعون الشمل ويرأبون الصدع ؟ » (١٧) .

وقالت انه « لو صرف المشتغلون بقضية مصر اليوم هذا الجدل الذى ينفقونه فى تسويغ ما يفعله كل فريق منهم وما يراه ، لو

صرفوه فى راب الصدع وجمع الشمل لكان لهم من القوة ما يذل الصعاب ويلاشى العقبات ويجعل مصر بآمن من مغبة الخلاف وعواقب الشقاق « ١٨ » .

ودعت المصريين بعد ازدياد موجة المظاهرات التى تلت اعلان تاليف الوفد الرسمى ، الى ان يصوغوا لمصر تاج الوطنية وان يرفعوا على رأسها تاج الوحدة القومية فهى العلاج الناجع وهى الدواء النافع (١٩) .

ونشرت خطاب سعد الى السلطان الذى يستنكر فيه ما يتعرض له المتظاهرون من قمع على ايدى رجال الحكومة الذين « ينكرون بالناس تنكيلا » وبلاغ مجلس الوزراء الذى ينفى ما وصفه بالمزاعم غير الصحيحة لسعد (٢٠) . فقد اشتد الجدل بين الطرفين وسارت جوع المتظاهرين ضد الوزارة ، فتدخل البوليس بالعصى اولاً ثم اضطر الى استعمال السلاح عندما قامت المظاهرات تنادى بسقوط يكن الخائن (٢١) . وكان سعد بطبيعة الحال يشجع هذه المظاهرات علناً ويتخذها عنواناً صادقاً على تأييد الأمة له ونبذها من لا يسلمون بزعامته (٢٢) . . وكان أشد المظاهرات عنفاً فى الاسكندرية التى شهدت اشتباكات بين المصريين والاجانب راح ضحيتها عدد كبير من الفريقين ، واعربت (المقطم) عن اسفها لهذه الحوادث المحزنة ، ورحبت بنداء سعد الذى طالب فيه الجماهير بالهدوء والرزانة فى معاملة الجميع ، ودعت الصحيفة الاجانب الى العمل والتصرف بما تقتضيه مصلحة القطر ، وان يساعدوا فى اطفاء نار ليس فى مصلحة احد اتساع نطاقها وتطايير شررها (٢٣) . ورحبت بما جاء فى بلاغ النبى من دعوة المصريين « الى التبصر فى حقائق الامور واتباع مقتضى الدواعى الوطنية السياسية فى تقدير اخلاص سياسة الصداقة حق قدره بين مصر

وبريطانيا « واعتبرتها « دعوة جديرة بالاعتبار » قائلة ان « هذه الحقيقة قد تجلت للمصريين والبريطانيين وهى السر فى قرار الحكومة البريطانية عدم تقييد الفريقين المتفاوضين بقيود وعدم حصر مواضيع البحث رغبة فى ادراك الغاية التى ينشدها الفريقان من انشاء اتفاق وطيد الدعائم ثابت الأركان » (٢٤) .

وقامت (المقطم) بنشر رسائل التأييد والثقة للوزارة العدلية، وكذلك الرسائل التى تمتدح خطة سعد زغلول وتؤيدها بالاضافة الى اخبار الوفود القادمة من اقاليم البلاد المختلفة تحمل التأييد لكلا الطرفين ، سعد وعدلى ، أو الوفد المصرى والوزارة العدلية ، هذا بعض ما تضمنته تلك الرسائل ، فعلى يتصف بعفة النفس والكرامة واحترامه الشديد لنفسه (٢٥) . وسعد « ملء الأنواء والقلوب واسم سعد بين حنايا الضلوع يجله الأمير ويحترمه الكبير ويحبه الصغير » (٢٦) . وثالث يرى ان سلطان سعد مقصور على جماعة قليلة تحرك الجماهير البسيطة بأساليب لا محل لذكرها (٢٧) .

ولكن سعد فى رأى كاتب رابع هو « وكيل الأمة فى المطالبة بالاستقلال التام لوادى النيل » وأنه « خير من وفى لأمة بعهد عاهدها وعاهد الله عليه » (٢٨) . ورسالة تقدم محاولة توفيقية بين طرفى النزاع تدعو لتأييد الوزارة فى مهمتها التفاوضية مع الحفاظ على زعامة سعد وتوكيله عن الأمة حيث لا تناقض بين هاتين الناحيتين قائلة « احفظوا للزعيم مكانه .. ولكن ناصرُوا من يسعى لخير البلاد » (٢٩) .

ونشرت الصحيفة الاحتجاجات التى انطلقت من سائر الهيئات والأحزاب المصرية ردا على تصريح تشرشل وزير المستعمرات البريطانية الذى أعلن فيه ان الوقت لم يحن بعد لجلاء الجيوش

البريطانية عن مصر « خشية أن يقضى الرعاع فى القاهرة والاسكندرية على حياة الجاليات الأجنبية وينهار صرح الإصلاحات التى تمت على يد الإدارة البريطانية » كما تحدثت عن (اجتماع عظيم) عقد فى دار الأمير عزيز حسن وشارك فيه سعد والشخصيات الوطنية ، للاحتجاج على تصريح الوزير البريطانى حيث وقف « صاحب المعالى سعد باشا واندفع يخطب على الحاضرين وكانوا كلهم أذانا صاغية ، وقد ظل ساعة كاملة يتكلم بصوت جهورى والحاضرون يؤمنون على كلامه ويتقاطعون بالاستحسان » وبعد انتهاء الاجتماع ودع الحاضرون سعدا « بالتصفيق والتلهيل .. وانصرفوا جميعا وهم يهتفون لمصر وللمعالى سعد باشا وللاستقلال التام » (٣٠) .

مفاوضات عدلى - كيرزون :

فى هذه الظروف التعسة من انقسام الأمة وبعد مذبة الاسكندرية وتصريح تشرشل السابق ، سافر الوفد الرسمى برئاسة عدلى باشا من الاسكندرية فى يوم اول يوليو ١٩٢١ ليجرى المفاوضات مع بريطانيا (٣١) . ونشرت (المقطم) وقائع توديع الوفد الرسمى التى تضمنت كلمة لعدلى ردا على تحية الخطباء له (٣٢) ، وكلمة لاحد الكتاب يعرب فيها عن تمنياته بالنجاح لعدلى فى هذه المهمة التى تحملها وقطع بها عهدا بينه وبين الأمة (٣٣) . وتعليقا يقول كاتبه ان « يوم توديع الوفد كان يوما مشهودا فيه تجلت الوطنية والقومية بأبهى معانيها فان اعلان الثقة العامة بالوفد من جميع طبقات الأمة لا ينكره عاقل .. وهذا المظهر الجليل لم يسبق له مثيل » (٣٤) .

وكتبت الصحيفة فى مقالها الافتتاحية تقول : « ان الركن الأكبر فى القضية المصرية بل فى قضية كل بلاد من بلدان الشرق الأدنى انما هو اهل البلاد أنفسهم وان مصالح المصريين ومستقبلهم

ومستقبل أولادهم من بعدهم هو حجر الزاوية فى كل ما يعمل لادارة شئونهم وتنظيم أحكامهم ، وان سائر المصالح ومصالح سائر الناس فى مصر يجب أن تكون تابعة لمصالحهم القومية . . فقد علمنا الاختبار أن السعادة والفوز لا يأتيان من الخارج ، ولكنها ينشآن من الداخل « (٣٥) فواجب مصر الآن يحتم تعزيز موقف الوفد المفاوض باسم مصر فإذا « نطق بلسانها وجب أن ينطق بلسان فصيح ولفظ صريح يسمعه الانجليز ويقتفون منه على مطالب الأمة المصرية الحقيقية أى أقل ما تقبله هذه الأمة للاتفاق مع انجلترا فإذا سعينا الآن لأحباط مبعاهيه أضعننا موقفه واستفاد الانجليز مما يرون فينا من الشقاق « (٣٦) ، ففى « يد هذه الأمة أن تشدد ساعد وفدها بما تظهر من حكمة واتحاد كلمة كما أن فى يدها أن تضعف عزيمته ، ويلوح أن الفرصة سانحة اليوم وأن الانجليز يريدون حل مشاكلهم الخارجية ليتفرغوا لأمورهم المالية والاقتصادية الداخلية فإذا أيدت الأمة الوفد بما تبدى من التضامن والاتحاد وحسن النية فانها تخدم قضية مصر فى ظرف ملائم خدمة جليلة . وقد لا تسنح هذه الفرصة ثانية الا بعد مدة أخرى « (٣٧) .

ونشرت (المقطم) بيان أعضاء الوفد (المنفصلين) أخيرا ، يشيرون فيه الى خطورة اعتبار بريطانيا العظمى حكما وهى الخصم ، وهم يقصدون بذلك المهمة التى كلف بها (مكرم عبيد) من قبل الوفد المصرى لنشر دعاية مضادة لعدلى فى بريطانيا . وكذلك بعثة (سوان) البرلمانية البريطانية التى دعاها سعد لزيارة مصر (٣٨) .

ورد كاتب وفدى على هذا البيان بقوله : « ان المنشقين كانوا من الذين تعرفوا بهؤلاء الأحرار وعدوا الاستعانة بهم غنما كبيرا للبلاد . فما بالهم أصلح الله حالهم انقلبوا يعدونهم مستعمرين ويعدون سعيهم ضارا باستقلالها ؟ « (٩٢) . كما أبدى سعد دهشته .

لهذا الموقف المعارض للبعثة البريطانية فى خطاب قال فيه : « عجباً عجباً من الوزارتين يستحلون أن يلتمسوا من الانجليز الوظائف التى يتربعون فيها والسلطة التى يتصرفون بها فى أرواح اخوانهم ودمائهم وكراماتهم ويمعدون كل هذا سائفاً فى قانون الوطنية ولكن الشكوى من ارتكاب الظلم الفاحش، من ذلك كله لمن له القدرة على رفعه جريمة لا تغتفر وخيانة وطنية » (٤٠) .

والى جانب ما كانت الصحيفة تنشره من خطاب سعد التى يلقيها أمام زائريه والمحتفلين به والرسائل المؤيدة لسياسته ، كانت تنشر أيضاً الرسائل المؤيدة للوزارة والتى تهاجم سعداً بضراوة ، ومن ذلك ما جاء فى احداها « نعلك باستيائنا الشديد منك ومن خطتك الجائرة التى انقذتك ثقتنا ، لاننا لم نكن ننتظر منك أن تطلب وساطة الانجليز فى شأن من شئوننا الداخلية ، لذلك نعلك بسحب توكيلنا منك » (٤١) .

وتبلغ حدة الهجوم على سعد ذروتها فى قول أحدهم « ان اعيان البلاد وسراتها ما سحّبوا ثقتهم من الزعيم الا لما هالهم وافزعهم من استحضاره لجنة من حزب العمال لاجراء تحقيق وفى ذلك افتئات على روح النظام والقانون ، بل فى ذلك الخروج على حق سلطان البلاد والتعدى الصريح على حكومتنا المصرية ، وهى منا ونحن منها » (٤٢) .

ويشتد الهجوم على سعد ليتحول الى هجوم على جوهر المبادئ التى ينادى بها ، فيكتب « محب للاستقلال » تعليقا يقول فيه : « انه لا يوجد بلد فى العالم يتمتع بهذا الاستقلال التام » وهل فى المسكونة مملكة يصح ان يقال انها مستقلة استقلالاً تاماً . ولا يسهل على المتعنت ان يجد فى استقلالها غمزا فيوجه اليه الانظار ، ويتخذة تعلقة اذا اراد وصف استقلالها بأنه غير تام ؟ » (٤٣) .

ويرى أحد الكتاب أنه لا جدوى من مجيء بعثة (سوان)
 التى لم تسمعنا الى هذا الوقت كلمة واحدة « تتعلق برفع الحماية
 عن مصر والتجاوز عن استقلالها المفصوب » (٤٤) ، بينما يقول
 كاتب آخر ان (سوان) وزملاءه هم « من دعاة الحرية والمساواة
 والانصاف ، وليعلم الذين يحملون عليهم أنهم انما يسيئون بذلك الى
 وطنهم » (٤٥) . وعند وصول هذه البعثة الى البلاد كتبت (المقطم)
 تعليقا دعت فيه (سوان) ولجنته الى « رفع صوت مصر والمناداة
 بحق استقلالنا التام » ، ولكنها قالت اننا « نكره منكم التدخل فى
 شئوننا الداخلية » (٤٦) . ونشرت مقالات متصلة للدكتور طه حسين
 بعنوان « سعديون وعدليون » ينتقد فيها سعدا وأنصاره ، قائلا
 ان عدلى فى رأى العدليين « سفير ليس غير فاما سعد فزعيم
 ورئيس وامين على الحقوق وممثل لسلطان الأمة فى نظر أصحابه
 فأنت ترى مقدار الفرق بين هذين الفهمين السياسيين وانت ترى
 أن النظرية السعدية لا تمثل أقل من الاستبداد المطلق والطفيان
 الذى ليس فوقه طفيان . وان النظرية العدلية لا تمثل أكثر من
 الديمقراطية فى أحسن صورها وأصح أشكالها » (٤٧) .

ويقول الدكتور طه حسين أيضا « ان مصدر هذا الانقسام
 الذى نحن فيه الآن انما هو منافسة سعد لطائفة من وجوه الأمة
 وقادتها » .

ويرد عليه كاتب وفدى قائلا ان سعدا يستحق المكانة التى
 يحتلها فى نفوس الأمة وأن هجوم طه حسين عليه يعكس آراء
 عدلى ومشايخه (٤٨) .

فى هذه الأثناء ، كانت الصحيفة تتابع فى تقاريرها الاخبارية
 جولات سعد فى بعض مديريات مصر وما يلقاه من ترحيب فيها .
 ولكن هذه المظاهر التكريمية لم تخل مما يشوه بهجتها خصوصا
 ما حدث من اقتتال الفرقاء فى اسبوط مما كان موضع أسف

(المقطم) وتألما لهذا الانقسام « وهذا الشقاق الذى قوض أركان الاتحاد والاتفاق وتفاقم شره حتى صرنا نخشى أن يوقع المداوة فى الأمة وأن يحول دون تقدم البلاد فى الاستقبال ولو نالت الاستقلال التام ، إذ لا استقلال حقيقيا حيث الشقاق ضارب أطنابه والضغائن تقطع أوصال الأمة » . وقالت : « أن لكل مصرى صادق الوطنية أن ينادى الزعيمين العظيمين فى هذه الأمة ، ويقول لتكن فاجعة أسيوط والدماء التى سالت فيها والأرواح التى ذهبت الى بارئها ، فدى لاتحاد قلبيكما واتفاق كلمتكما ، وقربانا لرجوع الصلح والسلام اليكما والى حزبيكما ، وكفى الأمة انقساما وكفى البلاد اضطرابا ، فأورداها مناهل السلام والوئام ، وضحيا بكل عزيز وغال عليكما فدى للاستقلال التام » (٩٤) .

ونشرت (المقطم) (تليفونات) يحتج فيها مرسلوها على رحلة سعد فى الاقاليم ، وأخرى بالاحتجاج « على الوزارة العدلية التى قتلت روح الحرية بأعمالها » (٥٠) ، وبلاغ ادارة المطبوعات الذى يتضمن أمر وكيل الداخلية بمنع سعد باثنا من مواصلة زيارته لمواسم المديرية (٥١) .

وينعت أحد الكتاب سعدا وأنصاره بالمعارضين المشاغبين الساخطين الناقمين ، الذين يخرجون على وزارتهم « البارة الصالحة الساهرة على مصالحهم ويكفرون بمفوضيهم الذين يكابدون المشاق من أجلهم ، ويغفطون حق رئيسهم عدلى الهمام وطبيب الأمة اللبق والرفيق » (٥٢) .

وينصح كاتب آخر بعقد هدنة بين الطرفين « تلتف فيها القلوب وتنتظم ، حتى يأتى إلينا مشروع الاتفاق ، وعندئذ تعلم الأمة من أساء إليها ومن أحسن ، وتبدى حكمها فى جو من الصداقة والاتحاد » (٥٣) .

ويفسر كاتب من انصار الوزارة احداث اسيوط بأنها جاءت لاثبات وجودهم واستعراض قوتهم ، فان « فى مصر سعديين اقوياء وفى مصر عدليين اقوياء ، والعدليون يعترفون بوجود خصومهم ويقدرونه فى حياتهم العملية فيحسبون لمعارضتهم حسبا وأما السعديون فيجحدون خصومهم ويسرفون فى هذا الجحود ولولا هذا الاسراف ما وقعت حوادث الصعيد » (٥٤) .

ولم تغفل الصحيفة متابعتها اليومية لآخبار الوفد الرسمى ومفاوضاته فى لندن ، وكانت تنشرها تحت عنوان « المسألة المصرية » . وذكرت فى معرض متابعتها هذه أن المفاوضات « ستكون احسن لمصر . . وأن غدا لناظره قريب » (٥٥) . ولكن آخبار المفاوضات التى توالى بعد ذلك ، حملت نبا اخفاقتها وعدم اتفاق الطرفين على مشروع المعاهدة ، فكان ذلك موضع اشادة أحد الكتاب بهوقف عدلى وحفاظه على حقوق البلاد ، حيث « وضع الحق لذى عينين فلم يبق سبيل للابهام ، فهل راينا فى عدلى مصريا غيورا على كرامة مصر ضنينا بشرفها ، أو راينا فيه انجليزيا يفاوض انجليزيا وتابعا يفاوض متبوعه ، أو مدينا يفاوض دائنا ، فيغضى حياء ويذعن لكل ما يريد ، ولو أن فيه استعباد أمته وهلاكها ؟ » (٥٦) .

وكان فشل المفاوضات فى الظاهر ، بسبب اصرار بريطانيا على الاحتفاظ بحايميتها العسكرية فى مصر ، ولكن السبب الحقيقى لهذا الفشل هو أن زغلول كان باستطاعته وفى نيته ، أن يحبط أية معاهدة يعقدها عدلى ، حتى لو كانت فى جانب المصالح المصرية (٥٧) . فقد بدأت المفاوضة مع اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا ، فى ١٢ يوليو بالحديث عن سعد زغلول . وانتهت بعد أربعة أشهر بالحديث عنه أيضا ، كان سعد اذن شبها مخيا على المفاوضات ، وكان بوصفه ممثلا للحركة الوطنية صاحب القرار

المصري فيها(٥٨) . ويكاد يكون من المؤكد أن النشل الذى لقيه عدلى باشا فى تلك المفاوضات ، قد فاق كل ما جال بخياله أو حسب له حسابا(٥٩) . لقد كانت مفاوضات مرهقة حقا ، أظهر خلالها عدلى باشا من ضبط النفس وقوة الحجة ما استحق به اعجاب من يدرس تلك الوثائق بروح الانصاف . ولكن كيرزون بنى مقترحاته وملاحظاته كلها على شىء واحد ، هو انه لا يثق بمصر ولا بالمصريين(٦٠) . وجاء مشروعه أسوأ من مشروع ملنر وأكثر قيودا ، وأمعن فى العدوان على استقلال مصر والسودان(٦١) . ولم يستطع وفد المفاوضات أن يقبل المشروع ، والا «لستقبلنا بغير ما نود ونشتى» ، حسبما ذكر عدلى مرة فى مفاوضاته(٦٢) .

أما (المقطم) ، فقد جددت دعوتها الى الاتحاد ، الذى تستطيع الأمة بواسطته مواجهة الموقف الحاضر ، لأنه لا يقتصر فى فوائده على تعزيز حق مصر فى نزاعها مع بريطانيا ، بل لأنه يؤثر فى حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية(٦٣) . ودافع أحد الكتاب عن عدلى الذى قطع المفاوضات « محتفظا بحقوق بلاده وكرامة قومه ، وسيعود الى وطنه حاملا أمانة أمته ، تحفه الوطنية الحقيقية وتحيطه الكرامة وعزة النفس »(٦٤) . ونشرت نداء ساعد الى الأمة ، يدعوها فيه أن تقر فى بيوتها يوم وصول الوفد الرسمى وترك الشوارع خالية أمام أعضائه الذين أساءوا الى الوطن(٦٥) .

وقدمت (المقطم) تحليلا سياسيا لمحور السياسة البريطانية فى مصر ، قائلة ان « ما يتم الاتفاق عليه من التغيير والتبديل والتحوير والتعديل فى شؤون مصر ونظامها وأحوالها ، يكون تدريجا ، والانتقال لا يكون دفعة واحدة . ورأى الحكومة البريطانية على ما فهمنا هو انها تعد هذه السياسة واجبة الاتباع لكلا تتأثر مصالح الخلق ولا يفضى الانتقال دفعة واحدة الى تقلص

فى الأحوال ، وفى سير الأمور والأعمال . هذا هو رأى الحكومة
البريطانية كما فهمناه « (٦٦) .

ونشرت (المقطم) «الوثائق الثلاث» . وهى مشروع كيرزون
ورد عدلى وتبليغ النبى الى السلطان يوم ٣ ديسمبر (٦٧) . ودعت
« أقطاب الأمة وأهل العلم والمعرفة والآراء الثابتة فيها » أن يمدوا
الأمة بأرائهم السديدة « للعمل على تحقيق الرغبة وإدراك
الأمم » (٦٨) . ووجهت حديثها لرجال السياسة البريطانيين قائلة :
« أن تحقيق آمال المصريين لا يضير بريطانيا ولا يمس مصالحها
بسوء ، بل يكسب الشعب البريطانى صداقة شعب يتوق أن تتاح
له الفرص ليثبت للمالم كفاعته ، ويحمل نصيبه فى حمل الواجب
عليه فى توطيد السلام ورنع منارة الحضارة » (٦٩) .

وبعد استقالة عدلى التى بناها على عدم تحقيق برنامجها فى
المفاوضات ، جددت (المقطم) دعوتها الى الاتحاد فى سبيل
الاستقلال ، لأن استقلال مصر هو بيد أبناء مصر (٧٠) .

وشهدت مصر موجة من الغضب العارم بعد قرار السلطة
العسكرية البريطانية ، بنفى سعد زغلول ، بعد أن رفض انذار
السلطة بالامتناع عن القيام بأى نشاط سياسى ، وردده عليها بأن
« للقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات » .

وانطلقت المظاهرات الفاضبة على ابعاد سعد ، فتابعت
الصحيفة أحداثها ، وأفردت مساحات واسعة على صفحاتها
لاحتجاجات الهيئات المختلفة على هذا الاجراء (٧١) .

وكان

احتجاج البلاد بهيئاتها وطوائفها وأفرادها على هذا
التصرف الجائر اجماعيا (٧٢) . وقالت (المقطم) ان الأمة أصدرت
بهذه (الفتوى الاختيارية) قرارها « فى أمر مصيرها وفى إدارة

شئونها ، وجاهرت بعزمها على أن تعتمد على نفسها دون سواها
فى تسيير دفة سفينتها ، واقامة الأدلة والبيئات على حقها الصريح
فى دعواها هذه « (٧٣) » ، وأنها لابد « سائرة فى سبيل الاستقلال .
وقد قطعت مراحل منه . . وكلما قطعت مرحلة من مراحل الطريق
صارت اقوى مما كانت على مواصلة السير » (٧٤) . فهذه
الاحتجاجات انما تمثل « صوت الشعب الذى يرتفع فوق الأصوات ،
ماعدًا صوت الخالق الجبار » ، الصوت الذى يدوى « فى أنحاء
هذا الوادى العزيز ، ويبلغ دويه الى اقاصى الأرض مرتفعا بالدعوة
الى الحق وقارعا الآذان والقلوب بطلب النزول على أحكام
العدل » (٧٥) .

واعقب استقالة الوزارة العدلية وقبولها ازمة وزارية ،
بسبب معارضة الجاهير تشكيل وزارة جديدة احتجاجا على نفى
زعيم الوفد ورفاقه الى سيشل ، حاولت (المقطم) خلالها ابراز
وجهات النظر المتعارضة ، ولكنها وقفت الى جانب تأليف الوزارة
بشكل غير مباشر فتقول : « اتفقت هيئات الأمة المعدودة كالوفد
المصرى ونقابة المحامين والبيئات النيابية التى أعلنت قرارها على
المعارضة فى تأليف وزارة تحت أحكام الوثائق الثلاث المشهورة ،
وفى ظل الأحكام العسكرية واشتهر هذا الاجماع عند الخاص
والعام . ولكن بعض الكتاب كتب الينا يقول ان الوفود التى تقصد
سراى عابدين لرفع احتجاجها الى عظمة السلطان على الوثائق
المذكورة ، ونفى وكيل الأمة رئيس وفدها وابعاد جماعة من صحبه
وزملائه وتنفيذ الأحكام العسكرية على المنوال الذى تنفذ به . .
وتطلب من عظمتها ان يتدخل فيها بنفسه ، ان هذه الوفود يقال لها
ان عظمة السلطان ملك دستورى يسير الأمور بمجلس الوزراء ،
فلا يسمعه ان يخرج عن حكم دستور البلاد ، ويدخل فى أمور كهذه
الا بالوسيلة التى أعدها هذا الدستور ، وهى الهيئة الوزارية » (٧٦) .

ونشرت (المقطم) عددا من الرسائل التى تحمل وجهات نظر متعارضة ، يؤيد بعضها عبد الخالق ثروت فى تشكيله للوزارة القادمة ، ويعترض البعض الآخر على هذا الاجراء ، ويدعو القسم الثالث الى التفكير بروية فى معالجة المشاكل وعدم التسرع والغضب (٧) . ومن الواضح أن دعوة (المقطم) لتأليف الوزارة بشكل مباشر وصريح كانت تصطدم برغبة الجماهير القاطعة بعدم تأليف هذه الوزارة ، الامر الذى جعل الصحيفة تلجأ الى هذا الأسلوب غير المباشر ، والزعم بأن بعض الكتاب يقول كذا وكذا .

وكان المندوب السامى البريطانى قد شدد قبضته على البلاد ، وأصدر أوامره لوكلاء الوزارات للقيام بمهام الوزراء فى وزاراتهم ، فتخاطب الصحيفة أقطاب الحكومة البريطانية بضرورة تذليل المصاعب أمام مصر ، وإدراك « أن صداقة مصر وهى حرة مستقلة ائمن وأعظم فائدة من فرض سياسة لا تطابق روح نهضتها ومقتضيات العصر » (٧٨) . فى هذه الأثناء ، خطرت فكرة المقاومة السلبية لأذهان الكثيرين لتكون سـلاحاً تشهره الأمة فى وجه السياسة البريطانية ، ولقيت هذه الفكرة مجالا واسعا من دراسة المفكرين والباحثين ، وتمخضت عن تنظيمها ووضعها فى حيز التنفيذ فأصدر الوفد قرارا فى ٢٣ يناير ١٩٢٢ ، بتنظيم هذه المقاومة ، وجعلها على نوعين ، عدم التعاون والمقاطعة . . وبعد أن نشرت الصحف قرار الوفد بالمقاومة السلبية ، اعتقلت السلطة العسكرية يوم ٢٥ يناير الأعضاء الذين وقعوا عليه ، وسجنتهم فى قصر النيل . وعطلت الصحف التى نشرت هذا القرار وهى : الأخبار والمحروسة والنظام والأمة والمقطم ، ثم عادت نماذنت لها بالظهور (٧٩) . وأعربت (المقطم) بعد عودتها للصدور ، عن شكرها للأمة « على ما أبدت من العطف على (المقطم) فقد طوق فضلها جيده بفضلهم ومعروفهم ، مما سيظل منقوشا على قلوب أصحابه ومحرريه ،

فالقلم يعجز عن أن يفهم حقهم من الثناء ، والله المسئول أن يجزيهم
عنا خير الجزاء ، وأن يحقق أمنية مصر العظمى ويبلغها غايتها
الكبرى بمنه وكرمه « (٨٠) .

وكان ثروت قد وضع شروطا معينة جعل موافقة بريطانيا
عليها شرطا لقبوله تأليف الوزارة . وقالت (المقطم) انه مصر
عليها ومتشبث بها ، واذا ما رفضت الحكومة البريطانية هذه
الشروط « نبيهات أن تحل القضية المصرية أو أن يسكن ثائر
الامة ، وأن تعود مصر الى الصفاء وتجديد عهد الوفاء . اذ كل
من فى مصر يرى يوميا بعينه ويسمع بأذنيه أن الامة المصرية غير
راضية حتى عن شروط ثروت باشا ، وأن المعارضين لايزالون
اكثر كثيرا من الموافقين والمؤيدين ، وأن شبان الامة يابون تلك
الشروط كل الباء ، وأن الصوت الغالب يصيح صباح مساء رافضا
كل وزارة بلا جدال ولا مراء ، وأن ثروت باشا لم ينبج من أعظم
الاحطار على اشتراطه تلك الشروط الا بمساعدة الأقدار ، فكيف
لو رضى أن يحيد عنها ، أو أن ينقص منها « (٨١) . وتحدثت عن عزم
النبي على السفر الى بريطانيا لمباحثة حكومة بلاده التى لم توافق
بعد على شروط ثروت ، والتى اقتنع هو بها وأشار عليها بالموافقة ،
ونشرت (المقطم) هذه الشروط بعدما استطاعت الحصول عليها ،
وعقبت عليها بقولها : « هذه هى شروط ثروت باشا ، وغنى عن
البيان أنه اذا قبلتها الحكومة البريطانية بعد الاجتماع بمعتمدها ومن
معه أفضت الى تغيير خطير الشأن وأبدال كثير من النظمات
والاحكام ، فلا بد والحالة هذه من أن تقرر كلها بمحررات ووثائق
رسمية تحفظ على الدوام عند الحكومة البريطانية والحكومة
المصرية « (٨٢) . وأكدت أن التقدم فى المسألة المصرية أمر « ظاهر
لنعيان بدليل ما نرى فى مصر من أجماع الآراء والاتحاد على المطلب
واتجاه المساعى فى جهة واحدة ، وما نشهد من الاهتمام بها فى

الاقطار الأخرى ولاسيما أنجلترا « (٨٣) ، مشيرة الى أن شروط ثروت قد وقعت وقعا عظيما في النفوس ، بعدما اطلعوا عليها في المقطم امس « (٨٤) .

وقد « شهد المحنكون في السياسة ان ثروت باشا أوجد بذلك مخرجا من المازق الذي باتت القضية المصرية فيه بعد الوثائق الثلاث الرسمية ، وأنه فتح للعودة الى المفاوضات بابا كان سبيل مغلقا الى ما شاء الله لولاه ، واعترفوا لمعالیه بالبراعة والدهاء في معالجة المعضلة المصرية « (٨٥) ، فقد استطاع بحكمته ومهارته أن يضم الى جانبه اللورد اللنبى وكبار الساسة الانجليز في مصر ، واستطاع مع كل هذا الا يعرض العرش المصري لخطر ما ، بل صانه وحفظه . فلم يكن الخلاف بين صاحب العرش والانجليز ، وانما كان بين معتمدهم ووزارتهم . واستطاع ثروت باشا أن يقف ومعه الأمة من ورائه بعيدين عن كل تعاقد أو التزام بشيء ، حتى تكسب البلاد ما تضمنته السياسة العملية الجديدة التي استفدناها من تطوراتنا الأخيرة ، وهي وجهة النظر المصرية ، وبعبارة أخرى ما اشترطه ثروت باشا لتأليفه الوزارة (٨٦) .

وقد تمت الصحيفة متابعة اخبارية يومية لمحادثات اللنبى وجولاته السياسية مع رئيس وزرائه لويد جورج ، ووزير خارجيته اللورد كيرزون . وذلك تحت عنوان « من يوم ليوم على أسلاك التلغراف » وأكدت اتفاق وجهات النظر في بريطانيا ، حول الخطة القادمة للمسألة المصرية (٨٧) . وقالت ان الأمر الذي يستوقف النظر « هو اطلاق يد اللورد اللنبى في مفاوضة الزعماء المصريين وتعيين من يعده أو يعدهم من هؤلاء الزعماء أكثر المصريين كفاءة للتكلم باسم مصر كلها » . وطالبت

المصريين بالتريث حتى تنجلي الأمور ، وعدم الخوض فى المسائل حتى تظهر الحقيقة كاملة (٨٨) . وكانت حصيلة رحلة النبي السياسية فى بريطانيا ، اصدار الحكومة البريطانية للتصريح المعروف فى تاريخ القضية المصرية باسم تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، والذي دخلت مصر به مرحلة جديدة اخرى فى طريقها نحو آمالها المشروعة فى التحرر والاستقلال .

تصريح ٢٨ فبراير :

ابتد (المقطم) اهتماما ملحوظا بما احاط بصور تصريح ٢٨ فبراير من تغييرات سياسية على صعيد العلاقة التى تحكم مصر ببريطانيا ، فبعد ان نشرت نص تصريح الحكومة البريطانية المرفق به « الخطاب الموجه من الحكومة البريطانية الى عظمة السلطان » (٨٩) . اقلت على التصريح ما اسمته بنظرة عمومية قائلا ان بريطانيا ادت ما عليها ، ولسان حالها يقول ان الكلمة الآن لمصر ، وعلى ممثلى الامة ان يجاهروا برايمهم الآن بعد ان ينعموا النظر فيما هو معروض عليهم (٩٠) . وفى القراءة الثانية لهذا التصريح البريطانى ، قال ان الامة « كسبت هذه المرة شيئا محسوسا ظاهرا لم يكلفها احرازه التنازل عن شىء مما تطالب به ولم ترتبط بشىء للحصول على ما حصلت عليه ، وفى طاقتها ان تحرز ما قدم لها الآن ، وتواصل المطالبة بما بقى حتى تنال كل غايتها وتحقق كل امنيتها بهمة ابنائها واتحاد كلمتها » (٩١) . فهذا التغيير كان مكسبا جزئيا لمصر ، وميزته انه اعلان من جانب واحد وهو انجلترا ، وليس فيه ارتباط او قبول ، من جانب مصر ، اى ان مصر لم تنقيد بموجبه باى قيد ، ولا تنازلت عن اى حق ، ولا تقيدت بالتحتفظات الواردة فيه (٩٢) . واول ما يبدو فيه ان الانجليز قد اضطروا الى اصداره اضطارا ، ليتنادوا وضعا تصير فيه الحكومة مستحيلة ،

على خد تعبير اللبى فى مراسلاته مع كيرزون ، وأن ما حدث فى ربيع ١٩١٩ عندما استحالت الحكومة ، كان أمرا أوجب على البريطانيين الحرص على تفادى تكراره مستقبلا بأى شكل ، ومن هنا كان انهاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر ، أمرا اضطر اليه مصدرى التصريح ، وهو كسب للحركة الوطنية المصرية لاشك فيه . وما كان يمكن انتزاع هذا الاعتراف منهم لولا الثورة (٩٢) . وكان تصريح ٢٨ فبراير الحد الفاصل فى تاريخ العلاقات بين بريطانيا ومصر ، وهو أعظم عمل قدمه اللبى فى تاريخه السياسى (٩٤) . وبدا أنه بصدوره بعد فترة وجيزة من نفى سعد زغلول قصد به اعطاء المصريين المعتدلين الفرصة الكافية لتثبيت أقدامهم ليتمكنوا من اقامة روابط الصداقة مع بريطانيا حسبا ورد فى التصريح ، وبما يعزز الاستعداد للتوصل الى معاهدة حرة بين الطرفين (٩٥) . وربما يفسر ذلك عدم ترحيب الاكثية الساحقة من الشعب به ، فكانت فى حالة عصبية توحى اليها الحذر الشديد من السياسة الانجليزية ، ولاسبها أن مهد لهذا التصريح بنفى سعد باشا وزملائه ، وقد التزمت معظم الصحف المصرية جانب التحفظ فى التعليق عليه ، ولكنها اتفقت على أمر واحد ، وهو أن السياسة الجديدة ، لم تحقق لمصر كل آمالها ، وإنما هى خطوة فى سبيل تلك الآمال (٩٦) . أما الوفد فقد شن على تصريح ٢٨ فبراير حملة شعواء (٩٧) . وقد وصفه سعد زغلول بأنه أكبر نكبة على البلاد (٩٨) . لا سيما أن التحفظات التى أرفقت بالتصريح سيطبت استقلال مصر جوهره الاساسى ولمست كافة جوانب الحياة فيها (٩٩) . ومع ذلك فقد أخذت مصر على أثر تصريح ٢٨ فبراير فى ترتيب حياتها الجديدة ، ففى أول مارس أعلن ثروت باشا تاليف وزارته الجديدة ، وفى يوم ١٥ مارس أعلن السلطان فؤاد نفسه ملكا على مصر ، وأبلغت الحكومة المصرية

معتمدى الدول الأجنبية ، أن مصر قد أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن ولى أمرها اتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر (١٠٠) .

وقد أعريت (المقطم) عن اغتباطها لما تشهده البلاد من تحول فى الموقف السياسى بقولها : « أن ما تم حتى الآن هو نأتحة عصر جديد لهذا القطر العزيز » (١٠١) . وتحدثت فى أعدادها الصادرة فى هذه الفترة عن الاحتفالات التى تشهدها مصر بمناسبة اعياد الاستقلال وأخبار الوفود القادمة الى العاصمة من سائر أنحاء البلاد لتحتهئة الملك ورئيس وزرائه . كما نشرت الكلمات والقصائد المعبرة عن أهمية المناسبة ، وهى تعكس الموقف الرسمى المصرى ، فى حين أن الشعب لم « يشارك الحكومة الابتهاج بهذا الاعلان ، وكان موقفه سلبيا مشرفا ، اذ لم يجد تحقيقا لمظاهر الاستقلال الصحيح ، بل رأى على العكس انه رغم هذا الاعلان فان الاحتلال البريطانى قائم والاحكام العرفية الأجنبية ميسوطة ، وانجلترا مستبقتة تحفظات تهدم قواعد الاستقلال ، والسودان مفصول عمليا عن مصر ، فلا غرو أن قوبلت مظاهر الابتهاج واطلاق المدافع بالنتور والاعراض » (١٠٢) .

وبدا ثروت العمل على استكمال شكل النظام الجديد فقرر تكليف لجنة حكومية بوضع الدستور ضاربا برأى الوفد والحزب الوطنى عرض الحائط ، ولكنه أراد أن يؤخر لها الصفة التى تفتقرها ، فقرر أن تضم ممثلين عن طوائف الأمة المختلفة (١٠٣) . ولكن الوفد والحزب الوطنى لم يكونا ممثلين فيها ، لأنها لم يقبلا الاشتراك فى عضويتها (١٠٤) . وقد حمل الوفد بعنف على لجنة الدستور ودعاها لجنة الاشقياء مناديا بأن الدستور يجب أن تضعه هيئة سياسية تنتخبها الأمة (١٠٥) .

وفى أثناء عمل لجنة الدستور هذه شـهدت البلاد خلافات حادة بين الحكومة وأنصارها من جهة ، والمعارضة التي اعتبرت الاستقلال ناقصا بل وهيا ، كما اعتبرت الوزارة غير أمينة على تحقيق الأمانى الوطنية ، من جهة ثانية ، وأفردت (المقطم) على صفحاتها حيزا للمساجلات العنيفة التي دارت بين الطرفين ، الوزاريين والمعارضين ، اتخذت شكل المواجهة السابقة بين السعديين والعدييين ، ومن ذلك رسالة تعتبر أن الاستقلال المنوح لمصر « لا فائدة فيه بل ضرره محقق » . وأن الذين يتولون وضع الدستور هم « فئات لم تنتخبها الأمة لوضع قواعد دستورية لا تتفق مع مصلحة مصر » (١٠٦) ورسالة ثانية تهاجم المعارضة وتدافع عن الوزارة بعنوان « ما دمتم تتهمون فلا مفر من اعتزالكم » . ومما قالت ان « مسألة الدستور تكليف القى على عاتق الوزارة ، فلم ترض الا أن تراعى حق الأمة ما استطاعت فالتفت لجنة الثلاثين وهامى ذى اعمالها شاهدة على انها صالحة لما انتدبت له » (١٠٧) . وثالثة تهاجم الكتاب (الوزاريين) الذين زعموا أن الأمة راضية باستقلال اليوم الملق الذى أسفر عن « اتفاق يقصد به التفرير بالشعب وصرفه عن المطالبة بحقه الطبيعى » (١٠٨) . ورابعة تدافع عن الوزارة وأعمالها ، فالدستور « تسنه لجنة مؤلفة من ثلاثين عضوا معظمهم يقدر حق قدره على نظر العقلاء وأهل الرأى » والوزارة الحاضرة « لا تتأخر أبدا عن تقديم حسابها وعرضه على نواب الأمة يوم البرلمان وهى عالية الرأس طلقة الجبين مطمئنة النفس » (١٠٩) . هذه الوزارة التي « تنجى الأمة من ذل الحماية وعار الاستعباد وتنتشلها من حضيضها الى سماء الحرية والاستقلال » (١١٠) . وقد نشرت هذه المساجلات على الصفحتين الثالثة والسابعة من (المقطم) المخصصتين لرسائل القراء وآرائهم فى هذه الفترة ، بينما ركزت فى مقالاتها الافتتاحية على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية

والتضاييا الدولية ، وكانت الصحيفة تلجأ لهذه الطريقة كلما اتسعت شقة الخلافات الداخلية ، فتبدى حرصها على الحياد وعدم ترجيح كفة جبهة على أخرى ، وذلك ايثارا للسلامة وتجنب الصدام مع مشاعر الاغلبية ، علما بأنها نشرت عددا كبيرا من الرسائل المؤيدة للحكومة بتوقعات غير كاملة بما يوحى بتدخلها فى التعبير عن رأيها الذى يميل الى الاعتدال بشكل غير مباشر .

وشهد عهد وزارة ثروت حوادث اغتيال متعددة ضد الموظفين البريطانيين فى مصر ، الأمر الذى دفع الحكومة البريطانية الى ارسال مذكرتى احتجاج وتحذير للحكومة المصرية فى مايو ويوليو سنة ١٩٢٢ . وتقول (المقطم) تعقيبا على المذكرة البريطانية الثانية ، ان على حكومة مصر ان توضح فى ردها على المذكرة البريطانية ان « الأمة المصرية تنفر من هذا الاعتداء » وأن « أجماع الحكومة والصحافة والكتاب والأقطاب الذين نطقوا بلسان الأمة على استهجان هذه الجنايات يعبر عن رأى البلاد ، ويدل على انها غير راضية عن هذه الافعال وأن الذين يرتكبونها لا يعبرون عن سيل الأمة ولا يعملون بمشيئتها » (١١١) . ويرى أحد انصار الوزارة فى ذلك مناسبة للهجوم على المعارضين وتبرير اجراءات الحكومة القمعية ضدهم ، قائلا : « كيف تسمى الحكومة لرفع الاحكام العسكرية أو وقفها مع تعدد حوادث الاعتداء على الانجليز ؟ كيف تستطيع الوزارة النوز بما تطلبه من ازالة هذه الاحكام مع ما هو ظاهر من بوادر الفوضى السياسية التى يتعمد البعض خلقها وهم أولئك الذين يسعون لمصلحتهم الخاصة ؟ » وكيف لا تمنع الوزارة عقد الاجتماعات مع ما هو ظاهر لها من النيات السيئة نحوها ؟ » (١١٢) ، ويقدم أحد الكتاب تبريرا لتدخل الانجليز فى شئون مصر وتهديداتهم لها بسبب ما وصفه « بالحملة المجرمة الشريرة » من الاعتداءات ضد افراد الانجليز ويرد على صحيفة (الأخبار) التى تنمى على

الحكومة سكوتها. ازاء هذه التهديدات البريطانية بقوله : « حقا ان الانجليز تداخلوا واتخذوا اجراءات جديدة وان هذا التدخل مؤلم ولست اشك في ان الوزارة وانصارها اشد الناس في ذلك ألما » « ولكني ابشر من الآن جريدة الاخبار ومن يذهب مذهبا ، بان تداخل الانجليز سيكون اكثر واكثر ، ولا تملك صده ومنعه هذه الوزارة ولا اية وزارة غيرها ، ولا الامة المصرية مجتمعة بعضها وبعضها ، ومن شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها ، اذا ظلت هذه الحملة المجرمة الشريرة على حالها ، ولم نتأزر جميعا على وضع حد لها حتى لا يسفك بيننا الدم البريء ، ولا يعتدى فينا على الرجل الآمن » (١١٣) . ونشرت بيانا لجماعة اطلقت على نفسها اسم (اصدقاء الواجب) ادانت فيه الاعتداءات ضد البريطانيين تحت عنوان « الامة المصرية : ليتق الله في الوطن المعتدون » (١١٤) .

وكانت وزارة ثروت تواجه صعوبات داخلية جمة اهمها عدم توافر علاقات الصداقة والمودة بينه وبين الملك فؤاد ، لاسيما انه وصل الى رئاسة الوزارة بغير اختيار الملك فضلا عن عدم شعبيته وحالة الاضطراب التي شهدتها الاقاليم . وكانت من بواعث الشكوى في عهده (١١٥) . ولكن (المقطم) لم تشر صراحة الى المشكلات التي تواجه الوزارة واكتفت فقط بالحديث عن « انفراج أزمة وزارية » بفضل جهود ثروت باشا . وقالت ان « الايام المقبلة كفيلة باظهار الخدمت الجليلة المنتظرة من وزارة ثروت باشا الى البلاد والامة اذ لا يخفى ما وراء اسس تقالتهن من المتاعب والمشاق التي ليست في مصلحة البلاد ولاسيما في هذه الايام العصيبة » (١١٦) . وفي معرض دفاعها عن الوزارة تقول (المقطم) للذين يعترضون على بعض مواد الدستور ان هذا الدستور الذي يسن الآن ليس دستوراً ابدياً فيى طاقة الامة أن تعدله وتنقحه

طبقا لما يبدو من حاجاتها ورغباتها . واعلنت توقفها عن نشر
الرسائل الحزبية التى تزيد من حدة الخلاف بدلا من الوصول الى
تفاهم الفريقين ، الوزاريين والمعارضين ، واكدت ترحيبها بالكتابات
غير الحزبية التى لا تزيد الانقسام اتساعا ، فهى منذ نشأتها — كما
تقول — صحيفة تبتعد عن الأحزاب والسياسة الحزبية . وكان
يهمها « مصلحة القطر بقطع النظر عن اليد التى تأتى بهذه
المصلحة » (١١٧) .

حزب الأحرار الدستوريين :

تابعت (المقطم) أخبار السعى لتأليف الحزب الجديد الذى
سيتبع خطة عدلى باشا « فى السعى لتحقيق امانى الأمة الحقيقية
بالطرق الدستورية والتمسك بالسياسة التى بنى عليها التغيير فى
مركز مصر القومى الذى « يحبذ عقد اتفاق وطيد حقيقى مع
بريطانيا العظمى يوفق بين المصالح الجوهرية للبلادين » (١١٨) .
واكدت رغبتها فى الامتناع عن نشر ما يصلها من رسائل تهاجم
الحزب الجديد الذى يزعم انصار عدلى تأليفه ، لأنها لا تعرف حجم
الخطأ والصواب فيما يقوله كتاب هذه الرسائل ، ودعت الى انتظار
اعلان برنامج الحزب لى تتضح حقيقته ويصبح الحكم عليه
منطقيا (١١٩) . ونشرت (لوكيلها الإسكندرى) ما اعتبره برنامجا
للحزب الجديد الذى تسمى بحزب الأحرار الدستوريين واتخذ
(السياسة) لصاحب امتيازها الدكتور حافظ عفيفى ، ناطقة
بلسانه (١٢٠) . وقد تأسس الحزب رسميا فى أكتوبر ١٩٢٢ بدعم
من وزارة ثروت ومعاونتها وتآلف من الاعضاء المنفصلين من الوفد
ومن معظم المخالفين لسعد زغلول ، ولذلك حمل منذ تأليفه طابع
البعداء لسعد والوفد (١٢١) .

ويقول الدكتور هيكل انه على اثر الحملات التى شهدتها البلاد منذ اختلف سعد وعدلى . وكان اتهام انصار عدلى بخيانة الوطن ليسر ما تجرى به اقلام الكتاب المؤيدين لسعد ، فقد تآلف الحزب الجديد لدفع هذه التهم الباطلة ولمقاومة اثرها فى اذهان الشعب (١٢٢) ، جاعلا مهمته الاولى الدفاع عن الدستور والعمل لسرعة صدوره فضلا عن التمهيد لايجاد تكتل سياسى حزبى يدخل الانتخابات القادمة مناهضا للوفد (١٢٣) .

وقد قول الحزب الجديد بالسخط الشديد . وكانت احاديث الانتقاد له تتداول فى كل مكان (١٢٤) . ورأى الشعب فيه هيئة معاونة للاحتلال وطعنة موجهة للثورة ، ومما زاد فى سوء استقبال الناس للحزب الجديد ، ان تأليفه تم وسعد زغلول وصحبه مبعدون خارج البلاد (١٢٥) . وقد عكس برنامج الحزب طبيعة البرجوازيين الكبار لانه كان يمثل الاغنياء واصحاب الاراضى ثم بعض الارستقراطيين من سلالة العائلات التركية النبيلة مما كان يحتم اتصالهم بالقصر وارتباطهم بالملك (١٢٦) .

وقد نشرت (المتطم) بيان الوفد المصرى حول الحزب الجديد، قال فيه ان القائمين عليه استغلوا فرصة ابعاد سعد واعتقال اعضاء الوفد . وعهدوا الى رجال الوزارة بمهمة الضغط على اهل البلاد بكافة الوسائل ليضمنوا عددا معيناً من المشتركين ، وتسطا وانيا من المال لادارة شئونهم (١٢٧) . كما نشرت رسالتين للقراء بخصوص حزب الاحرار الدستوريين ، احداها تهاجمه والثانية تمتدحه ، وفى الاولى قال كاتبها « ومما يقضى بالعجب ويضحك الثكلى تماديبهم فى غيهم ومكابرتهم فى تأليف حزب يعلم الله ان حياته لن تطول وانه كسابقه الحزب الحر عن قريب مندثر ، وأن مصر التى أعجب العالم بوطنيتها لن يجوز عليها مثل تلك الحيل الصبيانية

فتسلم حياتها لقوم جمعوا مال جريدتهم بالقوة من اهل البلاد ، مع ما تلقاه من ازمة شديدة وعسر وضيق » .

اما الثانية فيقول صاحبها « ظهر عدلى باشا بحزبه الحر الدستورى فكان كمهد اصدقائه به وفيما رزينا معتدل الراى ثابت الايمان فى حب وطنه ، مترفعا عن الشخصيات ، بعيدا عن كل ريب وقد جاءت خطبته وافية من الوجهة السياسية والاجتماعية» (١٢٨) .

ونشرت (المقطم) عددا من التفرغانات التى تشيد بعدلى وبوطنيته وبخطبته التى « تتدفق اخلاصا وحكمة » (١٢٩) . وسجل أحد أتباع حزب الأحرار الدستوريين عتابه (للمقطم) على نشرها رسالة القارئ التى هاجم فيها حزبه فترد عليه بأنها إنما فعلت ذلك عملا بحرية الصحافة . وأن الكتاب هم الذين يتحملون مسؤولية ما يرد فى كتاباتهم ، وأن الراى العام هو المحكمة الرئيسية التى تحكم على كل ما يصدر عن أصحاب الأقلام علما بأنها لا تسمح بذلك النشر الا فى أضيق الحدود نظرا لرغبتها فى التزام عدم الحزبية ، وفى أن ترى الاتحاد فى صفوف الأمة بدلا من الانقسام (١٣٠) .

وقد حدا بها هذا التنبيه الى نشر العديد من التفرغانات المؤيدة لحزب الأحرار والتقويه بوصول الكثير من التفرغانات « عن تجبيذ مبادئ حزب الأحرار الدستوريين وتنشيط هذا الحزب على السير على الخطة التى رسمها لنفسه وتمنى التوفيق لها » (١٣١) . ومع ذلك ، فإن (المقطم) لم تسجل موقفا واضحا من تأليف حزب الأحرار الدستوريين ، وكان من الطبيعى ، وسط الغضبة الوفدية العارمة ، التى استقبل بها انشاء هذا الحزب . أن يكون ترحيب (المقطم) به حذرا للغاية لا تنم عنه سوى اشارات بسيطة .

وقد تصدت (السياسة) للرد على مهاجمة الصحف الأخرى
لحزب الأحرار الدستوريين عقب اعلانه وخاصة الصحف المناصرة
لسعد زغلول فكتب محمد توفيق دياب يفند حجة الذين يقولون أن
انشاء حزب الأحرار الدستوريين يفرق الأمة ، فقال : « كيف يزعم
زاعم أن في تأليف حزينا اضعافا لوحدة الأمة أو عملا على تفريقها ؟
اليسست الأحزاب على تعددها خدمة للأمة ؟ ومن ذا يقول أن كثرة
الخدم تنقص من سعادة المخدم ؟ » . كذلك تصدى الدكتور هيكل
لهذا الهجوم فأعلن أن هجوم الوفد على حزب الأحرار الدستوريين
ليس له من سبب سوى « رغبة سعد زغلول في احتكار زعامة
البلاد رغم أنه ليس كفتا لها » (١٣٢) .

وبعد أسبوعين من انشاء الحزب تم اغتيال حسن عبد الرازق
واسماعيل زهدى عضوى مجلس ادارته فكان لهذه الجريمة اثر بليغ
فى اشغال الخصومة الحزبية فى البلاد (١٣٣) . وكتب الدكتور طه
حسين مقالا افتتاحيا فى (السياسة) حمل فيه الوفد والصحف
المناصرة له مسئولية الحادث بعمليات التهبيج التى مارسها ضد
حزب الأحرار الدستوريين (١٣٤) . أما (المقطم) فتعبر عن أسفها
واستنكارها لهذه الجناية التى « كان لها رنة أسف فى جميع الدوائر
على اختلاف الطبقات فلا تذكر فى مكان الا قابلها الناس بأشد
عبارات الذم والاستهجان فعسى هذه الحادثة المحزنة أن تكون
منبها وباعثا على السعى لازالة ما فى الصدور والتعاون والتعاوض
فى خدمة الأمة والبلاد بروح الصفاء » (١٣٥) . وقالت أن هذه
الجناية « تنذر بخطر يجب على الجميع السعى بجد واجتهاد لتلافيه
ومنعه من الاستفحال فلا تخلو أمة من متعجلين يعتقدون أن الله
نصبتهم لتقويم المعوج واصلاح الناسد ، بما يخطر لهم من الوسائل
وما يعرض لهم من أقرب الوسائل . وقد يرسخ فيهم هذا الظن
حتى يصير فى حكم العقيدة ، وهذا خطر يتعين على كل وطنى

صَادَقَ الوطنية أن يعمل على إزالته « (١٣٦) . ونشرت بيان عدلى
باشا رئيس الحزب الى الأمة يدعوها فيه الى الوقوف فى وجه هذه
الاعمال المؤسفة حفاظا على الحرية وعلى الرجال الذين يبذلون
كل شىء فى خدمتها (١٣٧) .

دستور ١٩٢٣ :

بعد اسقاط القصر لوزارة ثروت بادر الملك بتشكيل وزارة
توفيق نسيم التى كان كل ما فيها يتسم قبل اى شىء آخر بالولاء
للقصر ، وكانت فى عمرها القصير الذى زاد على شهرين قليلا ،
تتحرك من نفس المنطلق ، منطلق الولاء للملك ، وهى فى حركتها
هذه قد عادت اغلب القوى الاخرى ، مما عجل بانها وجودها .
وفى مواجهة هذا الموقف تقرر تاليف وزارة ادارية مهمتها معالجة
الشئون الادارية العادية ، دون المسائل السياسية الى حين ظهور
ما يدل على تخفيف حدة الاحكام العرفية او الغائها كلية . وقد رشح
الملك يحيى ابراهيم ، وزير المعارف فى الوزارة المستقلة ، على
اساس انه يمكنه التعاون معه ، لاعتقاده بإمكان السيطرة عليه
اكثر من اى سياسى بارز آخر . وقبل الانجليز هذا الترشيح لانه
يخرجهم من مأزق بقاء البلاد بدون وزارة . ولكن لا يلبث يحيى
باشا ان يثبت للجميع انه ليس الرجل الذى عرفوه او تصوروه .
وقد استغل هذه الميزة منذ اللحظة الاولى فاعلن مع تعيينه انه غير
قانع بمجرد ادارة الاعمال ، ولكنه ينوى اعلان الدستور باصدار
قانون الانتخابات وقانون التضمنات . وفى انسجام واضح بينه
وبين الانجليز توالى القرارات وكان اولها قرارات حكومة لندن
بالافراج عن سعد زغلول وذلك بعد اقل من اسبوعين من توليه
الوزارة فى ٢٧ مارس (١٣٨) .

وقد أشادت (المقطم) بجهود يحيى باشا للانفراج عن سعد زغلول قائلة ان الله شاء « ان يحقق هذه الأمنية الكبرى فى عهد الوزارة الإبراهيمية وبحكمتها وحسن سياستها ، فى صلاتها مع فخامة المندوب السامى البريطانى ، الذى اكتسب ثناءها وثناء الأمة معها بمبادرته الى الموافقة على اطلاق سراح معالى سعد باشا من جبل طارق » (١٢٩) . ونشرت تعليقا بتوقيع (سعدى) يشيد فيه برئيس الوزارة الذى جعل من بواكير أعماله « فك اعتقال الرئيس » مما يؤكد انه « وزير نزيه » (١٤٠) . وطالبت بعودة المنفيين فى سيشل وجميع المبعدين السياسيين الى « وطنهم وأهلهم وخلانهم . فقد حان زمان إعادة النظر فى أمرهم وتلبية رغبة الأمة فى اعادتهم الى وطنهم ، فان ذلك مطابق لمقتضى العدل والانصاف ومساعد على تهدئة الخواطر ومقدمة حسنة لما يرجو الكل من تعاون جميع أبناء مصر على انجاح نظام الحكم الجديد الذى تستعد له مصر الآن والذى سيكون فاتحة عصر جديد من الحرية والهناء والصفاء » (١٤١) .

وكان اصدار الدستور فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ ، فاتحة هذا العصر الذى تحدثت عنه (المقطم) . وقد احتلت أخباره العنوان الرئيسى (المانشيت) فيها ، ونشرت التلغرافات المرسلة الى الملك ورئيس وزرائه بهذه المناسبة ، من عدد من الهيئات والشخصيات المصرية مهتة بصدور الدستور « هنا الله الأمة بنعمه ومزايه » . وقالت الصحيفة مرحبة بالدستور : « نعم ان الأمة المصرية أصبحت بعد سن هذا الدستور بلادا متمتعة بكل ما تتمتع به اسمى الأمم المتقدمة الراقية من نعم الحرية والاستقلال وحرمة الأرواح والأعراض والأموال وقوة الدفاع عن حقوقها وعدم تكليفها القيام بغير واجباتها » . وقد فوضت الأمة لوضع الدستور « جماعة من صفوة أبنائها ونخبة رجالها فوضعوا دستوراً جامعاً زبدة الدساتير حاوياً أحدث نظاماتها حافظاً للأمة أجل حقوقها معينا هم

واجباتها » ولكن العبرة « بكيفية انتفاعنا بهذا الدستور وطرق استعمالنا لأحكامه فى طرق الصواب حتى تجنى الأمة ثماره وترتقى بتتبع آثاره » (١٤٢) . وتحديث عن الابتهاج العام باعلان الدستور ونشرت كلمة عدلى باشا فى أعضاء مجلس ادارة حزب الاحرار الدستوريين التى رحب فيها بالدستور وأثنى على الملك فؤاد ، وبيان الوفد المصرى الذى ينتقد الوزارة لاصدارها دستورا ناقصا لا ينص على كون السودان جزءا من مصر ، فضلا عن الانتقاص من الحريات الشخصية وكذلك حرية الاجتماع والصحافة .

أما (المقطم) فقد أكدت أن الدستور المصرى صار « حقيقة واقعة . وبعدها قطعت مصر هذه المرحلة يجب أن تتجه أنظارها الى ما يليها من المراحل التى لابد من قطعها اتماها لشروط نظام الحكم النيابى ، وتنفيذ هذا الحكم وتطبيق قواعده » (١٤٣) . ونشرت رسالة لأحد القراء تضمنت هجوما مقذعا على المعارضين وهم الوفديون بالطبع ، وذلك فى معرض حديثه عن الدستور الذى « لم نر فيه مسحا ولا تشويها كما كانت تزعم الجرائد المفرضة ، وقد اعتقدنا الآن أن نيتهم سيئة من جهة الوزارة ، وانهم لا يقصدون الا النيل منها واظهارها بمظهر الضعف والجبن ، وما ذلك خدمة للأمة وغيرة على مصالحتها ، وانما لأن الوزارة قد تربعت فى الكراسى التى يعبدونها ، ويضحون وطنهم وأمتهم فى سبيل الوصول اليها » (١٤٤) .

وقد انتقد الدستور لدى صدوره فى مواضع متعددة ، ولكن هذه الانتقادات لم تتجاوز النشر فى الصحف أو الخطابة فى المجتمعات . وفهم أن الوفد سيشارك فى الانتخابات . وكان هذا الموقف من جانبه سببا فى حملة الاحرار الدستوريين عليه ، اذ كيف يستنكر الوفد التصريح والدستور ، ثم يشترك فى تنفيذهما ؟

وقد رد سعد زغلول على ذلك رده المشهور : ان الاستنكار شيء والتنفيذ شيء آخر (١٤٥) . ولم يكن ذلك تضليلا من الوفد أو خيانة لأهدافه ، بل كان أسلوبا اتبع تلقائيا لمعالجة التناقض بين جماهيرية الحزب الواسعة والمصالح الرأسمالية المحدودة التي تحكم قيادته ، والتي كانت ثورية وقتها . ومن جهة ثانية ، فذلك أسلوب تميز به الوفد لحل التناقض بين استراتيجية الثورة (أهدافها الكاملة) وتكتيكات قيادتها التي تراعى الظروف العملية للواقع الحالى وموازين القوى السياسية . وذلك فى وقت لم يكن الفكر السياسى فيه قد بلغ النضج بحيث يضع الفواصل بين الأبرين ، فكان ذلك يتم بصورة تلقائية . وتختلط الأهداف الآجلة والفردية بالمواقف المختلفة للطبقات التي يضمها الوفد (١٤٦) .

المعركة الانتخابية :

كانت الانتخابات البرلمانية هى الخطوة العملية لما تضمنه الدستور من التعبير عن سلطة الأمة ممثلة فى مجلس النواب والشيوخ . وقد تابعت (المقطم) هذه المعركة بعد اذاعة قانون الانتخاب (رقم ١١ لسنة ١٩٢٣) ، حيث أوضحت أنه لم يبق الآن سوى تعيين مواعيد الانتخابات والشروع فى اتخاذ التدابير التمهيدية التى نص القانون عليها لأجراء الانتخابات (١٤٧) . ونوهت بما تلمسه من « الرغبة العامة فى انجاح أول تجربة برلمانية صحيحة عندنا وشعور الجميع بأن عبء ذلك يقع على أفراد الأمة نفسها » (١٤٨) . واعتبرت الصحيفة ان هذا التحول السياسى يعد انتقالا من الدور السلبي الى الدور الإيجابى فى العمل الوطنى ، وان تحقيق ما بقى من الأمنى يعتمد على هذه الخطوة البرلمانية القادمة ، ولم يخل عدد من أعدادها فى هذه الفترة من الحديث عن (حركة الانتخابات) وبيانات لجان الوفد وأسماء أعضائها وكذلك الحفلات الانتخابية لكل من أحزاب الوفد والوطنى والاحرار الدستوريين .

ولكن (المقطم) تعبر عن دهشتها لصدور قانون الاجتماعات والمظاهرات في نفس الوقت الذي تستقبل الأمة فيه الحكم النيابي البرلماني (١٤٩) . وقالت ان الأمة أجمعت « على مطالبة الحكومة بأن تقف في الانتخاب موقف الحياد . ووعدها انتداب الحكومة وعدا قاطعا برعاية هذه الامنية .. فتبقى على الأمة ولاسيما مفكرها وقادة الرأي العام فيها ان يسهروا على جعل الانتخاب بين المرشحين وانصارهم منافسة شريفة مشروعة » (١٥٠) . وبعد عودة سعد الى البلاد وكذلك أعضاء الوفد الذين كانوا مبعدين الى سيشل ، ومع اشتداد المنافسة الحزبية استعدادا للانتخابات ، أصبحت صفحات (المقطم) ساحة لأطراف هذه المعركة بما تنشره من بيانات انتخابية وخطب سياسية يسعون من خلالها الى التأثير في جماهير الناخبين والانتصار ، والتقليل من أهمية الخصوم مع كل ما تضمنته هذه الخطب والبيانات من صنوف الهجوم القاسي ولاسيما ما يتعلق منها بالظلم في وطنية الخصوم والتشهير بعلاقاتهم بسلطات الاحتلال . وقد حظيت بيانات الوفد وخطب سعد بمكانة بارزة على صفحات (المقطم) ، لأنها بتقديرها الواقعي لقوة أطراف اللعبة السياسية تعرف تماما حجم الوفد وقوة زعيمه وشدة تعلق جماهير الشعب به . وهو ما يتفق مع خطة الصحيفة في إثارة السلامة ومسايرة مشاعر الغالبية العظمى من الشعب .

فان الحفلات التي استقبل بها سعد لدى عودته أكدت زعامته للأمة وتعلقها به والتفافها حوله « وجاءت برهانا جديدا على أنه أقوى شخصية في البلاد » (١٥١) . وباعتراف الدكتور هيكل فان الاستقبال الذي حظي به سعد جعل الدستوريين يفكرون في أمر الانتخابات من جديد بعد ان كانوا يقدرون أنهم سيحصلون على الأغلبية في البرلمان الأول ، فقد « انتقل الأمر من النظر الى سعد على أنه زعيم سياسي ، وله رأيه الذي يناقش ، الى أنه نبي

الوطنية المرسل من قبل السـماء ، والذي يجب ان تعنو الجباه له « (١٥٢) . ولكن (المقطم) آثرت فى معرض افساحها المجال واتسما (لحركة الانتخابات) الا تتدخل من ناحيتها بالتعليق الى هذا الجانب او ذاك من اطراف المعركة الانتخابية ، وخصصت مقالاتها الانتخابية لمناقشة السياسات المحلية المتفرقة البعيدة عن موضوع الساعة ، وهو موقف دأبت على اللجوء اليه فى مثل هذه الظروف . وواصلت هذا الأسلوب طيلة فترة الاستعداد ليوم الانتخابات ، التى شهدت خطبا عنيفة لسعد ضد عدلى وثروت وبالعكس .

أما يوم الانتخابات فكان « يوم الشعب ويوم العهد ويوم الوكالة وحمل الأمانة » الذى « طالما تأقت النفوس الى بلوغه نقابله ببلء الاستبشار وعظيم الآمال راجين أن يكون فاتحة خير وهناء وتقدم وارتقاء » (١٥٣) . ومصر بهذه الخطوة تنتقل « من دور الى دور ، وبمعدى كان مجلس النواب أمرا منتظرا تجسم اليوم فى نظر الأمة فصار حقيقة واقعة » « أما نتيجة الانتخابات من حيث علاقتها بالمنتخبين من مرشحي الأحزاب الأربعة فقد جاءت مطابقة لما كان يتوقعه المظلمون على بواطن الأمور المتتبعون لسير الحركة الانتخابية ففاز مرشحو الوفد فوزا عظيما جدا وأحرزوا النجاح الباهر فى دوائر الانتخاب « فنحن نرف التهئة للذين فازوا برضا الأمة وتشرفوا بالنيابة عنها ، سائلين الله أن يمدهم بروح منه ، ليحسنوا هذه النيابة ويؤدوا الأمانة ، ويجعلوا برلمان مصر الأول عنوان الجد والنشاط ومباراة للوطنية الصادقة » (١٥٤) . وكانت هذه الانتخابات بمثابة حكم أصدره الشعب على القيم الحقيقية للأحزاب والقوى التى تقدمت تلتمس ثقته . وهكذا تركزت كتلة الشعب تركيزا ظاهرا فى الوفد وزعيمه سعد زغلول (١٥٥) .

وكانت هذه النتيجة بالنسبة للأحرار الدستوريين صدمة

قائمية ، وربما يرجع السبب فى هذا الفوز الى التنظيم الدقيق للوفد فى كل أرجاء مصر ، ليس باعتباره حزبا سياسيا يخوض معركة ضد منافسين ومعارضين ، بل باعتباره شعبا بأسسه رغب فى تحقيق الاستقلال التام ووجد فى الوفد المصرى ، كتجمع سياسى وهيئة شعبية أداة لتحقيق هذا المطلب ، ولم تتغير نظرته للوفد عام ١٩٢٣ كثيرا عن تلك النظرة التى سبق له النظر بها اليه عام ١٩١٩/١٨ ، بالرغم من الظروف المختلفة التى أحاطت ليس فقط بالوفد ولكن كذلك بمصر والقضية المصرية ذاتها ، وربما يرجع ذلك الفوز الذى أحرزه كذلك الى شخصية سعد زغلول وتعلق الجماهير بها (١٥٦) . وقد أظهر سعد وأتباعه عداء خفيفا للبريطانيين خلال المعركة الانتخابية ، ولكنهم ركزوا نيرانهم ضد المعارضين المحليين الرئيسيين للوفد وهم الأحرار الدستوريون الذين يقودهم عدلى (١٥٧) .

سعد ورئاسة الوزارة :

أوردت (المقطم) قول سعد زغلول لندوب (رويتر) ردا على سؤاله ان كان سعد يقبل تأليف الوزارة حسبما يفرضه المسلك الطبيعى فى مثل هذه الظروف ، قوله بأننى « سأعمل عندئذ ما أراه واجبى نحو الأمة » . وحرصت الصحيفة على نشر رأى الدوائر البريطانية فى حصول الوفد على الأغلبية فى الانتخابات واحتمالات هذا الفوز ، ومن ذلك ما قالته (رويتر) عن استقبال الدوائر البريطانية « لفوز الزغلوليين فى الانتخابات بسكينة ، وعندها أنه مدامت الأمور التى تحتفظ بها فى التصريح البريطانى لمصر للمفاوضة مرعية ومحترمة للمصريين ان يختاروا الحكومة التى يشاءونها » (١٥٨) . ويقول (مارلو) : لقد ظهر مع هذه الأغلبية الكاسحة التى تقف وراء سعد بعض الأمل بأنه سيكون مستعدا

للتخلي عن (الديماغوجية) وان يكرس نفسه للمسائل الادارية من ناحية وتنظيم علاقات مصر ببريطانيا من ناحية اخرى (١٥٩) .

وأعلنت (المقطم) انها تقف في صف المطالبين بتسليم سعد زغلول رئاسة الوزارة ، فقد « راينا الواجب علينا ان نخرج عن خطة الحياد والعزلة التي كنا التزامناها حتى يزول الشقاق وتجتمع كلمة الأمة ، وان نجاهر صريحا بأننا من جملة الذين يلحون على معالي الرئيس الجليل في تأليف الوزارة واننا لا نرى لمعاليه مسوغا يبرر احجابه عن تأليفها » ، وذلك في تعليق لها بعنوان « الوزارة وزعيم الأمة » ، وهو العنوان الذي واصلت به حملتها لترسيخ هذه الفكرة وحمل سعد على تنفيذها . وأوضححت ان « المصلحة العمومية » تحتم قبول سعد لهذه المهمة لان « البلاد قادمة على نظام جديد لم يتهأ لها الثمرن عليه والتمرس فيه ، وهو نظام دقيق محكم ولكنه مخفوف بالمصاعب والمتاعب » وانه « ان لم يكن الوزير جامعا بين الكفاءة وقوة الحجة وشدة المعارضة من جهة ، والهيئة وعلو المنزلة والنفوذ من جهة أخرى كان نجاحه في التجربة الجديدة التي نحن قادمون عليها من أعسر الأمور » . وتسألت « ومن أجمع لهذه الصفة والكناءات من معالي الرئيس ؟ ومن أنفذ منه كلمة عند نواب الأمة اليوم وأعلى هيئة وأسمى منزلة ، سواء كان من جهة الميل والمحبة او من جهة الوفاق والاعتبار ؟ » (١٦٠) .

وقالت انه يتوجب نزع تلك الفكرة القديمة القائلة بأن الحكومة « هيئة غريبة خارجة عن جسم الأمة حتى لا نقول ان الحكومة شبيهة الخصم للأمة تحكمها بقوتها وجبروتها وتخضعها رغم انفسها لهواها ومشيئتها » بل يجب النظر اليها في العهد الجديد باعتبارها « هيئة مختارة من رجال الأمة خاضعة لمشيئتها نازلة على ارادتها » . واذا ما ساد هذا المفهوم الجديد فان « خير من تلقى اليه مقاليد

الحكم فى هذه الايام ، هو خير من تثق به الأمة ، وخير من يستخلسه نوابها ويقدرونه قدره ، ويحترمون رأيه ويعترفون بكفائته ومقدرته . وقد اظهرت الانتخابات الاخيرة ان سعدا هو الرجل الذى وضعت الامة فيه كل ثقتها والذى يصح ان يقال انها اجمعت على تفويض امرها اليه « (١٦١) . وقدمت تحليلا لفلسفة الحكم فى مختلف الانظمة خلصت فيه الى ان « القاء مقاليد الوزارة الى زعيم اكبر الاحزاب السياسية فى المجالس النيابية قاعدة مقررة فى جميع الحكومات النيابية البرلمانية » (١٦٢) . ونشرت عددا من الرسائل المؤيدة للفكرة ومعارضها ، فيقول المؤيدون : اذن فليتقدم سعد باشا لتقلد اعباء الحكم (١٦٣) . ويقول المعارضون « نستحلفكم بالوطن لا تقبلوا الوزارة واحتفظوا بزعامة البرلمان » (١٦٤) . ولكن كلمة تاليف سعد للوزارة ترجح ، فتستقيل وزارة يحيى ابراهيم ، الذى لم ينجح فى الانتخابات التى اشرف على ادارتها مما اثبت نزاهته وحيدته ويكلف الملك سعدا بتأليف اول حكومة دستورية فى مصر ، فكان ذلك « اول كسب للحركة الوطنية واول هزيمة للسياسة البريطانية فى نطاق تصريح ٢٨ فبراير ، فلم يتحقق لواضى التصريح ان يحصلوا على معاونة الرجال (ذوى النفوذ) لان معاونيهم لم يصيروا من ذوى النفوذ ولا امكن للتصريح ان يقوهم على حساب الوفد » (١٦٥) . ويتشكل حكومة سعد زغلول تبدا صفحة جديدة فى تاريخ القضية المصرية .

هوامش الفصل السادس

- (١) المقطم ١ ابريل ١٩٢١ .
- (٢) المقطم ٤ ابريل ١٩٢١ .
- (٣) المقطم ٥ ابريل ١٩٢١ .
- (٤) المقطم ٦ ابريل ١٩٢١ .
- (٥) محمد كامل سليم ، أزمة الوفد الكبرى ص ١٩٨ ، ومحمد حسين هيكل ، مفكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ١١٩ وويل ، اللبى في مصر ص ٦٧ .
- (٦) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وثبة ، ص ٣٥٣ .
- (٧) عبد الرحمن الراغبى ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٩ .
- (٨) المقطم ٧ ابريل ١٩٢١ .
- (٩) المقطم ١٢ ابريل ١٩٢١ .
- (١٠) المقطم ١٦ ابريل ١٩٢١ .
- (١١) المقطم ١٩ ابريل ١٩٢١ .
- (١٢) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٢١ .
- (١٣) المقطم ٢٦ ابريل ١٩٢١ .
- (١٤) المقطم ٢٩ ابريل ١٩٢١ .
- (١٥) المقطم ٣٠ ابريل ١٩٢١ .
- (١٦) لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، ص ٣٣٤ .

- (١٧) المقطم ١٢ مايو ١٩٢١
- (١٨) المقطم ١٤ مايو ١٩٢١
- (١٩) المقطم ٢١ مايو ١٩٢١
- (٢٠) المقطم ٢٢ مايو ١٩٢١
- (٢١) حمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ، دار مجلى للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٧٥ .
- (٢٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ، ص ١٢٢ .
- (٢٣) المقطم ٢٥ مايو ١٩٢١
- (٢٤) المقطم ٢٧ مايو ١٩٢١
- (٢٥) المقطم ٢ يونيو ١٩٢١
- (٢٦) المقطم ٧ يونيو ١٩٢١
- (٢٧) المقطم ٧ يونيو ١٩٢١
- (٢٨) المقطم ١٤ يونيو ١٩٢١
- (٢٩) المقطم ١٥ يونيو ١٩٢١
- (٣٠) المقطم ١٦ يونيو ١٩٢١
- (٣١) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ - ١٩٢٦ ، ص ٣٣٧ .
- (٣٢) المقطم ٣ يوليو ١٩٢١
- (٣٣) المقطم ٦ يوليو ١٩٢١
- (٣٤) المقطم ١٠ يوليو ١٩٢١
- (٣٥) المقطم ١٢ يوليو ١٩٢١
- (٣٦) المقطم ١٦ يوليو ١٩٢١
- (٣٧) المقطم ١٩ يوليو ١٩٢١
- (٣٨) المقطم ١٢ أغسطس ١٩٢١
- (٣٩) المقطم ٢٦ أغسطس ١٩٢١
- (٤٠) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٢١
- (٤١) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٢١
- (٤٢) المقطم ١٣ سبتمبر ١٩٢١
- (٤٣) المقطم ١٦ سبتمبر ١٩٢١
- (٤٤) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٢١
- (٤٥) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٢١

- (٤٦) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٢١ .
- (٤٧) المقطم ٢٩ سبتمبر ١٩٢١ .
- (٤٨) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٤٩) المقطم ١٦ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥٠) المقطم ١٨ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥١) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥٢) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥٣) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥٤) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥٥) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢١ .
- (٥٦) المقطم ٨ نوفمبر ١٩٢١ .

Marlowe, John, Anglo-Egyptian relations 1800 — (٥٧)
1953, London, 1954, P. 246.

- (٥٨) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٤٨ — ٤٩ .
- (٥٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٣٣٧ .
- (٦٠) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ص ٩٠ .
- (٦١) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢١ .
- (٦٢) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٥٣ .
- (٦٣) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٢١ .
- (٦٣) المقطم ٢٧ نوفمبر ١٩٢١ (أحمد الماجدى) .
- (٦٥) المقطم ٢ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٦٦) المقطم ٢ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٦٧) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٦٨) المقطم ٦ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٦٩) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٧٠) المقطم ١٣ — ١٥ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٧١) المقطم ٢٤ — ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٧٢) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٠ .
- (٧٣) المقطم ٢٧ ديسمبر ١٩٢١ .
- (٧٤) المقطم ٢٨ ديسمبر ١٩٢١ .

- المقطم ١ يناير ١٩٢٢ (٧٥)
- المقطم ٧ يناير ١٩٢٢ (٧٦)
- المقطم ٢٠ ، ٢١ يناير ١٩٢٢ (٧٧)
- المقطم ٢١ يناير ١٩٢٢ (٧٨)
- عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٣ ، ٢٨ (٧٩)
- المقطم ٢٨ يناير ١٩٢٢ (٨٠)
- المقطم ٢٩ يناير ١٩٢٢ (٨١)
- المقطم ٣١ يناير ١٩٢٢ (٨٢)
- المقطم ١ فبراير ١٩٢٢ (٨٣)
- المقطم ١ فبراير ١٩٢٢ (٨٤)
- المقطم ٥ فبراير ١٩٢٢ (٨٥)
- المقطم ٧ فبراير ١٩٢٢ (٨٦)
- المقطم ١٨ فبراير ١٩٢٢ (٨٧)
- المقطم ١٩ فبراير ١٩٢٢ (٨٨)
- المقطم ١ مارس ١٩٢٢ (٨٩)
- المقطم ٢ مارس ١٩٢٢ (٩٠)
- المقطم ٣ مارس ١٩٢٢ (٩١)
- عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٤٨ (٩٢)
- طارق البشري ، سعد زقلول يفاوض الاستعمار ، ص ٦٣ (٩٣)
- المارشال ويفل ، اللنبي في مصر ، ص ٧٢ (٩٤)
- Marlowe, John, *Anglo-Egyptian Relations*, Op. Cit., P. 260. (٩٥)
- أحمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ (٩٦)
- مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥١٤ (٩٧)
- بونان لبيب رزق الوزارات المصرية ، ص ٢٤٥ (٩٨)
- Zayid, M.Y., *Egypt's Struggle For Independence*, Op. Cit., P. 108. (٩٩)
- عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ١٨ - ١٩٣٦ ، ص ٢٧٢ (١٠٠)
- المقطم ١٧ مارس ١٩٢٢ (١٠١)
- عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٦٠ (١٠٢)
- عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ١٨ - ٢٦ ، ص ٢٧٤ (١٠٣)

- (١٠٤) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- (١٠٥) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٢٤ .
- (١٠٦) المقطم ١ يوليو ١٩٢٢ .
- (١٠٧) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٢ .
- (١٠٨) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٢ .
- (١٠٩) المقطم ٣ يوليو ١٩٢٢ .
- (١١٠) المقطم ٧ يوليو ١٩٢٢ .
- (١١١) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٢٢ .
- (١١٢) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٢٢ .
- (١١٣) المقطم ٢٠ أغسطس ١٩٢٢ .
- (١١٤) المقطم ٢٠ أغسطس ١٩٢٢ .

Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11, London. (١١٥)
1934, P. 70.

- (١١٦) المقطم ١٦ أغسطس ١٩٢٢ .
- (١١٧) المقطم ٢٢ أغسطس ١٩٢٢ .
- (١١٨) المقطم ٣٠ أغسطس ١٩٢٢ .
- (١١٩) المقطم ٩ سبتمبر ١٩٢٢ .
- (١٢٠) المقطم ١٦ سبتمبر ١٩٢٢ .

- (١٢١) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٦٩ .
- (١٢٢) مجيد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ١٤٨ .
- (١٢٣) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٣٧ .
- (١٢٤) أحمد شفيق ، مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ، ص ٥٩٣ .
- (١٢٥) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٦ .

- (١٢٦) جاكوب لاندאו ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر ، ص ١٧٤ .
- (١٢٧) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٢٨) المقطم ١١ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٢٩) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٣٠) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٣١) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩٢٢ .

- (١٣٢) غاروق أبو زيد ، أزمة الديمقراطية في الصحافة المصرية ، مكتبة مذبولى القاهرة ، د.ت ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
- (١٣٣) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٣٧ .
- (١٣٤) غاروق أبو زيد ، أزمة الديمقراطية في الصحافة المصرية ، ص ١٢٤ .
- (١٣٥) المقطم ١٨ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٣٦) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٣٧) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (١٣٨) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٥٠ - ٢٥٧ .
- (١٣٩) المقطم ١ أبريل ١٩٢٣ .
- (١٤٠) المقطم ٤ أبريل ١٩٢٣ .
- (١٤١) المقطم ١٧ أبريل ١٩٢٣ .
- (١٤٢) المقطم ٢١ أبريل ١٩٢٣ .
- (١٤٣) المقطم ٢٤ أبريل ١٩٢٣ .
- (١٤٤) المقطم ٢٦ أبريل ١٩٢٣ .
- (١٤٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٥٢ - ٥٤ .
- (١٤٦) صلاح زكى ، الفكر الديمقراطي والحياة النيابية في مصر ، مركز النيل للاعلام ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥٢ .
- (١٤٧) المقطم ٢ مايو ١٩٢٣ .
- (١٤٨) المقطم ٣ مايو ١٩٢٣ .
- (١٤٩) المقطم ٢ يونيو ١٩٢٣ .
- (١٥٠) المقطم ١٢ يونيو ١٩٢٣ .
- (١٥١) عبد الرحمن الرافعى ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
- (١٥٢) محمد حسين هيكل ، مفكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
- (١٥٣) المقطم ١٢ يناير ١٩٢٤ .
- (١٥٤) المقطم ١٥ يناير ١٩٢٤ .
- (١٥٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٥٤ .

..... (١٥٦) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ،
ص ٢٤٩ .

Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations, Op. (١٥٧)
Cit., PP. 263 — 266.

(١٥٨) المقطم ١٦ يناير ١٩٢٤ .
Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations, Op. (١٥٩)
Cit., P, 264.

- (١٦٠) - المقطم ٢٢ يناير ١٩٢٤ .
- (١٦١) المقطم ٢٤ يناير ١٩٢٤ .
- (١٦٢) المقطم ٢٦ يناير ١٩٢٤ .
- (١٦٣) المقطم ٢٦ يناير ١٩٢٤ .
- (١٦٤) المقطم ٢٧ يناير ١٩٢٤ .

(١٦٥) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٧٢ .

الفصل السابع

المقطم و « وزارة الشعب »

الترحيب بالوزارة :

رأت (المقطم) أن التحول السياسى الذى جاء بوزارة الشعب الى الحكم ، انما هو لمصلحة مصر التى تتوافر لقضيتها عناصر النجاح « فالنهضة القومية لا تزال على أشدها والحماسة الوطنية مضطربة فى النفوس ، وللبلاد ملك جاهر بأنه يريد لها الاستقلال والحكم الدستورى ، وللأمة زعيم كفاء استحق باخلاصه وسداد رأيه وثباته ثقتها الاجماعية ، وهو مالا يثقى وجوده كل يوم » ، يضاف الى ذلك الوزارة الانجليزية القائمة المؤلفة « من رجال آراؤهم اقرب الى الاستقلال من آراء سواهم من مواطنيهم » (١) . وهى تقصد حكومة حزب العمال التى وصلت الى الحكم فى نفس الوقت برئاسة المستر (ماكدونالد) . وسجلت الصحيفة مظاهر الابتهاج الذى عم البلاد لتأليف الوزارة الجديدة والمظاهرات التى خرجت لتأييد الوزارة ورئيسها وقالت : « ان الوزارة الجديدة هى وزارة الامة بالمعنى المتهوم من هذا التعبير فى البلدان ذات الاحكام النيابية ، فقد اختير اعضاؤها من نواب الامة فى مجلس النواب الا واحدا منهم وهو نسيم باشا غانه عضو مزكى من مجلس الشيوخ » . ودعت جميع أبناء الشعب « أن يعقدوا الخناصر على السعى للنجاح وجعل عصر الدستور عصر خير وصفاء ، فقد

صارت شئوننا بيدنا وأمرنا عائدا إلينا وآن أوان العمل نحى على
الفلاح « (٢) » .

وقد بدا سعد زغلول فى الحق يومها فى ذروة النجاح ،
وكانت له اليد العليا فى السياسة المصرية ، بينما غلب الضعف
على الأحرار الدستوريين وبقية الأحزاب الأخرى ، حتى الملك لم
يطمع فى معارضته ، فوق صداقة الحكومة البريطانية له وميلها
إليه ، وفى نفس الوقت قبول أول طلب لزغلول من البريطانيين
بالمعنى عن كانوا لا يزالون فى السجون ممن صدرت ضدهم أحكام
المجالس الحربية البريطانية بترحيب عده الكثيرون فى مصر ترحيبا
زائدا بل لقد وافقت الحكومة البريطانية على عفو أبلغ فى كرمه
مما طلبه زغلول أو توقعه (٣) .

وقد جرت محاولات واضحة من جانب البريطانيين لبناء
جسور من التفاهم والثقة مع الوزارة السعدية وذلك منذ الأيام
الأولى فى حياة هذه الوزارة (٤) ، مع عملية الإفراج عن المسجونين
السياسيين التى تابعت (المقطم) أحداثها ، وزفت « بشرى نجاح
وزارة الأمة فى معالجة هذه المسألة التى اهتمت بها البلاد أشد
الاهتمام » (٥) . وقد أعربت الجماهير عن ارتياحها الكبير لهذا
الإجراء وعدته فاتحة خير للوزارة (٦) .

وقالت (المقطم) انها تضم صوتها الى أصوات المهنيين
والشاكركين راجية « أن تظل وزارة الأمة موفقة فى مناصبها فائزة
نميا تسعى له من الخير للبلاد وسكانها فى جميع مقومات الحياة
برماية جلالة الملك ومعونة الأمة » .

ولعل ما قامت به الحكومة فيه الرد الحاسم على الذين
يتمجلون إنجازاتها، فهى لم تضع « بيانها الشهير الذى تقدمت
به الى العرش والأمة ذرا للرماد فى العيون بل أن الاعتقاد عام

بأن الوزارة ستسمى بكل ما أوتيت من قوى وأهمها قوة تأييد الأمة لها لتحقيق ما تضمنه البيان من الأمور « (٧) » .

ولعل جسور التفاهم التى أقامها البريطانيون مع الوزارة تفسر ترحيب (المقطم) الزائد بها .

الشيوعية والاضرابات العمالية :

تحدثت (المقطم) عن حركة شيوعية فى مصر تقف وراء اضطراب المال فى الاسكندرية ، وقالت ان الحكمة « تقضى بخنق هذه الحركة فى مهدها ومنع انتشارها » ، لاسيما « ان هناك أيديا غريبة فى الخارج تسمى لاثارة حركة شيوعية فى مصر تكون قطب دائرة حركة أوسع تشمل بلدان الشرق الأدنى .. فإذا كان للعمال المعترضين فى الاسكندرية شكوى صحيحة فهذه يجب نظرها وتلافيتها طبقا لقواعد الحق والانصاف . اما اطلاق خاطر الأمة بدعوى شيوعية يشد زرها من الخارج كما نعتقد ، فهذا ما لا تسلم الأمة به ولا تسكت الحكومة عليه « (٨) . ووصفت دعاة الشيوعية بأنهم (دجالو الاجتماع) الذين يسببون القلاقل والاخلال بالنظام (٩) .

وقالت (المقطم) ان ادارة الامن العام تكاد « تنفرغ لمكافحة حركة البلشفية بعدما ظهر انها تاصلت فى بعض الدوائر وصار لها أنصار ومجندون بين بعض الطبقات المتعلمة » ، وان الذين زاروا رئيس الحكومة من الأعيان « تمنوا لو أن الحكومة تجتثها من أصلها حتى لا تقوم لها قائمة فيما بعد « (١٠) » .

وقد ربطت الصحيفة بين الأوضاع الاقتصادية الصعبة وعلاقتها بانتشار الأفكار الشيوعية ، فبعد ان نجحت الحكومة « بجميع قواها الادارية والقضائية لقمع هذه الحركة وكبح جماح

الداعين اليها ، ففازت باستئصالها قبل ان تتأصل جذورها « ، فان الحكومة مطالبة باستئصال الاسباب الاقتصادية التى تشدد ساعد الشيوعية والاشتراكية المتطرفة . . كتوفير الأعمال للعاملين . . وتسهيل المعيشة للجمهور ، ومنع ارهاقه بالفلاء المصطنع والضرب على ايدي الذين يطلبون الربح الفاحش بطرق الاحتكار وغيرها « (١١) . ولم تقصر حكومة سعد زغلول فى مواجهة الاضرابات التى انتهزتها لمحاربة الحزب الشيوعى المصرى وقياداته وكذلك اتحاد النقابات العام الذى قامت بحله ومصادرة اوراقه ، اما لماذا وقف سعد هذا الموقف المتشدد من الحركة اليسارية ، فنرى ان ذلك يرجع أساسا الى عزوف سعد تماما عن مجرد التفكير فى الأفكار الاجتماعية او الاشتراكية لأن المعركة الأساسية فى تصويره كانت سياسية بالدرجة الأولى (٢١) واذا كان موقف (المقطم) هنا منسجبا مع مواقف حكومة سعد باشا ، فانها ظلت على موقفها هذا المناهض للشيوعية حتى آخر أيام صدورها ، ولم يرد ذكر التنظيمات الشيوعية على صفحاتها الا مقرونا بالمطاردات الحكومية لها .

افتتاح البرلمان :

وكان الاحتفال بافتتاح البرلمان ، مجالا لابداع محررى الصحيفة فى تسجيل أهمية هذا الحدث ، الذى قدموا وقائعه بأسلوب أدبى ، فالיום « يوم مصر ، أدام الله لمصر العز والنصر تطرب فيه النفوس ويطيب فيه نظم قلائد الشمر ، وينفوح عبير أريجها كما يعبق شذا الزهر ، كله الندى عند طلوع النجر » . . وقدمت للتغطية الاخبارية ليوم الافتتاح بالاسلوب ذاته ، فقد « أصبحنا أمس والجو صحو والهواء عليل والشمس ساطعة ، وعاصمة المملكة المصرية توج كأنها البحر الزاخر بالجنود القادمة من ثكناتها فى أطراف المدينة تسير سيرا عسكريا منظما تخفق فوق رؤوسها بنودها » . وبعد

ان تلتقط الصحيفة أنفاسها تكتب تعليقا سياسيا تقول فيه ، ان « مصر فى فاتحة عصرها الدستورى الجديد ، لتبسط يدها الى جميع الأمم بسط الصديق الصدوق . وتدعو الجميع الى مشاطرتها سرورها وابتهاجها بنهضتها التى تتمثل اليوم لناظريها ، وفى ضميرها ، وتتجلى لعيون القريب والبعيد بمجلسها النيابى » (١٣) .

فقد كان يوم البرلمان يوم فرح عظيم فى القاهرة ، وثابتت الجواهر فيه على زئير مستمر من الهتافات حتى بلغت بها الحماسة درجة الجنون عندما بدت لآعينهم العربية الملكية وفيها الى جوار الملك فؤاد مليكهم ، زغلول معبودهم ، من تحدى الاستعمار البريطانى ، ومن قاد الجماهير وشجعها على طلب الاستقلال ، والذى نفى مرتين ، اما الآن فما هو ذا رئيس للوزراء (١٤) كما انها المرة الاولى منذ بدء الاحتلال البريطانى ، التى تشهد فيها مصر هيئة تمثيلية نيابية صحيحة (١٥) .

وكان هذا البرلمان اول مظهر نظامى لبروز سلطة الشعب كقوة مؤثرة فى الحكم ، بل كالقوة الوحيدة التى لها حق الحكم (١٦) .

واوضحت (المقطم) ان ما أورده خطاب العرش عن «تحقيق الامانى القومية بالنسبة لمصر والسودان ينطوى على المعنى المنشود ، فان المعروف والمشهور هو ان للأمة فى هذا الموضوع امنية معينة صريحة واضحة ، فعمل الحكومة والبرلمان سيكون منصرفا الى تحقيق هذه الامنية الجليلة الصريحة » . وقالت ان هذا البرلمان « يبدأ عمله وله قوتان يندر ان يتمتع بهما برلمان آخر ، الاولى اتفاق الامة كلها على الغاية التى تطلبها ، والاخرى اتحاد القوى على نيل هذه الغاية العظمى » (١٧) .

وتولت الصحيفة نشر الاسئلة البرلمانية ، واجوبة الوزراء عليها ، والاقتراحات المقدمة من الأعضاء ، وغير ذلك ، مما يتصل بجلسات البرلمان التى دأبت على نشر مداولاتها منذ بداية الانعقاد .

حوادث الاعتداء على البريطانيين :

استنكرت (المقطم) بشدة بالغة حوادث الاعتداء التى تعرض لها عدد من الضباط والجنود البريطانيين فى الاسكندرية ، وحادثة مصرع الضابط الانجليزى فى (هليوبوليس) ، قائلة اننا «نستطيع ان نجزم من الآن بان الامة المصرية على بكرة أبيها تمج هذه الجنايات وتستنكرها ، سواء اكان الباعث عليها شخصا ام غير شخصى » ، والامة « تعرف فوق ذلك ان سلاحها الوحيد هو الحق . وانها بهذا السلاح تنال مطالبها وتبلغ مرامها ، فان وجد بينها فرد او افراد يعتقدون ان سلاح الحق لا يكفى ، فهؤلاء يمتنون الحق ويفمطون القوة الادبية قدرها ، ويبخسون المبادئ السامية مقامها ، ويجهلون عبر التاريخ ، او يتجاهلون ، ولكن الامة لا تقيم لامثالهم وزنا ، ولا تقبل منهم رأيا ، ولا تصفى اليهم بسمها ، بل هى تنكرهم وتنسى الظن بهم وترتاب فى أمرهم ، اذ قد يكونون أعداء لها فى ثياب اصدقاء ، فاذا لم يكونوا كذلك فهم مرضى بعقولهم ، فالعقاب دواؤهم والقانون خير مطهر للمجتمع منهم » (١٨) .

ولا نجد فى قاموس الاستنكار ما هو اشد عنفا من هذا الاسلوب الذى عالجت به (المقطم) هذا الموضوع ، وربما استندت فى ذلك الى خطة الاعتدال التى بدت فيها الوزارة الشعبية فى بداية عهدا ، بالبيانات المعتدلة التى ادلى بها رئيسها فى البرلمان المصرى والتى سمى من خلالها الى كبج جماح المعارضة ، التى كانت تدفعه الى مواجهة مع الوجود البريطانى ، وقد رأى اللبى فى تلك

البيانات دليلا على روح رجل الدولة ، وأنها قد اتصفت بصراحة محبة ، ويعرب المندوب السامى عن امله أن يظل هذا النهج رائدا لسياسة الوزارة المصرية(١٩) .

طريق المفاوضات :

من هنا ، كان تركيز (المقطم) على دفع الحكومة المصرية ، باتجاه المفاوضة مع الحكومة البريطانية « ومباحثتها والتفاهم معها لاقناعها بما لمصر من الحقوق الطبيعية التى لا تحتل نزاعا فى أن تتمتع بالحياة المستقلة الجديرة بها دون أن يكون عليها وصاية أو حماية أو ما شاكل ذلك . . وكل محاولة لاحباط السياسة المشار إليها وكل ميل الى عرقلة خطواتها ، تعتبر اعتداء على ارادة الأمة نفسها ، وانتفاضا على سياستها التى رضى عنها وأقرتها وأنابت زعيمها فى تنفيذها وانتخب نوابها على قاعدتها » (٢٠) . ولن « يكون من المستحيل » على المفاوضين المصريين « كسبه قلوب المفاوضين الانجليز والوصول الى الاتفاق معهم على أساس احترام الحقوق المتبادلة ، بلا تطفيف ولا حيف . إذ إن الفاية التى ينشدها الفريقان هى أن تكون انجلترا ومصر صديقتين متحالفتين تحالفا وديا مبنيا على رضاء كل منهما وشعوره بأنه لم يغبن ولم يهضم له حق » (٢١) . ودعت الى توافر « حسن النية » لانجاح المفاوضات المقبلة « إذ انه خير للفريقين أن يجتمعا ليدئباها وبحلا ما بينهما من العقد والمشاكل بروح الصداقة من أن يجتمعا لهذا الغرض بروح الخصومة والغيرة والمنافسة . فقد جربت هذه الطريقة غير مرة فى السنوات الأخيرة ، فأسفرت تجربتها عن الفشل والحبوط فى كثير من المواقف » (٢٢) .

وانتقدت (المقطم) موقف المعارضة فى البرلمان ، التى تبدى « الاعتراض لذات الاعتراض » ، مؤكدة انه يجب ألا يغيب عن

ذهن زعماء هذه المعارضة اهمية « ظهور الامة كلها كتلة واحدة وجبهة متحدة تشد ازر مفاوضاتها » (٢٣) . كما انتقدت سيل الاسئلة البرلمانية التى تنهال على الحكومة قائلة : اننا « نسال الحكومة عما تصنع ، فهلا سالنا الامة عن نصيحتها من العمل » مبينة ان « النجاح الذى يتوق اليه كل مقيم فى هذا القطر لا تتوافر اسبابه ولا تدرك اراميه الا اذا توثقت عرى التعاون بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة » (٢٤) .

وناقشت (المقطم) الموضوعات المعلقة بين مصر وبريطانيا . وقالت « ولا خلاف فى ان الهوة متسعة والثقة مترامية بين الاساس الانجليزى والاساس المصرى ، ولكن شرعة المفاوضات انها شرعت لمعالجة هذه الحالة وتقريب المسافة بين مطالب الفريقين بقدر الامكان » (٢٥) ، وانه لا مجال للخوف على الامانى القومية ، فان اى اتفاق يتم التوصل اليه سيعرض على البرلمان المصرى ، كما انه لا مجال لجأرة الفئة التى تقول بعدم التفاوض ، لان مجاراتهم ستجعل امورنا القومية والدولية المرتبطة باستقلال البلاد معلقة ، وانه لا خوف على القضية الوطنية مادامت فى يد « هذه الوزارة المؤلفة من مصريين ووطنيين بينهم زعيم النهضة العظيمة » (٢٦) . ولم يخل عدد من أعدادها لهذه الفترة من الاخبار والتحليلات التى تؤكد فيها على الرغبة المشتركة لدى كل من مصر وبريطانيا الدخول فى مفاوضات ودية وحررة . وكذلك بيان مناسبة الظروف الراهنة لاجراء المفاوضات استنادا لمكانة سمسد زغلول لدى الشعب المصرى ، ووجود وزارة العمال فى دست الحكم فى بريطانيا ، وهى تمثل « حزبا طالما عطف هو وزعماءه على مصر وقضيتها » (٢٧) .

أحداث السودان :

لكن هذه الحماسة التى أبدتها (المقطم) لمفاوضات قريبة بين سعد والمسئولين البريطانيين لم يكن الواقع يسعها لتصبح حقيقة ملموسة خصوصا مع بروز أحداث السودان بشكل حاد . ففى ٨ مايو أرسل (ستاك) الى (اللنبى) يخطر له أن الدعاية المصرية تتصاعد فى السودان ، مما صار له أثره فى هياج مدن الشمال خاصة ، ونصحه بوجوب مواجهة هذه الحالة بإجراءات محددة . وفى تلك الفترة كانت حكومة السودان تجمع توقعات من رؤساء القبائل والرؤساء الدينيين ، تعلن الولاء لها ولبريطانيا ضد مصر وتنشط العناصر الموالية لمصر فى حركة مضادة ، وواجهت الحكومة البريطانية الموقف المصرى بتصريح انصح فيه اللورد (بارمور) بمجلس اللوردات فى ٢٥ يونية عن أن الحكومة البريطانية لا تنوى ترك السودان أو التفريط فى مركزها فيه ، فقبل التصريح بموجة عاصفة من الاستياء والاحتجاج فى مصر ، عبرت عنها المظاهرات التى ازدحمت بها شوارع القاهرة فى ٢٧ يونية ، وعبر عنها مجلس النواب فى ٢٨ يونيو ، حيث ألقى سعد بيانا هاجم فيه التصريح البريطانى ، ثم قدم استقالته فى ٢٩ يونيو . وكان من الطبيعى أن يقف البرلمان وراء سعد مدعما موقفه وأن يضطر الملك الى رفض استقالته مما علق عليه اللنبى بقوله أن هدف سعد من تقديم استقالته هو أن يعود الى الحكم فى مظاهرة يشترك فيها الملك والبرلمان والشعب ليعلم الانجليز أن الأمة كلها وراءه (٢٨) .

وقد تابعت (المقطم) أحداث السودان التى كان لوصولها لمصر « رد فعل شديد فى نفوس النواب ترتب عليه صدام بين المعارضة والحكومة تبدلت فيه العبارات الحادة » (٢٩) . وقالت (المقطم) أن قضية مصر « تقوم على اعتبار وادى النيل كلا لا يتجزأ

فليس فيه سيد ولا مسود وليس فيه مالك ولا مملوك بل بلاد واحدة
وأمة واحدة « (٣٠) . ومصر التى « لا يفوتها ما هو دائر فى
السودان ، والتى أحاطت علما بكل ما يقع لا تتنازل عن حقوقها
ولا تزال تعتبر السودان جزءا حيويا من هذا الكل الذى نظمه النيل
وانشأ فيه شركة طبيعية لا سبيل الى فصر عراها « (٣١) .

وتسألت (المقطم) عن مصير المفاوضات بعد التصريحات
التى صدرت بخصوص السودان من جانب المسئولين فى كل من
القاهرة ولندن فوجبت عنابها لبريطانيا قائلة : « وهل من مصلحة
بريطانيا أن يشتد هياج الخواطر فى مصر والسودان ، هذا
الاستداد والقطران متلاصقان ، وبينهما من العرى والروابط ما لا
يخفى على أشد الانجليز جهلا بشئون السودان » (٣٢) . فلا يصح
« أن يقال أن مصر التى تجاهر بأن مصر والسودان جزءان
لايتجزآن من وادى النيل .. ستعد السودان مستعمرة تستبيح
أموالها وأهلها وتأكل جنى تعبهم وتلتهم خيرات بلادهم » (٣٣) .

وشاركت المقطم فى الموقف الذى وقفه البرلمان والأمة
بطوائفها المختلفة فى رفض استقالة سعد الذى سافر الى
الاسكندرية لعرضها على الملك « فعبرت له الأمة خلال رحلته بكامل
هيئاتها وأفرادها عن تأييدها وثقتها به ورغبتها فى بقائه » (٣٤) .
وذلك « لصيانة حقوق الأمة التى هو خير أمين عليها » كما قالت
لجنة الطلبة التنفيذية فى بيانها الذى نشرته الصحيفة ، وقالت
(المقطم) أنه ليس من مصلحة وادى النيل وقضية مصر أن يستقيل
سعد « فى هذا الاوان ، والبلاد تريد منه مواصلة الجهاد ، وهو
ينادى به ، والجميع متفقون على أنه قابض على ناصية الزعامة
والقيادة » (٣٥) . ورحبت بقراره برجوعه عن الاستقالة ، حيث
تبددت السحب « وصفا الجو الآن لمواصلة العمل » ، فمصر اليوم

لها « عرش ووزارة وبرلمان ، وهذه الهيئات الثلاث التى تمثل قوى البلاد ، ومشيتها ورغبتها لا تعجز عن البحث عن الوسائل التى ترى انها تحقق امانى البلاد » (٣٦) . ووجدت سعيها لدفع سفينة المفاوضات الى الامام بقولها : « اننا لا نرى وجها للخسارة اذا حبطت المناوضة ، وكل ما يمكن ان يقع هو ان الحالة بعدها تكون كما كانت قبلها من دون ان تتقيد مصر بقبولها او الاعتراف بصحتها او برضاها عنها بل ان لمصر على كل حال ربحا ، وهو ان المفاوضات ستلفت انظار العالم الى قضية مصر وقضية السودان » (٣٧) .

محاولة اغتيال سعد :

واشارت (المقطم) للاستعدادات التى ستجرى فى الاسكندرية لتوديع سعد بعد ان استقر عزمه على السفر الى لندن « بعدما يتم استشفائه فى غيشى بفرنسا » (٣٨) . ولكن سعدا قبل ان يبرح العاصمة الى الاسكندرية يتعرض لمحاولة اعتداء على حياته ، فيثير هذا الحادث سخطا عارما فى البلاد وتسجل الصحيفة تفاصيل المحاولة ، ويكون العنوان الرئيسى كالتالى : « جان اثيرم يطلق رصاصة مسدس على دولة سعد باشا فى محطة مصر — الجرح سطحي بحمد الله فلتطمئن الأمة » .

وتكتب (المقطم) تعليقا بعنوان (شلت يداه) عن الجانى عبد اللطيف، عبد الخالق تقول فيه : « اننا لم نكن نتصور ان يقوم فى مصر من يشكر فى ان يمد يد الاذى الى كريم ، تعده الأمة زعيمها المتفانى فى خدمتها القائم على رأس نهضتها المرجو لاكمال السير فى قضيتها الذى وقف حياته وقواه على العمل لها مستهدفا للمخاطر غير معتد بما يضيع من الانفاس ، وما يتعرض له من المحن . فكانما شاءت العناية الا ينقصه من اكاليل الجهاد هذا الاكليل ، وهو اكليل الاعتداء على حياته الثمينة التى يفديها الالوف ومئات

الآلوف بأعز ما عندهم « (٣٩) . وطالبت بمقاومة هذا الشكل من أشكال العنف التى لا مسوغ لها بعد أن أصبحت البلاد تعيش فى ظل قواعد الدستور وأحكامه ، وبعد أن أصبحت « قرارات الأمة فى إدارة شئونها الداخلية والخارجية تصدر من الهيئة التى اختارتها الأمة للنيابة عنها ، ولبذه الهيئة وحدها أن تحكم فى صحة سياسة الحكومة وأعمالها ، ولها دون سواها أن تسال عنها وللأغلبية الصوت المسبوع » (٤٠) . فالجريمة هذه كانت سياسية خالصة هدفها فى المحل الأول منع سعد من السير فى طريقه نحو دخول المفاوضات مع الحكومة البريطانية ، وقد دبرت هذه الحادثة جمعيات الحزب الوطنى فى برلين ، حيث كان المتهم يواصل دراسة الطب بها (٤١) .

وتحدثت (المقطم) عن يوم خروج سعد من المستشفى بعد شفافائه من جراحه ، فكان « يوما مشهودا فى القاهرة وكان يوم سرور وابتهاج ترددت فيه أصوات الفرع فى أنحاء العاصمة . وتوالى فيه التهاف من كل جانب تيمنا بخروج الرئيس من المستشفى ، ودلالة على التنام جروحه وشفائه وعودته الى ميدان العمل والجهاد » (٤٢) . وكتبت تعليقا على البرقيتين المتبادلتين بين سعد والملك فؤاد بمناسبة نجاته سعد من الحادثة تقول فيه « كأنها العرش مثل يمثل الأمة بعواطفها وميولها وشعورها ، فلا غرو اذا عرفت الأمة للعرش هذا الفضل » . اما ما جاء فى رد سعد على الملك فانه العاطفة « التى تجيش فى صدور الأمة المصرية ، كلما ذكرت مآثر البيت العلوى الكريم ورات الملك الدستورى يشاركها فى آمالها ومطالبها وغاياتها ، ويشعر لشعورها فيحزن لحزنها ويفرح لفرحها وينطق باسمها بما يطابق ما فى ضميرها من الإلهام » (٤٣) .

ودعت (المقطم) — بمناسبة إعلان سعد زغلول عزمه على السفر الى أوروبا للاستشفاء وأجراء المفاوضات — جميع فئات الأمة الى تأييده فى مهمته ومنحه الثقة الاجماعية ، وعدم تضييع الجهود « فى الانتقام الداخلى مهما كان مقداره ، ولا الترامى بالتهم والتعبير بالحجج » (٤٤) . وطالبت (مكدونالد) رئيس الوزارة البريطانية ، أن يقدر هو وزملاؤه والحزبان المعارضان فى بريطانيا دقة الموقف قبل اقدام على المفاوضات ، ويتنبهوا الى عمق الاتحاد بين الحكومة والأمة فى مصر ولاسيما حكومة سعد باشا الذى سينطق اسم مصر والسودان « فلا يخطئوا فى تقدير رغبة مصر ولا فى مبلغ نفوذ سعد فى الأمة ، لأن كل خطأ من هذا القبيل يؤول الى حبوط المفاوضات حتيا وليس معنى هذا أن مصر تآبى الاتفاق فهى تريده ، ولكن على قواعد حقة يقتنع بها الشعب .. هذا اذا فرضنا جدلا احتمال عقد اتفاق كهذا وهو ما لا يخطر للباحث على الاطلاق » (٤٥) . وكان الصحيفة كانت تعرف مسبقا نتيجة المفاوضات باصدارها هذا الحكم ، الذى بنته بالطبع على حسابات دقيقة أهمها معرفتها لشخصية سعد ومكانته الزعامية ومطالبه الحاسمة وما تنتظره الأمة منه وحدود ما سوف يسلم به ، وما تعرفه ايضا عن الحدود التى تقف عندها أية حكومة انجليزية فى هذا الظرف من مسيرة العلاقات مع مصر ، حتى لو كانت حكومة العمال التى يرأسها مكدونالد .

تفاقم أحداث السودان :

مرة ثانية يعود مسرح الأحداث فى السودان الى التازم ، بسبب ما تعرض له جنود أورطة السكة الحديدية المصرية فى عطبرة من هجوم مسلح على أيدي عساكر البيادة الراكبة بقيادة القوة البريطانية وما أدى اليه ذلك الهجوم من خسائر فى الأرواح بين افراد القوة المصرية (٤٦) ، قابلت مصر أخبارها بشبهـعـور

الالم والاستياء . وقالت (المقطم) ، ان ما حدث « يجب ان يكون منبها لاقطاب الدولتين المصرية والبريطانية على وجوب التعجيل بحل هذه العقدة وتقرير مصير السودان على المنوال الذى يريح ضمائر أهله ويقرر لمصر حقوقها التاريخية المعروفة » وهذا لايتسنى الا بالمفاوضات والتعجيل بها(٤٧) . وأوضحت ان هذه الأحداث أكدت حقيقة « أن شعور مصر لايزال كما كان فى عنفوان نهضتها ، وأن القلوب متحدة على كل ما يمس جوهر القضية المصرية أو قضية وادى النيل » ومصر « لا تبغى الاعتداء على بريطانيا ولا يخطر هذا خاطر لها » وكل ما تريده هو « الاتفاق على ما فيه صون حقوقها وعدم ضياعها »(٤٨) . ولكن (المقطم) انسجما مع خطتها السياسية التى تعتمد اسلوب التفاهم والملاينة مع الانجليز فانها تعود فى غمرة الانفعالات التى تعتمل بها نفوس المصريين ازاء ما يجرى فى السودان الى القول بضرورة توافر حسن النية لحل الازمة الحاضرة « واستئناف الخطة السابقة المؤدية الى المفاوضات لحسم كل خلاف ، فيها وحدها تتبين الحقائق ويظهر للاملا حقيقة الموقف الذى تنوى كل من الدولتين الوقوف فيه »(٤٩) . وقد استصوبت موقف الحكومة المصرية فى معالجة الازمة الناشبة ، هذا الموقف الذى كان يتعرض للهجوم الشديد من المعارضة ، نوابها وصحافتها ، مما جعل (المقطم) تطرى موقف الحكومة وتعتبره الاسلوب الأمثل ، علما بأن الحكومة المصرية أرسلت مذكرة احتجاج الى الحكومة البريطانية وصفتها بالصديفة بانها « أول احتجاج من نوعه فى تاريخ مصر الحديث » ، أما اتهام الحكومة بالاستكانة والتقصير فهو براياها « لا يطابق الواقع بعد الاحاطة بجميع ظروفه » . وأكدت على ان « المشاكل السياسية التى من هذا النوع لا تبت بضربة سيف بل لابد فيها من التذرع بالوسائل السياسية ودخول البيوت من ابوابها »(٥٠) . فقد « أعتدت مصر منذ بدء حركتها الوطنية على الاساليب السلمية والوسائل

المشروعة ، وما زالت ترى ان حصولها على ما بقى من حقوقها مرهون بالأساليب عينها راجية ان يتغلب روح العدل والانصاف فى بريطانيا العظمى على ما سواه . وأن تتسع صدور الساسة هناك للأمانى الحقّة التى يعرب عنها المصريون والسودانيون فيسهل حل المشكلة وتوطيد العلاقات السياسية المستقبلية بين البلدين على أساس الود والاحترام المتبادل «^(٢١) . وكررت دعوتها الى الانجليز للدخول فى المفاوضات » لأن مصالحهم فى السودان وفى مصر وفى الشرق لا تصان بقوة الجيوش أكثر مما تصان بمصافاة المصريين والاعتراف لهم بحقوقهم فان ذلك يحولهم الى اصدقاء مخلصين يسهرون على مرافق الانجليز سهرهم على مرافقتهم الخاصة فيتوفر على انجلترا ما تعانيه من هذه المشاكل «^(٢٢) ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة البريطانية تضع الخطط لطرد الجيش المصرى من السودان بعد أحداث التمرد التى قام بها ، وبعد اشتداد ساعد الحركة الوطنية فى السودان . فقد اجتمع فى لندن كل من المندوب السامى فى مصر اللبى والحاكم العام للسودان السير لى ستاك والمستر مكدونالد ، لبحث الخطوات اللازمة لمواجهة الخطر فى السودان ، وقد قر رأى المستر مكدونالد فى هذا الاجتماع على انه اذا رفضت الحكومة المصرية ان تتصرف بأمانة فى السودان ، فان حكومته سوف تطالبها بمغادرته كلية ، وفى هذا الاجتماع اخذ اقتراح انشاء قوة دفاع سودانية خالصة فى السودان فى التبلور ، لمواجهة ما يتطلبه تأليف هذه القوة من نفقات اضافية فى الميزانية السودانية ، أشير بضرورة الاسراع فى تنمية موارد السودان الاقتصادية وزيادة مساحة الاطيان المنزرعة قطنا ، وهذه الخطة التى اشترك فيها اللورد اللبى شخصيا سوف نراه يقوم بتنفيذها بحذاقيرها بعد مقتل السردار مباشرة دون ان ينتظر تعليمات حكومته^(٢٣) .

وتابعت (المقطم) اخبار المذكرات المتبادلة بين الحكومتين المصرية والبريطانية حول أحداث السودان ، وقالت ان الأسلوب الأمثل هو « طرح المسألة بحذافيرها على بساط مفاوضة حرة غير مقيدة كالتي بسطها دولة سعد باشا وأظهر استعداده لدخولها على قاعدة المساواة لا على قاعدة قوى أمام ضعيف » (٥٤) . وبينما كانت الصحيفة تواصل دعوتها لبريطانيا لفتح باب المفاوضات مع مصر لحل كافة المشاكل المتعلقة التي زادت حوادث السودان تاججا ، تخرج تصريحات منسوبة لماكدونالد يتهم فيها الحكومة المصرية بأنها وراء أحداث السودان وان بريطانيا سستعزز مركزها في السودان ، وان لا جلاء للقوات البريطانية عن مصر (٥٥) ، فيكون لهذه دويها في مصر ، ويقابلها سعد زغلول بالصمت ، وتعتبرها (المقطم) اغلاقا لباب المفاوضات من جانب بريطانيا ، بينما كانت المفاوضات خطة مقررّة من جانب مصر ورئيس حكومتها ، الذي سبق ان أعلنها في تصريحاته عندما برزت المشكلة السودانية في شهر يونية بقوله « ان المفاوضة خير وسيلة يتوصل بها لحل مشكلة السودان » (٥٦) . ولكن ماكدونالد ينفي ما نسب اليه ، فترحب (المقطم) بهذا النفي وتقول انها كانت مندهشة بالفعل لصدور مثل هذا التصريح عن ماكدونالد رجل السلام ، ولكن مادام الأمر كذلك ، فان عليه ان يواجه الدعوة لسعد باشا وتحديد ميعاد بدء المفاوضات حتى « تسير الأمور في طريقها الطبيعية وتعود المياه الى مجاريها .. صحيح ان حوادث السودان قد عكرت الجو ولكن مهمة رجال السلام في العالم هو ان يبددوا الغيوم المتكاثفة ويزحزحوا العقبات القائمة ويصلحوا ما أفسدته الأهواء والشهوات في ساعات الانفعال » (٥٧) .

محادثات سعد — مكدونالد :

ورحبت (المقطم) باقتراح بدء المفاوضات قائلة « ان كل مصرى يجب بلاده حبا حقيقيا ، ويرجو من صميم قلبه أن تستقر أمورها على قرار وطيذ لتتواغر لها أسباب التمتع باستقلالها والانتفاع به ، يقابل هذا النبا بالسرور والاستبشار ويشاركنا فى التمنى بتحقيق هذا الحادث السعيد ، وهو اجتماع الوزيرين الصديقين اجتماعا يسود محادثتهما فيه روح الاخلاص والولاء ، لعلهما يتمكنان فى هذا الاجتماع من وضع أسس المفاوضات الرسمية الموفقة » (٥٨) . وتحدثت عن المشكلات التى تواجه مكدونالد رئيس الوزارة البريطانية التى لا يستطيع اغفالها وهو بصدد اتخاذ موقف نهائى من المشاكل المعلقة مع مصر ، متمثلة بالمواقف المتشددة لخصومه ومعارضيه من زعماء حزبى المحافظين والاحرار (٥٩) .

وفى الوقت الذى كان سعد يهمل فيه بالتباحث مع مكدونالد ، كانت المعارضة الداخلية فى مصر ، عبر صحيفة (السياسة) الناطقة بلسان الاحرار الدستوريين ، تشن ضده حملة قاسية ، وقد تصدت (المقطم) للرد على السياسة ، دفاعا عن الحكومة وعن المفاوضات مؤكدة على أن سعدا « قد سلك خطة رشيدة وسار على سياسة سديدة باعترامه الذهاب الى لندن للمساعدة فى تبديد الغيوم .. ولو لم يفعل ذلك لعد مقصرا فى الواجب عليه نحو بلاده » . ونشرت جماعة الاحرار الدستوريين الذين ينتقدون حكومة الشعب ويهاجمونها على صفحات جريدهم (السياسة) فتطلب (المقطم) من (السياسة) أن توجه هجومها لو أرادت الى الكاتب نفسه وليس اليها ، وطلبت منها الكف عن تمكحها بالمقطم وأصحابها ، وان عليها « أن تدرك من سكوتهم الطويل عن تحريساتها

واغضائهم عن ترهاتها أنهم لا يرون فائدة من مجادلتها ولا مزية أدبية من منازلتها بل السكوت عنها من قبيل الاحتراز عن العبث فى الكلام» (٦٠) . وكانت (السياسة) قد حملت بعنف على (المقطم) وأصحابها ومحريها والظمن فى وطنيتهم والتذكير بماضيهم الى جانب الاحتلال وذلك بسبب تأييد (المقطم) لحكومة سعد ولمفاوضاته مع الانجليز ، وابتدت (السياسة) استعدادها لنشر ما كانت تكتبه (المقطم) فى الحماية « وخيرها الميم » (٦١) .

ولكن (المقطم) تواصل حديثها عن مهمة سعد فى العاصمة البريطانية ، فتدعو الأمة الى مشاركة ابنها البار هذه المسؤولية « فتلزم السكينة وتجنح الى الهدوء ، تريثا لما تسفر عنه المحادثات ولا تعرقل مساعيه بالانقسام والمشاحنة والمهاترة والضوضاء » (٦٢) . وقامت بنشر ما يرد اليها بواسطة (مكاتب المقطم الخصوصى) فى العاصمة البريطانية من (تلفرات) حول تحركات سعد ولقاءاته مع المسؤولين ورجال الصحافة ، وذلك تحت عناوين بارزة ، كما دأبت طيلة أيام تواجد الزعيم المصرى فى لندن ومباحثاته مع ماكدونالد على التحدث عن جو الصداقة الذى يسود المحادثات والرغبة المشتركة لكلا الزعيمين لانجاحها برغم صعوبة الموقف ، مشيرة الى ان « المسألة السودانية لاتزال هى الصخرة الكبيرة التى تأخذ على السفينة مسالكها ويجتهد الربانة والبحارة فى محاولة النجاة منها كل بحسب وجهة نظره » (٦٣) . فالبريطانيون الذين كانوا يرون فى السودان الذى يديرونه جيدا نتاجا خالصا لهم وانه من شئونهم وحدهم ، وهو ما عبروا عنه بعبارة « مسئوليتنا فى السودان » صدموا كما يقول (نابيوى) عندما قدم المصريون مطالبهم الخاصة بالسودان (بشكل متطرف) كما صدم المصريون فى الوقت نفسه عندما وجدوا البريطانيين يعتبرون مطالبهم هذه غير معقولة (٦٤) ، فقد نظر المصريون الى ما جاء فى مشروع

ماكدونالد بخصوص السودان باعتباره ترديا وانحدارا عن
أى موقف سابق لأنه كان يعنى صراحة ، فصل السودان
تماما عن مصر لصالح الانجليز لا لصالح السودانين (٦٥) .
وقد ناقشت (المقطم) التشدد الذى يبدىه العسكريون البريطانيون
حول المواصلات الامبراطورية بقولها « ان سعد باشا لا يضمن
شرا لانجلترا ولا تخفى عليه اهمية مواصلاتها الامبراطورية
ولكنه يريد ان يقدم ضمانا على صون هذه المواصلات أثبت
وابقى من الضمان الذى يفكر فيه خبراءهم العسكريون ، يريد
سعد باشا ان يقدم صداقة مصر وود مصر واخلص
مصر ومخالفة مصر » (٦٦) . فليس « غريبا ولا بعيدا ان تجتمع
مرافق بريطانيا ومصر فى صعيد واحد اذا كانت النيات طاهرة
والمقاصد مستقيمة والمطامع غير المشروعة منبوذة فليست مصر
عدوة لانجلترا ولا هى تراحمها فى سيادة البحار ولا فى أسواق
العالم » (٦٧) .

وكان الدافع لهذا الأسلوب ما أنتهت اليه المحادثات من فشل
فى الوصول الى نتيجة توفى بين مطالب الفريقين ، ولكن (المقطم)
لا ترى فى ذلك فشلا تاما ، فهى تقول : « وليس انتهاء
المحادثات بهذه الصورة دليلا على ان المحادثة لم تكن لازمة ..
فانها أفادت الجانب المصرى فائدة عظيمة فأوقفته على أبعد
مدى تذهب اليه وزارة العمال فى كل نقطة من نقاط الخلاف
وبصرته بما هى مستعدة للتسليم به من المطالب المصرية ،
وبالحوائل التى تحول بينها وبين التسليم ببقية هذه المطالب وذلك
كله من غير ان يكون قد سلم بشىء او نزل عن شىء » (٦٨) . وعلى
مصر ان تقف « موقف العمل الهادى المستمر فى سبيل
الحصول على الحق من طريقه السلمية المشروعة » (٦٩) .
واستفكرت . (المقطم) حملة الصحافة البريطانية ضد سعد

باشا وقالت : « اننا نبرئ الشعب الانجليزى من تبعة مطاعن هذه الصحف .. ونعتز انها مخالفة لمبادئه وآدابه واخلاقه السامية » (٧٠) . هكذا .

وقد ردت (المقطم) على بعض الأصوات البريطانية التى تتسائل عن خطوة مصر القادمة ، بعد فشل مباحثات سعد وماكدونالد ، والتى تبدى تخوفها من عودة المصريين للعنف بأنه « عند مصر عشرات من الوسائل القانونية ، عندها نشر الدعوة بين الشعوب المتهدنة ولاسيما بين الشعب الانجليزى نفسه وعنדה العلاقات الحسنة التى توثق عراها مع الدول ، وعنדה اعداد نفسها بمعدات الرقى والتقدم والنهوض .. وعنדה الصبر والحكمة والأتانة وبعد النظر » (٧١) .

ويصل سعد باشا الى مصر ، فتسجل (المقطم) اعجابها بحرصه على مطالب مصر وتمسكها بها ، فقد « خرج من عاصمة الانجليز ومن عرين الأسد البريطانى وقضية مصر سليمة وسلاحها غير مفلول ولا ملقو وعاد الى امته يوصيها بمضاعفة الجهاد وتوثيق الاتحاد » . وانتهزت (المقطم) مناسبة زيارة سعد للملك فؤاد بعد وصوله لتسجيل ترحيبها الشديد بهذا اللقاء الذى يدل على متانة الرباط الذى يحكم صلات الأمة بالعرش (٧٢) .. وأيدت المعانى التى وردت فى خطاب سعد زغول عن وحدة الصفوف فى مصر والعمل بروح قومى غير حزبى (٧٣) .

ولكن فشل المباحثات المصرية الانجليزية كان فرصة مواتية لنقص ليخلص فيها من سعد زغول ومن الحكم الدستورى معا ، لقد أدرك ان الحكومة البريطانية يسرها كل السرور أن يخفى هذا المهد ، وتنقض تلك التجربة الدستورية التى سببت لها كل المتاعب فى مصر وفى السودان . وقد جد عامل مشجع

جديد عندما سقطت حكومة المال البريطانية في الانتخابات التي جرت في آخر أكتوبر ، وتولت وزارة المحافظين الحكم (٧٤) .

هنا عزم سعد زغلول على اتخاذ إجراء سريع يحقق به هدفين كبيرين ، الأول ، أن يشعر الملك بمعجزه عن أراحته من منصبه مادام متمتعاً بثقة الأمة ممثلة في البرلمان والثاني أن يستغل ظروف الأزمة كلها في تدعيم الحياة الدستورية ، ففي يوم ١٥ نوفمبر قابل سعد زغلول الملك فؤاد وقدم إليه استقالته ، وأعلن استقالته للنواب والشيوخ وأنهم زائريه منهم أن سبب الاستقالة هو دسائس السراي ، وكانت هذه التصريحات بمثابة إشارة الانطلاق .

فما لبثت أن نظمت في اليوم التالي مظاهرات خطيرة امتلأت بها شوارع القاهرة وانطلقت إلى ميدان عابدين وهي تهتف (سعد أو الثورة) . وبينما كانت هذه الجماهير تتدفق إلى ميدان عابدين ، كان سعد زغلول يتوجه إلى الملك ليقيم إليه شروطه لسحب استقالته ، وقد استغرقت المناقشة بين الملك وسعد زغلول ساعتين ، وكان ميدان عابدين في خلالها يهوج بالجموع الصاخبة ، وهي تردد نداءها السالف الذكر . ولم يجد الملك مفراً من الخضوع ، وعندئذ خرج سعد إلى الجماهير يبشرها بانفراج الأزمة (٧٥) .

وقد تابعت (المقطم) موضوع استقالة سعد ثم رجوعه عنها ، دون أن تشير بالطبع إلى تلك المظاهرات الهاتفة لسعد أو الثورة ، مشيرة إلى الإجماع الشعبي الذي يرى « أن الرئيس يجب أن يظل على رأس الوزارة ويواصل تسيير أمور البلاد وإدارة دفة سياستها الداخلية والخارجية » خصوصاً أن (الجالس على العرش) والبرلمان وكافة الهيئات السياسية والشعبية في البلاد وقفت « كرجل واحد تناشد الرئيس ألا يفلت من يده زمام الأمر ، ولا يتخلى عن منصب الحكم » . فقد استغرب الناس هذه الاستقالة في وقت تتمتع فيه « الوزارة بثقة البلاد وتأييد البرلمان ورضاً

العرش وحققهم ان يستفربوا اذ ينذر ان يتاح لوزارة من هذه الثقة والتأييد ما أتيح للوزارة السعدية التي يرأسها زعيم البلاد الذي تتجه اليه الأنظار لتحقيق الأمانى ، ونحن نتجاوز هذا الاستغراب الى القول بأنه لو تخلى سعد باشا عن الوزارة لصدمت البلاد صدمة عظيمة . وهى « تأبى ان يلقى هذا العبء على عاتق سواه » (٧٦) . ولم يكن ذلك مبالغة من (المقطم) ، فقد خرج سعد من هذه الأزمة قويا مؤيدا ، « وقد بدا بعد انتهاء المعركة أن البلاد قد أقبلت على عهد جديد تكون فيه كلمة الملك هى الدنيا ، وكلمة الأمة هى العليا ، ولكن هذا الأمل لم يعيش أكثر من يومين ، ففى اليوم الثالث ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ قتل السير لى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان فى احد شوارع القاهرة ، ودخلت الحركة الوطنية بذلك فى طور جديد » (٧٧) .

مصراع السردار واستقالة الوزارة :

وكانت الصدمة عظيمة بالفعل ، كما قالت (المقطم) ، فقد استقال سعد على اثر اغتيال السردار ، وكانت استقالته « حادشا هز كيان الشعب وصدمة أضعفت الى حد ما الاحساس بالنصر الذى سبق الى اذهان الشعب غداة دعى سعد غلول لتولى الحكم » (٧٨) . وقد حملت (المقطم) بعنف على مرتكبى حادثة السردار ، وأعلنت استنكارها واستنكار البلاد قاطبة لهذا الحادث ، قائلة : « وقد أجمع الناس على اختلاف مذاهبهم وأحزابهم ومقامهم على استنفذ الجناية واستنكارها » فان « هؤلاء السفاحين لم يقتصروا على ذلك بل تعدوه الى تكدير جو العلاقات السياسية وتمددوا الاضرار بالقضية المصرية فى ساعة يريد فيها المصريون ان تكون علاقاتهم بجميع الناس على خير مايرام فالجناية مزدوجة ولهذا كان وقعها فى النفوس عظيما .. ولا ادل على صحة ما قلناه هنا ما شهده الناظر عصر الاربعاء من شمول الغم والاسف لجميع

الدوائر من البلاط الملكي الى دوائر الحكومة والبرلمان فمحاسن الخاصة ومجتمعات العامة .. وكانت علامات الكدر الشديد بادية على وجه الرئيس الجليل . وكان يبدى اسفه وشدة استنكاره للجناية لجميع الذين حادثوه « (٧٩) . ودعت (المقطم) الصحف الانجليزية الى عدم الباس الجريمة « ثوبا سياسيا عاما » والى أن « تتأني ريثما تفرغ الحكومة المصرية من التدابير الدقيقة المشددة التي اتخذتها لضبط الجناة ومعرفتهم والتحقيق معهم .. فيقتسر حينئذ ابداء حكم صحيح ويبين الدافع الحقيقي لهذه الفعلة الشنيعة » (٨٠) .

وكان يوم تشييع جنازة السردار « يوم حزن وحداد في مصر » واجتماع « تكريم لرجل من كبار مصر واعاظم حكومتها ، واجتماع احتجاج على فعلة يعدها المجتمعون اعتداء على نظام الهيئة الاجتماعية التي لا تقوم لها قائمة اذا تجاوز الافراد حدود حريتهم الى التعدي على حرية سواهم ونصبوا انفسهم منصب القضاء والتنفيذ » (٨١) . وتابعت (المقطم) ما استجد من تطورات في اعقاب مصرع السردار ، ومن ذلك تبليغ الحكومة البريطانية الوجه لمصر ورد الحكومة المصرية عليه وجواب اللورد اللنبى لسعد زغلول وكلمة سعد باشا في مجلس النواب عند تلاوة رد الحكومة ، وعدد من تفرافات الاحتجاج ضد التبليغ البريطاني وخبر استقالة سعد زغلول وقبول الاستقالة . وناقشت مسألة التبليغ البريطاني والرد المصري ، فاختذت جانب الحكومة المصرية ، سواء في النقاط التي ردت عليها مصر بالموافقة والايجاب ، او تلك التي كانت موضع الرفض والتحفظ ، وخصوصا مسألتى السودان وماء النيل (٨٢) .

وتكاد تتفق المصادر ، حتى البريطانية منها ، على فداحة تلك المطالب وابتعادها ، او معظمها ، تماما عن كل ما يمكن أن يطلب

فى ظروف مماثلة (٨٣) . ولكن السياسة البريطانية وقتذاك كانت تسمى للاطاحة بوزارة سعد زغلول نفسها التى كانت قد اتخذت الاجراءات الهادفة لتصفية اداة الاستعمار فى مصر ، والى جانب ذلك كان التفكير قد بدأ يتطور فى هذا الوقت ، للتخلص من الوجود المصرى فى السودان على اساس ان هذا الوجود هو الذى سبب المتاعب التى لقيها البريطانيون فى السودان خلال عام ١٩٢٤ . وهكذا لم تكن حادثة السردار السبب الاساسى لتقديم الانذار المشهور الى الحكومة المصرية وانما هى قد منحت فقط المناخ المناسب لتقديم هذا الانذار (٨٤) . ولعل اصدق وصف للمدى الذى وصلت اليه السياسة الانجليزية فى تداخلها بالشئون المصرية ما ذكره (العقاد) عن سعد زغلول الذى كان يقول كلما ذكرت وزارة الشعب الاولى وازمتها ومعضلاتها « ان عيينا الاكبر فى تلك الوزارة اننا اخذناها جدا وصدقنا اننا مستقلون » (٨٥) .

هوامش الفصل السابع

- (١) المقطم ٢٩ يناير ١٩٢٤ .
- (٢) المقطم ٣٠ يناير ١٩٢٤ .
- (٣) المارشال ويفل ، اللنبى فى مصر ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .
- (٤) يونان ليبب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٧٠ .
- (٥) المقطم ٩ فبراير ١٩٢٤ .
- (٦) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول : ص ٣٦٢
- (٧) المقطم ١٠ فبراير ١٩٢٤ .
- (٨) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٢٤ .
- (٩) المقطم ٢ مارس ١٩٢٤ .
- (١٠) المقطم ٥ مارس ١٩٢٤ .
- (١١) المقطم ٨ أبريل ١٩٢٤ .
- (١٢) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول : ص ٣٧٧ — ٣٧٩ .
- (١٣) المقطم ١٦ مارس ١٩٢٤ .
- (١٤) المارشال ويفل ، اللنبى فى مصر ، ص ١١١ .
- (١٥) Zayid, M.Y., *Egypt's Struggle For Independence*.
Op. Cit., P. 116.
- (١٦) محمد زكى عبد القادر ، مجلة الدستور ، ص ٥٤ .
- (١٧) المقطم ١٧ مارس ١٩٢٤ .

- (١٨) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٢٤ .
- (١٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
- (٢٠) المقطم ٢٥ ابريل ١٩٢٤ .
- (٢١) المقطم ٢٧ ابريل ١٩٢٤ .
- (٢٢) المقطم ٨ مايو ١٩٢٤ .
- (٢٣) المقطم ٩ مايو ١٩٢٤ .
- (٢٤) المقطم ١٠ مايو ١٩٢٤ .
- (٢٥) المقطم ١١ مايو ١٩٢٤ .
- (٢٦) المقطم ١٣ مايو ١٩٢٤ .
- (٢٧) المقطم ٢٧ مايو ١٩٢٤ .
- (٢٨) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
- (٢٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨ - ١٩٣٦ ،

ص ٤٤٢ .

- (٣٠) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٢٤ .
- (٣١) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٢٤ .
- (٣٢) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٢٤ .
- (٣٣) المقطم ٢٨ يونيو ١٩٢٤ .
- (٣٤) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٣٩٣ .
- (٣٥) المقطم ١ يوليو ١٩٢٤ .
- (٣٦) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٤ .
- (٣٧) المقطم ٨ يوليو ١٩٢٤ .
- (٣٨) المقطم ١٠ يوليو ١٩٢٤ .
- (٣٩) المقطم ٢٤ يوليو ١٩٢٤ .
- (٤٠) المقطم ١٧ يوليو ١٩٢٤ .
- (٤١) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٣٩٥ .
- (٤٢) المقطم ١٩ يوليو ١٩٢٤ .
- (٤٣) المقطم ٢٠ يوليو ١٩٢٤ .
- (٤٤) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٢٤ .
- (٤٥) المقطم ٢٣ يوليو ١٩٢٤ .
- (٤٦) المقطم ١٣ أغسطس ١٩٢٤ .
- (٤٧) المقطم ١٤ أغسطس ١٩٢٤ .

- (٤٨) المقطع ١٥ أغسطس ١٩٢٤ .
- (٤٩) المقطع ١٧ أغسطس ١٩٢٤ .
- (٥٠) المقطع ١٩ أغسطس ١٩٢٤ .
- (٥١) المقطع ٢٣ أغسطس ١٩٢٤ .
- (٥٢) المقطع ٢٧ أغسطس ١٩٢٤ .
- (٥٣) عبد العظيم رمضان ، الجيش المصري في السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ . ص ١٧٧ .
- (٥٤) المقطع ٣ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٥٥) المقطع ٤ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٥٦) المقطع ٥ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٥٧) المقطع ٦ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٥٨) المقطع ١٠ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٥٩) المقطع ١١ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٦٠) المقطع ١٧ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٦١) المقطع ١٧ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٦٢) المقطع ٢٤ سبتمبر ١٩٢٤ .
- (٦٣) المقطع ٢ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٦٤) Fabunmi, L.A., The Sudan In Anglo-Egyptian Relations 1800 — 1956, London, 1960 , P. 76.

- (٦٥) طارق البشري ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ١٦٩ .
- (٦٦) المقطع ٤ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٦٧) المقطع ٤ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٦٨) المقطع ٥ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٦٩) المقطع ٧ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٧٠) المقطع ١٠ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٧١) المقطع ١٥ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٧٢) المقطع ٢٢ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٧٣) المقطع ٢٦ أكتوبر ١٩٢٤ .
- (٧٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨ - ١٩٣٦ ، ص ٤٥٧ .
- (٧٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٤٥٩ - ٤٦١ .

- (٧٦) المقطم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٧٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٤٦١ .
- (٧٨) محمد زكى عبد القادر ، مخنة الدستور ، ص ٦١ .
- (٧٩) المقطم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٨٠) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٨١) المقطم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٨٢) المقطم ٢٥ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٨٣) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٢٢ .
- (٨٤) يونان لبيب الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار ١٩٢٤ ، مجلة الهلال عدد سبتمبر ١٩٦٨ .
- (٨٥) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، ص ٢٣٩ .

القسم الثانى :

الفصل الاول

المقطم ومشكلات الحياة الدستورية

١٩٢٤ - ١٩٣٦

وزارة زيور وانقاذ ما يمكن انقاذه :

عهدت السراى الى احمد زيور بتشكيل الوزارة الجديدة فى نفس اليوم الذى قبلت فيه استقالة سعد باشا « ويلاحظ أن سلطة السراى انتعشت على اثر قبول استقالة سعد زغلول ، ويظهر أن سلطة الاحتلال على عاداتها أرادت أن تؤدب الكتلة الشعبية فاطلقت الامر للسراى ، ومن هنا جاء اختيار أحمد زيور رئيسا للوزارة ، وهو رجل مسالم للاحتلال والسراى ، ومجرد موظف ارتقى حتى بلغ منصب الوزارة ، فلا شأن له بالشعب ولاشأن للشعب به » (١) . وكان مفهوما من طابع وزارته وطريقة تأليفها أنها ستكون صنعة لدار المندوب السامى ثم للسراى ، وصار هدفها فى سياستها عامة هو العمل على استرضاء الانجليز واستبقاء عطفهم عليها (٢) . وقد وصفه أحد رجالهم بأنه مؤمن بالصدقة الانجليزية ، وبذلك كان بطبيعته ومظهره الرجل المطلوب للخروج بمصر من هذا الموقف الصعب ، وكان له من الراى الصائب ، ما يفهم به أن السياسة الوحيدة لمصر هى موافقتها على المطالب البريطانية بغير سؤال (٣) . وقد قبل زيور جميع المطالب البريطانية التى تضمنها الانذار الموجه للحكومة المصرية عقب مصرع السردار ، سواء المتعلق منها بالسودان او بمصر . « ويتسلم وزارة زيور باشا بكل هذه الأمور ، تكون مصر قد وقعت فى قبضة النفوذ

الانجليزى تماها ، ويكون استقلالها الداخلى قد انكش الى ما كان عليه قبل اصدار تصريح ٢٨ فبراير تقريبا . فقد سقطت ادارة المصالح الحيوية فى البلاد فى قبضة السلطات البريطانية فى مصر عن طريق المستشارين المالى والقضائى والقسم الاوروبى للأمن العام « (٤) . وقد ضم زيور فى البداية الى وزارته اثنين من الوفديين هما أحمد محمد ختبة وعثمان محرم ، وذلك ذرا للرماد فى العيون ولكن نتيجة لسياسة الاستسلام الكامل لمطالب الانجليز التى عبر زيور باثا عنها بعبارة (انقاذ ما يمكن انقاذه » ، استقلال هذان الوزيران بعد تشكيل الوزارة بخمسة ايام فقط (٥) .

اما (المقطم) فتستقبل زيور باثا بالاشادة بحكمته وخبرته ، فقد « تألفت الآن وزارة جديدة فيها نخبة من رجال مصر وعلى رأسها وزير مشهود له بصدق الوطنية وبعد النظر ، تقلب فى مناصب القضاء والادارة والسياسة والنظام النيابى والذين يعرفونه يشهدون له بالنزاهة والغيرة وصدق الوطنية » . وهذه الوزارة الجديدة « تضع نصب عينها المصلحة العامة وتتخذها شعارا لها فى بيانها الوزارى الذى ستعرضه على البرلمان ، وفيما تبأشر من الأعمال معتدة على تأييد العرش وتعصيد الأمة لها أى على الاتحاد المصرى المتين الذى طالما حل مشكلات مصر وأخرجها من معضلاتها » (٦) . ولكن وزارة زيور تستصدر مرسوما بتأجيل انعقاد البرلمان شهرا قاصدة بذلك الا تتقدم الى البرلمان ببيان برنامجها . وتجرى أيضا عملية اعتقال عبدالرحمن فهمى ومحمود فهمى النقراشى ومكرم عبيد من أقطاب الوفد ، فيقابل ذلك كله باحتجاج الهيئات الوفدية والوطنية التى نعت على الحكومة سميتها ازاء تغفل النفوذ الانجليزى فى الادارة الداخلية ولا تجد (المقطم) أمام هذه الأحداث الا ترديد نصيحتها بالقرع بالاتحاد والارتقاء بالسالة « من مستوى الحزبية والشعور

الشخصى الى مستوى القومية ، وأن تجرد عن العوامل الخاصة وتسير فى وجهتها العامة وأن يشدد ساعد الذين يسعون لحل العقدة وصون مصلحة مصر وحقوقها بكل ما تستطيع الأمة موالاتهم فى المعونة « (٧) . وتساءلت (المقطم) قائلة « اليس الأسلم والأفضل الآن أن نتأني حتى نرى ما تفعله هذه الوزارة الجديدة لآخراج مصر من الورطة الصعبة التى ورطها فيها بعض قصار النظر فى عواقب الأمور » (٨) . وهكذا تحولت المعركة ضد الإنجليز الى معركة ضد الوفد والشعب الذى يسنده ، وشغل القصر وزعماء المعارضة عن مصلحة البلاد فى تلك اللحظة الشديدة الحرج بانارة الخصومة الحزبية وتفتيت الموقف الداخلى . وما ساعد هذه القوى المعادية للوفد على اجتراح فعلتها ، الصدى العظيم الذى أحدثه مقتل بريطانى كبير له مركز السردار لى سستاك ومكانته ، وما تبعه من سقوط أول وزارة دستورية تحت ثقل اعتداء بريطانى جسيم على استقلال البلاد (٩) .

وفى هذا السياق ، كان تحذير (المقطم) للمصريين بأن « أقل زلة نزلها قد تؤدى بنا الى أشد محنة نبتلى بها . وخير نصيحة نرى من الواجب علينا أن ننصح بها اخواننا بنى وطننا وبناته الا تأتى قولاً ولا فعلاً نتورط به فيما نكرهه » (١٠) . وذلك وسط المشاعر الوطنية الغاضبة لخروج وحدات الجيش المصرى فى السودان ، الذى أبى « ضباطه وجنوده أن يفادروا مراكزهم الا اذا تلقوا أمراً بذلك من الحكومة المصرية ووقفوا موقف مقاومة جديرة بالثناء » (١١) . وكان رفضهم الانسحاب « مما ألهب مشاعر السودانيين ، فقد انقابت العاصمة المثلثة هزة من الفرح وسارح الاهالى الى اظهار تأييدهم وعزمهم على الانضمام الى القوات المصرية فى اية

لحظة ، فقد سئموا ظلم الانجليز والضرائب الباهظة والذل الذى اعتراهم وانزله الانجليز عليهم « (١٢) . ولكن وزارة زيور قررت باتفاقها مع السراى سحب الجيش المصرى من السودان ، وعهدت الى وزير الحربية صادق يحيى باشا أن يبعث برسالة الى ضباطه وجنوده بوجوب الازعان لهذا الأمر (١٣) .

وقد نشـرت (المقطم) اقتراحا لأحد القراء يطالب فيه باستخدام الجيش العائد من السودان لنشر الأمن واستتبابه فى الأقاليم المصرية (١٤) . ولم تتوان الحكومة عن تنفيذ ذلك فقد نقل العديد من الضباط العائدين الى البوليس وخفر السواحل بهدف تثبتهم (١٥) .

وناقشت (المقطم) الركنين اللذين بنت الوزارة عليهما أسس اتفاقها الجديد مع المندوب السامى البريطانى . وكان « من أول نتائجه خروج الجنود البريطانيين من جمرک الاسكندرية » ، وهما « حكم الضرورة والرغبة فى حسن التفاهم » ، بقولها : « انه لو كان لها الخيار فى الأمر لما اختارت أن تتنازل عن شيء مما قضت به للقوانين والاتفاقات السابقة وانها فضلت أن تبذل شيئا تقول فى المذكرة الايضاحية انه ليس ذا بال على تمريض البلاد لبقاء حالة ليس بقاؤها فى مصلحة الأمة ، واجتنابا لطلبات اخرى تملبها القوة ولا قبل لمصر باتقانها » (١٦) .

واعت (المقطم) أن الحكومة « بذلك بذلت مجهودا كبيرا للاحتفاظ بكثير مما كان الانجليز مصممين على أخذه » (١٧) . ووجهت حديثها للمعارضة الوطنية قائلة : « ولا نعترض على النقد المشروع لأعمال الحكومات والوزارات والأحزاب السياسية ولا نعارض فى مناقشتها الحساب فهذا حق للأمة ولكل فرد من أفرادها فى ظل الحكم الدستورى .. غير أن بين هذا النقد

المشروع المباح الواجب ويعض ما نحن فيه الآن بونا شاسعا» (١٨) .
وقد أصدرت الحكومة مرسوما بحل البرلمان فنقول (المقطم) انه
« مادام الحكم سيكون للأمة فى هذا النزاع الذى يأسف كل محب
لمصر على وقوعه بين هاتين الهيئتين فى أول عهد الدستور نان
الهم الأكبر يجب أن يوجه الآن الى اطلاق حرية الانتخاب حتى يكون
الاستفتاء الذى تبغيه الوزارة استفتاء صحيحا ، يعبر عن رأى
الأمة ويعرب تمام الاعراب عن مشيئتها » (١٩) .

ولكن الشكوك كانت تحوم منذ البداية حول المناخ الذى سوف
تجرى فى ظله المعركة الانتخابية المقبلة ، فقبل حل المجلس ، ثم
تعيين اسماعيل صدقى « وكان من اقطاب حزب الأحرار
الدستوريين وزيرا للداخلية وكان الغرض من تعيينه فى هذا المنصب
تقوية الوزارة والاستعانة به فى تسخير الاداة الحكومية للعبث
بالانتخابات التى بدت بوادرها تلوح فى الأفق وقمع حركات
المقاومة التى استثارها عدوان الانجليز واستسلام الوزارة أمام
مطالبهم الجائرة » (٢٠) . فقد رسخ فى العقل الشعبى المصرى
أن سعد زغلول فى طريقه للعودة الى السلطة ، من هنا كان
الاستعانة بصدقى لازالة هذه (الخرافة) بكل طاقاته وكانت
تحركه لذلك عوامل الخوف والكراهية والانتقام ، ليس هو فحسب
وانما الملك والأحرار الدستوريون أيضا .

وقد اعطى صدقى صلاحيات واسعة للتصرف فى وزارة
الداخلية (٢١) ، والحقيقة أن الانجليز كانوا فى ذلك الوقت يقودون
الحملة ضد الوفد فى طريقين : الطريق الأول مساعدة القصر
واطلاق يده تماما فى هدم الوفد ، أما الطريق الثانى فهو محاولة
ادانة الوفد كهيئة فى جريمة قتل السردار ، على أن هذه المحاولة
من جانب الانجليز والحكومة لم تلبث أن أدت الى عكس المطلوب
منها فى نفوس الشعب (٢٢) .

فقد صمم سعد على عدم الاستسلام وعاد إلى الحياة السياسية راغبا في خوض تلك المعركة ، متعددة الجبهات ، مصرحا أن هدفه من الاشتراك في الانتخابات المقبلة إنما هو بفرض انقاذ الدستور معربا عن ثقته في فوزه . ومن ناحية أخرى ، فقد تجنب سعد ، قدر الامكان ، الدخول في أية صدامات جديدة مع بريطانيا حيث قد وضع له تماما مدى قدرتها على حرمان مصر من التمتع بنظامها الدستوري ، ومعنى ذلك أن سعد زغلول اقتنع بأن تكون معركته القادمة مع خصومه من المصريين (٢٣) .

المعركة الانتخابية وحل البرلمان يوم انعقاده :

وتحدثت (المقطم) عن ظاهرة المرشحين المستقلين للانتخابات ، واعتبرتها دليلا « على أن غريقا من الأمة أخذ ينثر من تطاحن الأحزاب ، دون الاتفاق على المبادئ السياسية والمصالح العمومية ، حتى صاروا يعدونه في مضار وجود الأحزاب بالحالة الحاضرة والمصلحة الوطنية » (٢٤) ، وذلك في الوقت الذي كانت تنشر فيه أسماء المستقلين من الوفد ومن الهيئة الوفدية البرلمانية ، الذين كانوا يشيرون في استقالاتهم إلى أن الوفد « غير موال للعرش » أو « أنهم أخذوا على سعد أشياء أثناء حكمه ، مع أن السبب الحقيقي لخروجهم من الوفد هو الرغبة في الانضمام إلى الحزب الجديد والصعود معه » (٢٥) ، وهو حزب الاتحاد الذي فكر حسن نشأت في تأسيسه لسببين : أحدهما : إيجاد هيئة سياسية للمنشقين عن الوفد ، وثانيهما : خلق حزب ينظم ذى طبيعة ملكية ولون محافظ (٢٦) .

وقد أشارت (المقطم) إلى ما كتبه الصحف البريطانية عن هذا الحزب الجديد الذي انضم إليه عدد من الوفديين المنشقين ، من أمثال محمد الببلاوى ومحمد فهمي اللذين ذكرت (التايمز) أنهما

« تخليا عن الهيئة الوفدية لأنها يرتابان فى اخلاص الوند للعرش »
 فى الوقت الذى نشرت فيه (المقطم) بيان سعد زغلول الذى يؤكد
 فيه الولاء الخالص للعرش ، وعقبت عليه بقولها ان الجمهور
 سيقابله « بالارتياح والاطمئنان لان الولاء للعرش من اركان
 هذه النهضة ومن اسباب ضمان نجاحها ولا يرجى لها فلاح الا اذا
 توافر التعاون بين العرش والامة مع المحافظة على كرامة العرش
 وهيبته والتمسك بأهداب الولاء للجالس عليه وصون المبدأ الذى
 يجعل العرش فوق الاحزاب » (٢٧) .

وتابعت (المقطم) نشاطات هذا الحزب وتحركات رجاله .
 ونشرت تلغرافات الولاء التى يقدمونها للقصر . وفى الوقت الذى
 كانت فيه المعركة الانتخابية محتدمة وقعت اشتباكات مسلحة بين
 أنصار مرشحي الوفد والأحرار الدستوريين فى (المحلة الكبرى)
 سقط فيها عدد من القتلى والجرحى ، فقول (المقطم) : « والذى
 نرجوه الآن هو ان يكون ما جرى فى المحلة الكبرى عبرة لجميع
 الاحزاب السياسية والمشتغلين بالسياسة والادارة من رجالنا
 فيسعى الجميع الى تضيق الخصومة السياسية باجتناح ما يوغر
 الصدور من الأقوال والكتابات ، التى تزيد نار هذه الخصومة اتقادا
 واضطرابا » (٢٨) .

حاولت الصحيفة ان تكون منصفة لجميع الفتراء خلال
 متابعتها لسير المعركة الانتخابية ، فهى تنشر اخبار الوفود
 التى تزور بيت الامة ، وتلك الوفود التى تزور القصر الملكى ووزارة
 الداخلية ، معربة عن ثقتها وتأييدها للحكومة الحاضرة وما كانت
 تتخلله هذه اللقاءات من بيانات مخطب تتضمن الهجوم والاتهامات
 المتبادلة بين سعد زغلول والوزارة . فضلا عن متابعة اخبار
 الجولات التى يقوم بها وزير الداخلية صدقى باشا فى الأقاليم لتفقد
 سير المعركة الانتخابية .

وقد واصلت (المقطم) حملتها على النظام الحزبى فى مصر ، لما يمانيه هذا النظام من تمزق وتطاحن على حد قولها ، واقتربت « العدول عن نظام الاحزاب عندنا الى ان يتقرر مصير مصر النهائى من الوجهة الدولية ثم تنشأ عندنا الاحزاب على كيفية ادارة شئوننا الداخلية ، وهى التى يقع الخلاف عادة بين الاحزاب على افضل الوسائل التى يتوسل بها لرعايتها وترقيتها » (٢٩) . ولا يبعد ان يكون هذا الهجوم على الاحزاب المصرية عشية الانتخابات ، داخلا فى سياق الحملة القائمة ضد الوفد ، التى اثار بها الانجليز ونفذها القصر ، لاسيما ان الصحيفة تدرك ضعف حزب الاتحاد الملكى الذى لا يطاله لضعفه ومحدودية انتشاره مثل هذا الهجوم ، اما الاحرار الدستوريون فقد دأبت جريدتهم (السياسة) باستمرار على الطعن فى (المقطم) وفى وطنية اصحابها ، خصوصا ان (المقطم) كانت صوتا من اصوات حكومة سعد زغلول التى كانت حريا عوانا على الدستوريين (٣٠) .

وبعد ظهور نتائج الانتخابات وغوز الوفد بالاغلبية نشطت (المقطم) تعليق مراسل (رويتر) عليها وقوله « ان وجه زغلول باشا يطفح سرورا وبشجرا وهو عظيم الارتياح الى الفوز العظيم الذى احرزه ، وان نتيجة الانتخاب خيبة امل عظيمة للحكومة التى توسلت بجميع وسائل التشديد التى تملكها ، وكان رجالها يتوقعون ايضا ان يقضوا على قوة الوفد وينزلوا زغلول باشا من مقامه ومرتبه » (٣١) . وذلك دون تعليق من ناحيتها على هذا الفوز ، ولكنها وصفت الوزارة الجديدة التى شكلها زيور من الاتحاديين والدستوريين والمستقلين بأنها « وزارة فئة من الاحزاب » (٣٢) .

ثم اوردت (المقطم) قصة حل البرلمان الجديد الذى لم يزد عمره على تسع ساعات ، مبينة فى اخبارها ان سبب الحل يتمثل فى شعور وزارة زيور بالحرج بعد ان فاز سعد باشا برئاسة

مجلس النواب بأغلبية الأصوات على منابسه عبد الخالق ثروت .
وقالت ان المسألة كلها « تدور على محور واحد ، وهو العجز عن
التوفيق بين الأحزاب ، ولما أيقنت الوزارة باستحالة هذا التوفيق
وأن المجلس لا يؤيدها ، فعلت الأمر الطبيعي ، واستتالت ولما
رفضت استقالتها طلبت من الملك حل المجلس » (٣٣) . ولا ندرى
ما هي العلاقة بين فوز سعد برئاسة المجلس ومسألة التوفيق بين
الأحزاب ، إلا أن يكون هروبا من مواجهة الحقيقة التي تأكدت
باقتناع الملك فؤاد « بأن أى محاولة من جانبه ليحكم مصر من خلال
النظام الدستوري ، هي محاولة مقضى عليها بالفشل ، وأن
الامة المصرية لا تقبل حياة برلمانية مزيفة ، ولا تنخدع ، وأدرك أنه
لا يستطيع الانفراد بالحكم إلا عن طريق ابطال النظام النيابى نفسه
ما أمكن الى ذلك سبيلا ، وهذا هو تفسير الاجراء الذى واجه به
انتصار سعد زغلول فى مجلس النواب » ، وسرعان ما أخذ
القصر على اثر ذلك يستأثر بكل السلطة فى البلاد (٣٤) .

وبدت المعركة لأول مرة ظاهرة للعيان . فقد وضح أن
السرائى لا تريد الوفد ولا زعيمه . وفى عبارة موجزة لا تريد
الدستور ولا البرلمان ، وتآبى كل القوى الكارهة للموجة الشعبية،
وحكمت حكومة زيور من غير برلمان ، زاعمة أنها تعدل قانون
الانتخاب ، وفى الوقت نفسه سارت فى مهاجمة خصومها والتكيل
بهم على اسوا صورة (٣٥) . والحق الذى لا مرية فيه أن حل هذا
المجلس كان مخالفة صريحة لاحكام الدستور ، وانتهاكا صارخا
لارادة الامة ، وقد عملت الوزارة مجتمعة ، ومن خلفها القصر ،
على اضعاف مركز سعد والوفد والتضييق عليهم ، مستخدمة فى
ذلك شتى الوسائل والاساليب التى ضاق بها حتى خصوم الوفد
انفسهم ، وهكذا بدا أن مصر أصبحت خالصة للحكم الأوتوقراطى
ولنزعات الملك الاستبدادية (٣٦) .

اما (المقطم) فنكتب تحت عنوان « من لمصر اليوم للنجاة من هذه الحرب الأهلية ؟ » تقول : « نعم انها حرب أهلية ليس لدوامها اذا دامت والعياذ بالله سوى عاقبة واحدة يعرفها كل من طالع تاريخ الحروب الأهلية فى مختلف البلدان وشتى العصور ، عاقبتها ضعف القوى ووهن النفوس وتواصل الاحقاد واغفال مصالح البلاد ، وترك قضيتنا الكبرى معلقة فى الفضاء لانصراف العاملين الى ما جعلوه خطأ غايتهم العظمى ومقصدهم الاكبر » (٣٧) .

وتابعت (المقطم) حملتها على الاسس التى تقوم عليها الأحزاب السياسية المصرية بقولها : « فليقل لنا الباحثون والمفكرون والمحققون أين وجوه الخلاف فى مناحى الأحزاب السياسية المصرية ؟ » . واذا كان الأمر كذلك « فما الذى يمنع الزعماء من التعاون والتضامن ؟ الا ان العائق الوحيد فيما نرى هو انتفاء الثقة بين الزعماء والأحزاب » (٣٨) .

واكدت الصحيفة على اخلاصها للعرش وولائها للقصر، فى الوقت الذى زادت فيه سطوته واستبداده فى غياب الحياة الدستورية وعبرت عن ذلك فيما نشرته من أخبار وتعليقات ، فهذه دعوة سكرتير عام نقابة عمال السكك الحديدية ومصالح الحكومة للقيام بمسيرة تأييد ولاء للملك « كى يقوم العمال باظهار شعورهم نحو لميكنهم المفدى وتمسكهم بلواء عرشه الامين » (٣٩) . وخبر تقديم مدير (بنى سويف) ثلاثمائة صورة من صور الملك لوضعها فى المدارس الابتدائية « بحيث يراها جميع الطلبة فى غدواتهم وروحاتهم فيهنئون بحياة جلالة الملك يوميا عند المجيء الى المدرسة والانصراف منها » (٤٠) .

ازمة كتاب. « الاسلام واصول الحكم » :

قفزت الى سطح الحياة السياسية في عهد وزارة زبور ، قضية الكتاب الذي ألفه الشيخ على عبد الرازق تحت عنوان « الاسلام واصول الحكم » عرض فيه للخلافة الاسلامية ودلل على انها ليست من اصول الاسلام ، وكانت الخلافة في ذلك الوقت مطمح نظر الملك فؤاد بعد الغائها في تركيا ، فثارت ثائرة الحكومة على الكتاب وصاحبه ، واوعزت الى هيئة كبار العلماء أن تبحث الكتاب وتحاكم المؤلف بوصف كونه من العلماء ، فحاكمته وأصدرت حكمها باخراجه من زمرة العلماء ، وقد رأى وزير العدل (عبدالعزيز فهمي) عرض الموضوع على لجنة أقسام القضايا بوزارة الحفانية ، الامر الذي أدى الى فصله من وزارة العدل لتصادم موقفه مع رغبة السراى (٤١) .

وقد تابعت (المقطم) قضية هذا الكتاب كمادة اخبارية ، ونشرت بعض المقالات والبحوث التي تناقش افكار المؤلف ، وتنبه لخطورة ما أورده على مبادئ الدين الاسلامى (٤٢) . وتحدثت عن الازمة الوزارية التي نشأت عن خروج عبد العزيز فهمي رئيس الاحرار الدستوريين من الوزارة ، مشيرة الى أن الازمة توأمرت عوامل تفجرها من قبل ولكنها برزت بوضوح عندما « توافر لها هذا الظرف الملائم بقضية الشيخ على عبد الرازق ، فكان من هذه القضية وملايساتها وما تفرع عليها ، عامل أدى الى انقسام الحزبين المؤتلفين وخروج ممثل الحزب الذى يرى أن الاجحاف كان نصيبه من هيئة الوزارة (٤٣) .

وتوجهت (المقطم) الى الملك فؤاد تدعوه لمعالجة الازمة الناشئة عن انييار ائتلاف الحزبين خصوصا أن البرلمان غير موجود ، وقالت ان واجب جميع اصحاب الكلمة المسموعة في

البلاد المساعدة فى الوصول الى حل (العقدة) الحاضرة « فاذا لم يتقدم من ذكرنا الى الميدان ، افلا يصحح أن يعقد مجلس كمجالس العرش فى أوروبا من أقطاب البلاد أى من أمرائها ووزرائها السابقين وكبار القضاة السابقين ؟ » (٤٤) . وأوضحت الصحيفة أن ما جرى لم يخل من الفائدة ، فقد بين أهمية « الاعتماد على الدستور وتعزيز مقامه والأخذ بناصره والرجوع اليه فى الأعمال السياسية والإدارية والفصل فيما قد يقع من الخلاف بين الأحزاب » (٤٥) . ولكن هيهات للعرش أن يقبل حكم الدستور فى هذه الفترة التى تميزت بأوتوقراطية القصر ، فان السراى لم تكتث لهذه الانفصالات ، وسرعان ما ملأت الفراغات التى حصلت فى الوزارة ، وانضم الوزراء الجدد الى حزب الاتحاد ، فصارت الوزارة كلها من الاتحاديين ، وبذلك انفرد هذا الحزب بالحكم ، وصارت السراى تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة من شئون الحكومة وأغلب الظن أن السراى لم تعد الى هذه الخطوة الجريئة فى الاستفتاء عن أحد هذين الحزبين اللذين كانا يسيران فى ركابها الا لامعتادها أنها ستكسب عطف الراى العام باستثارة عواطفه الدينية ضد كتاب عبد الرازق ولكنها لم تفلح (٤٦) .

وكانت (السياسة) جريدة الأحرار الدستوريين ، قد شنت حملة قاسية ضد الحكومة التى خرج الوزراء الدستوريون منها ، وكانت عناوين مقالاتها الافتتاحية كالاتى : « المتجر بدين الله خاسر » و « ازمة الدستور يجب أن تفضى لها الأمة جميعها » و « يتجرون بالدين » و « انفضح أمرهم » و « منافقون » و « تصفية حساب بين الأحرار الدستوريين وحزب الاتحاد » و « ياحسرة على الأخلاق » (٤٧) .

كما تعرض الأحرار الدستوريون لهجوم مماثل من جريدة (الاتحاد) الناطقة باسم حزب الاتحاد ، التى كانت « السياسة »

تصفها بجريدة « يحيى باشا » وهو رئيس حزب الاتحاد ونائب رئيس الوزارة المصرية ، التى جرت التغييرات الوزارية وهو يتولى مهام رئيس الوزارة بالنيابة ، بينما كان زيور يقضى اجازته فى أوروبا .

وصول اللورد لويد :

حضر اللورد لويد الى مصر ، ليحتل الكرسى الذى غادره اللبى ، فى دار المندوب السامى البريطانى ، ويوم وصوله كتبت (المقطم) تقول : « ان الأنباء الخاصة الواردة من بعض أقطاب السياسة المصرية فى الخارج تشير الى توقع التفاهم التام بين الحكومة المصرية ونخامة الورد جورج لويد بعدما أطلع على عدة تقارير أرسلت إليه ، وحادث نفرا من زعماء البلاد عن حالتها السياسية واتجاه الميول فيها » (٤٨) . وقد استقبل لويد بحفاوة بالغة . وزاد فى التعظيم من شأنه انه لم يقدم أوراق اعتماده الى الملك على خلاف ما كان متبعاً قبل اعلان الحماية ، وسكت الوزارة على هذا الوضع المهيمن ابتغاء الزلفى لدى المعتمد الجديد (٤٩) .

ونشرت الصحيفة رسالة لاحدى القارئات عن (مصر واللورد جورج لويد) تقول : « ولقد علمتنا التجارب أن الطفرة محال ، ومبدأ الاستقلال التام أو الموت الزؤام مشكوك فيه ، ولا يمكن الأخذ به ، وما دام المثل القائل — عصفور فى اليد خير من اثنين على الشجرة — صحيحا ، فلم لا نسعى نحن معشر المصريين لفهم الانجليز أن مصلحة بلادنا تضطرننا لاخلاص المحبة لدولة بريطانيا ذات الاسطول القوى ، التى تكافئنا على اخلاصنا بدفع تعديات من تحدثه نفسه بالشر والفساد ، فى مقابل سماحنا لهم بمراقبة القناة مع استعدادنا لم يد المساعدة عند الحاجة » (٥٠) .

ولم تكن هذه الدعوة لاهتمام الانجليز اخلاص المصريين ومحبتهم بعيدة عن الاطار العام لسياسة الصحيفة الثابتة . فبعد أن أشارت الى جو التفاؤل الذى احاط بمجىء اللورد لويدي والاستقبال الحافل الذى جرى له ، عادت لتؤكد للمصريين أن الطريق الوحيد الى تحقيق آمالهم هو « احسان الأمور الداخلية » لانه « ينشئ في نفس بريطانيا الثقة التى تجعلها تميل ميلا حقيقيا الى حل كثير من المسائل المعلقة ، بالاعتماد على مصر نفسها فيها ، والتمويل على حسن ادارتها ، والشعور بالأمن التام فى كل ما يعهد اليها فيه من رعاية المصالح التى يعدها البريطانيون حيوية لهم » (٥١) .

تقارب الأحزاب المصرية

فى مواجهة الوزارة اللادستورية :

فى مواجهة تعسف الوزارة وممارساتها اللادستورية ، بدأت علامات التقارب تظهر بين الأحزاب المصرية ، الحزب الوطنى والاحرار الدستوريين مع الوفد « لأن الجميع اخذوا يصطلون بنار الاضطهاد والضغط وتقييد الحريات » (٥٢) . وكانت سياسة الوفد فى الفترة التى أعقبت طرد الاحرار الدستوريين قد تعرضت لتغييرين جذريين : الاول ، اتجاه الوفد فى توحيد الصفوف وسعيه لاقامة ائتلاف بين الاحزاب ، وكان من قبل يرفض هذه الفكرة رفضا باتا أما التغيير الثانى : فهو ميله لتحسين علاقاته مع الانجليز ، كمحاولة لكسب حيادهم فى المعركة الدائرة ضد الدستور (٥٣) ، فى هذه الاثناء كانت الصحافة الوفدية تدعو لعقد مؤتمر وطنى لبحث عودة الحياة النيابية ، فتقابل هذه الفكرة برأى المقطم « بارتياح فى بعض الدوائر ، وبخيرة فى دوائر أخرى . ووقعت وقعا حسنا فى نفوس الذين يابون أن تكون الحزبية عقيدتهم السياسية لانهم يلمحون من خلال الدعوة بابا قد يؤدى الى اعادة الاتحاد » (٥٤) ، فهو ترحيب حذر يحسب حسابا لمن يتنادون لعقد المؤتمر ،

والجالسين في كراسى الحكم . الذين يحاولون تثبيت دعائمه برغم ارتفاع اصوات المعارضة ، ومحاولة جمع قواها وتنظيمها على سعة ما كان بين اطرافها من خلافات ، ومن ذلك كان اصـدار الحكومة لقانون تنظيم الجمعيات السياسية بهدف فرض المزيد من القيود على العمل السياسى والاحزاب السائرة نحو الائتلاف مما احدث ردود فعل عنيفة في صفوفها ووقوع مواجهة بينها وبين البوليس في ذكرى عيد الجهاد .

وقد شهدت البلاد حلقة جديدة من حلقات هذه المجابهة ، تمثلت في اجتماع البرلمان بمجلسيه في (الكونتنتال) يوم ٢١ نوفمبر ، الذى اصدر قرارات اجماعية باعتبار دور الانعقاد موجودا بصفة قانونية وبعدم الثقة بالوزارة . ويقول (لويد) ان الامر المهم بالنسبة لهذا الاجتماع ليس في نتيجة مقرراته ولكن في حقيقة انه للمرة الاولى يقوم اعضاء من الحزب الوطنى والاحرار الدستوريين والوعد بالاجتماع معا حول قضية عامة (٥٥) .

ورحبت (المقطم) « بمظهر الاتحاد الفعلى » الذى اظهرته الاحزاب المصرية ، وقالت انه « اذا لم تجن مصر من هذه الحركة البرلمانية سوى ما تقدم فحسبها هذا الريح العظيم » (٥٦) . واكدت على « ان الرغبة في النظام الدستورى صارت عامة في الامة ، وان الشوق الى اعادة النظام البرلمانى اصبح شديدا » (٥٧) وبدا ان سعى الوعد لتحسين علاقاته بالانجليز وتحييدهم في المعركة الدستورية كان مشجعا للمقطم لى تقف الى جانب الوعد والاحزاب المصرية المتحالفة معه في السعى لاعادة الحياة النيابية .

في هذه الاثناء ، كانت دار المندوب السامى تضع حدا نهائيا لتدخلات حسن نشأت رئيس الديوان الملكى بالنيابة في شئون الحكم ، وقد قبول انصاؤد من السراى بابتهاج كبير في البلاد لان

الرأى العام اعتبر هذا الحادث تمهيدا لعودة الحكم الدستورى . ولم يخفف من هذا الابتهاج ان جاء اقصاصه بناء على التدخل البريطانى ، لأن الشعب ليس مسئولا عن هذا التدخل ، وانما المسئول هو السراى (٥٨) .

وينبغى ان نشير الى ان هذه الخطوة التى قام بها (لويد) ونعنى بها عزل نشأت كانت تتفق تماما ومطالب الأحزاب المصرية الثلاثة ، مما يؤكد ان السلطات البريطانية كانت قد قررت من جانبها التحرك نحو ايجاد حل للمسألة الداخلية المصرية . حيث ان ابعاد نشأت قد فسر على أنه يشكل خاتمة لنظام زيور وعهده غير الدستورى ، ولهذا فقد أصبح موضوع الوزارة الجديدة التى تتقلد السلطة محور الاتصالات التى تمت فى أعقاب ابعاد نشأت ، والتى شارك فيها المصريون من كافة الأحزاب ، والبريطانيون سواء بسواء (٥٩) .

وقد فتحت (المقطم) صدر صفحاتها للقراء لمناقشة الحالة الراهنة فى البلاد ، فكانوا بين محبذ لدخول الأحزاب المؤتلفة (الوند والوطنى والأحرار) فى الانتخابات ، ومعترض على ذلك ، وبين مؤيد لبقاء البرلمان الحالى ، والمعتل رسميا ، وضرورة انتخاب برلمان جديد ، علما بان هذه الرسائل لم يكن بينها رسالة واحدة تقف الى جانب الحكومة وقانونها الانتخابى الجديد (٦٠) .

ونشرت (المقطم) بيان الأحزاب المؤتلفة حول عزمها على مقاطعة الانتخابات ، وعقد مؤتمر وطنى لهذه الأحزاب لبحث الموقف واتخاذ القرارات المناسبة بشأنه (٦١) . وعقبت على هذا البيان بقولها ان مجيء برلمان لا تشارك هذه الأحزاب فيه بمعنى انه لا تقوانر

فيه صفة « تمثيل الأمة كلها بأكثرية وأقلية » كما هي فى المجالس النيابية » (٦٢) .

وتقرر الأحزاب المؤتلفة عقد مؤتمرها الوطنى يوم التاسع عشر من فبراير ، فنقول (المقطم) ان هذا الشهر سيشهد حوادث خطيرة وعظيمة الشأن « سيكون من شأنها تأثير عظيم فى مستقبل البلاد وحياتها الدستورية » . ودعت الحكومة الى عدم منع عقد المؤتمر لأن ذلك « لا يطابق روح الدستور الذى أباح للمصريين حق الاجتماع وحرية القول والكتابة فى ضمن دائرة القانون العام » . وإذا كان المنع بحجة معارضة المؤتمر لها « فان المعارضة لها وخطبائها وكتابها لا يفتأون يحملون عليها حملات شعواء وينقدون سياستها نقدا شديدا ويزيفون خططها وقراراتها عملا بالمبادئ التى أقرها الدستور فى اباحة المناقشات السياسية ، والأخذ والرد فيها » (٦٣) .

وأشارت (المقطم) لاجتماع عقده أعضاء مجلس الشيوخ فى النادي السعدى ، أعلنوا فيه رفضهم لقانون الانتخاب القائم ، وأوضحوا أنه اذا « كانت هناك أسباب خطيرة تستدعى استفتاء الشعب من جديد ، تجرى الانتخابات على مقتضى القانون الموافق للدستور » . فترحب (المقطم) بالموقف الوسط الذى وقفه الشيوخ ، الذين كان « قرارهم هذا مطابقا لما كنا دائما نجاهر به وندعو اليه ، من وجوب اتحاد القوى على معالجة الأزمة الدستورية التى تزداد تعقدا كلما طال عليها الزمان ، وأظهروا رغبة فى حل العقدة وخروج البلاد من المازق الحالى » (٦٤) . وقالت ان أعضاء مجلس الشيوخ « يطلبون أن تكون إعادة الحياة النيابية بعقد البرلمان الحالى ، فإذا لم يتيسر ذلك لأسباب خطيرة ، وكان لا مندوحة عن استفتاء الشعب من جديد ، فهم يطلبون أن تجرى الانتخابات على مقتضى القانون الموافق للدستور ، أى القانون الذى أقره البرلمان

وصدر به المرسوم الملكي ، كما هو المفهوم حتما من نص هذه العبارة ، وصدورها من أعضاء المجلس الذي وافق على القانون المذكور . ولا نزال نكرر الرجاء بأن تنتهز الفرصة الحاضرة لحسم النزاع والاتفاق على حل يطابق الرغبة العامة وينال الاجماع» (٦٥) .
وان « ما بقى الى أن يعقد المؤتمر الوطنى ، لايزال يكفى اذا قوى العزم وحسنت النيات ، وبحث فى انحاء موضوع الخلاف عن مخرج منه يختلف عن المخرج الذى يطلب بالصراع والنزاع » (٦٦) .
وكتبت تعليقا بعنوان « كلمة وجيزة / خذ واعط » دعت فيه الوزارة الى اعتماد قانون الانتخاب الذى سبق ان اقره البرلمان ، ودعت الاحزاب المؤتلفة الى المشاركة فى الانتخابات الجديدة لانشاء برلمان جديد (٦٧) .

وقد سارت الامور وفق ما ارتأته (المقطم) ، واقترحه الشيوخ ، ونصح به (لويد) حكومة (زيور) ، التى سارعت عشية انعقاد المؤتمر الوطنى لاصدار بلاغ اعلنت فيه وقف العمل بقانون الانتخاب المعدل واجراء الانتخابات وفق القانون الذى صادق عليه البرلمان الاول « وهكذا استطاع اللورد لويد ، باجبار حكومة زيور باشا على قبول اقتراح الشيوخ ، أن يجرّد المؤتمر الوطنى عند انعقاده فى يوم ١٩ فبراير ١٩٢٦ من ائنيابه » (٦٨) .

واعتبرت (المقطم) هذا التبدل فى الموقف تغييرا مشهودا « فى اتجاه الحالة الحاضرة يرجى أن يؤول الى اتفاق الآراء على الخطة التى تتبع الى ان يأتى الحكم البرلمانى بالقول الفصل ، ومن الامور المحققة أن الاقرار الجديد سيقع موقع الرضا والارتياح عند الأمة لما فيه من الدلالة على الاهتمام بالرأى العام » (٦٩) . وقالت ان يوم ١٩ فبراير سيظل مذكورا بأمرين هما « الاتحاد على مصلحة الأمة .. والاجماع على تأييد القواعد الدستورية » (٧٠) .

وبعد اختتام أعمال المؤتمر وصدور مقرراته قالت ان المؤتمر قد اثبت « ان هذه الامة تريد دستورا نافذا ، ولا تكتفى بأن يكون هذا الدستور حبرا على ورق ، وتأتى ان يحيد عنه احد ، واظهر ما جرى شدة تمسكها بهذه القاعدة » (٧١) . وكان سعد زغلول قد أكد فى خطابه أمام المؤتمر أهمية اتباع اسلوب الحكمة والاعتدال للوصول الى الاهداف الوطنية ، وهو ما تحدث عنه (لويد) موضحا دور الأحداث العاصفة التى وقعت عام ١٩٢٤ ، فى الوصول الى هذه السياسة بالاضافة الى الحالة الصحية لسعد التى جعلته يستخدم طاقاته بعناية تامة . فى الوقت الذى امتلكت فيه دار المنسوب السامى — كما يقول — سلطة فعلية ومعترفا بها من قبل كافة الهيئات السياسية فى مصر (٧٢) .

وهكذا انتهت المعركة بين الديمقراطية والأتوقراطية ، او بين الأحزاب والقصر ، بضعف الفريقين ، وغاز الانجليز وممثلهم فى مصر اللورد لويد ، بالمسكنة العليا والنفوذ المدعم (٧٣) ، وما يعنيه ذلك تلقائيا من فوز لسياسة (المقطم) الداعية لترسيخ التفاهم بين مصر وبريطانيا . وقد شاركت الأحزاب المؤتلفة بقيادة الوفد فى المعركة الانتخابية وحقت الفوز ، فتقول (المقطم) ، ان هذه النتائج جاءت « مؤيدة لحقيقتين ظهرتا قبل موعد الانتخاب وتجلتا فيه بأجل بيان احدهما شدة رغبة الامة فى اعادة الحياة النيابية ، والأخرى اتجاه ثقتها فى وجهة معروفة مشهورة ، وهى الثقة التى ما برحت تبدو للعيان كلما سنحت الفرصة ، فقد كان الفوز تاما للوفد وانصاره ، والحزبين اللذين ائتلفا معه » .

وهذه الحقيقة الثانية جديرة بالاعتبار ، لما فيها من الدلالة الساطعة على مشيئة الامة وميلها ، ولابد من مراعاتها فى تقرير السياسات المقبلة تنافيا من وقوع المشكلات ، واجتناب المشادة التى كانت تقع فيما مضى بسبب محاولة اغفال هذه الحقيقة التى

مادت فتجلبت للمرة الثالثة . فالوفد المصرى هو بلا نزاع الهيئة الحائزة لثقة الامة ، والقطب الذى تدور عليه رعى الحركة السياسية فى مصر (٧٤) . وهذه الحقيقة الوفدية الكبيرة التى رسخت فى ضمير الامة المصرية ، وعبرت عنها لم تغب عن ادراك (المقطم) طيلة السنوات الماضية من عمر الثورة المصرية التى برز فيها الوفد قائدا لمسيرة الاستقلال والدستور .

رئاسة الوزارة بين سعد وعدلى :

تابعت (المقطم) الاتصالات التى جرت بعد انتهاء الانتخابات ، لتشكيل الوزارة الجديدة التى تخلف وزارة زيور ، وهى الاتصالات التى شارك فيها سعد وعدلى والقصر وال مندوب السامى ، وكان التركيز فيها على ان عدلى هو الذى يشكل الوزارة ، ولكن تحولا سياسيا سريعا طرا على الموقف ، وهو مطالبة سعد برئاسة الوزارة .

ومما ساعد على هذا التحول وجعل سعدا يصر على تشكيل الوزارة ، صدور الاحكام بتبرئة (احمد ماهر والنقراشى) من جريمة الاشتراك فى اغتيال السردار ، هذا الامر الذى « اوجد حالة سياسية جديدة منذ طرد الوفد من الحكم ، فقد احبط خطة الانجليز فى ادانة الوفد ورد اليه اعتباره » ، وهذا الوضع « لم يلبث ان بلغ بازمة منصب رئيس الوزارة الى قمة التوتر ، فقد عدل سعد باشا عما كان قد اعتزمه من التخلّى لعدلى باشا عن هذا المنصب ، وأصر على ممارسة حقه الدستورى فى تولي الحكم » (٧٥) .

وقد اشارت (المقطم) لخبر الزيارة التى قام بها سعد باشا لدار المندوب السامى بدعوة من اللورد لويد واجتماعه به لمدة

ساعتين (٧٦) ، دون ان تتحدث عن مضمون الحديث الذى تناوله سعد باشا واللورد لويد ، ولكن لويد أورد حقيقة اجتماعه بسعد واللهجة المتفطرية الاستفزازية التى بادره بسعد بها ، على حد قوله ، الامر الذى جعله يطلب من حكومة بلاده ارسال بارجة حربية الى الاسكندرية ، لكيلا تتكرر الاضطرابات والخسائر فى الأرواح التى شهدتها مصر عام ١٩٢١ (٧٧) ، مما دعا (المقطم) الى مخاطبة اقطاب مصر وزعمائها بضرورة معالجة المشكلة بها يضمن حقوق مصر والحيلولة دون تفاقم الأزمة « فليس فى الدنيا معضلة لا تحل اذا توصل الى حلها بالوسائل الصحيحة » . واوضحت أهمية توافر حسن النية لدى كل من طرفى المشكلة ، مصر وبريطانيا ، حتى يصل الى الحل « أما هذه المشادة الحاضرة فليست فى مصلحتها ولا هى مما يحسن بأقطاب السياسة التسليم باستمرارها لان خير السياسات ما استطيع به حل العقد وأبرع الساسة هم الذين يذللون العقبات بالرأى الثاقب » (٧٨) .

ولكن سعد زغلول رأى لمصلحة بلاده ولمصلحة الحياة الدستورية ان يتراجع عن موقفه ، فتقول (المقطم) ، ان « المشاغل وكثرة المقابلات والمناقشات أثرت تأثيرها المنظر فى صحة الرئيس الجليل فمضى عدة ليال متتابعة بالأرق وشعر بثقل عبء ذلك كله عليه حتى صار انصاره ومحبيه المحيطون به يشعرون أنه لا يستطيع ان ينهض بعبء الوزارة الثقيل فى هذه الايام » (٧٩) .

واشادات (المقطم) بالموقف المعتدل الذى أبداه النواب المضربون خلال الأزمة قائلة : « ان مصر المثلة بنوابها أظهرت من الرزانة والاعتدال ما يحق لها أن تنتظر مثله من الحكومة البريطانية التى اشتهرت بحفاظتها على المبادئ الدستورية » (٨٠) .

وهذا الموقف الضعيف لسعد : استفاد منه ، الى أبعد حد ، المندوب السامي البريطاني عندما حصل من سعد على تعهد أم على الأقل تأكيد بعدم مناوأة السياسة البريطانية ، والأهم من ذلك المطامع الاستعمارية البريطانية في مصر ، وهي ما كان يطلق عليها في ذلك الوقت بالمصالح البريطانية . وقد شكل ذلك التأكيد الذي منحه سعد ، وما انطوى عليه من مسألة واعتدال ليس فقط سياسة سعد بل سياسة الحكومة الانتلانية المصرية التي فيها عدلى يكن ، وكانت ثبرة ذلك الموقف ، مستندة الى قوة برلمانية هائلة يقودها سعد زغلول زعيم الائتلاف وصاحب تلك السياسة (٨١) . وهذه السياسة هي التي دأبت (المقطم) على الدعوة لانتهاجها والحرص عليها ، وقد جاءت الاحداث الأخيرة لتؤكددها ، وتشكل نجاحا باهرا لمنطلقاتها (٨٢) .

وقد رحبت (المقطم) بوزارة عدلى ، وبافتتاح البرلمان ، وما تضمنه خطاب العرش عن توطيد النظام الدستوري والشئون الخارجية التي تدور بما يبيده سعد باشا من همة طيبة في ادارة الجلسات هي موضع اعجاب الجميع (٨٣) . ولكن وزارة عدلى لا تعبر طويلا ، فقد اعلن عدلى باشا استقالته وزارته بانبا اسبابها على انتقادات النواب الشديدة للحكومة ، في اثناء نظر تقرير لجنة الميزانية ، وعدم موافقة المجلس على اقتراح بتقديم الشكر للحكومة على مساعدتها لبنك مصر ، مما اعتبرته الوزارة ماسا بكرامتها ودافعا لها للتخلي عن الحكم (٨٤) .

وقد اوضحت (المقطم) انه ليس للانجليز أية علاقة بهذه الازمة الوزارية ، وقالت ان « فخامة المندوب السامي لا يتعرض لمسألة ليس لدولته دخل فيها لأن استقالة الوزارة كانت بمعزل عن كل مسألة بريطانية » (٨٥) .

أزمة الجيش :

شكل عبد الخالق ثروت باشا الوزارة الائتلافية الثانية بعد استقالة وزارة عدلى ، وقد مرت العلاقات المصرية البريطانية فى عهد هذه الوزارة بأزمة شديدة الحرج ، عرفت باسم (أزمة الجيش) تمثلت فى رفض الحكومة البريطانية قيام الحكومة المصرية باتخاذ الخطوات اللازمة لتطوير الجيش المصرى وإجراء التعديلات على أنظمتها ، باعتبار ذلك من المسائل المحتفظ بها فى التحفظات المرفقة بتصريح ٢٨ فبراير ، بينما أصرت مصر ووزير حربيتها أحمد محمد خشبة على أن موضوع الجيش من المسائل الداخلية التى لا يحق لبريطانيا التدخل فيها . مما جعل (المقطم) تقول أن التحفظات أو الأمور التى لم يتم الانتهاء من بحثها هى مصدر كل ما ينشأ من الخلافات بين البلدين ، ولذلك كان البت فيها مسألة ضرورية (٨٦) .

وأشارت الى المذكرة البريطانية التى سلمها المندوب السامى لمصر ، حول موضوع الجيش المصرى ، وقالت : « ان الحكومة البريطانية ما كانت لتقدم على ما أقدمت عليه . وما كانت لتخلق هذه الازمة لولا أن هناك أمرا أو أمورا ترى أنها تخلق بالها وتبعثها على التعرض للمسألة بهذه الشدة التى شهدتها الناس حتى أرسلت ثلاثا من اكبر بوارجها الى هذا القطر لتأييد وجهة نظرها أو لاضعاف ما قد تلقاه من المعارضة ، وعندها ما يكتفيها من المشكلات الداخلية والخارجية » . وطالبت بحل المشكلة بين الفريقين بروح « سياسة حسن النواهم » . وأكدت أن المذكرة البريطانية «مصوغة بصيغة الود ، وقد روعيت فيها شروط المجاملات السياسية والأمل بحسن دوام صلات العلاقة بين الحكومتين والرغبة فى استدامتها » (٨٧) .

ولم يكن حديث (المقطم) عن الود والتفاهم يعكس واقع الحال الذى دعا الحكومة البريطانية الى التهديد بارسال البوارج الحربية الى الموانئ المصرية ، مما دل على أنه « صورة متكررة للإعتساف البريطانى بازاء مصر ، كما دلت على نية مبيتة من انجلترا على ألا تمكن مصر من أن يكون لها جيش أو قوة دفاعية اطلاقا » (٨٨) . ولكن (المقطم) ركزت على التأكيد بأن موقف الحكومتين خلال الاتصالات الدائرة بينهما لتطويق الأزمة يتمثل فى الرغبة المتبادلة « فى وقاية علاقات الدولتين من أن تنهدم بسبب هذا الحادث وأن الفريقين يتوقان من صميم الفؤاد الى اجتناب أسباب الشقاق » (٨٩) . وكررت قولها انها وطيذة الامل « بالآ يالو المسئولون من الجانبين جهدا فى حل الاشكال ولو فى الساعة الاخيرة ، وعدم تجسيم الخلاف ، فان الصلات بين الدولتين والبلدين اعظم شأننا من كل خلاف يقع بينهما على بعض منها » (٩٠) .

واشادت (المقطم) بما اظهره اقطاب مصر وزعمائها من مرونة سياسية ، مما ساعد على حل الازمة ، فقد واجهوها « بروح الرغبة فى حلها حلا لا يترك فى اثره شيئا من الجفاء وما قد يجر فى ذيلوله من العواقب ، بل انهم سعوا للجمع بين غايتين احداهما تقرير حق مصر فى ادارة شئونها الداخلية وتوثيق عرى التعاون وحسن التفاهم مع الدولة التى قضى القضاء بأن تكون لمصر اكبر صلة بها » (٩١) .

وقالت (المقطم) ان الحكومة البريطانية اعربت فى مذكرتها الاخيرة عن استعدادها للشروع فى المفاوضة فى الامور الاربعة المحتفظ بها ، وان الحكومة المصرية ردت على ذلك فى مذكرتها بأن هذه المفاوضة تكون من احب الامور اليها (٩٢) . فقد اضطرت

الحكومة المصرية ان تنزل على حكم الانذار البريطانى ، لان ثروت باثا كان يمهّد لسياسة حسن التفاهم التى يبتغى من ورائها أن يصل الى عقد معاهدة بين مصر وانجلترا (٩٣) . وانتهت على هذا النحر اخطر ازمة فى العلاقات المصرية البريطانية حول الجيش المصرى بعد تصريح ٢٨ فبراير ، بانتصار ساحق للمندوب السامى اللورد لويد (٩٤) .

وقد اختتمت (المقطم) متابعتها لفصول هذه الازمة بالقول بأن « الدولتين أدركتا أن المشادة والجناء ليسا خير الادوات لفتح جبال العلاقات بين البلدين وأن هناك أدوات اصلح من هذه ، وأن مصلحتها فى الاتفاق اعظم جدا من مصلحتها فى الخلاف ، وأن تعاونهما مستطاع اذا بنى هذا التعاون على المصالح الحقيقية دون المصالح الموهومة » (٩٥) . ولم يكن ما حدث سوى تطبيق دقيق لهذه السياسة التى دأبت (المقطم) على الترويج لها .

محادثات ثروت التمهيدية فى لندن :

تحدثت (المقطم) عن الزيارة الملكية للعاصمة البريطانية ، التى ستشهد محادثات سياسية تمهيدية يقوم بها ثروت وتمهد للمفاوضات التى يلزمها شرطان اساسيان للنجاح « أولهما صفاء النية من الجانبين واعتمادهما على تعاون صحيح يريدانه وبأبىان سواء من الحالات ، والثانى تعيين المصالح الحبوية لكل منهما وازالة كل تنافر بينهما » (٩٦) . وقالت ان « من حسن الحظ أن الجو السياسى بين مصر وبريطانيا صفا وراق بعدما تلبدت فيه غيوم الخلاف ، وهذا يبعث على تفاؤل الذين يحبون أن تعزز أركان الوفاق والوثام بين الدولتين والشعبين » (٩٧) .

وأوضحت أن الاستقبال الحائل الذى جرى للملك فؤاد فى بريطانيا ، دل على أنها لا تضمّر لمصر سوى « حب الصداقة وحسين

العاطفة » ، وانها « تريد ان تكون على خير صلة وعلاقة بمصر ، وهذا عين ما يريده المصريون ، كما قال ملكهم فى خطبته فى مأدبة بكنهام ، وهى الخطبة التى وافقت عليها حكومته الدستورية » (٩٨) . وذكرت الصحيفة ان محادثات ثروت فى لندن كانت « مهمة شاقة وانه ما كان ليرجو هو او اشد الناس تفاؤلا بأن تقضى هذه المهمة على وجهها الاوفى ، اى بما يحقق جميع امانى مصر » ولكن ذلك « لا يننى ان المحادثات التى دارت بين الفريقين لم تكن معدومة الفائدة » (٩٩) . ويتضح هنا مدى الحاسة التى تبديها الصحيفة لدفع مسيرة التفاوض وتحسين العلاقات بين مصر وبريطانيا .

وفاة سعد زغلول ونتائجها على المسرح السياسى :

تابعت (المقطم) باهتمام بالغ ، اخبار مرض سعد زغلول وهو يمضى اجازته فى (مسجد وصيف) ، وعودته الى القاهرة لتابعة علاجه فيها ، ولكن وطأة المرض تشدد عليه ويتوفاه الله فى يوم ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ ، فتكتب اخبار نمية بعنوانين كبيرة كالتالى : (نصاب مصر العظيم — ساعات سعد الأخيرة — مشهد الجنازة) وتحدثت عن الوجود الذى خيم على البلاد والحزن العام على وفاة سعد . وفى الصفحة الاولى التى ظهرت محاطة باطار أسود عريض ، نشرت مقالا طويلا كتبه رئيس تحريرها خليل ثابت بعنوان « سعد زغلول رسول الوطنية ، ومقيد مصر والشرق » قال فيه : « رحل سعد فطويت برحيله صفحة مثيرة مجيدة من صحائف تاريخ مصر الحديث ، وخبا فى سماء هذا الوادى كوكب لامع سطع نوره فى فضاء الشرق فانار القلوب وشدد الآمال والعزائم فى النفوس ، واضاء الطريق لسالكيه فى هذه الشعوب التى تطمح الى نيل حقها فى الحياة ، وتصبو الى تقرير مصيرها . وانطفا ذلك المشعل الذى كان منارة على ضفاف النيل يرسل أشعته الى الارحاء . ونقدت مصر اكبر ابنائها راحبهم الى قلبها واشدهم غيرة على عظمتها ،

نهى اليوم ثلكى كاسفة البال سائلة الدمع كسيرة القلب وقد وجفت
الأنفذة لهول المصائب واصططكت الركب لعظم الخطب ،
فصبر جميل وانا لله وانا اليه راجعون . . ما مات سعد وانا مات
جسمه اما روحه فخالدة واما قدوته وتعاليمه ومبادئه ، واما صدق
وطنيته وسمو همته وذكرى جهاده وجميل سجاياه وصفاته
فمنقوشة على صنحات القلوب سجلها التاريخ له بحروف من ذهب ،
محاطة بالكليل من الغار ، وسيتناقل الخلف عن السلف اخبارها ،
ويقول الناس فى مستقبل الايام كذا فعل سعد وهذا ما قاله
سعد « (١٠٠) . وطالبت زعماء مصر واقطابها بمواصلة الطريق
الذى بداه سعد (١٠١) . ودعت الى ايجاد قيادة جماعية تستطيع
ادارة سفينة البلاد وسد الفراغ الذى تركه سعد (١٠٢) .

وذكر (الوكيل الاسكندرى) للمقطم انه سال دار المندوب
السامى عن صحة (الاشاعات) التى ترددت حول اعتراض الانجليز
على اقامة التماثيل لسعد زغلول ، فاجيب بانها اشاعات « مخالفة
كل المخالفة للعمل الذى عمله جناب المستر هندرسن المندوب
السامى بالنيابة وهو الذى سافر الى القاهرة خصيصا لحضور
ماتم المغفور له سعد باشا فلا يعقل بعد هذا ان نعارض فى اقامة
تماثيل له « (١٠٣) وعقبت الصحيفة على ذلك بقولها « اننا لا نصدق
الخبر لانه لا يطابق ما نعرفه عن اخلاق البريطانيين » وان وزراء
مصر ودار المندوب السامى كذبوا ايضا مثل هذه الاخبار وعبر
الجمهور عن دهشته لها « ولهذا الاستغراب وتلك الدهشة من
جانب الجمهور دلالة عظيمة وهى ان الشعب المصرى يريد ان يجرى
مع بريطانيا على سياسة التفاهم والوثام ويتبنى من صميم غواذه ان
تسود المودة علاقات الشعبين وصلات البلدين فيأسف لكل حادث
يحتمل ان يعكر صفاء ما بينهما « (١٠٤) وعشية الاجتماع الاول للهيئة
الوفدية بعد رحيل سعد قالت : « والمأمول ان تسفر هذه
الاجتماعات والمفاوضات عن الغاية المنشودة فتستأنف مصر سيرها

بعد هذا الهجوم الذى عراها بوفاة القائد الكبير « (١٠٥) ووصفت اجتماع الوفد بأنه كان ايجابيا وظهر أن « هذه الهيئة التى شاركت سعد فى حياته مصممة على أن تقتفى أثره بعد مماته » (١٠٦) . ونشرت عددا كبيرا من التفرغافات التى تهنىء مصطفى النحاس باشا بانتخابه رئيسا للوفد المصرى (١٠٧) كما قدمت تهنئتها للهيئة الوفدية « بحسن اختيارها لرئيسها الهام الذى صاحب سعدا وحفظ مبادئه واتخذها قاعدة لحياته السياسية والادارية واشتھر بين قومه بالنزاهة والاستقامة والنشاط فى العمل وتحمل فى سبيل وطنيته ما هو مذكور فى تاريخ هذه النهضة » (١٠٨) . وانتقلت الى القول بأن « أعظم مهامنا من الوجهة السياسية هو تقرير علاقاتنا ببريطانيا أولا وسائر الدول صاحبة الامتيازات بعد ذلك ثم توطيد اركان نظام الحكم الحالى فى مصر واستخراج خير النتائج منه » (١٠٩) . واشادت بالروح الذى ساد لقاء النحاس وثروت ، موضحة أن « نتيجة هذه المقابلة جاءت ممزجة لروح التفاؤل بتوكيد الائتلاف بين الوزارة والوفد » (١١٠) .

معاودة ثروت — تنشأ مبرلن :

رات (المقطم) فى متانة العلاقات التى تربط بين رئيس الوزارة وزعيم الوفد باعثا رئيسيا لدعم مسيرة المحادثات السياسية التى يعتزم ثروت استئنافها فى لندن ، فتقول ان ثروت باشا « يفادر مصر هذه المرة كما غادرها فى المرة الاولى مزودا بالثقة التامة ، فعالمنا ان وراءه أمة ناهضة تنطق بلسان واحد وتتجه فى اتجاه واحد ، وان هذا يزيل ما عرا البريطانيين من الظنون بعد وفاة سعد وما كانوا يوجسون خوفا من وقوعه بعد رحيل الرجل الذى كان لسان مصر الناطق والمعبّر عن مشيئتها أصدق تعبير » (١١١) . وقالت ان التغلب على الصعوبات التى يمكن ان تنشأ عن

محادثات لندن يتطلب « حصافة ودهاء من ساسة الدولتين وحسن ظن وتفاهما وروح صداقة من الشعبين وادراكا صحيحا للمصالح الحقيقية التى لا يستطيع اغفالها ، وعدم اتحام ما ليس كذلك فيها اجتنابا للمشكلات » (١١٢) . وخاطبت المسئولين الانجليز قائلة : « هب ان كلمة المصريين لم تتفق فسداد الراى يقضى عليكم بالاستمرار على معالجة القضية المصرية بما يرضى الروح المصرى اجتنابا لمشكلات المستقبل ، ومنما للتقلقل فى علاقات الدولتين » (١١٣) .

ولكنها تعرب عن ارتياحها للتصريحات التى اعلنها ثروت باشا والى « تنم على ارتياح الى ما تم ، وحسن تفاؤل بما هو آت . . وهكذا ختم هذا الفصل التمهيدى فى لندن بما يدل على رضا الفريقين وارتياحهما وتعزيز سياسة التعاون والتفاهم على سياسة التنى والابتعاد والتنافر » (١١٤) . وبعد عودة ثروت الى البلاد طالبت (المقطم) « بازاحة الستار ولو قليلا عما دار فى لندن من المحادثات لان هذه المحادثات الخطيرة ذات علاقة شديدة بحياتها الحاضرة ومصيرها من جهة نظام الحكم والادارة والصلوات الخارجية » (١١٥) .

فى اثناء ذلك ، كان الائتلاف الوزارى يتعرض لبعض المشكلات ، فتنتشر (المقطم) تصريحات للنحاس باشا يرد فيه على مقال (للسياسة) جريدة الاحرار الدستوريين ، يؤكد النحاس فيه على « ان الائتلاف متين لا تزعزعه اهواء الذين يريدون ان يصيدوا فى الماء العكر ، او ان يتدخلوا بغير حق ولا فى غير مصلحة بين رئيس الوفد ورئيس الحكومة وهما اللذان بينهما كل ود وكل وئام وكل صفاء » (١١٦) . وراث الصحيفة فى هذا التاكيد ما يبين ان « مصر تريد الائتلاف ، ارادته فيها مضى وهى تريده فى الحاضر وفى

المستقبل » . وتزداد الحاجة الى هذا الائتلاف الآن « ورئيس حكومتها يفاوض الحكومة البريطانية فى مسائل حيوية يجب ان يسمع فيها رأى مصر كلها وتعلم مشيئتها ككتلة واحدة » (١١٧) . وكانت (المقطم) فى خلال متابعتها الحديث عن الخلافات الداخلية ، تدعو الى اتباع سبيل الحكمة فى معالجتها لاحلال التفاهم القائم بين الوزراء وغيرهم من الاقطاب .

واوردت (المقطم) نماذج مما تكتبه الصحف البريطانية حول الازمة الداخلية المصرية وحول رفض الوفد لمقترحات ثروت وتشمبرلن لتسوية المسألة المصرية مع بريطانيا . ونشرت بنود مشروع المعاهدة المعروض على الوزارة والوفد المصرى ، وتحدثت عن مظاهرات طلابية امام بيت الأمة فى اثناء اجتماع الوفد بداخله ، تنادى بسقوط المعاهدة وبطلب الاستقلال التام (١١٨) . وقالت ان مسؤولية رجال الوفد تحتم عليهم « ان يفحصوا ما امامهم من الاقتراحات بعين النقد الصحيح الذى يراد به ارتياد كل ما عساه ان يحقق الامانى ويعزز حقوق مصر . . وقد ظهر لغير واحد من المتتبعين لسير المناقشة فى الوفد ان الجو جو تشاؤم ومعنى هذا ان قبول الاقتراحات فى شكلها الحاضر غير محتمل ولكن هل يكون معنى ذلك رفض البات او السعى للمحافظة على روح الرغبة فى التفاهم والاتفاق باختيار غير هذين الطريقين اى طريق القبول وطريق الرفض ؟ » ، وتابعت القول بان « المفروض هو ان الحكومة البريطانية لا تعرض هذه المقترحات بصفة نهائية او بصفة انها اقل ما تستطيع التسليم به ، فاذا صح هذا الفرض بالباب لم يقفل ومجال البحث والاخذ والرد لايزال متسما ، وهذه الفرصة تسمع للناطقين باسم مصر ليقولوا كلمتهم ويبدوا رايهم ، حتى تقف عليه الدوائر البريطانية المسئولة » (١١٩) .

واوضحت (المقطم) ، بعد اعلان جميع الهيئات السياسية ، رفضها لمشروع المعاهدة المقترح ، أن هذا الموقف يدل على أن « مصر لا يسعها أن ترتبط بمعاهدة على هذا المنوال لأنها تطمح بخير منها مادام المطلوب منها هو أن تتقيد بنصوص معينة » ، ولكن الجهود التى بذلت لم تضع سدى بل أسفرت « عن نتائج كبيرة الشأن » ، وتمكنت الأحزاب البريطانية من أن تقف « على رأى مصر الصريح فى أمر العلاقات بين الدولتين » . وقالت انفا « من الذين يعتقدون أن الباب لم يقفل ، وأن مصر وبريطانيا لا تريدان اقفاله » (١٢٠) .

أما لماذا رغب الوفد وجماهير الشعب المصرى مشروع معاهدة ثروت وتشمبرلن واعتبروه غير محقق للأمانى القومية ؟ وهل كان ثروت باشا مؤمنا بمشروعه ، أو أنه كان يتفق مع الرافضين له فى تحنظيم ازاءه ؟ فإن محمد شفيق غربال يقول أن ثروت حمل على ذلك العرض حملا ، ضغط عليه ليفعل ذلك زملاؤه وحلفاؤه السياسيون ، كما ضغطت عليه ليفعل ذلك الحكومة الانجليزية ، ولكن ثروت كان يأمل من وراء هذا المشروع أولا فك التوتر على وجه ما ، وكان يأمل ثانيا أن يسترد لمصر على الأقل بعض ما فقدته من جراء الانذارات الانجليزية ، وهذا بصفة خاصة فيما يتعلق بالسودان ، وكان يأمل ثالثا أن يستخرج من مادة المفاوضات والمحادثات ، صيفا واحكاما . ان لم تنظم العلاقات بين الملكتين تنظيميا كاملا فعلى الأقل تهذب تلك العلاقات وتضبطها على أساس من العقل والانسانية ، فتبعد عنها من ناحية ارتباك الفوضى والعاطفة ، ومن ناحية أخرى التهديد باستخدام السيف والمدفع من آن لآخر « (١٢١) وعلى أية حال ، فإن ثروت قدم استقالته الى الملك فؤاد فى نفس اليوم الذى سلم فيه رد مصر برفض مجلس الوزراء لمشروع المعاهدة الى دار المندوب السامى ، مما أوحى الى

الذهن بأن ثروت لم يكن متفقاً مع الوزراء على رفض المشروع .
وقد خسر ثروت من هذا الموقف خسارة أدبية كبيرة (١٢٢) .

وحاولت (المقطم) معالجة الموقف الدقيق الذى ترتب على استقالة الوزارة ، بقولها ان الذى يجب ان توجه الجهود اليه « هو إعادة النظر فى الأسباب التى بعثت مصر على عدم قبول المشروع والسعى من جانب بريطانيا لازالتها على قدر الطاقة ، أو تجزئة المشروع أجزاء يعنى بكل جزء منها على حدته ، ويكون كل واحد منها متما لما يسبقه ، لان تحديد هذه العلاقات لابد منه عاجلاً أو آجلاً لخير الفريقين اذا اريد اجتناب وقوع المشكلات ، ولهذا كنا نرى دائماً ان سداد الرأى يقضى بعدم اقفال الباب اقفالا نهائياً والحرص على سياسة الرغبة فى المودة والتفاهم والاتفاق ، وهو ما لا نزال نرجوه وندعو صحافة البلدين ولاسيما صحف بريطانيا الى ترويجه » (١٢٣) .

كما حاولت (المقطم) ايضا التخفيف من حدة الأجواء المصاحبة للمذكرة البريطانية التى تم تسليمها لمصر ، وقالت ان الأمر لا يعدو ان يكون تذكيراً من الحكومة البريطانية بأنه « ما دامت المحادثات لم تؤد الى اتفاق على حل النقط الأربع المحتفظ بها فهى ترى نفسها فى حل من التقيد بشئ من القيود التى وردت فى مشروع المعاهدة » وقالت ان الواجب يقضى على كل من مصر وبريطانيا السير فى طريق التفاهم « فقد عرفنا بالاختبار ان ما يمكن بلوغه والنفوس هادئة يكون اعظم وأسرع من لا ما قد يدرك وهذه النفوس مضطربة هائجة » (١٢٤) ، فانه بالرغم من فشل مشروع المعاهدة الأخير فان ما بذل من جهود « لم يذهب سدى وان هذا الاتصال بين اقطاب البلدين وهو الاتصال الذى لم يكن له وجود قبل سنة ١٩١٩ ، ادى الى تعارف وتفاهم على أمور شتى هى فى ارفع مقام من الاهمية والاعتبار » (١٢٥) .

وزارة النحاس الاولى وازماتها :

بعد قبول استقالة ثروت شكل النحاس باشا وزارته الاولى ، وكانت ائتلافية كالوزارة المستقلة ، وقد ووجهت بسلسلة من المتاعب منذ البداية ، بدأت بالذاكرة البريطانية الجديدة ، التي اثارته مسألة قانون الاجتماعات والمظاهرات ، ورد الحكومة المصرية عليها بأسلوب لا تنقصه الصراحة ، فتقول (المقطم) ان مصر « فوجئت بالذاكرة البريطانية المعلومة وفيها تحديد لمركز بريطانيا في مصر ، بسطت فيه الحكومة البريطانية وجهة نظرها فيما تعده واجبا عليها من المهام سواء كان ذلك بالاستناد الى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، او دون استناد اليه ، فلم يكن بد للحكومة المصرية والحالة هذه ، من بسط وجهة نظرها هي أيضا في هذا الموضوع ، ولاسيما ان الذاكرة عقدت عقدة دستورية وحكومية لم تشر الذاكرة الى كيفية حلها ، والتوفيق بينها وبين اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال مصر وحرية تصرفها في شئونها الا ما احتفظ به في النقط الاربعة المعلقة ..

وقد بسطت الحكومة المصرية المسألة بصراحة تامة تفاديا من تكرار وقوع الابهام لأن الذاكرة عامة لم تعتمد الى التخصيص ولو انها اشارت من طرف خفي الى التشريع المقصود بها في الوقت الحاضر كتقانون الاجتماعات والمظاهرات « وأضافت (المقطم) قولها ان « من الخطأ ان يحسب احد ان الحكومة المصرية تبغى ان تتحدى بريطانيا وهي تعلم ما بينهما من البون الشاسع في القوة والثروة فان الذين يسمعون اقوال رئيس الوزارة وزملائه لا يسمعون سوى عبارات الرغبة في المودة والوثام ، فالرد الذي ارسلته الوزارة المصرية يجب الا يفهم منه اكثر مما حوى على نحو ما تقدم وليست الوزارة الحالية بأقل رغبة من غيرها في الوصول الى اتفاق عملي يستطاع السير بموجبه ويمكن الاستناد اليه ويكفل له البقاء بما

يكسب من شعور الرأى العام المصرى بفائدته لمصر او نفعه لبريطانيا « (١٢٦) . وقد تصاعدت الازمة ، الأمر الذى جعل (المقطم) تحاول جاهدة البحث عن مخرج يمنع من الوصول بها الى ذروة الخطر ، فتقول « ان الذين يؤيدون نظرية السلام ويودون حل العقد والمشكلات يودون ان يعنى رجال السياسة من الجانبين فى حصر موضوع المناقشة تفاديا من تشعبها ولا يرون ما يلزم الدولتين بركوب متن الخلاف اذا عقدنا النية على معالجة الأمور بالحكمة وسداد الرأى « (١٢٧) . وتساءلت قائلة : « اما من سبيل الى اجتناب هذا وتوسيع المجال باطالة الوقت ولو قليلا لاعادة النظر فى موضوع الخلاف ؟ » « لماذا لا تعقد هدنة قصيرة لدرس الموضوع بغير روح النضال والنزال بل بروح الرغبة فى التفاهم ؟ ولا يدفع هذا بأن للكرامة مقتضياتها فقد بلغ من الأود عنها ما يضارع الاشتباك الحربى ولم يبق سوى المعركة المادية فلا يستطيع أحد ان يتهم مصر بعد ، وقفها الأخير بالتنازل عن كرامتها ، ولا ان يرمى بريطانيا بالضعف والوهن « (١٢٨) .

ولكن الوضع يتطور باتجاه التفجير الخطير للهوتف ، بتسليم انذار بريطانى للنحاس ، يتضمن وجوب سحب مشروع القانون فى البرلمان ، وأن تأخذ الحكومة المصرية على نفسها عهدا بأن هذا القانون لا يصدر فيها بعد . فتدعو (المقطم) كافة المعنيين بالازمة من الجانبين باتباع خطتها التى أعلنت عنها كثيرا ، وهى حل المشكلة « بالوسائل السلمية والأساليب السياسية » وبوجوب « بذل سعى جدى فى الساعة الأخيرة لمنع ما قد يقع اذا ظلت الأمور جارية فى مجراها الاول عسى الفريقان ان يهتديا الى حل يصون كرامتهما ويوفق بين وجهتى نظرهما « (١٢٩) . وحدث ما طلبته الصحيفة فى حل يخفف حدة الازمة فى الساعة الأخيرة ، حيث اقترحت الحكومة المصرية على البرلمان حلا مؤقتا نال موافقته ،

بتقرير أرجاء النظر فى القانون الى الدورة البرلمانية القادمة ، وعلقت على هذا التطور الجديد بقولها ان الحكومة المصرية « بعدما استهدفت وزارتها لأكبر أزمة سياسية عرفت بعد الثورة المصرية ، رأت أن تثبت للناس انها لا تأبى البحث مع الحكومة البريطانية بغية الوصول الى توفيق بين وجهتى النظر ، اجتنابا للتصادم الذى بدت دلالة للعيان ، وعندنا انها أصابت فى اختيار هذا الطريق ، ووقت البلاد قلقلة عظيمة ، مهما يكن من عواقبها الأخيرة ، فان مصر فى غنى عنها الآن » وطالبت بالكف عن « التحريض والاغراء » وبدعم موقف الحكومة والبرلمان « حتى لا تحملها أهواء النفوس ونزعاتها على القذف بمسئلتها الامة ومصالح البلاد فى بحور الاخطار والمهالك ، فان الاصطدام بين مصر وانجلترا عاقبته على مصر معلومة يتقياها أبناؤها الصادقون ويكرهها أصدقاؤها المخلصون » (١٣٠) .

وهذا (التحريض والاغراء) الذى طالبت (المقطم) بالكف عنه ، كان يمارسه الأحرار الدستوريون ، المشتركون فى الائتلاف الوزارى ، « فان نجاح النحاس باشا فى الخروج من الأزمة دون أن يسحب القانون من أمام البرلمان — كما طلبت الحكومة البريطانية — ودون أن يعترف بتصريح ٢٨ فبراير ، قد أدى الى تعزيز مركزه فى عيني الراى العام ، وتوطيد أقدامه فى رياسته للوفد ، وكان معنى هذا ان راحت تفلت من الأحرار الدستوريين الفرصة لانتزاع القيادة من الوفد ، وهذا يفسر الحملة التى أخذوا يشنونها منذ ذلك الحين على النحاس ، واصفين موقفه من الأزمة بالضعف ، ومتظاهرين بالتطرف » (١٣١) .

واشارت (المقطم) لاستقالة محمد محمود وزير المالية ثم عدوله عن هذه الاستقالة ، فى الوقت الذى احتدمت فيه المعركة الصحفية بين (السياسة) صحيفة الأحرار الدستوريين ، وصحف

الوقد وعلى رأسها (البلاغ) واتخذت المواجهة بين الوفد والاحرار
الدستوريين من البرلمان ساحة أخرى بالاضافة الى الصحافة ، ثم
عاد محمد محمود ليقدّم استقالته بصفة نهائية ، لأن سحب
هذه الاستقالة « لم يكن اجراء مؤقتا يستطيع بعده هو والملك تدبير
الامور ، على نحو يسمح بسقوط الوزارة النحاسية او
اسقاطها » (١٣٢) .

أما (المقطم) فتوضح الموقف الانجليزى مما يجرى فى مصر
ردا على ما تقول انه اسئلة من القراء ، بقولها : « أما الذى نعرفه
فهو ان الحكومة البريطانية تعد كل ما وقع عندنا حتى الآن من
المسائل الداخلية البحتة التى لا تمس مصالحها ولا مصالح الاجانب
فليس لها والحالة هذه وجه للتعرض للامر بوجه من الوجوه ، او
رغبة فى التعرض له » (١٣٣) . وقد اتخذت الامة بمدا جديدة
باستقالة الوزير الوفدى أحمد محمد خشبة ، فتقول (المقطم) ،
ان الامة « الآن ترفع ابصارها الى الجالس على العرش وهى ترجو
أن يعالج هذه المشكلة بحكمته السامية وحنكته الماثورة وهى امنية
يردها الجميع الآن » (١٣٤) . وقد عالج صاحب العرش هذه الامة
بامدار « أول قرار فى التاريخ الوزارى باقالة الوزارة النحاسية
الأولى » (١٣٥) .

وأذا كانت (المقطم) قد حاولت تبرئة ساحة الانجليز من الامة
التي عصفت بوزارة النحاس ، فانه فى اليوم التالى لاقالة النحاس
باشا استرد النفوذ الانجليزى قوته ، فقد كان أول ما فعله اللورد
لويد ان فرض على الملك فؤاد ، محمد محمود باشا بدلا من صدقى
باشا (١٣٦) الذى كان قد وقع عليه اختياره لتشكيل الوزارة الجديدة ،
وبهذا الانقلاب ضد الحياة الدستورية تبدأ المعركة الدستورية
الثانية .

حكومة السيد الحديبية .

حاولت (المقطم) فى الايام الاولى لتأليف حكومة محمد محمود باشا ان تقف على الحياد بينها وبين الوفد وجهاءه ، فتدعو الوزارة الى ان يتجه همها الاول الى تبديد هذه الغيوم « التى تلبد بها جونا القومى ، والعمل على تخفيف ما فى النفوس من حرارة ، وصد هذه الريح ربح الخصومة » التى اخذت تعصف بخی البلاد « (١٣٧) . ولكنها تنتقل تدريجيا الى معسكر الوزارة واعمالها فتقدم تفسيراً لخطوة الحكومة بتأجيل انعقاد البرلمان تقول فيه لسه « جاء مطابقاً لما قيل عن رغبة الوزارة فى التوفيق بين وجهات النظر ، والسعى لتوحيد القوى لذا كان هنالك امكان وأمل بتوحيدها وهو ما لانزال نرجوه وهو بذاته دليل على احترام الدستور والنظام البرلمانى والا فان الوزارة كانت تستطيع ان تتقدم الى البرلمان ، وتطلب ثقته ، فاذا لم تفز بها — وهو ما كان منتظراً لو تقدمت فى الآونة الحاضرة — اضطرت الى اختيار احد الامرين اللذين ذكرناهما امس ، فاما ان تستقيل واما ان تلتمس من الملك حل مجلس النواب ، وهذا ما لا تريده كما يرمى من اقوال رئيسها ، فاختارت هذا الطريق الثالث لعل فيه ما يحول دون حدوث ذينك الامرين ، ولا سيما ثانيهما « (١٣٨) . وقالت ان ما ينسب للوزارة من (امور ونيات) يتعارض مع ما يؤكده اعضاؤها وانصارها ، والامر متروك للمستقبل لجلاء الموقف على حقيقته « . ولكن هذا كله لم يغن فتيلاً عند الحزب المعارض لها ، فهو لا يفتأ يشهر غايبها حرباً عواناً بكل وسيلة ، ليزيفها فى عيون الجمهور ويجعل اعمالها عقيماً ، ويحول دون مضيقها فى الطريق الذى اختارت سلوكه . وهى تعتقد ان فى سلوكها نفعاً للوطن وخدمة لاهله « (١٣٩) . وقد شهدت هذه الفترة حملات قاسية متبادلة بين النحاس باشا ورئيس الحكومة محمد محمود باشا ، فتطالب (المقطم) بوضع حد لها

بقولها : « فهل يستحيل على الذين كانوا بالأمس أخوانا وأخذنا ان يوجهوا جانباً من هذه القوى الى سعى آخر لحل العقدة القائمة بغير الحل الذى تدل الدلائل على الميل الى الأخذ به فان مصلحة مصر مصلحة عظيمة تستحق ان يبذل لها هذا الجهد » (١٤٠) .
 وكعادتها ، كلها اشتدت حدة الصراع الداخلى ، تقدم تحليلاً للموقف الانجليزى مما يجرى فى مصر ، فنقول ان « الانجليز ينتهزون كل فرصة تسنح لهم لان يجاهروا صراحة بأنهم سالكون تجاه الحائة السياسية الحاضرة مسلك المحايد ، رغبة منهم فى عدم التعرض لشئون البلاد الداخلية » (١٤١) . ولكن الوزارة عمدت الى « كسب التأييد البريطانى ، على اعتبار ان هذا التأييد سوف يؤدى الى تدعيم موقف الوزارة تجاه القصر والحزب الشعبى » (١٤٢) .

وتعلن الوزارة حل مجلسى الشيوخ والنواب وايقاف تطبيق بعض مواد الدستور ، وتؤجل الانتخاب البرلمانى لمدة ثلاث سنوات فتبدى (المقطم) اسفها لأول وهلة ، قائلة ان هذا العمل قد ترك الاسف فى النفوس ، لتوقيف العمل « بهذه الاداة من أدوات الحكم بعدما كانت ضالة الأمة المنشودة وغايتها المطلوبة ، وبعدمها سمعت وبذلت ما بذلت فى سبيلها وجاهدت لأجل الفوز بها » ، ولكن الأهم هو « وجوب العمل على تلافى هذه الحالة والسعى لازالتها بأقرب ما يستطيع » ، ولكنها تعود الى القول — فى المقال نفسه — « نعم ان ثلاثة أعوام ليست شيئاً مذكوراً فى حياة الأمم ولكنها على كل حال يجب ان تحسب حساباً فى عصر النهضة والتقدم والارتقاء ، وهذا ما نبقىه ، وهو ان تتوسل مصر بكل ما فيها من قوة لاطراد تقدمها فى سبيل الحياة النيابية والاجتماعية والاقتصادية » (١٤٣) .

وقد قوبل تعطيل الدستور بالنسخط والاستنكار فى أرجاء البلاد ، اذ هو حرمان للأمة من حقوقها التى كسبتها بعد جهاد طويل

وفيه القضاء على حرية الصحافة التي نالتها من قبل بعد نضال شاق مرير (١٤٤) .

وكان غنـب الامة شديدا على هذه الاجراءات وهذه الوزارة وقاومتها الامة بكل ما فى وسعها ، وثنت الصحافة عليها هجوما قويا (١٤٥) . ولكن (المقطم) ، مع ادراكها لخطورة ما اقدمت عليه الوزارة ، فانها تعتبره اجراء دفاعيا ضد حملات الوفد عليها ، اذ « لا يعقل أن انسانا يهاجم مخلوقا وينشب الاظنـر فى عنقه ، ثم يقتل هذا مكتوف اليدين والاغلال فى عنقه ، وقتلنا ان الوزارة لا يخطر لماتل أن تقبل الحملات بالرضا الا اذا كانت عاقبة ذلك انتفاهم ، وقتلنا فى صريح القول ان الذين يلجأون الى دعوى الاغلبية هم المسئولون عن نتائج التصلب والتعنـت ، وها قد صح كل ما قلناه ، وتمسكت الوزارة بما تراه يدفع عنها تلك الحملات المستمرة ، وما اعتقدت انها تسير به فى مصلحة الوطن ، وان ظن كثيرون أنه ضار به ، وهاهى ذى الوزارة جادة فى سيرها ثابتة فى عزيمتها ، لا تفتر لحظة عن تعزيز موقفها ، ولا يخفى ان لها انصارا يجذبون عملها ويقرونه ، كما أن لها خصوما ينقمون عليها هذه الخطة » (١٤٦) .

وهذا مؤشر واضح لتسويغ أعمال الحكومة وتحميل الوفد مسؤولية دنعها لهذه الاعمال . وقد تقدمت الصحيفة برجائها الى « الذين يقولون ان لهم الاغلبية ، أن يترثوا قليلا وان يقفوا عند هذا الحد ، وأن يترقبوا الغد وما سيفعله زملاؤهم ، فانهم وان رموهم بكل ما يرمون فهم اخوانهم بالأمس ، وموطن ثقتهم وموضع اعجابهم ، فعسى أن تصلح الأيام ما علق بنفوسهم . ونرجو من رجال الوزارة وعلى رأسهم رئيسهم أن يفسحوا صدورهم وأن يقابلوا هذه التصرفات بالحذر من الوقوع فى الضرر ، وبالحكمة

وبعد النظر ، فلا يتمكن الخصم من اغتنام الفرص ، فيقع ما لا يرضاه
المحبون في عهدهم » (١٤٧) .

ولكن الممارك الكلامية بين الوزارة وخصومها لم تتوقف
ولاسيما في الخطب العنيفة لكل من النحاس ومحمد محمود ، وقد
أبان النحاس في إحدى هذه الخطب أن رئيس الوزراء قد مسح
الدستور ، وأصبح دكتاتورا يحكم بيد من حديد ، وهو يستند في
ذلك كله الى الانجليز (١٤٨) ، وذلك بخلاف ما حاولت (المقطم)
اثباته .

واخذت حكومة محمد محمود تحاول أن تصرف الناس عن
الدستور والبرلمان بالحديث عن الإصلاح الداخلي وردم البرك
والمستنقعات وإصلاح شئون الإدارة والقضاء (١٤٩) . وأيدت
(المقطم) هذا الاتجاه بقولها ان الحكومة اذا ما « استمرت تبدي
النشاط الذي تبديه الآن وجعلت شعارها العدل في معاملة الرعية ،
وعنيت بشئون طوائف الشعب ، ووطدت أركان الأمن فان الشعب
يؤيدها لأنه يجد فيها ضالته المنشودة » (١٥٠) . وكانت تنشر ،
بصفة مستمرة ، خطب محمد محمود في الوفود التي تزوره
لتأييد حكومته ، من أقاليم البلاد المختلفة (١٥١) .

ووصفت قرار الحكومة بعدم اشتغال الطلبة بالسياسة ، بأنه
في صالح الطلاب أنفسهم . ويدل على أن الحكومة بريئة القصد في
عملها تبغى الخير للطلبة جميعا (١٥٢) . وهذا التضيق الذي
مارسته الحكومة ضد الصحافة على سبيل المثال ، إنما
إرادت به محاصرة الوفد « بضربه في الهيئات والطبقات
التي تؤيده . فقد أصدرت أوامرها الى الموظفين بعدم الاشتغال
بالسياسة .. ولضرب مكرى المدن والصحافة أعادت
الحكومة العمل بقانون المطبوعات القديم الصادر في سنة

١٨٨١ ، الذى يجيز تعطيل الصحف والقضاء اداريا ، والغيت
رخص مائة صحيفة ، وانفرت عدة صحف من صحف
المعارضة « (١٥٣) » .

ولعل تأييد (المقطم) لسياسات الحكومة وتحبيذها لها كان
امرا مزعجا للوند ، وقد أوضح احد التقارير السياسية هذه
الحقيقة وهو التقرير السياسى السرى المرفوع الى كبير الامناء
للملك ويتوقع ا . جورجيتى ، وتاريخه ١٨/٩/١٩٢٨ . وجاء
فيه « نتشرف باخبار معاليكم بأن رجال الوفد قد تأثروا تأثرا شديدا
لايقاف جريدة البلاغ اربعة شهور ، لانهم كانوا يفتونه دون
— كوكب الشرق — بالمعلومات ، ويمدونه بالمساعدة حتى يضربوا
به جريدة (المقطم) بعد الظهر « (١٥٤) » .

مفاوضات محمد محمود وهندرسن :

اشادت (المقطم) بالرغبة التى ابداهها محمد محمود ، لانتهاز
مناسبة زيارته للعاصمة البريطانية « لتوثيق عرى الصلات الودية
وهى الصلات التى ظلت قائمة بين البلدين منذ تولت الوزارة
الحاضرة مقاليد الحكم « (١٥٥) . ودعت جميع القوى السياسية
فى مصر الى شد ازر الحكومة واستغلال الفرصة السانحة الآن
لتسوية المسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا (١٥٦) .

وتحدثت (المقطم) عن الحفاوة التى يلقاها محمد محمود فى
لندن نظرا لمكانته فى « نفوس الانجليز وهو خريج جامعة من اشهر
جامعاتهم ، وله بينهم اصدقاء كثيرون ، وتقدير هؤلاء الاصصدقاء
وغيرهم من كبار الدولة البريطانية وعظماؤها لمناقبه وصدق وطنيته
وكرم محتده واعجابهم باعماله « فضلا عن انه « دل على الطريق
الذى يؤدى سلوكه الى النجاح ، وهو طريق التفاهم وحسن النية
من الجانبين « (١٥٧) » .

وأوضحت الصحيفة أن الشعب المصرى « لا يكره الانفاق مع بريطانيا بل يتوق اليه من صميم قلبه ويسعى له » . ولكن الانجليز مطالبون بادراك أن مصلحتهم « تقوم على ترضية مصر فيما يتعلق بتحقيق أمانها القومية ، فتكون ترسا لهم وصديقا مدافعا عن مصلحة امبراطوريتهم » (١٥٨) .

وكانت وزارة العمال البريطانية برئاسة ماكديونالد قد تفتت الى مقاعد الحكم فى الانتخابات البريطانية التى جرت فى أواخر مايو ، وأعلنت عن رغبتها فى حل المسألة المصرية .

وقامت (المقطم) بحملة صحفية مركزة تؤيد فيها المفاوضات التى يعترضها رئيس الوزراء ادارتها عن الجانب المصرى ، وتنتقد معارضيتها ، وذلك بتوقيع (محايد) الذى يقول أن « الغيرة على الوطن والمعاونة الصحيحة على تحقيق آماله ، إنما هى فى شد أثر هذا المناوض وظهور الأمة كلها بمعاونته ومناصرته » ولا « محل للخوف من أى اعتسار مادام مرد الأمر الى الأمة والى الأمة وحدها » (١٥٩) . ويقصد بذلك معارضة الوفد لهذه المفاوضات ، حيث « أزعجته لدرجة كبيرة فكرة تناوض الحكومة العمالية مع محمد محمود باشا وحاربها حربا شديدا » (١٦٠) . فى هذه الأثناء وقبل أن تبدأ المفاوضات اتخذت الحكومة البريطانية إجراء مهما دل على رغبتها بدفع عجلة التسوية بين مصر وبريطانيا الى الأمام ، وتمثل باقضاء اللورد لويد عن منصبه كمندوب سام لبريطانيا فى مصر . وكان سقوطه يعنى فى الوقت نفسه سقوط تلك السياسة التى ارتبطت باسمه والقاضية بالتدخل فى الشؤون المصرية . وكان معنى ذلك ببساطة أن تفتقد وزارة محمد محمود أهم دعائم استمرارها وهى دعامة تأييد دار المندوب السامى (١٦١) . وقد احتل خبر (استقالة) اللورد لويد (المانشيت) الرئيسى فى (المقطم)

وقد تمت تفسيراً قالت فيه : « ويحتمل أن وزارة العمال رأت أنه في هذه الحالة يحسن أن يكون ممثلها هنا غير اللورد لويد الذي عرفنا هنا وهناك بشدة الشكامة وتأييد سياسة خاصة لا تطابق من حيث المبدأ سياسة العمال الماثورة عنهم » (١٦٢) . وأشارت إلى أن اقوال الصحف البريطانية تؤكد عزم حكومة لندن على مسألة مصر ، وهو ما « يبعث على الرجاء أن تكون وزارة العمال عاملة على تحقيق رجاء مصر بما يريح البلدين » (١٦٣) . وأكدت على أن (اقالة) اللورد لويد « نشأت عن اعتقاد الحكومة البريطانية الحاضرة بأن بقاءه في منصبه في مصر لا يهون عليها تنفيذ سياسة العطف التي تريد اتباعها والتي تتجلى بمجالات شتى منها عدم تعرض البريطانيين لشئون مصر الداخلية وانقاص مظاهر النفوذ البريطانى باخراج القوات البريطانية من المدن الداخلية وتخفيف وطأة الامتيازات الأجنبية » (١٦٤) .

وقد وائقت الحكومة البريطانية على مشروع المعاهدة الذى توصل اليه الجانبان ، فنقول (المقطم) ، ان الكلمة الآن للامة المصرية « فيتعين عليها لذلك أن تنظر الى المشروع لا بالمنظار الحزبى ولا بالعاطفة الشخصية التى ترنع الأشخاص فوق الوطن بل بمنظار مصلحة الوطن الحاضرة ومصلحة الاجيال المستقبلية » (١٦٥) ، مشيرة إلى أن هذا المشروع هو أقصى ما تستطيع الحكومة البريطانية أن توصى البرلمان البريطانى بقبوله . كما أن محمد محمود يعتقد من جانبه انه يفضل جميع مشروعات المعاهدات التى سبقتها بين البلدين (١٦٦) .

ورحبت (المقطم) ببناء محمد محمود الى المصريين بأن يطرحوا في هذه الآونة الدقيقة نزعاتهم وميولهم الحزبية ، ويخلصوا الاتفاقية على هدى وطنيتهم المستنيرة ، وقالت ان « قضية حربية كهذه ومشروعاً عظيماً كهذا يجب أن يرفعنا عن مستوى الخصومة

الحزبية الى المرتبة الوطنية « (١٦٧) . واشادت بأهمية مشروع المعاهدة الذى دل « على ان البريطانيين جاوزوا فيه كل مشروع آخر عرضوه على مصر لمعالجة ما بين الدولتين من العلاقات الخاصة وفى هذا ما فيه من الاعتراف بحق مصر ، والايقان بوجوب مراعاته وهو وحده يدل على تبدل كبير فى الراى العام البريطانى ويؤيد نظرية حسن التفاهم ، وما لها من الفضل فى النفوس . « (١٦٨) .

وقد أجمعت المصادر المختلفة على ان تقدما ملحوظا ابرزته مقترحات محمد محمود — هندرسن ، التى « لقيت قبولا حسنا بصفة عامة من جميع الأحزاب والهيئات المصرية ذات الراى فى البلاد ، وان اختلف هذا القبول بين التأييد المطلق والتأييد المقرون . بتحفظ ، والامتناع عن مهاجمة المقترحات ، والموقف الاخير هو موقف الوفد » (١٦٩) ، الا ان الوفد وصحفه ، واصلوا حملتهم الشديدة ضد الوزارة نفسها ، ولم تحد من هجماتهم الدعوات التى اطلقها محمد محمود بعد عودته الى مصر ل طرح الماضى وخصوماته ، واعلن الوفديون رفضهم الادلاء برأيهم فى المقترحات التى توصل اليها محمد محمود (الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخابا صحيحا) .

وقالت (المقطم) انها تباحت مع بعض الوفديين حول ما يقصدونه بهذا الشعار ، من ضرورة عودة الحياة النيابية وازالة القيود « التى قيدت بها الحريات الدستورية ، لانهم يحسبون اعلان رأيهم فى هذا المشروع الخطير وهذه الحريات مقيدة ، امرا ينطوى على معنى الاكراه . وهذا مخالف فى صميمه لما يراد من عقد اتفاق صحيح لا اكراه فيه » (١٧٠) .

وهذا الاهتمام من جانب (المقطم) ، بأفكار الوفد وشعاراته جاء منسجما مع مجريات الأحداث التى واكبها ظهور وفدى قوى ،

وقسفت وزارى واضح ، فقد ذكرت الصحيفة أن الملك فؤاد نصح
بوجوب اجتماع رجال الوفد بالمندوب السامى البريطانى « ليقتفأ
كل من الفريقين على وجهة نظر الآخر توصلا الى حسن التفاهم
بينهما » . وقالت « وما بنا من حاجة الى القول أن تفاهم الوفد
مع فخامة المندوب السامى هو أمثل خطة أشار بها حكيم بعيد النظر
لإزالة كثير من متاعب الحالة السياسية . وقد تؤدي الى حل
المشكلة والتخلص من الجمود والغموض » (١٧١) .

وقد عقدت لقاءان متواليان بين النحاس باشا والمندوب
السامى البريطانى ، فتقول (المقطم) أن « من يطلع على نيات
الوفد والانجليز كما اطلعنا ، كان يعتقد أن المقابلات تؤدي الى تمام
التفاهم وتقرب سبيل الاتفاق . ولذلك أكثرنا من الحز والالاح
على هذه المقابلات حبا بانفراج الأزمة وعود حياة الصفاء الى
مجازيها » (١٧٢) .

والأزمة التى تتحدث عنها (المقطم) ، كانت تواجه وزارة
محمد محمود الذى لم « تكن ثمة قوة مناصرة له يستطيع الاعتماد
عليها فى مداومة التحدى ، فالشعب تواق الى الخلاص من حكمه
والانجليز قد اوضحوا له فى مناسبات عدة اصرارهم على أن يكون
الاتفاق مع حكومة نيابية ، أما عن الملك فؤاد فلم تكن العلاقة بينه
وبين رئيس وزرائه فى ذلك الحين على ما يرام ، ولم تكن كذلك
من قبل .. ففى خلال السنة التى تولت فيها الوزارة
— اللادستورية — الحكم ، كان محمد محمود باشا يعانى من ميول
الملك فؤاد الأوتوقراطية .. وبلغ من ضعف هذه الوزارة انها كانت
لا تستطيع شيئا حيال تشديد الوفد هجماته عليها » (١٧٣) .

وكانت نتيجة ذلك كله استقالة الوزارة ، وانتهاء الأزمة التى
خيبت على البلاد ، كما تقول (المقطم) ، وبذلك تكون الخواطر

قد أطمأنت « وحدات الأفكار واغتنط الناس بجلاء الموقف وارتاحوا الى انتهاء حالة القلق والى اتجاه سير الأمور فى الطريق القويم » (١٧٤) .

وزارة عدلى الانتقالية :

وكان مطلوبا اثناء ذلك تمهيد الجو لعودة الوفد الى السلطة ، وقد رأى المسؤولون البريطانيون فى القاهرة ان هذا التمهيد يتم بتأليف ما أسموه « وزارة انتقالية » تتوافر فيها الشروط الآتية : رئيس يحظى باحترام واسع من كافة الأطراف ، وأعضاء محايدون ، فى نفس الوقت راوا ان تشكيل مثل هذه الوزارة سيحقق أكثر من هدف : تهدئة الأعصاب وتقليل فرص الصدام بين الوفد من ناحية ومحمد محمود واتباعه من ناحية أخرى كما انه سيمكن الوفد من دراسة الموقف بمزاج هادئ مما يؤدي الى زيادة فرص قبول المقترحات البريطانية بعقد المعاهدة (١٧٥) .

وقد توافرت الصفات المطلوبة فى شخص عدلى باشا الذى شكل هذه الوزارة الانتقالية ، فتقول (المقطم) « واليوم يدعى عدلى باشا لمهمة وطنية جليلة القدر وهى إعادة الأمور الى مجاريها الاولى وتهدئة الخواطر وازالة كل ما ساور النفوس من المخاوف على الدستور والحياة النيابية وتمهيد السبيل لمشروع اتفاق نجح صاحب الدولة محمد محمود باشا نجاحا يذكر بالحمد فى كسبه فى حكومة المال البريطانية » (١٧٦) . وأشارت إلى ما تضمنه البيان الوزارى من حرص على أن تظل علاقات البلاد مع بريطانيا « على خير ما يرجى من الصفاء وحسن التفاهم » (١٧٧) .

ودعت (المقطم) فى معرض حديثها عن مشروع المعاهدة ، البرلمان القادم الى أن يضع نصب عينيه « وجوب تفسير النص

الوارد فيه عن السودان تفسيراً يؤيد حق المصريين فى الاقامة واقتناء الممتلكات والعمل والخدمة فى السودان باعتبار أنه جزء من مصر لا باعتبار أنهم غرباء عنه «(١٧٨) . وأشارت الى الوضع الحسن الذى لقيته دعوتها هذه فى البلاد ماعدا صحيفة صباحية ، قالت : ان رأى (المقطم) انما هو رأى حزب سياسى يخشى المجاهرة بحقيقة رايه ونياته ، ويلجأ الى صحف غير صحفه ، وهى تعنى بذلك (السياسة) فنقول : « نحن لا نجهل أن غرض الصحيفة من حملتها علينا الاستطراد والتخلص الى الطمن على الوفد لتوسيع الخرق بين حزبه وحزبها عوضاً عن السعى فى تهدئة الخواطر الهائجة ، وتضميد الجراح المفتحة ولكن الانصاف الذى تباهى به وتمبر جرائد الوفد على الاستخفاف به كان يقضى عليها الا تتجاهل خطتنا والا تتهمنا بأننا كتبنا ما كتبنا بوحى من الوفد . وأن نتذكر ان (المقطم) كان اول جريدة حولت انظار الامة الى حقوقها فى السودان «(١٧٩) .

وهذا الانتقال من معسكر التأييد المطلق للمعاهدة الذى وفتته (المقطم) فى عهد وزارة محمد محمود الى التركيز على وجوب تعديل بعض بنودها ، مرتبط أشد الارتباط بالتحويلات السياسية المتلاحقة التى شهدتها البلاد ، وجعلت وصول الوفد الى الحكم قاب قوسين أو أدنى .

وقد دفعت هذه التحويلات حزب الأحرار الدستوريين الذى سبق ان اعلن موافقته التامة على مشروع المعاهدة الى اعلان قراره بعدم الدخول فى الانتخابات ، مبرراً ذلك بحرصه « على سلامة مشروع المعاهدة من جميع وجوه الخطر الذى يتهدده . . حتى لا يتحمل مسؤولية النتائج التى قد تترتب على هذه التطورات

الجديدة « (١٨٠) . فتناقش الصحيفة هذا القرار بقولها ان الذى « يفهمه الناس هو ان الحرص على سلامة المشروع من الخطر يقتضى بالاولى ان يتقدم حزب الاحرار الدستوريين بكل ما فيه من قوة وما فيه من عدة الى معركة الانتخابات لينظر فيها بكل اساليب المناظرة القانونية اولئك الذين يخشون ان يكونوا مصدر خطر على المشروع » (١٨١) .

وقالت (المقطم) ان الوفد اذا استطاع تعديل المعاهدة ، وتمكن من « اقناع الحكومة البريطانية بوجهة نظره فتبيله ما يطلب » فانه « فى هذه الحالة يكون قد وقف موقفا مجيدا ورأى رأيا موقفا سديدا » . اما اذا وجدت الحكومة البريطانية نفسها غير قادرة على ذلك ، فعلى الوفد ان يميز « بين المستطاع وغير المستطاع » . ولا يعقل ان الوفد اذا رأى فى التشدد خطرا على مشروع المعاهدة او حائلا دون الاتفاق وعقد اواصر الصداقة مع بريطانيا اذا رأى ذلك يمضى فى هذه السياسة الى نهايتها ويعرض مستقبل القضية لما لا يحبه خصوصا بعدما أعلن مرارا انه شديد الرغبة فى الاتفاق « (١٨٢) . ويتضح هنا حرصها الشديد على عدم اصطدام الوفد بالموقف البريطانى .

مفاوضات النحاس — هندرسن :

وبعد ظهور النتائج الانتخابية وفوز الوفد فيها ، تشكلت الوزارة النحاسية الثانية التى استقبلتها (المقطم) بالترحيب حيث جاء « تأليفها على هذا النحو تأييدا للعرف الذى يتبع فى مصر فى تأليف الوزارات البرلمانية وتكميلا لما يقتضى به روح الدستور » . ونوهت بما ورد فى برنامجها من السعى لعقد « اتفاق شريف وطيد بين مصر وبريطانيا » ، مما سيكون له وقع حسن « فى الدوائر

البريطانية لدلالته على حقيقة رغبة مصر « (١٨٣) . وأكدت على أن النية متجهة الى قبول مشروع المعاهدة « اساسا للمفاوضة رغبة من مصر في السير في سياسة الوفاق الى اقصى حد مستطاع » (١٨٤) .

ودعت الحكومة البريطانية الى استغلال الفرصة السانحة التي « لم يسبق لها نظير بما هو مشهود اليوم في مصر من حسن الاستعداد والنية في هذا الجو الصالح لمفاوضة نهائية حاسمة تؤول الى راحة الفريقين وطمانينتهما » (١٨٥) . وتبنت على البريطانيين ان يقابلوا مصر بمثل ما تبديه « في أعمال وزيرها الأكبر ومساعديه وانصاره هنا وفي الخارج » (١٨٦) .

وهذه الحماسة التي تظهرها (المقطم) للمفاوضات بين الفريقين تنجم مع المهمة التي جاءت من اجلها وزارة النحاس التي « تألفت خصيصا لمتابعة المفاوضات التي كانت قد جرت بين محمد محمود باشا ووزير الخارجية البريطانية » (١٨٧) .

وقد أعربت (المقطم) عن ابتهاجها وتفاؤلها لمظاهر التكريم التي يلقيها أعضاء الوفد الرسمي المصري في بريطانيا . واعتبرت ذلك « مقدمة حسنة لما نتوقع أن يليها من التفاهم وما يلي التفاهم من اتفاق وتعاون بعدما أدرك الانجليز أنهم لا يستطيعون ان يحكموا مصر كما كانوا يحكمونها قبلا ، وأن العلاقات الماضية لم تعد صالحة ولا بد من ابدال علاقات أخرى بها » (١٨٨) . ونشرت خطابي افتتاح المفاوضات لكل من النحاس وهندرسن وزير الخارجية البريطانية ، وقالت ان لهم ما جاء فيها هو « الرغبة البادية من الجانبين في التفاهم والوفاق وعقد اواصر المودة وعدم الاعتداد بالفشل الماضي بل التوصل به الى اجتناب حبوط المفاوضات الحالية » (١٨٩) .

وقامت بمتابعة أخبار المفاوضات فى العاصمة البريطانية ،
وتقديم تحليلات وافية للنقاط التى يجرى التباحث حولها ، كما
وجهت الانتقادات اللاذعة (للمحافظين) الذين يعارضون مشروع
المعاهدة بين مصر وبريطانيا (١٩٠) . ولكنها أكدت على أن « الرغبة
الشديدة فى الاتفاق لاتزال تحدد الفريقين المتفاوضين مع العلم
بأنهما يعالجان أمورا فى منتهى الصعوبة وفى مقدمتها طبعا المسألة
العسكرية وخصوصا من حيث صلتها بقناة السويس ومسألة
السودان » . وقالت أن التشدد الذى يبديه الجانب المصرى يجب
« ألا يفهم منه أنه لا يقدر ما هو مشهود من حسن نية المفاوضات
البريطانى ورغبته فى الوفاق ، ولكنه يشدد لاعتقاده أن حالة مصر
صارت تقتضى بت مسألتها بتا نهائيا أو حلها حلا يقرب من هذا
البت وأن ترك أمور جوهرية معلقة كأمم السودان مثلا لا ينتج سوى
خلق مشكلات جديدة للفريقين » (١٩١) .

وأكدت (المقطم) أن (المقامات السياسية) فى البلاد تؤيد
موقف النحاس من عدم التساهل فى موضوع السودان (١٩٢) الذى
لم تستطع الحكومة البريطانية معالجته بما يتفق ورغبة مصر ،
نظرا للصعوبات الداخلية التى يثيرها المحافظون المتشددون فى
بريطانيا أمام حكومة بلادهم ، كما تقول (المقطم) (١٩٣) .

وتوقفت المفاوضات ، بكلمتين وديتين للنحاس وهندرسن ،
اعربا فيها عن أسفهما لما حدث وأكدوا أن الباب لا يزال مفتوحا
للتفاوض فى المستقبل (١٩٤) .

وفى الحق ، فإن الفريقين قد بذلا جهدا عظيما للوصول الى
اتفاق . ونعلا تمكنا من الاتفاق على مشروع كامل للمعاهدة ، ولكن
المفاوضات تحطمت على صخرة السودان ، وعلى الرغم من جهود
الوفدين لوضع صيغة مقبولة للمادة الخاصة بالسودان ، فإن
الوزارة البريطانية رفضت أن تتزحزح عن موقفها بشأنه (١٩٥) .

وهكذا فان كل ما تم احرازه خلال المفاوضات لتسوية المسائل الخاصة بمصر ، تم التخلي عنه بسبب عدم امكانية التوصل الى اتفاق بشأن السودان (١٩٦٦) .

وقد اعتبر (المقطم) التقدم الذى احرزته المفاوضات ، فيما يتعلق بمصر ، نجاحا لها ، فتقول ان هذه المفاوضات « قدمت اعترافا بريطانيا بحقوق مصر خطوات كبيرة جدا واوصلت الى حدود لا يسع سياسيا بريطانيا انى المستقبل ان يتقهقر عنها . ومتى آن اوان المفاوضة المقبلة فان المفاوضات تبدأ من حيث انتهت هذه المرة » (١٩٧) . وبعد أن طويت هذه الصفحة من العلاقات المصرية البريطانية بالنتيجة التى أسفرت عنها المفاوضات ، تقول (المقطم) ، ان خير موقف تقفه مصر انتظارا لتحول السياسة الانجليزية « هو موقف الولاء والصداقة والمحافظة على شروط السكينة والهدوء حتى يسد الباب فى وجه خصوم القضية المصرية هنا وهناك » (١٩٨) . وعقبت على بيان النحاس فى البرلمان ، عن صلات المودة والتفاهم مع بريطانيا ، برغم توقف المفاوضات ، بقولها ان تصفيق النواب لهذا البيان جاء تأكيدا « لا يقبل الممارسة بأن مصر يسرها جدا ان تكون على ولاء وصفاء مع بريطانيا » (١٩٩) .

سقوط الوزارة الدستورية :

ولكن البلاد ، تشهد أزمة سياسية بين القصر ووزارة النحاس ، بسبب عدم صدور المرسوم الملكى بالشيوخ المعينين بدلا من الذين سقطت عضويتهم فى الاقتراع الاخير ، وكذلك قاثون محاكمة الوزراء الذى اهتمت حكومة الوفد بانجازه ، فتقول (المقطم) « ان الاهتمام الذى تعلقه الدوائر الرسمية والبرلمانية على مسألة

الشيوخ المعينين ، ليس سوى جزء من الاهتمام العظيم الذى تعلقه على مسألة قانون مسئولية الوزراء ، اى ان هذا القانون هو الآن المسألة الجوهرية الاولى التى يدور عليها الخلاف فى الراى والتقدير » « والذى لا شك فيه هو ان الوزارة ثابتة فى موقفها وانها ترى ان عرض هذا القانون على البرلمان جزء جوهرى من برنامجها ، الذى رسمته فى خطاب العرش ، وأنه لا يسعها التحول عنه بحال من الاحوال ، وبما لا ريب فيه أيضا ان جميع أعضاء الهيئة الوفدية وانصار الوزارة يؤيدونها فى موقفها هذا » (٢٠٠) .

ورغم هذا التأييد الذى تحظى به الوزارة من أنصارها « فقد رأى الملك فؤاد ان اخفاق مفاوضات النحاس وهندرسن قد قدم له فرصة ذهبية للتخلص من الوزارة الوفدية يجب الا يفوتها » (٢٠١) . وهنا اتفقت ميول السراى وبرامى السياسة البريطانية ، اذ ان السياسة البريطانية فضلا عن نقيتها من الوزارة الدستورية رفضها مشروع هندرسن لم تكن تميل الى اصدار قانون لمحاكمة الوزراء الذين يعتقدون على الدستور ، لانها فى حاجة عند اللزوم الى أمثال هؤلاء الوزراء (٢٠٢) . ويرى (كيرك) ان الملك رفض المصادقة على مشروعى المرسومين ، لأنه اعتقد أن الحد من سلطات العرش يكاد يكون معناه ايجاد دكتاتورية وفدية دائمة فاعزل النحاس الحكم احتجاجا على ذلك (٢٠٣) .

وبعد هذه الاستقالة التى تقدمت بها الوزارة النحاسية ، تقول (المقطم) ، انها كانت تود « من صميم الفؤاد ان تظل الوزارة الشعبية الحاضرة فى مناصبها وان تطول مدة حكمها لكى تظهر ثمار عملها .. ولكى تيسر لها معالجة شئون البلاد وتصريف أمورها وخصوصا فى الحالة الاقتصادية الحرجة التى تجتازها » (٢٠٤) . ودعت الى حل الازمة الوزارية بما يصون مصالح البلاد ويعزز مقام

الحياة الدستورية ويجعل الوفاق شعار الحكومة المصرية (٢٠٥) .

ونكرت (المقطم) كعادتها فى مثل هذه الازمات الداخلية أن «الآراء مجمعة فى الدوائر السياسية على أن الانجليز لم يتعرضوا للآزمة الحالية برأى من الآراء لأنهم يعدونها من المسائل الداخلية التى لا يجوز للمنحوب السامى البريطانى أن يتدخل فيها مادامت مصالح الأجانب لا تدعو الى أى تدخل كان» (٢٠٦) .

ويقبل استقالة النحاس ، يقع اختيار السراى على صدقى باشا لتشكيل الوزارة التالية ليبدأ فصل جديد من المعارك الدستورية ضد حكومة صدقى باشا ، التى عصفت بالدستور والحياة الدستورية .

المواجهة بين صدقى والمعارضة :

سارعت حكومة صدقى الى اصدار مرسوم تأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر ، بل قررت منع البرلمان لتلاوة مراسيم التأجيل ، الأمر الذى لقى معارضة برلمانية وجماهيرية عنيفة ، تمكن خلالها أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب من فتح البرلمان بالقوة وكسـر السلاسل المحيطة به ودخوله لتلاوة مراسيم التأجيل ، وسمى ذلك اليوم بيوم تحطيم السلاسل ، فنقول المقطم : « اننا فى مقدمة الذين يكرهون هذه الحرب السياسية الاهلية والذين يقدرّون سوء عواقبها على البلاد » (٢٠٧) . وحاولت المقطم اتباع أسلوب النصائح التى تسديها للجميع من منطلق حيادها بين الفرقاء ، خصوصا بعد حركة المعارضة الجماهيرية التى قادها الوفد ضد حكومة صدقى ، فنقول : « ومادام الجميع فى مصر يجاهرون بحرصهم على الدستور وحجم للحياة النيابية فيجب الا يتعذر وجود حل يحقق هذه الأمانة مهما بلغ الخلاف على سواها » (٢٠٨) .

وفى مواجهة تحركات الوفد ، وزيرات أقطابية للأقاليم ،
قررت الحكومة وضـع حد لهذه الزيارات باتخاذ التدابير اللازمة
لاقرار السكينة وحماية النظام » . كما قالت فى بلاغها ، فتعرب
المقطم عن أسفها لما يحدث بقولها أن « هيئة منا تريد الدفاع عن
الدستور وحمايته من كل اعتداء وهيئة أخرى ترى أن الدستور لم
تمسسه يد وأن هناك حكومة يجب احترام أوامرها ونواهيها ، وتهم
يترامى بها الفريقان هذا فى خطبه وبياناته وذلك فى بلاغاته »
« أما من سبيل لتلافي هذه الحال واناقاذ البلاد من هذا
النزاع ؟ » (٢٠٩) .

فقد كانت الخطة التى سار عليها صدق فى الحكم خطة
بطش بخصومه ليس كبطل بطش ، عطل صحف الوفد أو طائفة
منها وقمع بالشدة المتناهية كل محاولة بذلها الوفد لمعارضته ، وكان
يزداد فى معاملة خصومه كل يوم شدة مما أدخل فى روع الناس
جميعا أنه لا سند له فى الشعب وأنه إنما يستند الى سلاح الحكم ،
سلاح الجند ، سلاح رجل البوليس (٢١٠) . وكان أشد الحوادث
ما وقع فى الاسكندرية ، اذ تطور الأمر فيها الى حالة خطيرة تقرب
من الثورة .

وقد أصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل صحف (البلاغ)
و (كوكب الشرق) و (اليوم) تعطيلاً نهائياً ، وتخويل وزير
الداخلية سلطة تعطيل كل جريدة أخرى تستتر باسمها الجرائد
المذكورة ، وذلك لئلا تنشر الصحف أخبار الحوادث التى وقعت فى
الاسكندرية وما سبف فيها من الدماء فيؤدى هذا الى ثورة عارمة
فى البلاد (٢١١) .

ولعل ذلك هو منشأ دعوة المقطم المتصلة فى هذه الفترة الى
السكينة والهدوء (٢١٢) . واهتمت الصحيفة بإيضاح عدم تدخل

الجنود البريطانيين فى أحداث الاسكندرية من قريب او من بعيد (٢١٣) . على ان حوادث الاسكندرية لم تلبث ان أدت الى نتائج خطيرة . وذلك عندما رأت فيها الحكومة البريطانية صورة صور الحرب الأهلية ، فقد أرسل المستر رمزى ماكdonald فى اليوم التالى تعليماته الى المندوب السامى ، ليلفج صدقى باشا ان حكومته تعدده مسئولا عن حماية ارواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر ، ثم كلف المندوب السامى فى الوقت نفسه بأن يلفج النحاس باشا بأنه يجب ان تحل مشاكل مصر الداخلية دون ان تتعرض ارواح الأجانب ومصالحهم للخطر . ولكن الحكومة البريطانية بتصرّفها هذا ، أتاحت الفرصة لصدقى باشا لتثبيت أقدامه فى الحكم ، فلم يكن صدقى باشا ليامل فى خير من وقوف الحكومة البريطانية موقف (الحياء الدقيق التام) ، وهو حياء غريب فى الواقع لأنه بينما تطلق الحكومة البريطانية فيه يد الحكومة اللادستورية فى قمع التحركات الشعبية ، بل تدعوها لذلك ، ولا تعترض على بقائها فى الحكم ، فانها تقف من القوى الشعبية التى تدافع عن دستورها موقف التهديد والوعيد ، ذلك ان انذار الحكومة البريطانية الى النحاس باشا المصطحب بالبوارج الانجليزية انما كان تهديدا صريحا ودعوة لهذه القوى الشعبية للخضوع بحجة تعريض حياة الأجانب للخطر (٢١٤) .

وقد ناقشت (المقطم) مضمون بلاغى الحكومة البريطانية ، الموجهين لكل من الحكومة المصرية والنحاس باشا ، فركزت على مسألة الحياء الانجليزى ازاء الاوضاع الدستورية الداخلية ، واعتبار ذلك من أمور مصر الداخلية . ولكنها اعتبرت ان ارسال البوارج الحربية لبريطانيا كل الحق فيه لقادية واجباتها فى حماية ارواح الأجانب » وان الدولة البريطانية ملزمة بأحد تحفظاتها الأربعة على تصريح ١٩٢٢ ، وأن تكلل للدول الأجنبية سلامة ارواح

رعاياعا واموالهم ، مقابل امتناع تلك الدول عن التعرض لمصر
وشئونها ، وفائدة هذه البوارج في غير الموانئ البحرية أدبية أكثر
منها مادية . ولكنها وسيلة من الوسائل التي تستعين الحكومات بها
فلا يمسح الحكومة البريطانية أن تغفلها. لئلا تقع عليها تبعة أمر طارئ
أو حادث مفاجيء فتتهم بعدم الاحتياط والتأهب له « (٢١٥) » .

دستور صدقي :

قام صدقي بالتمهيد للدستور الذي وضعه بدلا من دستور سنة
١٩٢٣ بالحديث عن تعديل قانون الانتخاب في إحدى خطبه ، فيقول
(المقطم) ان الوزير الرئيس « لا ينفي الاتساعات الثنائية عن العزم
على تعديل قانون الانتخاب ، بل يسوغ هذا التعديل اذا استقر عليه
القرار لاعتبارات محلية خاصة بنا ، ولأن تعديل القوانين أمر مألوف
في أكثر البلدان عراقة في النظم الدستورية ، ولكنه لا يقول ما يدل
على ان هذا التعديل تم . ولو أن كلامه يشير الى الاتجاه المراد » .
وقالت : ان المصريين ينقسمون بازاء تعديل قانون الانتخاب الى
فريقين « يمثلان تناقضا في الرأي وليس في البلاد من يجهل شهور
كل فريق من هذا القبيل . وأن الفريق المعارض الكبير لا يسلم بهذا
التعديل ويطلب المحافظة على الدستور والقانون بشكلهما الحاضر ،
وهو ما لا يقرهم عليه المعارضون لهم مما هو معلوم للجميع » (٢١٦) .

ولكن (المقطم) لم تذكر اين تقف من ذلك كله ، ومع أي من
الفريقين المتنازعين ، ولكنها تعقب على عريضة الهيئة الوفدية الى
الملك بدعوة البرلمان لاجتماع غير عادي للنظر فيما اعتزمته الوزارة
من تعديل قانون الانتخاب بقولها ، ان المراقب لتطور الاحداث
« يتبنى من صميم قلبه ان تخرج مصر من هذه الازمة السياسية
هزينة الجانب موفورة الكرامة ، وإن يسفر هذا الاجتهاد في آخر
الأمر عن تعاون القوى وائتلاف القلوب على توحيد العمل في الخدمة
العامة » (٢١٧) .

وقد ورد ذكر الدستور الجديد الذى تعترم حكومة صحتى إصداره فى التنويه الذى نشرته الصحيفة باعلان حزب الاحرار الدستوريين « اسفه لما تصر الحكومة على المضى فيه من اصدار دستورها الجديد ، وينكر عليها هذا التصرف ولا يستطيع تأييدها فيه بحال » ، وذلك برغم الجهود التى بذلها رئيس الحزب محمد محمود باشا لاقناع رئيس الوزارة « بخطورة الاجراء المنتظر » (٢١٨) .

وكان الدستور الجديد ، موضوع (المانشيتات) فى العدد التالى من (المقطم) التى قدمت أيضا تغطية اخبارية وافية عن انعكاسات الفاء دستور سنة ١٩٢٣ على الساحة السياسية فى مصر وخصوصا فى صفوف المعارضة الوطنية (٢١٩) .

وقد تمت (المقطم) مناقشة تفصيلية لمواد الدستور بأسلوب علمى تحليلى ليس فيه ميل الى الاسف والانعراج لهذا الانقلاب الدستورى الذى قام به صدقى ، ولكنها رأت فيها يتعلق بالصحافة بما يستحق الثناء ، فان « الدستور الجديد كفل ناحية من نولحى السلامة وحال دون التعطيل النهائى ، واحداث نظاما قضائيا تعامل به الصحف فى حالات معينة بدلا من معاملتها بأحكام الادارة ففى الحالة الجديدة متى شرع فى تنفيذ احكام الدستور الجديد شىء من الضمان غير موجود الآن » (٢٢٠) .

وشهدت صفحات (المقطم) ردود فعل الاحزاب السياسية المختلفة على اعلان هذا الدستور ، فالحزب الوطنى يعلن شديد احتجاجه « على هذا الاعتداء الصارخ على الدستور ، ويعلن أن الوزارة ليست السلطة التى تملك تعديله وتغيير احكامه » .

والنحاس باشا يعلن في حديثه (للاجيشان غازيت) الذي نقلته الصحيفة « ان الوزارة بنشرها للدستور الجديد قد اتمت جريمتها ، فقد اعتدت على حقوق الامة بمحاولة اكرائها على قبول دستور جديد لا تريده » (٢٢١) . اما الاحرار الدستوريون فقد اوقفوا تأييدهم لصدقي بعد اتخاذه خطوته بالغاء دستور الامة ، وانتقلوا الى صفوف المعارضة ومهاجمة صدقي بواسطة جريدة (السياسة) التي « كانت تهاجمه كل يوم مهاجمة بالغة غاية العنف » (٢٢٢) .

واما صدقي نفسه ، فقد نشرت (المقطم) خطابه في اعضاء وفود مديرتي الشرقية والغربية الذين ذهبوا الى ديوان الرئاسة . وازدحمت بهم ردهاته ، وظلوا يهتفون بحياة جلالة الملك والوزارة الصديقة والدستور الجديد ، غخرج اليهم دولة صدقي باشا ، فاستقبلوه بالتصفيق واليقات العالي بحياة الملك ولدولته « ، وقال فيه : « انهم يزعمون ان دستورنا هو دستور الحكومة وان الدستور القديم دستور الامة مع ان الاثنين من عمل الحكومة والشارق الوحيد ان الاول من عمل لجنة اختارتها الحكومة والثاني وضاعته الحكومة مباشرة اقتصادا في الوقت وزيادة في العناية والتدقيق ، كيف يزعمون ان الدستور القديم دستور الامة ولم تضعه جمعية وطنية ، اليس في ذلك تضليل وتغدير بالبطاء » (٢٢٣) .

وبين هؤلاء المؤيدين المصغفين ، واولئك المعارضين الفاضلين عمدت (المقطم) الى التذكير بان الخلاف ليس على الغاية وانما على الوسيلة ، وان الذين « يجلسون في مجلس الزعماء ويتولون قيادة المجموع ، مطالبون بالعناية بتطبيق الدستور تطبيقا يظهر قضايل هذا النظام للملايين التي لا تعرف عنه مستوى النذر اليسير . وان تعتاد هذه الملايين تدريجا ان تلقى في الدستور موثلا لها ويلجا » « فالجهد يجب الا يوجه كله الى وجهة وضع

الدستور مع ما لها من الشأن ، بل يجب أن يتجه جانب كبير منه الى امر التطبيق وكيفية نشر الروح الدستورية بين جميع الطبقات « (٢٢٤) .

ونشرت دراسة مطولة لأحد الكتاب بعنوان (ملاحظات على تعديل الدستور) خلص منها الى أن المنتقدين قد أسرفوا في تقديمهم وأن عذرهم « هو انتماءهم الى احزاب رأى زعمائها أن مصلحتها في ان يكونوا للنظام الحاضر خصوما ، وليس في هذا التحزب الشديد شيء من الخير » (٢٢٥) .

وهكذا ، انتقلت (المقطم) شيئا فشيئا الى معسكر الحكومة القائمة ، وصارت تردد افكارها ، مع الاحتفاظ بقدر ضئيل من الحياد .

اما الانجليز فقد آثروا كما فعلوا في تجربة الاعتدائين الدستوريين الاول والثاني ، ان يترثوا ويرقبوا الموقف ، قانعين بانصراف الجهود الحزبية وغيرها نحو مقاومة الاستبداد والدفاع عن الدستور مطمئنين الى ان هذه المعركة ستضعف حتما من قدرة الشعب على الكفاح (٢٢٦) . وكان موقفهم تحت ستار (الحياد) ينطوي على الانتقام من الامة لعدم قبول حكومتها البرلمانية مشروع المعاهدة ، فسياستهم هي اما قبول السيطرة البريطانية واما حرمان الامة حقوقها الدستورية بواسطة الوزارات الرجعية (٢٢٧) . وعلى ذلك فان الهدف من وراء وضع الدستور الجديد كان تدعيم سلطة القصر على الحياة السياسية في مصر تماما ، باختصار فانه كما كانت الوزارة الصديقة وزارة ملكية فان الدستور الذي وضعته هذه الوزارة كان بدوره دستورا ملكيا (٢٢٨) .

وقد واصلت الوزارة الصديقة تثبيت اقدامها في الحكم ، فأعلنت عن الانتخابات العامة التي سيجريها وأعلنت عن تأليف

(حزب الشعب) الذى قال عنه صدقى فى مذكراته ، انه بعد وضع الدستور و اعلان الانتخابات لقيام برلمان جديد فى ظل هذا الدستور « رأيت أن لابد للوزارة من استنادها الى اغلبيه برلمانية . وقد كنت اؤمل أن يؤيدنى حزب الاحرار الدستوريين ، كما أيدنى حزب الاتحاد نظرا لصداقتى لأعضائه » (٢٢٩) . لذلك كان لابد من انشاء حزب الشعب ، وقد شرحت (المقطم) طبيعة الاوضاع السياسية التى حتمت تاليف هذا الحزب « فقد نشأ مذهب جديد وظهرت فكرة جديدة هى هذه التى تمثلت فى تعديل الدستور وتعديل قانون الانتخابات . ولهذه الفكرة مناصرون فى البلاد وهؤلاء لابد من انشاء أداة تصل بعضهم ببعض وتجمع كلمتهم ليستطيعوا ابداء رأيهم فى امهات المسائل كهيئة ذات مصالح وشئون فى مصر ، فقد صار فيها اليوم من الفروق الجهرية ما يقضى بتاليف الجماعات والافراد من انصار هذه الفكرة فى هيئة منظمة » (٢٣٠) .

وانشأ صدقى جريدة باسم الحزب هى (جريدة الشعب) ، وعلى الرغم من النشاط المعجب الذى بذله صدقى باشا لتقوية الحزب وجريدته ، فقد بقيا رغم قوة صدقى باشا الذاتية هزيلين ، لان الناس جميعا كانوا موقنين بأن المنضمين للحزب والجريدة انما تجمعهم مصالح مادية بحتة ، اذا تداعت أركانها تداعت كل صلة بينهم (٢٣١) .

أما (المقطم) فتكتب عن « الحالة فى مصر فى نظر الانجليز » . وتقدير لندن لحكومة صدقى ، تقول : « من الانباء المهمة التى يؤكدتها الثقات ان التقارير التى وصلت أخيرا الى لندن والاحاديث التى جرت على لسان الساسة ورجال المال الذين زاروا هذه البلاد أخيرا تدل كلها على تقدير الوزارة القائمة تقديرا كبيرا . وانهم ينظرون بعين الرضا والسرور الى ما بذلته وما تبذله من الجهود ،

فى انتشار البلاد من الازمتين المالية والسياسية . ويلقون على بقائنا فى الحكم آمالا كبيرا «(٢٣٢) ، مما اثار حنق المعارضة الوطنية ، وجعل (المقطم) توضح ان هذه المعلومات مستقاة من تقارير مرسلة من القاهرة الى لندن ، وليست هى مصدرها « حتى يتناول عليها اغرار المنحيزين . اما عن جهل للحقيقة واما تجاهل لها «(٢٣٣) . وامعنت فى هذه التاكيدات بنشرها تصريحاً (لمصدر كبير) قال فيه ان « الوزارة ماضية فى تنفيذ برنامجها وانها متمتعة بثقة جلالة الملك كاملة »(٢٣٤) .

فى هذه الاثناء كان الوغديون والاحرار الدستوريون يكثفون من تحركاتهم السياسية واجتماعاتهم لمقاومة حكومة صدقى ، والفوا لجنة اتصال تنظم هذه الجهود . وحاولوا القيام بزيارات جماعية للأقاليم ، حالت الحكومة دون اتمامها ، كما حدث عندما اعادت النحاس ومحمد محمود ورفاقهما بالقوة من مديرية بنى سويف الى العاصمة وفى غمرة هذه المعركة الحزبية المحتدمة ، أجرى صدقى الانتخابات البرلمانية ، برغم نجاح المقاطعة التى قادها الوفد والاحرار الدستوريون ، فقد « كانت عمليات الانتخاب كلها من صنع الادلرة ، فهى انتخابات مزورة من اولها لآخرها ، وكانت لجان الانتخابات تثبت حضور الناخبين كذبا وزورا »(٢٣٥) .

وقد نشرت (المقطم) وقائع افتتاح البرلمان وخطاب العرش ووضحت ان التركيز على المسائل الداخلية التى احتلت جانبا كبيرا من الخطاب امر يبعث على الارتياح(٢٣٦) . ولكن تهادى صدقى فى سياسته كان باعنا على المقاومة العنيفة من جانب القوى الشعبية فتعددت فى هذه الفترة انفجارات القنابل التى كانت (المقطم) تورد اخبارها بشكل متصل ، وكانت تستهدف حياة رئيس الوزراء .

سقوط وزارة صدقى :

تابعت (المقطم) اخبار اللقاء الذى تم فى جنيف بين صدقى وجون سيمون وزير الخارجية البريطانى . وقالت ان المصريين على اختلاف احزابهم يتفقون على أسلوب التفاوض كحل لمشكلاتهم الاساسية مع بريطانيا ، برغم اختلافهم احيانا على الشخص الذى يفاوض باسمهم وعلى الموعد المناسب لاجراء المفاوضات ، ووضحت ان واجب مصر الآن توجيه كل الطاقات لحل الازمة الاقتصادية ، وان الوقت الآن غير ملائم للمفاوضات (٢٣٧) . ولم يسفر حديث صدقى وسيمون عن نتائج ملموسة ، ولم يمهّد لمفاوضات رسمية كان صدقى يشعر بالحاجة اليها لتثبيت اقدامه فى الحكم ، من هنا كانت خطورة آثار هذه المحادثات على النظام القائم فى مصر . فقد تبين بما لا يقبل الشك ان الحكومة البريطانية لا تنوى الاتفاق مع ذلك النظام ، وكان معنى هذا انه لا يمكن ان يدوم . لانه لا يسدّد الى ركيزة شعبية توفر له اسباب الاستقرار ، لهذا فلا عجب اذا أخذت عوامل التصدع تصيب النظام الجديد بعد ارجاء المحادثات بزمان يسير ، فبعد اجراء المباحثات بثلاثة أشهر ، وبسبب الضعف الذى اصاب مركز الوزارة لعزوف الانجليز عن التفاوض معها وتوقع سقوطها ان عاجلا أو آجلا ، رأى بعض اعضائها ان من الخير النجاة بانفسهم من السفينة قبل غرقها ، وكانت المناسبة قضية البدارى التى رأى على ماهر باشا وزير الحقانية الخروج فيها من الوزارة (٢٣٨) .

وتتلخص هذه القضية فى انه فى مارس سنة ١٩٣٢ قتل مأمور البدارى ، وكان السبب هو ان هذا المأمور تجاوز حدود القانون وأمر بتعذيب بعض الأفراد بوسائل اجرامية منافية للأخلاق ، فقام اثنان بقتله انتقاما لما حدث ، فحوكم المتهمان امام محكمة الجنايات

بأسيوط فقصت على أولهما بالاعدام وعلى الثانى بالأشغال الشاقة المؤبدة فرمعا طعنا فى هذا الحكم نظر أمام محكمة النقض والابرام التى يرأسها عبد العزيز فهمى باشا فأثبتت فى حكمها أن رجال البوليس اتوا من المنكرات ما وصنتها بأنها (اجرام فى اجرام) . ورأى صدقى أن استمرار التحقيق سيكشف عن حوادث لا يريد أن تظهر لأنها ستزيد من الاساءة الى سمعة الوزارة ، فحدث خلاف بينه وبين على ماهر وزير الحقانية ، الذى رأى أن هذه مناسبة جيدة للاستقالة (٢٣٩) .

وقد صمتت (المقطم) ازاء هذه الحادثة ونتائجها باستثناء معالجتها كمادة اخبارية ، ولكنها نشرت مقالات متصلة بتوتيع السعيد حبيب عضو مجلس النواب يدافع فيها عن سياسات صدقى ، ويهاجم خصومه ، وعلى رأسهم النحاس ، ويتهمهم بالسعى لاستغلال مرض رئيس الوزراء لازاحته عن الحكم (٢٤٠) .

وقد تواصلت سياسة الحكومة القمعية ، فحدثت المصادمات الدامية بين الاهالى والبوليس فى بلدة الحصانية بسبب الخلاف على واپور لطحن الغلال وضرب الارز بين صاحبه من الاعيان الوفديين والادارة ، وقد ابدت (المقطم) اسفها لهذا الحادث بسبب الارواح التى ذهبت ضحيته . ولما سيكون له من اثر سيء خارج مصر ، وحاولت أن تقف موقفا وسطا بين الاهالى والبوليس محملة مسئولية ما حدث للطرفين معا ، عاتبة على السياسة الحزبية واتحام السياسة فى الشئون العامة ، ومطالبة بالخضوع للقانون ، وداعية لتنفيذ القانون بكياسة (٢٤١) . على أن الظروف لم تلبث أن ادت الى استفحال نفوذ القصر بشكل لم يجد معه صدقى باشا أخيرا مفرا من مواجهة الأمور والصدام مع القصر ، ففى فبراير ١٩٣٣ ، وبسبب الجهد الخارق الذى بذله صدقى باشا منذ

الف وزارته ، وقع صريع مرض طويل استغرق سبعة اشهر ،
وادی به الى الانسحاب من الحياة السياسية العامة ، وهنا برز
(زكى الأبراشى باشا) يمد نفوذه فى كل مكان (٢٤٢) .

وفى نفس الوقت الذى تناولت فيه الصحف البريطانية مستقبل
الوزارة المصرية بسبب مرض المندوب السامى (برسى لورين)
ووجوده فى لندن مما جعل (المقطم) تنتقد هذه الصحف وایحاءاتها
بقرب سقوط الوزارة الصديقة (٢٤٣) . وعمدت الى التخفيف من
الضجة المثارة حول احتمالات تعديل السياسة البريطانية فى مصر ،
بعد قرار نقل (برسى لورين) من مصر وتعيين (مايلز لامبسون)
مكانه ، بقولها : « اننا لا ندري لماذا ينتظر حدوث تعديل فى
السياسة البريطانية هنا ، ولم يقل أحد بالضبط وبصراحة ما هو
هذا التعديل أو التبديل ولا غاية بريطانيا منه اذا عثت به ، ولا سيما
اذا تبين أن دولة صدقى باشا يستطيع مواصلة العمل بمثل عزمته
السابقة » (٢٤٤) . ولكن سرعان ما اتخذ هذا النقل والتميين من
جانب بريطانيا « كدليل على تغيير مزعم فى السياسة البريطانية »
وقد « رأى صدقى باشا فى تلك الظروف من الحصانة تقديم
استقالته من منصبه » (٢٤٥) . أما (المقطم) فتقول : « أن وقوع
هذه الاستقالة وحدث أزمة وزارية أخرى فى الحين الذى تعانى
البلاد فيه عواقب الازمة الاقتصادية وتواجه مشكلاتها الخاصة
ولا سيما قضية الديون العقارية ومسألة الضرائب ، ان هذا كله
غير مفض الى اراحة البلاد » (٢٤٦) .

الحیاد الانجلیزى فى طریق الانتهاء :

سقطت وزارة صدقى ، وشكلت السراى وزارة جديدة
برئاسة عبد الفتاح يحيى الذى استقال من وزارة صدقى الأخيرة مع

على ماهر بسبب حادثة البدارى « وكان تعيين عبد الفتاح يحيى رئيسا للوزارة شبيها بتعيين زيور رئيسا للوزارة فى سنة ١٩٢٤ ، ايذانا بأن الحكم أصبح خالصا للسراى » (٢٤٧) . أما (المقطم) التى أظهرت عدم رضاها عن اعتزال الوزارة الصديقية لم تبادلنى اعلان موقف محدد من وزارة عبد الفتاح يحيى ، ووقفت على الحياد ، واكتفت بتسجيل مواقف الأحزاب المختلفة من هذه الوزارة (٢٤٨) . ونشرت بيان صدقى الذى أعلن فيه استعداداه لتأييد الوزارة « متى سارت على النهج الذى رسمه الحزب للحكومة السابقة » (٢٤٩) .

ومع تصاعد الخلاف بين صدقى والوزارة تقول (المقطم) : « ان مصر عبارة من ميدان سياسى فى النضال ، وكثير الكر والفر وعقد فيه غبار النزاع الحزبى وكثير عدد المقاتلة وتعاقب النداء والتحدى ، ونزل الى الحلبة غير واحد من الذين عهدوا من قبل الى النسيئة ، فلما آن الأوان تجردوا لخوض المعركة » وأنه برغم الضعف الذى عليه هذه الوزارة « فانها بحكم الواقع الاداة التى يتعين على البلاد ان تتوصل بها لمعالجة الأزمة » (٢٥٠) . ونشرت دون تعليق من جانبها مقالة (التايمز) حول دور السراى فى الحكم على الوزارة الحالية التى هى من صنعه ، وعن الأبراشى الذى كان رئيس الوزارة الفعلى فى أثناء مرض صدقى (٢٥١) . فتصف (المقطم) ما جرى فى مصر بأنه « مواقف غريبة » (٢٥٢) .

ولكن المندوب السامى الجديد ، (مايلز لامبسون) يصل الى البلاد ، خلفا (لبرسى لورين) وكانت أول ورقة سلمت الى السير مايلز لامبسون فى ميناء بورسعيد مذكرة أعدها السير والتر سمارت السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى ، وهو الخبير فى دار المندوب السامى ، وفى هذه المذكرة يقترح سمارت على المندوب

السامى الجديد سياسة اخرى ويقول : نريد ان نكون مركز الاهتمام العام ، وان تكون اصابعنا فى كل مكان من البلاد ، واذا تغير النظام او عدل فمن المهم ان تكون لنا اتصالات مع العناصر الجديدة القادمة الى مسرح الحكم . وحتى الاتصالات بخصوصنا مرغوبة جدا . وفى تقرير الى لندن قال السير مايلز لامبسون : بدأ العام فى مصر فى جو من الترقب العام ، يملؤه الامل من جانب المعارضة والخوف من جانب السراى والحكومة . ورغم اقوال صحف لندن بعكس ذلك ، فقد ساد فى مصر الاعتقاد بأن نقل السير برسى لورين وتعيينى بشيران الى تغيير قادم فى سياسة حكومة صاحب الجلالة تجاه مصر (٢٥٢) .

وتدفع احتمالات التغيير فى السياسة البريطانية (المقطم) الى القول « ان المصريين يعرفون ما للامة البريطانية من مزايا ، وبودون من صميم الفؤاد ان تكون علاقاتهم بها علاقات ود شديد وصداقة وثيقة ، وان تتعاون البلدان على ما فيه خيرهما وصالح شعبيهما » (٢٥٤) . وترد على ما يكتبه البعض فى الصحف بدعوة المصريين الى عدم تولية وجوههم شطر دار المندوب السامى بأن ذلك انذار وتحذير لا محل لهما « لأن بين مصر وانجلترا مسألة سياسية تحتاج الى حل اجلاء الموقف السياسى وتحديد علاقة الواحدة منها بالآخرى . وهذا لا يكون بغير المفاوضة .. فلنكن معقولين .. فلعل هذه المشاورات فاتحة خير ، ولعله قدر لبريطانيا هذه المرة وعلى يد مندوبها السامى الجديد ان تدرك حقيقة علاقاتها بمصر ، فتصلح شأنها معها تبعا لادراكها لهذه الحقيقة » (٢٥٥) .

وكانت اخبار المندوب السامى وتحركاته وزياراته تحتل فى الصحيفة مكانا بارزا بعد اخبار السراى الملكية مباشرة ، ولا يبعد ان يكون هذا التبدل منسجما مع انتقال السياسة البريطانية من الحياذ الى التدخل المباشر .

ولكن مايلز لايمسون المندوب السامى البريطانى ، يغادر مصر الى لندن لتمضية اجازته ، وقد حضر نائباً عنه (مورييس بيترسون) وبعد وصول بيترسون الى مصر بدأ المرض يشتد على صاحب الجلالة . واصبحت وراثة العرش وتشكيل مجلس الوصاية هي المشكلة الكبرى التى يواجهها المندوب السامى بالنيابة (٢٥٦) . . . وقد كان الامر يقتضى طبقاً لقانون وراثة العرش ، أن يضع الملك مؤاد فى مظلوف خاص أسماء اوصياء ثلاثة لا يفيض الا بعد وفاته ، وأن يكون ذلك فى البرلمان امام أعضائه ، وقد رأت انجلترا أن يكون لها اليد العليا فى اختيار أشخاص الأوصياء على العرش المصرى ، حتى تضمن ولاء هؤلاء الأوصياء لبريطانيا واقرارهم بنفوذها فى مصر (٢٥٧) . وقد تصدى بيترسون لمعالجة هذا الامر فتقول (المقطم) : « لقد استنتج من مقالات ورسائل نشرت فى انجلترا وحوادث غير منتظرة حدثت هنا أننا مقبلون على اتجاه جديد فى سياسة البلاد الداخلية ، وبعبارة أصح ان الدولة البريطانية تبغى زيادة نصيبها من العمل أو الاشراف أو التوسط وانها تفعل ذلك مع الاحتفاظ بتصريح فبراير المعلوم ، ولكنها تتوسل الى بلوغ ما تروم بكيفية تفسير مواده » (٢٥٨) . وأشارت الى أن صحة الملك فى تحسن مطرد (٢٥٩) . وقالت : « ان الجزم بوقوع هذا الامر أو ذاك واختيار هذا الحل أو ذاك مبسر اليوم ، أى سابق لأوانه فالامور كلها لاتزال موضع نظر وتفكير وانتظار لما يأتى به المستقبل القريب بما هو فى يد العناية لا بيد البشر » (٢٦٠) أى احتمالات موت الملك وعلاقتها بمشكلة الوصاية على العرش . . . ونشرت بلاغ الأطباء الذين أعلنوا أن الملك قادر على ممارسة كافة أعماله التى تتطلبها مهام منصبه (٢٦١) .

وكان بيترسون فى أثناء اشتداد مرض الملك ، قد اجتمع برئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى الذى أشار « من تلقاء نفسه الى

الموقف الذى قد ينشأ فى حالة وفاة الملك مؤاد » . وقال : « ان ذلك قد يستلزم مسئولية مشتركة منا ، يقصد مصر وبريطانيا ، وإشار رئيس الوزراء بشكل خاص الى مشكلة مجلس الوصاية على العرش ، وأقر بجهله التام بالشخصيات التى عينها الملك ولم يخف وجهة نظره فى أنها قد تكون شخصيات غير مرغوب فيها . وإشار الى المصاعب التى تحيط بمحاولة منع البرلمان من التصديق على هذه التعيينات . ووافق على ضرورة استبعاد الأبراشى أثير السراى (٢٦٢) .

ولكن التحسن الذى طرأ على صحة الملك جعل عبد الفتاح يحيى يغير موقفه فجأة ، وفى اللقاء الأول بينه وبين بيترسون يوم ٣ أكتوبر « كان الباشا متجاوبا للغاية مع المندوب السامى ، وفى اللقاء الثانى — ٦ أكتوبر — كان الباشا عنيدا للغاية ضد المندوب السامى » . وقد « رفض بحث المطالب التى تقدم بها بيترسون . . وكان من المستحيل عليه مطلقا اقتراح تعديلات على النظام الراهن » . وقد وجد رئيس الوزراء « ان من مصلحته ان يلتصق بالملك . . وليس بالمندوب السامى المؤقت » (٢٦٣) . وكان ذلك باعنا على تازيم الموقف بشكل نهائى بين رئيس الوزراء ونائب المندوب السامى ، فتقول (المقطم) ان دار المندوب السامى طلبت اضعاف مركز الأبراشى باشا ناظر الخاصة الملكية « وتقليل سلطته واعادة الاجراءات النظامية الى نصابها » اما طلب اقالة الوزيرين (ابراهيم نهى كريم وعلى المنزلاوى) اللذين تطلب دار المندوب السامى اقالتهما « فلان نزاھتهما كوزيرين ليست فوق كل شبهة ، وهما متصلان بالأبراشى باشا بأوثق عرى الصداقة ، وأن اخفاق اسماعيل صدقى باشا فى اخراجهما من الوزارة بسبب معارضة السراى له هو الذى أدى أخيرا الى استقالته » .

وامام هذا التدخل البريطانى ، تقول (المقطم) : « انما يراد به الخير العام لمصر ولا يقصد به التعرض لشئونها الداخلية بالذات » (٢٦٤) . ونشرت تصريح رئيس الوزراء الذى يقول فيه أنه لن يتهاون فى حق من حقوق البلاد ، أن كانت هناك مثل هذه التبليغات والرغبات (٢٦٥) .

وناقشت الصحيفة ما وصفته بأصل الخلاف بين رئيس الوزراء الذى ينفى مشاورة بريطانيا وممثلها فى مصر بخصوص مرض الملك والمنذوب السامى البريطانى الذى يؤكد حدوث المشاورات ، فتقول (المقطم) أن كل «نزاع قد يدور الآن بين الحكومتين ، منشأؤه هذا الالتباس الذى يجب أن يتجه الهم الأكبر الى ازالته ورد الأمور الى نصابها من هذه الناحية الأساسية . . أما مسألة وراثه العرش فهذه لم تبرز الى الوجود الا بلسان الاشاعات . وقد نفتها (التايمز) وهو نفى فى محله فالمسألة لا يمكن أن تخطر للدولة البريطانية الآن » (٢٦٦) .

واكدت الصحيفة أن الفصل فى نقاط الخلاف ليس مستحيلا على عبد الفتاح يحيى وبيترسون « إذا اجتمعا وراجعا ما دار بينهما من احاديث بصدد الأمور التى أدت الى الموقف الحاضر فنحن امام أزمة سياسية خطيرة بين حكومتين قضت العناية أن يكون بينهما صلات وثيقة » وقد « رأينا السياسة البريطانية تعالج قبل الآن فى اقطار الأرض ما هو اعقد من مسألة اليوم وتوفق الى حلول طيبة اعتمادا على صدق التدبير وحسن النية » (٢٦٧) . لاسيما أن الخلاف الحالى « لايزال تلافيه مستطاعا اذا توسل الجانبان بالرغبة فى التفاهم وازالة الالتباس » (٢٦٨) . وقالت أن خبر استقالة وزيرى الأشغال والزراعة كان له صدى كبير فى الدوائر المحلية ، لأنه قضى على كل ابهام وغموض والقى ضوءا جديدا على حقيقة الموقف (٢٦٩) .

وخاست هذه الاستقالة ، بالإضافة الى تعيين أحمد زيور فى رئاسة الديوان الملكى اذعانا للرغبات البريطانية ، ورات (المقطم) فى ذلك تخفيفا لحدة الأزمة القائمة ، وقالت انه « لابد أن تدرك الدوائر السياسية البريطانية ولاسيما الرسمية منها مدى الجهد الذى يبذل من الجانب المصرى ، لارضاء الجانب البريطانى فيما طلب ، وتقدر هذا الجهد ، والمأمول أن تقابله بمثله وأن يكون ما حدث مبنيا على وجوب العناية بتسيير السياسة البريطانية فى مصر فى سبيل واضحة » (٢٧٠) . وقالت انه « اذا عدت الأزمة محلولة حلا وقتيا بخروج الوزيرين اللذين ائشـارت الدولة البريطانية بخروجهما . وقد استقالا ليخفنا وقع الصدمة ويحولا دون استحكام الجفاء ، فذلك يكون فى مصلحة العمل الحكومى » (٢٧١) .

وتحدثت (المقطم) عن أهمية « تعاون الجانبين على حصر غار الخلاف فى منطقة معينة » . ومن ذلك ما يقوم به زيور لدى دار المنسوب السامى للاحاطة « بكل ما يحتمل أن يطلبه الجانب الآخر . وما يقبله تمهيدا للاتفاق ليرى رايه فى امكان تلبيةه .. وهل يكون منها الاقتصار على اقالة الوزيرين .. او حل الوزارة كلها وتاليف وزارة اخرى بما يكفل تعاوننا مع السلطات البريطانية عليها يقتضيه مقام مصر السياسى من تعاون الجانبين » (٢٧٢) . وكانها بذلك تمهد للاجراء الذى عزم ببترسون على تنفيذه ، وهو الاطاحة بوزارة عبد الفتاح يحيى ، وقد تحقق له ذلك ، فتقول (المقطم) ان « استقالة الوزارة الفتاحية وقبولها فتحا الباب الى طريق جديد تسلكه مصر وبريطانيا معا ، والمطلوب هو معرفة المدى الذى قد تستر فيه هذه الرفقة بمثل التعاون المشهود الآن . فالذى يرومه المصريون هو نور يطلق على شئون الدولة والاستقرار تتصف به اعمالها مع الاحتفاظ بمودة بريطانيا وصادقتها وعونها فى الشدائد والملمات » (٢٧٣) .

إعادة دستور ١٩٢٣ وميلاد الجبهة الوطنية :

كما كانت استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى بضغط من المندوب السامى المؤقت على الملك فؤاد ، فان تأليف الوزارة النسيمية كان بالأسلوب نفسه ، وبضغط من بيترسون على فؤاد ، لأن نسيم كان رجل الساعة ، لا لون سياسيا له ، يرضى عنه الوفد ويطمئن لولائه القصر « وهو رجل لا يستطيع أن يستمر وحده ، لابد أن يعتمد على التأييد المستمر من بريطانيا » ، كما وصفه بيترسون فى مذكراته وبرقيات(٢٧٤) . وقد اشارت (المقطم) الى أن نسيم مهمته بامر الغاء دستور ١٩٢٠ « لأنه يعرف ان هذا الالفاء يرضى عاطفة خاصة فى الأمة »(٢٧٥) . وكان (كريم ثابت) المحرر (بالمقطم) يقدم متابعات سياسية متصلة فى زاوية يومية ثابتة باسم « فى الدوائر والمجالس وعلى هامش الاخبار والحوادث » لما يدور فى اوساط الوزارة المصرية ، ودار المندوب السامى والوفد المصرى ، وكان محور تحليلاته التاكيد على الانسجام التام الذى يسود علاقات كل من الوزارة والانجليز ، والوزارة والوفد ، والوزارة والسراى ، وكانت أفكاره تعكس الخط الاساسى لسياسة الصحيفة ، ومؤشرا لمواقفها مما يجرى على مسرح الأحداث الداخلية فى مصر .

واعترفت (المقطم) أن صدور الأمر الملكى بالغاء دستور سنة ١٩٢٠ ، الذى أصدره صدقى « مطلع نظام جديد وتغيير وتبديل فى أسلوب الحكم المتبع حتى اليوم ، وهو الخطوة الاولى التى تخطوها الوزارة النسيمية فى الطريق الذى عقدت العزم على سلوكه »(٢٧٦) واشارت الى المظاهرات الطلابية التى توجهت الى بيت الأمة ابتهاجا بالغاء الدستور ، ودعوة النحاس للمتظاهرين بالهدوء والعودة لدارسهم . وتحدثت (المقطم) عن الجهود التى تبذلها الوزارة

النسبية لاعادة الدستور ، فتقول انه « لولا توقع ذلك ،نها
لفقدت تأييد الاغلبية العظمى التى تؤيدها وهى الاغلبية التى يمثلها
الوفد » وأن « السكوت على ذلك ليس معناه التسليم بأن تكون
فترة الانتظار الى اجل غير مسمى » وأن موقف الوفد تجاه الوزارة
فى هذا الموضوع كان له « وقع حسن فى الدوائر الاجنبية » (٢٧٧)
أما الانجليز فانهم « لا يتعرضون لأعمال نسيم باشا بما يفهم منه
انهم يمرقونها أو يرغبون فى بث عقبات فى سبيلها ماداموا متفاهمين
مفها على السياسة الأساسية » (٢٧٨) .

وكتب كريم ثابت على لسان (كبير مسئول) عن (لامبسون)
بانه « رجل عظيم ومشبع باطيب شعور نحو هذه البلاد ، فاذا
عرفت مصر كيف تستفيد بوجوده هنا ، ومما له من نفوذ كبير فى
لندن جنت فوائد عظيمة » (٢٧٩) وأن « مخامته يبذل أقصى جهده
ليفوز بثقة الشعب المصرى بصدق نياته لان سياسته فى جميع
البلدان التى عمل فيها كانت مبنية على التقرب من الشعب والاتفاق
معه » (٢٨٠) وهو « يعمل مع الوزارة بكل صراحة واخلاص ونية
حسنة وليس له سوى رغبة واحدة وهى أن يكسب ثقة الشعب
المصرى ومودته وصادقته » (٢٨١) .

ولكن تحولا جديدا يطرا على الموقف الدستورى ، باتجاه النية
الى تأجيل عودة الدستور ، فينقل (كريم ثابت) تفسير الدوائر
السياسية البريطانية لهذا التأجيل بأنه « يخشى اذا أعيد الدستور
الآن من ان يفضى ذلك الى القضاء على فترة الراحة والسكينة
اللتين تحتاج البلاد اليهما ومن أن توجه الجهود الى الشروع فى
اعداد العدة للانتخابات القادمة ، بدلا من أن تظل متجهة الى تحقيق
الاصلاح المنشود » (٢٨٢) ، علما بأن « الوزارة النسبية شديدة
الايمان بضرورة احياء الدستور وبفوائد الحياة الدستورية » (٢٨٣) .

وقال كريم ثابت ان نسيم باشا « يسمى الآن لاقتناع دار المندوب السامي بأن أرجاء اعلان الدستور هو الذى يحول دون الاستقرار المنشود بسرعة » وأنه « ينوه فى أثناء سعيه لتحقيق امنية البلاد بجو الصفاء الذى نجحت وزارته فى خلقه بين الاغلبية والجانب البريطانى ، وأنه ليس من مصلحة هذا الجانب أن يعكرو صنفو هذا الجو مرة أخرى بعدما أصبح هناك تفاهم اساسى على أن تحيا البلاد الحياة الدستورية التى ترضاها » (٢٨٤)

وقالت (المقطم) انه لا يسمعها الا « الاعجاب بما ابداه الاغلبية من ضبط النفس ورباطة جأش بازاء ما جد من حوادث مفاجئة اخرت عودة الحياة الدستورية ، بعدما كانت قاب قوسين أو أدنى وما برهنوا عليه من حنكة سياسية وبعد نظر فى معالجة الموقف .. والمأمول أن يتدارك السير مايلز لامبسون بما عرف به من سياسة سديدة هذه الثغرة التى توشك أن تكدر صفو العلاقات بين المصريين والانجليز » (٢٨٥) .

وهكذا تبذل الصحيفة كل جهدها لتدارك الموقف . مؤكدة على ان نسيم باشا « مقتنع بأن الانجليز لا يعارضون فى اعادة الدستور كمبدأ مقرر وكسياسة مقررة بل يعارضون فى عودته الآن لاعتبارات عندهم ، والفرق بين الحالتين واضح وعظيم ، وهذا هو ما ييمث دولته على مواصلة السعى » (٢٨٦) ودعت (المقطم) بعد أن اتضحت جميع ابعاد الموقف الدستورى وبعد الجهود التى بذلها نسيم باشا وزملاؤه فى سبيل تحقيق امنية البلاد ، الى التفرغ للشئون العامة الاخرى التى هى جديرة باهتمامهم وعنايتهم والتى تهتم جمهور الشعب فى عمله ومعاشه ورفاهيته فبعد قضية الدستور تأتي طبعاً شئون الاقتصاد » (٢٨٧) .

ومعنى ذلك برأى الصحيفة أن المسألة تقف عند هذا الحد ،
مادامت ارادة بريطانيا وتخوفها من احتمالات عودة الوفد للحكم فى
ظروف الحرب الايطالية الحبشية ، قد قضت بالحيلولة دون عودة
الدستور والحياة النيابية فى الوقت الحاضر .

ولكن (المقطم) حرصت على استمرار تأييد الوفد للوزارة
بعد فشلها فى اعادة الدستور بسبب الاعتراض البريطانى . وذلك
فى الوقت الذى كانت فيه الوزارة النسيمية تتعرض لحملات بعض
الايوساط الوفدية ، وجريدة روزاليوسف اليومية الوفدية . وقد
نكرت (فاطمة اليوسف) فى ذكراتها أن الوفد كان لا يقر هذه
الحملات ، اذ كان الانجليز والقصر كلما راوا المعارضة تشتد
والمطالبة بالدستور تقوى ، يلوحون بعودة اسماعيل صدقى ، وكنا
نقابل هذا التلويح بالحملات البالغة على صدقى أيضا ، أما الوفد
فكان يرى من الخير مهادنة الوزارة واخذ الأمور باللين ، لعلها تعيد
الدستور حقا .

وهكذا أصبح لـ (روزاليوسف اليومية) بعد شهور من
ظهورها ، خصوم اقوياء لايجتمع مثلهم على جريدة فى وقت واحد ،
الوزارة تحاربها ، والقصر يحاربها ، والانجليز يحاربونها واصحاب
الصحف الأخرى يقاومونها ، والوفد الذى كانت تستند اليه يوشك
أن يتخلى عنها ، على أنه بقى لها الرأى العام كله تقريبا ، وكانت
جريدة (المقطم) تقف للأخبار والتعليقات التى تنشرها (روزاليوسف)
بالمرصاد ، فيذهب كريم ثابت كل صباح الى توفيق نسيم والى
النحاس ، ويحصل منهما على تكذيب لما تنشره (٢٨٨) . ولكن
(كريم ثابت) الذى يدرك أن تأييد النحاس للوزارة مرهون بالمسألة
الدستورية ، يدعو نسيم الى سـرعة التحرك والقيام « باقتناع
لانجليز بأن يمدوا يدهم لمقابلة اليد التى مدتها اليهم مصر » (٢٨٩)

وازاء هذا التحرج فى علاقات الطرفين ، صعدت الصحيفة من تحذيراتها لبريطانيا ، فيقول كريم ثابت ان مصر « اذا طالبت اليوم باحياء الدستور ، فاننا تطالب بحق لها اكسبته بجهادها وكفاحها ولا تطالب بمنحة . ونظن ان كل من ينظر الى الموقف بعين الانصاف يستغرب كيف يمكن للانجليز ان يحملوا طلب المصريين باحياء دستورهم على محمل انه تهديد لانجلترا ؟ » (٢٩٠) . وواصلت تحذيرها للسياسة البريطانية ودعتهم الى تلافى خطأ الاعتراض على عودة الدستور ، الذى تريده الأمة المصرية فى الوقت الذى كانت تتابع فيه أخبار المساعى المبذولة من الاحزاب المصرية للاتفاق حول سياسة موحدة تجاه التعنت البريطانى .

فى هذه الاثناء يدلى (صموئيل هور) وزير خارجية بريطانيا بتصريح يقول فيه بعدم صلاحية دستور ١٩٢٣ لمصر ، فتنتقل ثورة طلابية عارمة فى مصر ، ردا على هذا التصريح ، ويطلب الوفد من الوزارة (أن تعتزل الحكم) فتقول (المقطم) : « وما البرهان على ان دستور ١٩٢٣ هذا غير صالح ، ومن هو الذى يحكم مى صلاحه او عدم صلاحه ، مادام التبليغ البريطانى فى سنة ١٩٢٢ جعل هذا الأمر من شأن سلطان مصر وشعبه ، من غير قيد ولا شرط ، فما هو هذا القيد الجديد الذى يراد اطلاقه على التبليغ ؟ » (٢٩١) .

وقامت الصحيفة بمتابعة أخبار المظاهرات الطلابية والمصادمات مع البوليس ، وسقوط العديد من الجرحى فى صفوف المتظاهرين . وقد اضافت مناسبة الاحتفال بعيد الجهاد ما ساعد على زيادة اشتعال الحاسة الوطنية فى صفوف الجماهير (٢٩٢) .

مقد كان لهذا التصريح اثر شديد فى النفوس ، اذ كان اعترافا صريحا بالتدخل البريطانى فى شأن الدستور وتمسك الحكومة

البريطانية بهذا التدخل ، فآثار احتجاج الأمة على اختلاف هيئاتها وطبقاتها ، كما أثار السخط على الوزارة (٢٩٣) .

وكتبت (المقطم) معربة عن أسئها لما حدث ، ومسجلة عتابها للساسة البريطانيين قائلة : « ترى أهذا الذى شهده الملا فى مصر فى هذه الأيام هو عين ما شاعت بريطانيا أن يكون أم أنه ما سعى له وزيرها السير صموئيل هور ؟ » اننا « نعرب عن أسف جميع انصار الوفاق والوئام . . على حبوط المسعى وضياح الامل والعودة الى جفاء وتطاحن سـيكون لها بالطبع وقعها فى مصر وفى انجلترا » (٢٩٤) . ودعت بريطانيا الى تعديل موقفها وخططها ، وقالت انه لا يضير وزير خارجية بريطانيا ولا هبة دولته ان يعدل ما قال ويقف الموقف الذى يقتضيه الانصاف ، وتساءلت : « مهل يحق لنا أن نتوقع تصريحا بريطانيا آخر ، يعدل التصريح الاخير ويضع الأمور فى نصابها بعدما أطلق عليها نور الحقائق والوقائع ؟ » (٢٩٥) .

فالمسألة تتركز فى الثقة المتبادلة بين البلدين « فاذا ضاعت الثقة او وهنت تعذر التوفيق وتعددت المشكلات وتجددت المتاعب » (٢٩٦) . وحدثها دعت اليه (المقطم) من تصريح جديد للسير صموئيل هور ، اشادت بأسلوبه وبعباراته الرقيقة فيما يتعلق بشدة عطف بريطانيا على مصر ، وأسفه على ما احاط بتصريحه السابق من ردود فعل ، وذكرت أن الدوائر الرسمية المصرية اعتبرت هذا التصريح الجديد خطوة الى الامام (٢٩٧) . . ولكن الجماهير الطلابية فى مصر لم ترمى التصريح الجديد ما يساعد على تحقيق الأمنية القومية بعودة الدستور ، فتخرج المظاهرات وتقع المصادمات العنيفة مع البوليس ، فتقول (المقطم) : ان الحل

« الوحيد الباقي هو احياء الدستورالذى ارتضته البلاد والذي وافق
جلالة الملك على اعدته » (٢٩٨) .

وقد دفعت الحائنة السياسية فى البلاد عددا من القيادات
الطلابية الى توحيد الفصائل التى تنتمى اليها ، تمهيدا لتوحيد
الاحزاب المصرية . وبعد أن تم لهم ذلك طافوا بالزعماء يدعونهم
الى الاتحاد . فقد أوجد ذلك « جوا جديدا امام الاحزاب ، وعرف
الزعماء أنهم لن يستطيعوا أن يقفوا الآن امام اجماع الطلاب أو
يعارضوا دعوتهم الى الوحدة ، وقد اتضح لهم أن الطلاب قد
استقلوا عن قيادتهم ، ورفعوا انفسهم الى مستوى فوق الاحزاب
وهم الآن الذين يقودون الحركة الوطنية ويوجهون الدعوة الى
الزعماء ويرشدونهم الى الطريق الصحيح » (٢٩٩) .

وكانت نتيجة هذه المساعى الطلابية ، ميلاد الجبهة الوطنية
نتقول (المقطم) ان « اتحاد الجهود فى مصر على كل ما فيه مصلحة
!بلاد العامة ، قوة عظيمة لا يقدر قدرها ، وفعلها ليس استنادا الى
الخيال بل اعتمادا على الواقع الذى وقع عندنا غير مرة ، بعدما
نهضت مصر نهضتها الاخيرة » (٣٠٠) فوحدة الصفوف هذه « ما برحت
فى مقدمة أمانى الأمة وخير سلاح تتوسل به لقضاء الوطر وتحقيق
الغاية العظمى » « وامام هذا النور لا نعتقد أن الحكومة البريطانية
تعتمد الى التردد فى قبول ما هو مطلوب من الجانب المصرى » (٣٠١) .
ولم تتردد بريطانيا لانها لم تكن متطوعة لتحقيق مطالب مصر أو
حريصة على الحكم الدستورى ، كانت بريطانيا مواجهة بثورة
شاملة مادامت الاحزاب قد اتحدت (٣٠٢) ، فعدلت عن المعارضة
فى عودة الدستور ، وصدر الأمر الملكى بذلك ، فكان « نصرا

مؤزرا للأمة توج ما بذلت من جهود منذ صدر دستور صمدقى
بأشأ «(٣٠٣) . واعتبرت (المقطم) هذا الانتصار محصلة « لسحر
الاتحاد وفعل التعاون » ، مما جعل الشعب « فى غبطة وحبور
بهذا المنظر المفرح الذى بدت مصر به ، وهذا التوفيق الذى
أصابته «(٣٠٤) . وقد ترتب على استقرار الهيئة الدستورية فى
مصر السعى لتحديد العلاقات المصرية البريطانية فى إطار جديد ،
وهو ما رسمته معاهدة ١٩٣٦ .

* * *

هوامش الفصل الأول

- (١) محمد زكى عبد القادر ، مخنة الدستور ، ص ٦١ .
- (٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ٢٠٣ .
- (٣) المارشال ويل ، اللبى فى مصر ، ص ١٢٦ .
- (٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ - ١٩٣٦ ، ص ٤٦٦ .
- (٥) يونان لبيب ، الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار ١٩٢٤ ، الهلال .
- (٦) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٧) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٨) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٥٦٩ .
- (١٠) المقطم ٣٠ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (١١) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
- (١٢) قاسم الجوارى ، السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية ١٩٢٠ - ١٩٥٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية آداب القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٧١ .
- (١٣) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
- (١٤) المقطم ٣٠ نوفمبر ١٩٢٤ .
- (١٥) يونان لبيب ، الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار ١٩٢٤ .
- (١٦) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٢٤ .

- (١٧) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٢٤ .
- (١٨) المقطم ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ .
- (١٩) المقطم ٢٥ ديسمبر ١٩٢٤ .
- (٢٠) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .
- Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11. Op. Cit., P. 11. (٢١)
- (٢٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٥٧٣ .
- (٢٣) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، ص ٤٣٩ .
- (٢٤) المقطم ١ يناير ١٩٢٥ .
- (٢٥) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٣٩ .
- (٢٦) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٨٤ .
- (٢٧) المقطم ٤ يناير ١٩٢٥ .
- (٢٨) المقطم ٧ فبراير ١٩٢٥ .
- (٢٩) المقطم ١١ مارس ١٩٢٥ .
- (٣٠) السياسة ٢١ و ٢٢ يناير ١٩٢٥ .
- (٣١) المقطم ١٤ مارس ١٩٢٥ .
- (٣٢) المقطم ١٥ مارس ١٩٢٥ .
- (٣٣) المقطم ٢٥ مارس ١٩٢٥ .
- (٣٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٥٨٠ ، ٥٨١ .
- (٣٥) محمد زكي عبد القادر ، مجلة الدستور ، ص ٦٥ .
- (٣٦) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٨ .
- (٣٧) المقطم ٢٦ مارس ١٩٢٥ .
- (٣٨) المقطم ٢٩ مارس ١٩٢٥ .
- (٣٩) المقطم ٣١ مارس ١٩٢٥ .
- (٤٠) المقطم ١٠ أبريل ١٩٢٥ .
- (٤١) المقطم ١٠ أبريل ١٩٢٥ .
- (٤١) المقطم ١٤ أبريل ١٩٢٥ .
- (٤٢) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .
- (٤٣) المقطم ١٢ يوليو ١٩٢٥ — مقالات الشيخ محمد شاکر .
- (٤٤) المقطم ١٠ سبتمبر ١٩٢٥ .
- (٤٥) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٢٥ .

- (٤٦) المقطم ١٣ سبتمبر ١٩٢٥ .
- (٤٧) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ،
- ٢٢٩ .
- (٤٨) السياسة ١٠ — ٢٣ سبتمبر ١٩٢٥ .
- (٤٩) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٢٥ .
- (٥٠) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
- (٥١) المقطم ٢٢ أكتوبر ١٩٢٥ — (زينب أحمد محمد — السيدة زينب) .
- (٥٢) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٩٢٥ .
- (٥٣) محمد زكي عبد القادر ، مجلة الدستور ، ص ٦٦ .
- (٥٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ .
- (٥٥) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٥ .
- Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11, Op. Cit., (٥٦)
P. 146.
- (٥٧) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٥ .
- (٥٨) المقطم ٢٥ نوفمبر ١٩٢٥ .
- (٥٩) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٥ .
- (٦٠) عبد الخالق لاشين ، سعد زقلول ، ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ .
- (٦١) المقطم ٢١ — ٢٨ يناير ١٩٢٦ .
- (٦٢) المقطم ٣٠ يناير ١٩٢٦ .
- (٦٣) المقطم ٣١ يناير ١٩٢٦ .
- (٦٤) المقطم ٧ فبراير ١٩٢٦ .
- (٦٥) المقطم ١٠ فبراير ١٩٢٦ .
- (٦٦) المقطم ١١ فبراير ١٩٢٦ .
- (٦٧) المقطم ١٦ فبراير ١٩٢٦ .
- (٦٨) المقطم ١٧ فبراير ١٩٢٦ .
- (٦٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦٠٥ .
- (٧٠) المقطم ٢٠ فبراير ١٩٢٦ .
- (٧١) المقطم ٢١ فبراير ١٩٢٦ .
- (٧٢) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٢٦ .

Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11. Op, (٧٣)
Cit., PP. 155 — 156.

(٧٤) عبد العظم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦٠٧ .

(٧٥) المقطم ٢٥ مايو ١٩٢٦ .

(٧٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦١١ ، ٦١٢ .

(٧٧) المقطم ١ يونيو ١٩٢٦ .

Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11, Op, (٧٨)
Cit., P. 165.

(٧٨) المقطم ٤ يونيو ١٩٢٦ .

(٧٩) المقطم ٤ يونيو ١٩٢٦ .

(٨٠) المقطم ٦ يونيو ١٩٢٦ .

(٨١) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٨٢ .

(٨٢) المقطم ١٣ يونيو ١٩٢٦ .

(٨٣) المقطم ٦ يوليو ١٩٢٦ .

(٨٤) أوضح الدكتور يونان لبيب رزق في كتابه تاريخ الوزارات المصرية (ص ٣٠٤ ، ٣٠٥) أن تقريراً أرسله اللورد لويد الى حكومته عن ملايسات الأزمة والأسباب الحقيقية لاستقالة وزارة عدلى وتمثل في احتجائه على الموقف الوعدى المتصلب المتمثل بمحاولة تمرير القوانين الخاصة بالجيش في البرلمان سواء وافقت عليها الحكومة البريطانية أو لم توافق .

(٨٥) المقطم ٢٣ ابريل ١٩٢٧ .

(٨٦) المقطم ٣١ مايو ١٩٢٧ .

(٨٧) المقطم ١ يونيو ١٩٢٧ .

(٨٨) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٨٩) المقطم ٣ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٠) المقطم ٨ يونيو ١٩٢٧ .

(٩١) المقطم ١٥ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٢) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٣) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٩٤) عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى في السياسة ، ص ٢٤١ .

(٩٥) المقطم ١٨ يونيو ١٩٢٧ .

- (٩٦) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٧ .
- (٩٧) ٣ يوليو ١٩٢٧ .
- (٩٨) المقطم ٨ يونيو ١٩٢٧ .
- (٩٩) المقطم ٦ أغسطس ١٩٢٧ .
- (١٠٠) المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧ .
- (١٠١) المقطم ٢٨ أغسطس ١٩٢٧ .
- (١٠٢) المقطم ٧ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٣) المقطم ٨ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٤) المقطم ٩ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٥) المقطم ١٤ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٦) المقطم ١٦ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٧) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٨) المقطم ٢٨ سبتمبر ١٩٢٧ .
- (١٠٩) المقطم ١ أكتوبر ١٩٢٧ .
- (١١٠) المقطم ٤ أكتوبر ١٩٢٧ .
- (١١١) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٢٧ .
- (١١٢) المقطم ١ نوفمبر ١٩٢٧ .
- (١١٣) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٢٧ .
- (١١٤) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ .
- (١١٥) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ .
- (١١٦) المقطم ٢١ ديسمبر ١٩٢٧ .
- (١١٧) المقطم ٢٢ ديسمبر ١٩٢٧ .
- (١١٨) المقطم ٢٩ فبراير ١٩٢٨ .
- (١١٩) المقطم ١ مارس ١٩٢٨ .
- (١٢٠) المقطم ٣ مارس ١٩٢٨ .

(١٢١) محمد شليق غريال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ،

ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(١٢٢) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، مكتبة

النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٠ ، ٢١ .

• (١٢٣) المقطم ٦ مارس ١٩٢٨ .

• (١٢٤) المقطم ٧ و ١٠ مارس ١٩٢٨ .

- (١٢٥) المقطم ١٣ مارس ١٩٢٨ .
- (١٢٦) المقطم ٣ ابريل ١٩٢٨ .
- (١٢٧) المقطم ١٧ ابريل ١٩٢٨ .
- (١٢٨) المقطم ٢٨ ابريل ١٩٢٨ .
- (١٢٩) المقطم ١ مايو ١٩٢٨ .
- (١٣٠) المقطم ٢ مايو ١٩٢٨ .
- (١٣١) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦٧٤ .
- (١٣٢) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٦ .
- (١٣٣) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٨ .
- (١٣٤) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٢٨ .
- (١٣٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٧ .
- (١٣٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦٨٣ .
- (١٣٧) المقطم ٢٩ يونيو ١٩٢٨ .
- (١٣٨) المقطم ٣٠ يونيو ١٩٢٨ .
- (١٣٩) المقطم ٣ يوليو ١٩٢٨ .
- (١٤٠) المقطم ٨ يوليو ١٩٢٨ .
- (١٤١) المقطم ١٥ يوليو ١٩٢٨ .
- (١٤٢) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٢٥ .
- (١٤٣) المقطم ٢١ يوليو ١٩٢٨ .
- (١٤٤) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ٥٣ .
- (١٤٥) ضياء الدين الرئيس ، الدستور والاستقلال والثورة الوطنية ١٩٢٥ ، ج ١ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١ .
- (١٤٦) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٢٨ .
- (١٤٧) المقطم ٢ أغسطس ١٩٢٨ .
- (١٤٨) المقطم ٤ أغسطس ١٩٢٨ .
- (١٤٩) محمد زكي عبد القادر ، حنة الدستور ، ص ٧٥ .
- (١٥٠) المقطم ٧ أغسطس ١٩٢٨ .
- (١٥١) المقطم ١١ - ١٢ أغسطس ١٩٢٨ .
- (١٥٢) المقطم ٢٨ سبتمبر ١٩٢٨ .
- (١٠٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦٨٨ .

- (١٥٤) جبال سليم ، البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ - ١٩٥٢ ، القاهرة
 للثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٦٦ .
- (١٥٥) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٢٩ .
- (١٥٦) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٩ .
- (١٥٧) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٢٩ .
- (١٥٨) المقطم ١٤ يوليو ١٩٢٩ .
- (١٥٩) المقطم ١٦ يوليو ١٩٢٩ .
- (١٦٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٠٢ .
- (١٦١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٣٢ .
- (١٦٢) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٢٩ .
- (١٦٣) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٢٩ .
- (١٦٤) المقطم ٢٨ يوليو ١٩٢٩ .
- (١٦٥) المقطم ٤ أغسطس ١٩٢٩ .
- (١٦٦) المقطم ٦ أغسطس ١٩٢٩ .
- (١٦٧) المقطم ٧ أغسطس ١٩٢٩ .
- (١٦٨) المقطم ٨ أغسطس ١٩٢٩ .
- (١٦٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٠٩ .
- (١٧٠) المقطم ١٤ سبتمبر ١٩٢٩ .
- (١٧١) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٢٩ .
- (١٧٢) المقطم ٢ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٧٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ .
- (١٧٤) المقطم ٤ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٧٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٣٨ .
- (١٧٦) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٧٧) المقطم ٦ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٧٨) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٧٩) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٨٠) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٨١) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٨٢) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٩ .
- (١٨٣) المقطم ٣ يناير ١٩٣٠ .

- (١٨٤) المقطم ٧ يناير ١٩٣٠ :
- (١٨٥) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٣٠ .
- (١٨٦) المقطم ٥ مارس ١٩٣٠ .
- (١٨٧) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات : مصرية ، ص ٣٤٢ .
- (١٨٨) المقطم ٣٠ مارس ١٩٣٠ .
- (١٨٩) المقطم ٢ أبريل ١٩٣٠ .
- (١٩٠) المقطم ١٢ أبريل ١٩٣٠ .
- (١٩١) المقطم ١٥ أبريل ١٩٣٠ .
- (١٩٢) المقطم ٦ مايو ١٩٣٠ .
- (١٩٣) المقطم ٧ مايو ١٩٣٠ .
- (١٩٤) المقطم ٩ مايو ١٩٣٠ .
- (١٩٥) محمد شفيق غريال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ص ٢٢٤ .
- R.I.I.A., Great Britain and Egypt, London, 1952, (١٩٦)
- P. 28.
- (١٩٧) المقطم ١٠ مايو ١٩٣٠ .
- (١٩٨) المقطم ١٥ مايو ١٩٣٠ .
- (١٩٩) المقطم ١٧ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠٠) المقطم ١٨ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٤٦ .
- (٢٠٢) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .
- (٢٠٣) جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ترجمة عمر الاسكندري ، سلسلة الآف كتاب (١١٤) ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٥٧ ،
- ص ٢٦٤ .
- (٢٠٤) المقطم ١٨ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠٥) المقطم ١٩ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠٦) المقطم ٢٠ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠٧) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠٨) المقطم ٢٨ يونيو ١٩٣٠ .
- (٢٠٩) المقطم ٤ يوليو ١٩٣٠ .

(٢١٠) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص

٣٢٢ - ٢٢٤ .

(٢١١) ضياء الدين الرئيس ، الدستور والاستقلال ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢١٢) المقطم ١١ يوليو ١٩٣٠ .

(٢١٣) المقطم ١٧ يوليو ١٩٣٠ .

(٢١٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٧٣٦ .

(٢١٥) المقطم ١٩ يوليو ١٩٣٠ .

(٢١٦) المقطم ١٣ سبتمبر ١٩٣٠ .

(٢١٧) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٣٠ .

(٢١٨) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢١٩) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٢٠) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٢١) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٢٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

(٢٢٣) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٢٤) المقطم ٢٨ أكتوبر ١٩٣٠ .

(٢٢٥) المقطم ١ نوفمبر ١٩٣٠ - عبد الحليم الببلي .

(٢٢٦) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٨٠ .

(٢٢٧) عبد الرحمن الراغبي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٢٢٨) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٥٩ .

(٢٢٩) اسماعيل صدقي ، مذكرات ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٤٥ .

(٢٣٠) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٣٠ .

(٢٣١) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .

(٢٣٢) المقطم ٢٤ فبراير ١٩٣١ .

(٢٣٣) المقطم ٢٥ فبراير ١٩٣١ .

(٢٣٤) المقطم ٢٤ مارس ١٩٣١ .

(٢٣٥) ضياء الدين الرئيس ، الدستور والاستقلال ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٢٣٦) المقطم ٢٣ يونيو ١٩٣١ .

(٢٣٧) المقطم ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ .

(٢٣٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٧٦٢ .

(٢٣٩) ضياء الدين الرئيس ، الدستور والاستقلال ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

- (٢٤٠) المقطم ٧ فبراير ١٩٣٣ .
- (٢٤١) المقطم ١٥ فبراير ١٩٣٣ .
- (٢٤٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٧٦٢ .
- (٢٤٣) المقطم ٢٣ مايو ١٩٣٣ .
- (٢٤٤) المقطم ٢٢ أغسطس ١٩٣٣ .
- (٢٤٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٧٦٢ ،
- ٧٦٣
- (٢٤٦) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣ .
- (٢٤٧) محمد زكى عبد القادر ، مجلة الدستور ، ص ٨٢ .
- (٢٤٨) المقطم ٢٩ سبتمبر ١٩٣٣ .
- (٢٤٩) المقطم ٣٠ سبتمبر ١٩٣٣ .
- (٢٥٠) المقطم ٣ أكتوبر ١٩٣٣ .
- (٢٥١) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٣٣ .
- (٢٥٢) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٣٣ .
- (٢٥٣) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ٦ يوليو ١٩٧٩ .
- (٢٥٤) المقطم ١٠ يناير ١٩٣٤ .
- (٢٥٥) المقطم ٨ أبريل ١٩٣٤ .
- (٢٥٦) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ٩ يوليو ١٩٧٩ .
- (٢٥٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٧٦٦ ،
- ٧٦٧
- (٢٥٨) المقطم ٨ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٥٩) المقطم ١٠ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٠) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦١) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٢) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ١٠ يوليو ١٩٧٩ .
- (٢٦٣) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ١١ يوليو ١٩٧٩ .

- (٢٦٤) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٥) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٦) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٧) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٨) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٦٩) المقطم ٣٠ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٧٠) المقطم ٣١ أكتوبر ١٩٣٤ .
- (٢٧١) المقطم ١ نوفمبر ١٩٣٤ .
- (٢٧٢) المقطم ٣ نوفمبر ١٩٣٤ .
- (٢٧٣) المقطم ٦ نوفمبر ١٩٣٤ .
- (٢٧٤) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ١٧ يوليو ١٩٧٩ .
- (٢٧٥) المقطم ٢١ نوفمبر ١٩٣٤ .
- (٢٧٦) المقطم ١ ديسمبر ١٩٣٤ .
- (٢٧٧) المقطم ١٦ فبراير ١٩٣٥ — كريم ثابت .
- (٢٧٨) المقطم ٢٠ فبراير ١٩٣٥ — كريم ثابت .
- (٢٧٩) المقطم ٧ مارس ١٩٣٥ — كريم ثابت .
- (٢٨٠) المقطم ١٢ أبريل ١٩٣٥ .
- (٢٨١) المقطم ٢٠ أبريل ١٩٣٥ .
- (٢٨٢) المقطم ٥ مايو ١٩٣٥ .
- (٢٨٣) المقطم ٧ مايو ١٩٣٥ .
- (٢٨٤) المقطم ٩ مايو ١٩٣٥ .
- (٢٨٥) المقطم ٤ يونيو ١٩٣٥ .
- (٢٨٦) المقطم ٧ يونيو ١٩٣٥ .
- (٢٨٧) المقطم ٢٩ يونيو ١٩٣٥ .
- (٢٨٨) غاطية اليوسف ، ذكريات ، مؤسسة روزاليوسف ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٥ .

- (٢٨٩) المقطم ١ أكتوبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٠) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٣٥ .
- (٢٩١) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٢) المقطم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٣) عبد الرحمن الرافعي ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .
- (٢٩٤) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٥) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٦) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٧) المقطم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٨) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٢٩٩) ضياء الدين الرئيس ، الدستور والاستقلال ، ج ٢ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٦٢ .
- (٣٠٠) المقطم ١٠ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٣٠١) المقطم ١١ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٣٠٢) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ، ٢٣ يوليو ١٩٧٩ .
- (٣٠٣) محمد حسين هيكل ، مفكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .
- (٣٠٤) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٣٥ .

الفصل الثانى

المقطن ومعاودة سنة ١٩٣٦

التمهيد للمعاهدة :

انتقلت (المقطم) بعد هذه السلسلة الطويلة الحلقات من المشكلات الدستورية والحزبية الداخلية ، وبعد أن تحقق للشعب المصرى هدفه فى إعادة دستور ١٩٢٣ ، الى الحديث عن موضوع المعاهدة ، واقترحت أن تكون المفاوضات « ولو التمهيدية منها » فى القاهرة ، لكى يكون المفاوضات المصرى على اتصال بالرأى العام ، ولكى يحيط الجانب البريطانى بمشينة شعب مصر عن قرب ، فضلا عن أهمية استيفاء جميع المعلومات واستشارة المختصين (١) . ودعت الساسة البريطانيين الى التعجيل بالمفاوضة والى عدم اتخاذ الازمات السياسية الدولية أو الداخلية فى بريطانيا ذريعة « لارجاء مفاوضة مصر وبريطانية » (٢) . وقالت ان بإمكان الوزارة النسيمية أن تجرى المباحثات التمهيدية باسم الجبهة الوطنية قبل أن تبدأ المفاوضات الرسمية التى ستجرى بعد الانتخابات البرلمانية ، لاسيما أن هذه الوزارة « قد برهنت على حسن نيتها وجليل مقاصدها بسعيها الى إعادة الدستور . . فمن الاعتراف بالجميل الا يطلب منها الآن أن تخلق مكانها لوزارة أخرى من أجل المحادثات التمهيدية » (٣) . وكانت الفكرة السائدة فى تعليقات (المقطم) ، حول القضية الوطنية ، فى هذه الآونة ، هى الحث على عقد المعاهدة وإجراء المفاوضات ، ودعوة بريطانيا لعدم التردد

فى هذا المجال مادامت مصر متفقة بلسان الجبهة الوطنية على الهدف ذاته .

وتحدثت (المقطم) عن مقابلة جرت بين النحاس باشا ولايبسون « تمت فى جو مشبع بروح الصداقة وأن حديث المندوب السامى كان وديا الى أقصى درجة » . أما تلفراف (المستر ايدن) فقد تضمن ردا مبدئيا على كتاب الجبهة الوطنية ، قال فيه انه يعطف على الامانى الوطنية المصرية وان « هذه الامانى ستكون محل عنايته واهتمامه » (٤) مما « يدل على ميل جلى الى معالجة المسألة هذه المرة بعد الذى بدا من اتفاق المصريين واتحاد أحزابهم على طلب شىء معين فان الدولة البريطانية لا تجهل ما فى هذا الاتحاد من قوة » . ودعت (المستر ايدن) « وهو الوزير الذى يصنه قومه بالحنكة وصدق النظر أن يتوسل بالصراحة والسرعة ويواصل خلق هذا الجو من حسن النية والثقة لشدة لزومه عند معالجة الموضوع » (٥) .

وخاطبت (المقطم) البريطانيين قائلة : « ان الحالة الحاضرة ملائمة جدا لمواجهة الموضوع خلافا لما رآه السير صموئيل هور وسواه فالجانب المصرى مجمع على أمور معينة وعلى الرغبة فى الاتفاق وعلى الاعتراف بمشكلات بريطانيا وحاجاتها وهذه أمور لم تتوانر كلها فيها مضى من المفاوضات » (٦) وربطت بين رسوخ الاتحاد فى مصر وامكان الاتفاق مع بريطانيا ، قائلة ، ان « فى مقدمة شروط النجاح هنا أن تظل مصر معتصمة باتحاد القصد والجهود وتعاون الأحزاب على بلوغ المراد فان السياسة البريطانيين يرقبون سير الحالة عندنا من هذه الناحية بشىء كثير من الاهتمام .. فاذا أريد أن تستمر هذه الزيادة فى ميل الدولة البريطانية الى الاتفاق تعين على مصر أن تحافظ على ركنى موقفها وهما الاتحاد

الذى رحبت به الامة وعقدت عليه آمالها والاتفاق على مطالبة
بريطانيا بأمر معين صريح وهو المطلوب الآن أى مشروع معاهدة
١٩٣٠ « (٧) .

وخاطبت (المقطم) اقطاب بريطانيا بقولها : انه لا يصح
« ان يقال ان عناصر الاتفاق والاتحاد غير مستوفاة بين المصريين
وان ليس فى مصر من ينطق بلسان الامة ويعبر عن رغباتها ، فقد
وجدت هيئة تمثل جميع المصريين وتعرب اعرابا تاما عن رغباتهم
فيما تروم بريطانيا معرفته « (٨) . وتقصدها الجبهة الوطنية .
ونوهت الصحيفة بالمساعي المبذولة لجعل القاهرة مكان المحادثات
القادمة وهو ما يتفق مع رأى الصحيفة « ليكون المباحث أو المفاوضات
المصرى متصلا بجو بلاده وروح قومه ومصادر المعلومات التى تلزم
فى مهمة خطيرة كهذه المهمة « (٩) . وأشارت الى الرد البريطانى
على كتاب الجبهة الوطنية المرسل الى الحكومة البريطانية ، وقد
تضمن موافقة بريطانيا على المفاوضات (١٠) .

وتحدثت (المقطم) فى اخبارها وتحليلاتها السياسية عن
الموقف السياسى الدقيق الذى نشأ عن تقديم نسيم استقالة وزارته
وقالت وهى تربط بين الموقف الداخلى والسعى نحو التفاوض مع
بريطانيا « ان مصر لما رأت هذا الميل الشديد من الجانب البريطانى
الى تعجيل المفاوضات عملت على تسهيل هذه المهمة فأسرعت
الوزارة الى عرض استقالتها على جلالة الملك . . ومعنى هذا كله
جلى لا يخفى وهو ان مصر تروم من جانبها أن تهىء جميع أسباب
النجاح لتحقيق ما طلبت الجبهة الوطنية ، والنزول على رغبة الدولة
البريطانية فى اعداد معدات المفاوضات بأسرع ما يستطاع ، ونرى
ضمن نطاق ما يستطاع عمليا « (١١) .

وتابعت تطورات الازمة الوزارية والمشاورات الجارية لتطويقها وايجاد المخرج المناسب لها ، واكدت على انها سوف تحل كسابقاتها من الازمات الوزارية فى مصر « فلما أن تؤلف وزارة ائتلافية او وزارة محايدة ولكن الذى يهم حقيقة هو ما يحدث بعد هذا التاليف » (١٢) ، أى تقرير العلاقات مع بريطانيا . وقد بذل (على ماهر) رئيس الديوان الملكى وقتئذ جهده طوال الأسبوع الذى تلا استقالة الوزارة لاقتناع زعماء الوفد بقبول فكرة الوزارة الائتلافية لتتولى المفاوضة ، ولكن الوفد اجتمع وقرر عدم الموافقة على تاليف وزارة ائتلافية ، وأخيرا انتهى هذا الأسبوع القلق المضطرب ، وأعلن تاليف الوزارة الجديدة فى ٤ يناير ١٩٣٦ برئاسة على ماهر باشا مؤلفة من أعضاء محايدين لا ينتمون الى الأحزاب ، وعرف أنه ستؤلف الى جانبها هيئة قومية للمفاوضات برئاسة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد ، وأن هذه الوزارة المحايدة هى التى ستشرف على اجراء الانتخابات قريبا (١٣) .

وتقول (المقطم) ، ان بريطانيا قد دعت مصر « الى ان تقابلها فى المفاوضة كرجل واحد له كلمة واحدة ، وهامى ذى تلبي دعوة بريطانيا وتواجهها برأى واحد واتجاه واحد ، وتفتح على مصراعيه الباب الذى اشارت بريطانيا لولوجه ، فلم يبق لبريطانيا ما تعذر به اليوم ، ففى البلاد وزارة حائزة لثقة الملك ورضا الشعب .. وسيمثل مصر وفد رسمى يشتق عن قرار الملك والحكومة ، ويمثلها ويمثل البلاد تمثيلا لا ريب فيه » (١٤) . وقالت ان الفريق المصرى لا يطالب باستقلال بلاده الذى اعترفت بريطانيا به عام ١٩٢٢ ، بل يطالب « باستيفاء اسبابه ومظاهره ووسائله ، مع تسليمه بأن لبريطانيا مصالح يحرص هو عليها مادامت لا تنقض هذا الاستقلال ولا توهنه » (١٥) . ودعت الى توفير الضمانات من الجانبين الى انتاج الحادثات ، بل « يجب ان يكون موضوع

المخادعات التمهيدية دائرا على توفير هذه الضمانات « (١٦) . وقالت ، ان المفاوضات وان كانت امتحانا لحنكة مصر السياسية فان مسئولية الجانب البريطانى فى هذا الامتحان اكبر » لانه اقوى الجانبين واكبرهما واعرقهما فى العمل السياسى الدولى ، وله خبرة عظيمة بالاستعمار وصلات الدول بعضها ببعض « (١٧) . ووضحت ان « مصر كلها تميل الى الاتفاق مع بريطانيا ، وترجو ان تكفل المساعى الحاضرة بنجاح تام ، وهذا رجاء يردده الجميع من جلالة الملك الى رجل الشارع ، والذى نرجوه هو ان تظل هذه الحقيقة نصب عيون البريطانيين ، ولاسيما ساستهم وصحافيهم فى خلال المفاوضات ، وبعد انتهائها ، مهما تكن النتيجة التى تسفر عنها » (١٨) .

بدء المفاوضات :

بدأت المفاوضات بين الوفدين المصرى والبريطانى ، فى (قصر الزعفران) بمصر فى يوم ٢ مارس سنة ١٩٣٦ ، الذى قالت (المقطم) انه سيكون « يوما مذكورا فى تاريخ مصر السياسى مهما تكن النتيجة التى تسفر عنها المفاوضات التى تبدأ فيه أى سواء افضت الى اتفاق الدولتين على مشروع المعاهدة او انتهت بظهور الحاجة الى ارجاء هذه الخطوة الى زمان تعدائه اكثر ملاءمة لهذا القرض » (١٩) . ونشرت خطابى النحاس ولايسسون فى الجلسة الافتتاحية للمفاوضات . واشادت بهما لكونهما معبرين عن « رغبة الامة المصرية ورغبة الدولة البريطانية » . ودعت رجال الصحافة من « الزملاء البريطانيين ان يبذلوا جهودهم من جانبهم فى المساعدة على ادراك الغاية التى ينشدها الناطق باسم مصر والمتكلم باسم بريطانيا » (٢٠) .

وحاولت (المقطم) التاكيد على أن الانجليز لا يفرضون منى اجراء الانتخابات البرلمانية فى موعدها المحدد يوم ٢ مايو « ومن كان منى شك من هذا القول فليسألهم ، ولا يعقل أن امة دستورية تباهى بانها أم البرلمانات تعتمد فى حال حيوط المفاوضة الى التعرض للحياة البرلمانية » (٢١) ، فائنا لم « نسمع حتى الساعة أن الانجليز ابدوا ما يدل على عدم استحسان استئناف الحياة البرلمانية ، ولا ينتظر أن يبدوا رأيا فى هذا الموضوع بعد اختبارهم الجلى القريب العهد » (٢٢) . ووضحت ، ردا على تساؤل الذين يريدون معرفة السياسة الانجليزية فى مصر ، أن الذى « يهم الانجليز الآن هو تأمين طرق امبراطوريتهم والدفاع عن مصالحهم العظيمة فى منطقة البحر المتوسط ، اما نظام الحكم الداخلى فى مصر فمقامه ثانوى فى عيونهم . وقد جربوا تجارب شتى اقنعتهم بأن الاغراط فى القمع لهذه الشئون الداخلية ليس من سداد الراى . والواقفون على حقائق الأمور والحوادث ، يعلمون أن جانباً مما يظن أنه يصنع هنا بايحاء وزارة الخارجية البريطانية او بأمرها انما يصدر فى الحقيقة عن موظفين محليين ومن دون علم تلك الوزارة او تأييدها » (٢٣) . ودابت (المقطم) فى اثناء المفاوضات على مناقشة النقاط التى يثيرها المفاوضون ، وكذلك ما تنشره الصحف البريطانية حول الموضوعات التى يتركز عليها اهتمام الفريقين ، مع محاولة اعطاء قوة دفع مستمرة للمفاوضين الذين يعلنون رغبتهم « فى مواصلة العمل وبذل الجهد فى القياس التفاهم والانفاق » (٢٤) .

وفاة الملك فؤاد وبداية عهد فاروق :

وصفت (المقطم) اهتمام البلاد بمرض الملك فؤاد ، بأنه مظهر قومى عظيم « رفع من قدر مصر وشعبها فى عيون العالم كله ومع انه مظهر صامت ففيه البلاغة وفيه ما يحرك أوتار القلوب ويوثق ما بين الامة والعرش » (٢٥) . ثم يتوفى الملك ، فتظهر الصحيفة

مخاطبة باطار أسود ، والمانشيت الرئيسى فيها عن « خسارة مصر العظيمة بوفاة ملكها العظيم » . ونعته تحت عنوان « حداد مصر والشرق على فؤاد مصر العظيم » (٢٦) . وتابعت مظاهر الحداد على الملك الراحل الذى « يعود الى قصره ليغادره الى الأبد » (٢٧) .

وأعربت (المقطم) عن سعادتها بكلمة فاروق ، الملك الذى خلف أباه الراحل فى سدة العرش المرسله الى رئيس الوزراء ، ويقول فيها انه سيت رسم خطى والده لتتبوا بلاده العظيمة المكن الذى هى اهل له ، فان الملك قال « هذا القول الكريم وسنسمع جوابه الصادر من أعماق قلوب هذا الشعب فتردد انحاء وادى النيل صدى الترحيب به والدعاء له بأن يطيل الله عمره ويده بالحكمة والقوة ويحقق أمله بشعبه كما يحقق امل شعبه ، وأن يكون شعاره نهضة مصر التى تريد ان تجدد شبابها وتتخذ ملكها عنوانا لهذه الرغبة » (٢٨) .

وبدأت مسيرة (كريم ثابت) فى مديح الملك ، بمناسبة عودته الى البلاد قادما من لندن حيث كان يتلقى علومه فيها ، فيكتب عن « عناية الملك فؤاد فى تربية ملكنا الشاب ، والحياة البسيطة التى نشأ فيها ولى العهد ، الملك فاروق ، وأسأتذنه ماذا يروون عنه ، والاهتمام بتربيته البدنية ، وعطفه على الفقراء » (٢٩) ، وكذلك سرعة خاطره ، واعتزازه ببصريته ، كما رحبت (المقطم) بفاروق بمقالة افتتاحية تحت عنوان « اهلا وسهلا بالقادى الكريم الى وطنه وقومه وبيته » (٣٠) .

وقالت « ان اعظم ما يبعث الناس على التفاؤل خيرا بعصر الحكم الجديد انه يستهل باعادة نظام الحكم البرلمانى على قاعدة انتخاب حر ومقترنا بائتلاف ارواح الزعماء والأقطاب » (٣١) . وكان الوفد قد حقق الفوز بالأغلبية فى الانتخابات الاخيرة ، وقالت

(المقطم) أنه ليس فى أجواء السياسة البريطانية ما يدل على موقف متحفظ بازاء الوفد ، فقد « كان الانجليز فيها مضى يعززون الى الوفد التطرف وسواه من الأمور التى كانوا يتوسلون بها لمقاومته ، أما اليوم فالظاهر ان هذه الفكرة توارت أو زالت » (٣٢) .

وقد تألف مجلس الوصاية من الامير محمد على وشريف صبرى باشا وعزيز عزت باشا ، وتقدمت وزارة على ماهر باستقالتها الى مجلس الوصاية ، وتم تشكيل وزارة النحاس الجديدة ، وتحدثت (المقطم) عن الابتهاج العام فى البلاد لتأليفها ، وأشارت لما تضمنه برنامجها الوزارى من السعى لاتمام الاتفاق بين مصر وبريطانيا بما يحقق الاستقلال ، واشادت بما ورد فى كتاب رئيسها الى مجلس الوصاية ، حيث « أحسن الاحسان كله بتقديمه بالذكر قضية التفاهم مع بريطانيا على سواها من القضايا الداخلية فانها علاوة على ما لها من الاهمية من حيث ان النجاح فيها وسيلة محققة لاستيفاء استقلال مصر وتحقيقه فان التنويه بها بهذه الكيفية سيكون له وقع حسن جدا فى الدوائر البريطانية الرسمية وغير الرسمية لما فيه من دلالة على حسن النية فى الجانب المصرى » (٣٣) .

وكتب كريم ثابت عن النحاس الانسان ، تقواه وأمانته وطموحه وشوقه الى العلم (٣٤) وعن قوة خلقه ونزاهة القاضى فيه وكيف كان سعد باشا يسميه « سيد الناس » (٣٥) . ونشرت (المقطم) وقائع افتتاح البرلمان ، وقالت ان العمل البرلمانى يبدأ هذه المرة وامام البلاد مهمة تحديد علاقاتها بالامبراطورية البريطانية لما « يكفل لمصر الجمع بين تحقيق امانيتها القومية والانتفاع بتعاون هى مدعوة اليه » (٣٦) .

استئناف المفاوضات :

وعادت الصحيفة لمناقشة الموضوعات المثارة فى المفاوضات ، ومنها المسائل الدفاعية ، فتقول : « ان كل اتفاق يجب أن يكون لمصلحة الفريقين فالدفاع المنشود ليس عن مصر وحدها ولكنه فى المقام الاول عن مصالح الامبراطورية البريطانية فى موقع مصر الجغرافى » (٣٧) . وقد سافر المندوب السامى الى لندن لاستشارة حكومته ، فقالت (المقطم) : « ان الابصار متجهة اليوم الى لندن لان القاهرة اخرجت ماعندها واعربت عن رايها بتمام الوضوح والصراحة » (٣٨) . ودعت اقطاب بريطانيا الى « عدم اتحام عناصر جديدة فى المفاوضات والابتعاد عن المساومة » (٣٩) . واعربت عن تفاؤلها لاستئناف المناوصات بعد عودة لامبسون (٤٠) . وحضت جعل ميناء الاسكندرية مستعدا لاستقبال الاسطول البريطانى فى أى وقت بدلا من جعله قاعدة بحرية دائمة لبريطانيا (٤١) . وقالت ان « من حسن الحظ ان جميع الدلائل تدل على ان الاتجاه ما برح الى الوفاق وان هذه الرغبة ما فتئت اهم ما يدفع الجانبين فى طريق العمل المشترك » (٤٢) . فقد « حانت الفرصة وحسنت الظروف واتيح من اسباب النجاح ما لم يتح حتى اليوم وما قد لا يتاح فى زمان آخر باعتراف الصحف الانجليزية المعتدلة » (٤٣) ، فان الجو الدولى الذى احاط بالمفاوضات كان يدفع الطرفين جميعا الى الحرص على النجاح ، فقد كانت انجلترا تقدر ان طمانينتها الى سلامة جيوشها فى مصر ، لا تكون تامة اذا بقيت روح الشعب المصرى عداوية لبريطانيا . وقد كانت مصر تقدر انها معرضة ، بحكم مركزها الجغرافى ، لتشارك من قريب او من بعيد فى كل نزاع مسلح بين دول أوروبا (٤٤) .

وناقشت (المقطم) موضوع ربط المعاهدة بفترة زمنية محددة ،
فقال ان دوام العقد فى طول المدة المعنية لا يتوقف على المادة
المختصة بذلك فى صلب العقد بل على ما يجنيه المتعاقدان من منافع
تنشأ من تعاقدتهما وتحالفهما (٤٥) ، « فالرابطة الكبرى التى تكفل
للمعاهدة الاستمرار هى ائتلاف المصالح وشعور كل من الجانبين
بالنفع الذى يجنيه من معونة الجانب الآخر وتواصل الثقة فى
النفوس » (٤٦) . واشادت برسالة أحمد عبود باشا المعروف
« بصداقته لبريطانيا وكثرة علاقاته بالبريطانيين » الى (التايمز)
يحذر فيها المسؤولين الانجليز من فشل المحادثات (٤٧) .

وتحدثت (المقطم) عن مشكلة السودان باعتبارها من
الموضوعات الاساسية فى المفاوضات ، فقالت انها مسألة دقيقة
« ولكنها ليست بالضرورة عويصة ولاسيما اذا وجهت من الجانب
البريطانى بغير الروح الذى قبولت به فى سنة ١٩١٠ » (٤٨) ،
فمصر « لا ترى فى السودان مستعمرة ، وتأبى ان تعد السودان
مغلوبا فى الحرب بل تبغى ان توثق صلتها به باعتبار انه قطر شقيق
او توأم » (٤٩) . واشادت بالفريقين المتفاوضين « على ما أبدى من
براعة وسداد رأى ورغبة فى الاتفاق القائم على التعاون » (٥٠) ،
وخصصت عددا من مقالاتها الافتتاحية لمناقشة موضوع الامتيازات
الأجنبية مبينة ان هذه العقدة يجب ان تحل بالالفاء التدريجى لما
يستتبعه من تعديل فى النظام القضائى فى مصر (٥١) .

وقد اختتمت المرحلة التمهيدية للمفاوضات فى الاسكندرية
وسافر الوفد الرسمى المصرى الى لندن لتوقيع المعاهدة ، فتقول
(المقطم) ، ان وفد مصر « يحرر اليوم مؤيدا من الامة كلها » ولا
« يسع منصف الا ان يعترف بان ما تم الاتفاق عليه خطوة كبيرة
بل خطوات فى الطريق الذى صممت مصر على سلوكه » . واشادت

بلامبسون « بما أبدى من صراحة وصدق عزيمته وبراعة في اقتناع دولته بصحة ما ذهب اليه من صدق العاطفة وبعد النظر ورغبة صحيحة في اكتساب قلب مصر و صداقتها » (٥٢) . وهذا الوفد « الذي يوشك أن يصل بسلامة الله الى عاصمة بريطانيا العظمى يختلف عن جميع الوفود التي سبقته في أنه أول وفد يمثل الأمة المصرية كلها .. وهذه صفة تكسبه مقاما خاصا في نظر الحكومة البريطانية » (٥٣) .

وقالت (المقطم) ، ان هذه المعاهدة جاءت « امتحانا لعبقرية مصر الناهضة ، كما ان فيها دليلا على فعل اتحاد الكلمة في خدمة قضية الوطن » (٥٤) .

وقد احتلت اخبار توقيع المعاهدة في لندن (مانشستات) الصحيفة (٥٥) التي تحدثت عن « فرح الشعب وسروره بعقد المعاهدة المصرية الانجليزية » . وقالت « ان حفلة الامضاء أمس كانت المرحلة الختامية في هذا الجهد الذي ما برح يبذل في خلال ستة عشر عاما لوضع علاقات مصر وبريطانيا على قواعد يرضى عنها الفريقان أو السواد الأعظم من كل منهما » (٥٦) .

وفي الواقع ، فان هذه المعاهدة لم يكن ممكنا التوصل لبرامجها في ظل الموقف الدولي المضطرب ، لو لم تتضح لكل من مصر وبريطانيا الاهمية القصوى لمواجهة الصعوبات التي تعترضها ، وخصوصا أخطار الحرب المحتملة التي دفعت الطرفين للتغلب على العقبات التي وقفت في طريق المعاهدة (٥٧) .

تقسيم المعاهدة :

حظيت المعاهدة بمناقشة مستفيضة على صفحات (المقطم) ، لكل ما اشتملت عليه من موضوعات بالاضافة الى تأثيراتها المستقبلية

على مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر ، وقسمت موضوعات المعاهدة الى قسمين أو ركنين (الركن العسكرى والركن المدنى) . وقالت ان الركن العسكرى هو « الذى علقته عليه الحكومة البريطانية اشد اهتمامها وجعلته الشرط الأول والأكبر للبحث والحديث والمعاهدة ، وهو الذى سيشتد فيه الخلاف بين المناظرين والمفسرين فى مدى ما يفرض على مصر به ، وما له من تأثير فى سيادتها وكيانها كدولة مستقلة وما يكفل لها من سلامة والواقع ان الفصل فى هذه الأمور لا يتاح الا بالامتحان ، وهو ما نسأل الله الا يقع وان يبعد شبح الحرب » اما الركن المدنى « فهو ما تفرضه المعاهدة الجديدة بعد ابرامها فى البرلمانين من اعباء وتبعات ما برحت مصر تبتغيها وتتبرم لحرمانها منها » موضحة ان « ادراك المراد بالمعاهدة أى تسيير مصر فى طريق الفلاح بسرعة تفوق السرعة الحاضرة بتذليل العقبات وازالة الصعوبات يتوقف على مدى الحرص على الدستور بأصح معانيه وتطبيق روحه على اعمال الدولة ومقتضيات الاصلاح وحرص الحكومة » (٥٨) .

وأكدت على ان زيادة التبعات التى تفرضها على الحكومة المصرية « تقضى بتعزيز الحياة الدستورية وتأييد نظام الحكم البرلمانى حتى تحسن البلاد الاضطلاع بهذه الالتزامات الجديدة سواء كانت فى الشئون العسكرية أو فى الشئون المدنية مما يترتب على نزع الامتيازات الاجنبية وتسليم زمام السيادة فى البلاد لاصحابه طبقا لما هو مرعى فى سائر البلاد المتقدمة » (٥٩) .

أما فى مناقشتها لموضوع (المعاهدة والسودان) فقد اوضحت ان المعاهدة قد نصت « فى الباب الخاص بالسودان على ما نظن ان فيه جمعا لحقوق مصر وما يجب ان يكون حقوقا

للسودان فيها يدخل فى نطاق التوظيف وفتحت باب الهجرة المصرية الى السودان وهذه الهجرة اذا وقعت فى المستقبل القريب أو البعيد ستكون مصدر ربح لمصر والسودان مما «(٦٠)» .

وفى توضيحها لما يترتب على المعاهدة من نتائج ، كانت (المقطم) مؤيدة بشكل صريح واضح للمعاهدة وكل ما اشتملت عليه من بنود ، ولم يبد منها كلمة انتقاد واحدة ، علما بأنها كانت تشير أحيانا لوجود من يعترضون على بعض نصوص المعاهدة ، فقد أجرت حديثا مع (الأمير عمر طوسون) قال فيه « ان هذه المعاهدة لا تخلو مما ينتقد ولا يمكن أن تخلو من ذلك خصوصا فى النقط العسكرية ومسألة السودان «(٦١)» .

وقد انتقد الرانعى بعنف هذه النقط العسكرية ، وقال ان الجانب المصرى قد قبل فى سنة ١٩٣٦ ، بالنسبة للشرط العسكرية وأبدية المحالفة نصوصا أسوأ مما ارتضاه الطرفان فى مشروع سنة ١٩٣٠ ، هذا الى جانب ما بذله من المغالطة والتمويه فى الترويج لها ، وتضليل الشعب فى شأنها ، اذ قال عنها النحاس انها وثيقة الشرف والاستقلال ، فى حين أن لا شرف فيها ولا استقلال(٦٢) .

أما الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى فيقول ان هذه المعاهدة كانت وليدة اصطناع القوة اذ أن انجلترا ، بسبب وجود قواتها العسكرية فى الشرق الأوسط ، كانت قادرة على الاستمرار فى احتلال مصر والسودان رغم انف المصريين ، وعلى أن تدافع عن مصر سواء اشتركت مصر فى هذا الدفاع أم لم تشترك ، وكانت انجلترا على يقين من أن باستطاعتها أن تقوم

بذلك ، وكان المصريون يعلمون ذلك ويدركون حقيقة الموقف الدولي
فى شرقى البحر المتوسط ، ولهذا تنازلوا عن نصف
مطالب مصر فى سبيل الحصول على النصف الآخر (٦٣) .

وكان التنازل ممثلا بصفة اساسية فى الناحية العسكرية ،
وقد اعرب محمود سليمان غنام قطب الوفد ، عن امله ، فى ذلك
الوقت ، بأن بريطانيا لا « تقلب قواتها المرابطة بجوار قناة السويس
الى غير الغرض الذى من اجله اتفق على وضعها هناك ، او
ان تأخذ من وجودها ووجود التحالف ذريعة للتدخل بأى نوع كان
من أنواع التدخل فى شئون البلاد الداخلية او الخارجية » (٦٤) .

ولكن ابرز المكاسب التى تحققت فى المعاهدة بالنسبة لمصر
تمثلت فى إلغاء الامتيازات الأجنبية . وكانت الامتيازات أحد
الاسباب الأساسية وراء حرص المصريين على التوصل لعقد
المعاهدة مع بريطانيا ، فقد أدركوا انه بدون مساعدة الانجليز ، فان
الإلغاء الفورى لهذه الامتيازات ، يعتبر أمرا غير ممكن (٦٥) .

وقد أصبحت مصر ، بمقتضى أحكام المعاهدة ، وحدها صاحبة
الشأن فى مخاطبة الدول والاتفاق معها فى كل ما يتعلق بمسألة
الامتيازات (٦٦) .

وتقول (المقطم) ، انه « مهما يقل عما ينويه بعض المشغفلين
بالسياسة عندنا وفى انجلترا من معارضة المعاهدة عندما تعرض
على برلمان مصر وبرلمان بريطانيا لابطاها فيهما فالمحقق أن المعاهدة
ستبرم وأن هذه المعارضة لا تحول دون الإبرام » (٦٧) ،
وقالت : « ولقد سمعنا بعض المتكلمين يعترض على المعاهدة بحجة
أنها منحت بريطانيا كل ما تشتهى لقضاء وطرها بالتعيين والتخصيص
أما ما ترومه مصر فلم يكن هذا نصيبه ولا يزال فى عالم المستقبل

والانتظار ، وهذه مبالغة لا تخفى ، فان المعاهدة نصت نصا صريحا على ما تخلت بريطانيا عنه ، وهى التى ما برحت مصر تطالب به ، فبعد ابرام المعاهدة لا يحق للدولة البريطانية أن تتعرض لباب من شئون مصر الداخلية ، وفى جميع الأبواب وفى جميع الاشكال ، ولا يجوز لحكومة مصرية أن تسمح بتدخل من هذا القبيل « (٦٨) » .

ووصفت يوم استقبال الشعب المصرى للوفد الرسمى الذى شارك بتوقيع المعاهدة ، بأنه « يوم سعيد من أيام مصر المشهودة تخرج فيه البلاد كما كانت تخرج فى عهد سعد العظيم للقاء نفر من أبنائها والترحيب بهم . . وتضفر لهم أكاليل من الحمد والثناء وتتلو عليهم قصائد من المدح والتهنئة . . ولطالما تاقمت مصر الى يوم كهذا يأتيا فيها بنوها من لندن ، حاملين ما يرون أنه جدير بنهضتها ومطابق لرغبتها ومحقق لآمالها » (٦٩) . وقالت بمناسبة قرب انعقاد البرلمان للنظر فى المعاهدة ان « الكيفية التى تكمل بها المعاهدة والاسلوب الذى تطبق به أهم فى الواقع مما قد يظن أنه نقص فى نصوص المعاهدة خصوصا فى الجزء العسكرى منها ، وهو الجزء الذى لا يستطيع الجزم فى امره بالضبط قبل التطبيق لاعتبارات شتى » (٧٠) .

واشادت عند بدء المناقشة ، بأهمية الجهد الذى بذله المفاوضون المصريون « لنيل أقصى ما يستطيع » . وتوقعت ابرام المعاهدة بكثرة كبيرة تدل على حقيقة الاتجاه الحقيقى فى البلاد (٧١) . ونوهت بعدم النظر الى المعاهدة بمنظار حزبى ، واعتبرت ذلك ظاهرة « جذيرة بالارتياح لأنها متممة للروح الذى أوحى بتأليف الجبهة الوطنية » (٧٢) .

وتحدثت عن قرار الحكومة المصرية باستقبال (لامبسون) لدى عودته من لندن استقبالا رسميا بقولها ان الغرض من استقباله

بهذه الكيفية الاعراب له ولقومه عما تكنه مصر لشخصه من المودة والاعتراف بالفضل فى خدمة قضية السلام والوفاق وما تضمر للدولة والامة التى يمثلها والتى ستكون بعد أيام حليفة لمصر (٧٣) . ونشرت تفاصيل هذا الاستقبال . وقالت ان المصريين استقبلوا (لامبسون) كصديق ، خبروا صداقته وشهدوا آيات هذه الصداقة ، وما اتصفت به من جهود صحيحة لتكون صداقة منتجة تجاوز حدود المجاملات والكلام الطيب الى الفعل (٧٤) .

وأشارت الى بيان وزير الخارجية عن المعاهدة وتأكيده على دورها فى تعزيز مركز مصر الدولى « ومن وجهته القانونية والعملية وبها يصبح استقلالها حقيقة تمكن مصر من ان تتقدم فى ثبات وحكمة الى مستقبلها الجديد » (٧٥) . وقالت ان سعى بريطانيا للتحالف مع مصر ، جاء دليلا على بعد نظر بريطانيا التى « أدركت فى آخر الأمر أن مصر الحليفة الصديقة القوية خير من مصر العاصية الناقمة المغلوبة على امرها » (٦٧) .

وأوضحت أن التدقيق الذى أبداه مجلس النواب فى مناقشة المعاهدة ، دل على مدى تقدير المتكلمين لخطورة هذه الاداة السياسية والعسكرية (٧٧) . وبعد موافقة مجلس الشيوخ عليها ، قالت : « لقد قضت مصر ثمانية عشر عاما تطالب بهذا الذى أصابته الآن ، غان لم تبلغ الذى طلبه الجميع فهذا المستوى سيدرك قريبا ، وستكون المعاهدة من خير الوسائل لادراكه بما رغبت عن مصر من قيود ، وما افسحت لها من حرية وما ألقت عليها من تبعات » (٧٨) . ونوهت بما جاء فى خطاب العرش بخصوص المعاهدة « وما أحدثت من تغيير فى موقف مصر الداخلى ومقايها الدولى ، وهو ما استهل الخطاب بوصفه وبيانه تقديرا لما له من الاهمية والثمان » (٧٩) .

وكان الاحتفال بتبادل وثائق التصديق على المعاهدة « المرحلة الأخيرة من مراحل اعظم حادث فى تاريخ مصر الحديث » (٨٠) .

وهنات (المقطم) النحاس باشا بلقب « صاحب المقام الرفيع » الذى اسبغه عليه مجلس الوصاية على العرش ، وقالت ان النحاس رجل موفق دائما « وربما كان أبهى مظاهر التوفيق هذه المنزلة التى للرجل فى قلوب الناس ، وهم يجدون فيه مصريا عاملا مخلصا شديد اليقين بما يعتقد ولا نخطيء اذا قلنا ان هذا الخلق كان من اعظم اسباب نجاحه ، ولا سيما اذا ذكرنا أنه مقترن فيه بركة ديموقراطية صحيحة » (٨١) .

أما الدكتور غارس نمر أحد أصحاب (المقطم) والمشرف على سياستها ، فقد حصل من الملك فاروق على رتبة الباشوية ، فى هذا الوقت الذى كانت فيه العلاقات المصرية البريطانية فى أوج انتعاشها ، وذلك « لما عهد فيكم من كريم السجايا وحديد المناقب ، وما أدبتم من جليل الأعمال » ، كما جاء فى حيثيات براءة الباشوية (٨٢) .

وعلقت (المقطم) على تقديم السفير البريطانى (لابسون) لأوراق اعتماده بقولها : « لقد بدأ عصر جديد فى مصر له دلالة وقدره » فهذا الاجراء « أمر يستوقف النظر لما فيه من دلالة ، ويشبه من عدة وجوه ما صنعتها الدولة البريطانية فى المدة الوجيزة التى أعقبت إبرام المعاهدة فى البرلمان والتصديق عليها من الملكين كازالة الحرس العسكرى من دار السفارة بعدما ظل مدة طويلة رمزا الى ما تنطوى عليه لما كانت دارا للمندوب السامى ، غير ان الذى هو أبلغ من هذا فى النفوس ، ما يصدر عن مصر حكومة وشعبا للدلالة على ما جد فيها من أمور وشئون بعد إبرام

المعاهدة « (٨٣) . وكانت مناسبة الزيارة التي قام بها السيد مايلز لامبسون وقرينته الى السيدة أم المصريين في بيت الامة « حادثا جديدا فذا » بصفته « أول زيارة ودية يزورها ممثل بريطانيا العظمى في مصر لبيت الثورة المصرية على الاحتلال البريطاني » (٨٤) .

واعتبرت (المقطم) هذه المبادرة من بين الانتصارات التي حققتها سياسة التفاهم والتعاون مع الانجليز ، ودلت « على صحة ما اقترحه بعيدو النظر من امكان اتفاق هاتين الامتين وتعاونهما ، وعلى ان ما عقد بينهما على الورق عقد مثله في القلوب » (٨٥) . ولم يكن (بعيدو النظر) هؤلاء الا اصدقاء الانجليز من المصريين الذين تعبر (المقطم) عنهم في الترحيب بفتح هذه الصفحة الجديدة من العلاقات المصرية البريطانية بالمعاهدة التي كانت « النهاية الطبيعية لثورة ١٩١٩ ، فقد اختتمت صفحة من العداء الشديد بين مصر وبريطانيا وفتحت صفحة جديدة من التحالف بين البلدين » (٨٦) .

هوامش الفصل الثاني

- (١) المقطم ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٢) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٣) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩٣٥ .
- (٤) المقطم ١ يناير ١٩٣٥ .
- (٥) المقطم ٢ يناير ١٩٣٦ .
- (٦) المقطم ٣ يناير ١٩٣٦ .
- (٧) المقطم ٧ يناير ١٩٣٦ .
- (٨) المقطم ١١ يناير ١٩٣٦ .
- (٩) المقطم ١٧ يناير ١٩٣٦ .
- (١٠) المقطم ٢١ يناير ١٩٣٦ .
- (١١) المقطم ٢٣ يناير ١٩٣٦ .
- (١٢) المقطم ٢٥ يناير ١٩٣٦ .
- (١٣) ضياء الدين الرئيس ، الدستور والاستقلال ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٥ .
- (١٤) المقطم ١ فبراير ١٩٣٦ .
- (١٥) المقطم ٢ فبراير ١٩٣٦ .
- (١٦) المقطم ٤ فبراير ١٩٣٦ .
- (١٧) المقطم ٧ فبراير ١٩٣٦ .

- (١٨) المقطم ١٧ فبراير ١٩٣٦ .
- (١٩) المقطم ٢ مارس ١٩٣٦ .
- (٢٠) المقطم ٣ مارس ١٩٣٦ .
- (٢١) المقطم ٦ مارس ١٩٣٦ .
- (٢٢) المقطم ١٧ مارس ١٩٣٦ .
- (٢٣) المقطم ٢٢ مارس ١٩٣٦ .
- (٢٤) المقطم ٦ أبريل ١٩٣٦ .
- (٢٥) المقطم ٢٨ أبريل ١٩٣٦ .
- (٢٦) المقطم ٢٩ أبريل ١٩٣٦ .
- (٢٧) المقطم ٣٠ أبريل ١٩٣٦ .
- (٢٨) المقطم ٢ مايو ١٩٣٦ .
- (٢٩) المقطم ٥ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٠) المقطم ٦ مايو ١٩٣٦ .
- (٣١) المقطم ٨ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٢) المقطم ١١ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٣) المقطم ٤ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٤) المقطم ١١ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٥) المقطم ١٢ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٦) المقطم ٢٣ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٧) المقطم ٣١ مايو ١٩٣٦ .
- (٣٨) المقطم ٣ يونيو ١٩٣٦ .
- (٣٩) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٣٦ .
- (٤٠) المقطم ٣٠ يونيو ١٩٣٦ .
- (٤١) المقطم ٣ يونيو ١٩٣٦ .
- (٤٢) المقطم ٩ يوليو ١٩٣٦ .
- (٤٣) المقطم ١٢ يوليو ١٩٣٦ .

(٤٤) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١ ، ص

٥١٣ ، ٤١٤ .

- (٤٥) المقطم ١٦ يوليو ١٩٣٦ .
- (٤٦) المقطم ١٨ يوليو ١٩٣٦ .

- (٤٧) المقطم ٢٠ يوليو ١٩٣٦ .
- (٤٨) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٣٦ .
- (٤٩) المقطم ٢٨ يوليو ١٩٣٦ .
- (٥٠) المقطم ٣ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥١) المقطم ١١ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥٢) المقطم ١٧ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥٣) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥٤) المقطم ٢٤ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥٥) المقطم ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥٦) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٣٦ .
- Little, Tom : Egypt, London, 1958, P. 149. (٥٧)
- (٥٨) المقطم ٣١ أغسطس ١٩٣٦ .
- (٥٩) المقطم ١ سبتمبر ١٩٣٦ .
- (٦٠) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٣٦ .
- (٦١) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٣٦ .
- (٦٢) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٣٦ .
- (٦٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠١ .
- (٦٤) محمود سليمان غنام ، المعاهدة المصرية الانجليزية ودراساتها من الوجهة العملية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٤٥ .
- Zayid, Egypt's Struggle For Independence, Op. (٦٥)
- Cit., Pt. 179.
- (٦٦) محمود سليمان غنام ، المعاهدة المصرية الانجليزية ، ص ٣٠٥ .
- (٦٧) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٣٦ .
- (٦٨) المقطم ٩ أكتوبر ١٩٣٦ .
- (٦٩) المقطم ١٣ أكتوبر ١٩٣٦ .
- (٧٠) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٣٦ .
- (٧١) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٢) المقطم ٣ نوفمبر ١٩٣٦ .

- (٧٣) المقطم ٤ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٤) المقطم ٦ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٥) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٦) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٧) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٨) المقطم ١٩ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٧٩) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٨٠) المقطم ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦ .
- (٨١) المقطم ٢ يناير ١٩٣٧ .
- (٨٢) المقطم ٢٤ ديسمبر ١٩٣٦ .
- (٨٣) المقطم ١٢ يناير ١٩٣٧ .
- (٨٤) المقطم ١٤ مايو ١٩٣٧ .
- (٨٥) المقطم ١٥ مايو ١٩٣٧ .

(٨٦) عيد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨ - ١٩٣٦ ،

ص ٨٠٢ .

الفصل الثالث

المقطم والصراع بين الوفد والقصر

انهيار الجبهة الوطنية :

شاركت (المقطم) فى الجدل الذى دار حول مستقبل الأحزاب السياسية بعد المعاهدة واعتبرته موضوعا جديرا «بالبحث والتفكير» وكانت هذه الفكرة قد نشأت فى معسكر أحزاب الأقلية ، فى شكل قضية طرحها زعمائها فى ذلك الحين ، قصدوا بها تأمين مستقبل أحزابهم ، وهى من الذى سيقوم بتنفيذ المعاهدة ؟ هل ينفذها الوفد وحده ، أو تنفذها الجبهة الوطنية ؟ . وقد استطاعوا ان يجذبوا اهتمام السلطات الانجليزية التى اقترحت ادخال زعماء الأقلية فى الوزارة الوفدية او اشتراكهم فى لجنة رسمية تتولى الاشراف العملى على تنفيذ المعاهدة ، وقد رفض الوفد هذين الاقتراحين . على هذا الأساس نشأت فكرة حل الأحزاب السياسية واعادة تكوينها ، وكان الأساس الثانى ما أخذت تطلقه أحزاب الأقلية فى أثناء المفاوضات وبعدها من أن مهمة الوفد تنتهى بإبرام المعاهدة (١) .

وتقول (المقطم) ، انه اذا كان برنامج الوفد أصلا يتمثل « بالسمى الى الاستقلال » أينما وجد الى السعى سبيلا » فان مرحلة ما بعد المعاهدة تحتم تغييره الى « تنفيذ معاهدة الاستقلال » ولكنها اضافت أن برامج كل من الأحرار الدستوريين والشعبي

والاتحاد ، لا تخرج عن هذا الإطار أبدا « لأن الذين ألفوها كانوا من أعضاء الوفد » . فالمقطم هنا تتفق مع رفض الوفد لما دار في مفسكر أحزاب الأقلية ، من دعوة لانتفاء مهمة الوفد ، ولكنها تبدى حرصها في الوقت نفسه على تعيين مهام جديدة لأحزاب الأقلية . وتقول : « صحيح أن هذه الأحزاب ستكون منفردة أو مجتمعة ، أحزاب معارضة للأكثرية ، ولكن هذه المعارضة لن يعنى بها مقاومة تنفيذ المعاهدة أو مخالفة الحكومة فيما تنوى أن تصنع لاستقلال ما ربحت البلاد من مزايا بهذه المعاهدة ، بل أنها ستكون غالبا في صورة معاونة للحكومة فترشدها الى خير الوسائل للنهوض بمهمتها الشاقة » (٢) .

واعتبرت (المقطم) دعوة البعض الى حل الأحزاب في غير محلها ، لأن هذا الحل « ليس في مصلحة البلاد فنحن اليوم أحوج منا بالأمس الى وجود أحزاب تتنافس في تحرى أمثل الوسائل لمعاونة الحكومة القائمة نظرا الى أن عبء إدارة البلاد أصبح ملقى كله على عاتق المصريين ولا بد من إقامة البرهان على أننا اكفاء لحمله » (٣) . فهي تدعو لايجاد برامج متطورة لأحزاب الأقلية ، أما الوفد فإن فكرة حله ، التي ترددت من قبل تلك الأقلية ، ليست موضع نقاش من الصحيفة التي حددت مهام الوفد بعد المعاهدة بمهمة تنفيذ الاستقلال .

ودعت (المقطم) الى تعديل برامج أحزاب المعارضة « في القسم الخاص منها بطلب الاستقلال وفي الأقسام الأخرى بما تقتضيه الحالة الجديدة » . وناقشت موضوع توحيد هذه الأحزاب فقالت انه يخشى « أن يفضى الى اضطراب يضعفها وينقص من مقدرتها على العمل القومي المطلوب منها » بحكم « أنها هيئات مكلفة بأن تضطلع بمهام معلومة » (٤) .

وردا على هذا الموقف من احزاب الاقلية ، بدأ الوفد بتدعيم مركزه فى البلاد ، وبمنح النياشين لأعضائه ، الأمر الذى زاد فى غضب زعماء تلك الأحزاب ، وقد ازدادت المشكلة حدة عندما اعتذر زعماء أحزاب الأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد عن حضور الاجتماع الذى دعا اليه النحاس باشا ، بصفته رئيس الجبهة الوطنية ، التى يشترك هؤلاء فى عضويتها ، وذلك لبحث موقف مصر فى مؤتمر الامتيازات فى (مونترال) فتقول (المقطم) ، ان كتاب الاعتذار كشف عن خلافات فى رأى « على إجراءات فى داخل الجبهة » ، ولكن أعضاء الجبهة « متفقون طبعاً على ما تبغى مصر وما تطلب فى مؤتمر مونترال » .

ودعت الصحيفة أعضاء الجبهة « ان يذيعوا على رؤوس الأشهاد ان خلافهم فى رأى على أمور معينة لا يمس عقيدتهم الوطنية القائمة على تحرير مصر من جميع القيود التى لا تتقيد بها الدول الأخرى » (٥) .

وتساعلت الصحيفة قائلة : « هل يقر أعضاء الجبهة على موقفهم الحاضر اذا علموا مثلاً انه يؤول الى اضعاف حجة مندوبى مؤتمر مونترال ظناً من المدافعين عن نظام الامتيازات ان المصريين واقطابهم وزعماءهم انقسموا فى رأى ، وان هذا الانقسام موهن لهم ومضعف لقضيتهم ؟ » (٦) .

وأشارت الى المظاهرات الطلابية والاضرابات التى تشهدها بعض المدارس ، فاستفكرت أسلوب التظاهر ، واستبعدت أن يكون للحكومة يد فى اثارها لان « الحكومة بحاجة الى السكينة التامة والى الجو الصافى لتمكين من الوفاء بكل هذه الالتزامات لنفسها ولحليفتها .. فلهذه الاعتبارات لا يستطيع المرء ان يسلم بأن جانباً من مظاهرات امس ، دبره انصار الحكومة ، أو انه يروق فى عيون

ولاية الأور ، أو ينال رضاءهم به وارتياحهم اليه . ولكن الامر المعقول هو أن الذين دبروا المظاهرات بحجة تأييد الحكومة والانتصار لها على معارضيهها لم يعرفوا مقبة ما يصنعون « (٧) . وقد سجل هذا الوضع نهاية طبيعية وانهارا حتيا للجبهة الوطنية التي عقدت بسمى الشباب المصرى لاعادة الدستور وعقد المعاهدة .

مؤتمر الامتيازات الأجنبية :

وصفت (المقطم) بيان النحاس باشا الى الامة حول مهمة الوفد الذى يرأسه الى مؤتمر الامتيازات الأجنبية بأنه « من خير البيانات السياسية والقومية التى سمعناها فى هذه الايام الاخيرة بما انطوى عليه من روح طيبة وعزيمة صادقة مشربة بحسن النية وصدق الرغبة فى التعاون والاعتماد على حكمة الامة وحصافتها وتأييدها فى مرحلة من أدق مراحل القضية المصرية » (٨) . وقالت ان وفد مصر الرسمى يقادر باسم الامة المصرية « أرض الوطن ليكل بناء صرح استقلال هذا الوطن وينشئ علاقة جديدة بين هذه الدولة الفتية والامة الناهضة من جهة ودول أوروبا وشعوبها من جهة أخرى تحل محل علاقة عتيقة تابى هذه الامة أن تستمر ، وترى انها لا تصلح لهذا العصر » (٩) . وتابعت مداولات المؤتمر طيلة انعقاده . وعند انتهاء أعماله بفوز مصر بالغاء نظام الامتيازات ، قالت (المقطم) ان مصر قد فازت « فوزا لا شك فيه بالغاء هذه الامتيازات والتخلص منها الى ابد الآبدين . ولها من هذا الأسبوع ان تعتبر نفسها محررة من نظام كان يحد من سيادتها ويقل يديها وينال من كرامتها » (١٠) .

ودعت (المقطم) أقطاب المعارضة الى اجازة اتفاقات (مونتره) فى البرلمان ، لأن مصلحة البلاد تقضى بأن تكون المناقشات فى المسائل الخارجية « بسيرة بروح الرغبة فى التعاون على صون

المصلحة العامة وحقوق مصر ودراغتها اكثر من اظهار الحكومة بمظهر المخطئ، او المقصر . كما يحدث فى المناقشة فى الشئون الداخلية « (١١) .

وليس من شك فى ان هذا الانجاز قد منح (المقطم) فرصة الاستمرار فى الاشادة بالمعاهدة ونتائجها وبالهئية السياسية القائمة على تنفيذ بنودها . وبعد هذه الخطوة مباشرة ، نالت مصر عضوية المنظمة الدولية (جامعة الأمم) ، فنقول (المقطم) ان توقيع المعاهدة والفاء الامتيازات الاجنبية والانضمام لجامعة الأمم هى « اسعد ثلاث حوادث مرت بمصر فى خلال عام « (١٢) . واعربت عن ابتهاج الأمة فى يوم عودة رجال الوفد الرسمى من المؤتمر الذين ذهبوا « مجاهدين وعادوا اليوم مسلمين غانبين حاملين هدية ثمينة طالما تمت مصر ان تكون لها ، وجاءوا ببشائر طالما تاقّت اليها نفوس المصريين ، ليتحفوهم بما اكمل جهادهم الطويل الشديدا « (١٣) .

تتويج فاروق وازمة الحفلة الدينية :

كانت مناسبة تسلم الملك فاروق مهام سلطاته الدستورية ، مجال ازمة لها ابعاد خطيرة فى العلاقات بين الوفد والعرش ، حيث كان بعض المحيطين بالقصر ، ولا سيما الأمير محمد على ولى العهد واحد الاوصياء يريدون اقامة حفلة دينية كبرى تجرى فيها مراسم ولاية الحكم بينما اعترض النحاس باشا على ذلك ، وبنى اعتراضه على ما تقتضى به مواد الدستور المصرى من وجوب حلف الملك اليمن القانونية امام البرلمان . وقد وقفت (المقطم) الى جانب النحاس باشا فيما رآه من الاحتكام للدستور ، فنقول (المقطم) : « اما الذى تقرّر نهائيا حتى الآن فهو ما قضى به الدستور وهو ان يحلف الملك اليمين فى مجلسى البرلمان مجتمعين » ، ولكنها

اقتрحت انتهاز « فرصة اجلاس الملك على العرش لاتحاف العاصمة والبلاد بحفلات ومهرجانات تعزز عرى الصلات بين العرش والشعب من جهة ، وتقضى لمصر علم الناس بها واقبالهم من اقطارهم على زيارتها » (١٤) .

وكان الملك فى هذه الاثناء يقوم بزيارة خاصة مع افراد أسرته لبريطانيا ، فاشادت الصحافة بحسن استقبال الانجليز له بما طبعوا عليه « من رقة الطباع وكرم الضيافة والعناية الصديحة بضيوفهم » . وجاء استقبالهم للملك « من الامور التى تبعث على الاغبطاء لانه مبنى على ماشهدوا من مظاهر مناقبه السامية وحسن استعداده لمهمته الخطيرة » (١٥) .

وقالت (المقطم) فى معرض حديثها عن نظام الاحتفال بالتتويج انه لا مجال لاحتفال دينى فى أحد الجوامع الكبيرة برئاسة شيخ الازهر (١٦) وأن « من حسن الحظ أن دستور البلاد نص ناصرياً على الجانب الرسمى من هذه الحفلات وهو الخاص بتنصيب الملك وتسلمه لزام الأمر » وهذا يجعل « بعض الاقتراحات الأخرى » « مناقضا للدستور كالمبايعة وتقليد جلالة الملك فى غير حفلة البرلمان فهذه أمور غير منصوص عليها فى الدستور فالذى قاله الدستور لا يحتل زيادة ولا تاويلا ولا نقصا » (١٧) .

ويروى التابى فى ذكرياته « من اسرار الساسة والسياسة » انه ارسل برقية الى زميله محمود أبو الفتوح فى (المصرى) يطلب منه الكف تماما عن الكتابة ضد الحفلة الدينية وانه فى حرج شديد ، وان (المصرى) لم تراعى الوضع الذى هو فيه بوصفه الصدى الوحيد المرافق للملك فى رحلته ، ويقول : « وتلقيت خطابا من أبو الفتوح يعتذر فيه عن استمرار هذه الحملة ، ويقول انه لا شأن

لاه بها وانه عاجز عن وقفها ، وان القائم بالحلة فى (المصرى)
والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية هو شريكنا الثالث
الاستاذ (كريم ثابت) ، وان كريم يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة
من الاستاذ يوسف الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية ، وانه
— اى محمود ابو الفتح — لا يمكنه ان يرفض نشر مقالات موعز
بنشرها من وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس
الوقت وكيل وزارة ومفروض فيه انه ينفذ تعليمات سياسة الوزارة
العليا . وسكت ولم اطلع احدا على هذا الخطاب واستمرت
الحملة !

واليوم اعجب وتعجبون معنى لسخرية القدر ! كريم ثابت الذى
اغضبت مقالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ ، يختاره فاروق صديقا له
فى عام ١٩٤٣ ، ثم يعينه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦ « (١٨) .

اما (أمين يوسف) فقد قال فى كتابه (مصر المستقلة) ان
بعض أعضاء الوفد ارادوا ان يجعلوا من مسألة تتويج الملك عملية
مساومة ، وتحدث عن دور قام به للوصول الى حل وسط ، واقتراحه
تشكيل لجنة لهذا الغرض برئاسة الامير عمر طوسون ، ولكن
الامير اعتذر وكتب مقالا فى (المقطم) يقول فيه ان عملية التتويج
تعارض من اساسها مع تعاليم الاسلام ، وكان هذا مما اغضب
الملك (١٩) .

وقد شاركت (المقطم) البلاد ابتهاجها بقرب وصول الملك ،
حيث « يخفق قلب مصر فى هذه الأيام حبا واغترابا ، وتتجه ابصار
مصر الى البحر وهى تستعد لاستقبال ملكها الشاب المحبوب من
جميع طبقات الأمة » (٢٠) . وتحدثت عن استقباله وخروج « مصر
للقاء القادم الكريم ، وملء اغواه اهلهما الدعاء والترحيب وقد ازينت

ابى زينتها « (٢١) . وقالت ان « فاروق الأول ملك ديموقراطى يرى مجده فى مشاركة شعبه مشاركة صحيحة ، فلا غرو اذا قال مكاتب (الديلى تلغراف) فى تلغراف نشرته له جريدته امس ان الملك الشاب صار معبود شعبه » (٢٢) .

واصدرت (المقطم) عددا خاصا بمناسبة احتفال البرلمان بتنصيب الملك تصدرت الصفحة الاولى فيه صورة كبيرة له ، بالاضافة الى عدد من القصائد وكلمات المديح ووصف احتفال البرلمان ، وابتهاج الشعب ، ووثائق الاخلاص والولاء (٢٣) . وكُتبت تعلق بأسلوب أدبى على مظاهر الاحتفال التى تمت قائلة : « ارايت هذه الجموع تتدفق على شوارع عاصمة مصر من ساكنيها واهل سائر مدن القطر . . وقد وحد بينهم شعور واحد وجمعتهم عاطفة واحدة هى عاطفة حب الوطن فى حب شخص ملك البلاد ؟ » (٢٤) .

وزارة النحاس الرابعة :

قدم النحاس باشا استقالة وزارته ، الى الملك ، واعاد تأليفها ثانية ، وقد خرج منها النقراشى باشا احد كبار الوفديين ، فأعربت (المقطم) عن أسفها لخروجه وحرمان البلاد من خدمته الصادقة (٢٥) . ولكنها قالت « ان أشد ما تحتاج مصر اليه او أشد ما يجب ان ننشده الآن هو سياسة الاستقرار » . ودعت الى اعطاء الوزارة الثرصة « لمواصلة العمل القومى » بدلا من تكريس جهودها لمواجهة « هذه المقاومة والاشاعات والأقوال التى تصنر عن تعمد أو من غير تفكير وتروى عواقبها » (٢٦) . وكان خروج النقراشى بداية الانشقاق الكبير الذى شهِده الوفد فى هذه المرحلة .

غير ان وزارة النحاس الجديدة ، شهدت أيضا مسلسلا من المشكلات مع السراى ، فقد رفض الملك رغبة النحاس بأن يشغل يوسف الجندى قطب الوفد البارز منصب وزير المعارف فى هذه الوزارة « بحجة ان نزاهة يوسف الجندى اiban و كالتة البرلمانية لوزارة الداخلية لم تكن فوق الشبهات . وقد انتابت الدهشة النحاس باشا وكل الوفديين فقد كان الجندى ذا تاريخ مشهور فى الحركة الوطنية ، فهو الذى رفع علم الاستقلال فى مدينة زفتى فى عام ١٩١٩ ، وكان مشهودا له بالبراعة البرلمانية الممتازة فى المعارضة وفوق ذلك كان يشغل وظيفة الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية فى الوزارة المستقيلة » . ولكن النحاس باشا لم يكن فى وسعه « فى ذلك الوقت الا ان ينزل على اعتراض الملك ، لعدة اسباب مهمة : اولها ان الظنـروف الدقيقة التى كان يمر بها الوفد داخليا بعد استبعاد النقراشى وزملائه ، كانت غير ملائمة للاشتراك ، ثانيا ، ان موقف النحاس كان ضعيفا ، ففى ذلك الحين كان قد قدم استقالة وزارته الاولى الى الملك بمناسبة مباشرته سلطاته الدستورية ، وقبلت الاستقالة فعلا ، وكان اصراره على تعيين يوسف الجندى كفيلا بتحقيق هدف القصر فى الاطاحة به بأسهل السبل وبدون اقالة « (٢٧) .

وقد تمت (المقطم) ان تكون هناك ازمة بين الوزارة والقصر بسبب الجندى ، فيقول مندوبنا : « ان النية لاتزال معقودة على ترشيح الأستاذ يوسف الجندى الى منصب فى الوزارة ولكن هذا لا يعنى وجود ازمة او شبه ازمة بين القصر والوزارة على ما تاكدت من مصادر مستقلة » (٢٨) . ودعت الى « اقفال باب الاشاعات الباطلة التى تحرك الخواطر وتحدث تبليلا فى النفوس وتصرف الاذهان عن الشؤون النجوهية الى أمور عارضة » (٢٩) . وبعد انتهاء الازمة بالذـى سـبـق ذكره ، تابعت

(المقطم) أخبار الجندى باهتمام ، فتذكر خبر تشكيل لجنة لتكريم « حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير يوسف أحمد الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية » (٣٠) . وقالت ان الايام الاولى للوزارة النحاسية شهدت حركة قصدت تشويه سمعة « هذا الوطنى المخلص الغيور على مصلحة عمله ووطنه » ، ولكن تعيينه « وكيلا برلمانيا لوزارة الداخلية كان اجلاء للحقيقة الناصعة وضربة قاضية على ما اشاعوه واذاعوه » (٣١) .

انشقاق الوفد :

ادى الخلاف حول مشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان الى وقوع صدامات بين انصار النحاس وانصار النقراشى ، التزمت (المقطم) ازاءها بالحياد فى اول الامر ، ثم بدأت نزيد موقف النحاس بشكل غير مباشر ، فنقول ان من الممكن معالجة الخلاف القائم « بالأساليب الدستورية والطرق البرلمانية . وهذا هو الذى نتوقعه من حصانة بعض الذين تخلوا عن المنصب الوزارى تمسكا منهم بمبادئ يعدونها صالحة او لازمة ، فانهم بهذا الانفصال يهيئون لانفسهم فرصا فى الدورة البرلمانية ، لان يؤدوا واجبا قوميا بالكيفية التى يختارونها » (٣٢) . وهى تقصد بذلك النقراشى وانصاره ، كما دعت (المقطم) الى عدم تجريح الاشخاص فى الحملات القائمة « وان يلجأ الناس الى حى الدستور فى كل ما يرونه باعثا على النقد من أعمال الوزارة وتصرفاتها ، وان يكون المراد من المعارضة مساعدة الحكومة بارشادها الى خطأ يراد منها اصلاحه » (٣٣) . وجنحت (المقطم) الى الصراحة فى اتخاذها الجانب (النحاسى) الحكومى ، فقدمت اقتراحا لحصر نازر الخلاف ، قالت فيه ان النقراشى باشا وغالب باشا قد بلغا كل مناصبهما عن طريق الزعامة الوفدية ، فمن واجبهما الآن الاستقالة

من هذه العضوية ، وتقديم برامجها الى الناس لكي يدخلوا البرلمان بناء على هذه السياسة الجديدة « فیدعوان الناس لیدخلوا فی مذهبها فرادی أو افواجا » (٣٤) . واستكرت اتهام اعضاء الوزارة الحاضرة بانفساد الحكم « واشاعة الخلل والاضطراب فی الادارة الحكومية تحقيقا لمآرب وسعيا وراء مغانم ، وخصوصا اذا كان هؤلاء الوزراء من الذين ذاقوا مرارة السجن والنفي والتشريد والاضطهاد فی اثناء نضالهم فی سبيل قضية البلاد » (٣٥) . وقالت ان « مصلحة الامة الحقيقية فی ظروفها الحالية هی بقاء الوفد فی دست الوزارة الزمان الكافی لاطهار نتيجة حكمه وسياسته وخصوصا بعدما اثبت حسن بلائه فی السياسة الخارجية » (٣٦) .

واذا عرفنا ان محور السياسة الخارجية التي تحدث (المقطم) عن بلاء الوفد فيها ، هو العلاقات المصرية البريطانية التي انتهت الى امضاء معاهدة الشرف والاستقلال ، تتضح لنا حقيقة الموقف الذي تقفه (المقطم) الى جانب الوزارة النحاسية الحاضرة ، فان من ابعاد الخلاف الذي باعد بين النحاس والنقراشي « الفهم المختلف لكل منهما لمعاهدة ١٩٣٦ ، النحاس باشا رأى الالتزام بتنفيذها ، وان هذا التنفيذ سيكون لصالح مصر ، خاصة بعد النجاح الذي احرزه بالمعونة البريطانية فی التخلص من الامتيازات الاجنبية ، فی المفاوضات التي جرت فی مونترو سنة ١٩٣٧ .

اما النقراشي فقد رأى ان المعاهدة ليست الا خطوة للتخلص نباتيا من الوجود البريطاني ، بما بدا فی اطراد سياسته بالتخلص من أى انجليزى يعمل فی الحكومة المصرية ، وهى السياسة التي شكها السير لامبسون منها الى حكومته » (٣٧) .

وكان موضوع القمصان الزرقاء أحد الميادين التي اختارها النقراشى لمنازلة النحاس فيها ، وكان الاتهام الذى وجهه النقراشى للنحاس هو انه يستخدم هذه التشكيلات فى اضطهاد حرية الراى بين الناس ، وارهاب الخصوم والأعداء وممارسة حكم أقرب الى الحكم الفاشى والنازى ، وفى الحقيقة ان فرق القمصان الزرقاء كانت أضعف نقطة فى دفاع حكومة الوفد وأكبر مأخذ عليه ، حتى بين الكتاب المنصفين ، على اعتبار أن وجودها يعد منافيا للنظام الدستورى (٣٨) .

وكانت (المقطم) تتابع اخبار فرق القمصان الزرقاء والقمصان الخضراء (التى شكلها أحمد حسين) وما كان يجرى بينها من صدامات ، ولكنها لم تدل برايتها حول هذه الفرق ، الا بعد أن ارتفعت صيحات المعارضة بطلب حل فرق القمصان الزرقاء الوفدية، فطالبت بتنظيمها والعناية بها وتخليصها مما يشوبها ويشكل حجة عليها (٣٩) .

وجاءت مناسبة هجوم النقراشى على القمصان الزرقاء ، لتكون باعثا للمقطم للكتابة مرة أخرى حول هذه الفرق ، وقولها انه يؤملها أن تكون « عاملا سياسيا تنصر الوفد على معارضيه » باستعمال القوة فى حين أن الوفد فى غنى عن هذا العامل بما له فى نفوس الأمة من منزلة .. وعليه فقد بات من مصلحة السلام فى البلاد ان يعاد النظر فى أمر القمصان جمعاء زرقاء كانت أم خضراء ، حتى لا تكون هذه القمصان سببا فى زيادة الانقسام وتوليد اسباب الخصام بين أبناء الأمة أو بين قادتها ، فتقلب بذلك نقمة على البلاد . ويرى كثيرون من المفكرين أن السبيل الى ذلك هو حل جميع هذه الفرق أو تخديد مهمتها تحديدا واضحا لا لبس فيه فتكون فرقا رياضية بحتة ، ولا تقدم نفسها فى الشؤون

السياسية « (٤١) . وربما تكون هذه الاقتراحات فى مواجهة القمصان الملونة ، غير بعيدة عن توجيهات السياسة البريطانية التى كانت تحرص وقتئذ على عدم الإخلال (بطبيعة التوازن) فى البلاد ، خصوصا بعد وصول الوفد الى السلطة ، فان « السلطة مضافا إليها السند الشعبى ، مضافا إليها تنظيم شبه عسكرى تدأخل على نحو واضح بطبيعة التوازن ، لاسيما اذا ما لوحظ انه على الطرف الآخر كان القصر مهيبض الجناح بعد وفاة الملك فؤاد . وقد خلف وراءه صبيا صغيرا على العرش لا يتمكن من مناوأة الوفد وهو خارج السلطة فما الحال وهو يمتلك أزمته . ولم يكن أمام السياسة البريطانية والأمر كذلك ، الا ان تسعى الى قص أجنحة الوفد التى طالبت أكثر من اللازم ، وهددت الاستقرار التقليدى للأوضاع السياسية فى البلاد . وكانت أهم هذه الأجنحة تنظيمات القمصان الزرقاء ، وسعيا وراء تحقيق ذلك الهدف من جانب دار المندوب السامى ، فقد قام صراع مرير حول هذه الجماعة شارك فيه القصر وانتهى أخيرا بأخراج الوفد من السلطة وبمنع كل التنظيمات شبه العسكرية » (٤١) .

وقد تواصلت حلقات الصراع بين النقراشى والنحاس ، وانتهت الى قرار فصل النقراشى من الوفد . عندئذ طلبت المعارضة حل البرلمان والرجوع الى الأمة لاستفتاءها فى الخلاف القائم لمعرفة ان كانت تؤيد النحاس أم تؤيد خصومه . فترد (المقطم) على هذا المطلب ، موضحة ان الوفد « على تمام اليقين انه لو جرت اليوم انتخابات برلمانية لما كان نصيبه غير الفوز التام والانتصار على طول الخط » . وقد جاء « طواف رئيس الحكومة وزعيم الأمة فى الاقاليم بمثابة رد مقنع على طلاب الاستفتاء ، فان ارادة الأمة تتجلى واضحة فى هذه الاستقبالات الفخمة الرائعة » (٤٢) . وبفصل النقراشى من الوفد ، وما أعقب ذلك من تمزق داخل الهيئة الوفدية يكون الوفد قد تعرض لأخطر انشقاق يمر به منذ نشأته .

الأزمة الدستورية بين الملك والنحاس :

ولكن الأمر لم ينته الى هذا الحد ، فقد شهدت هذه الفترة من حكم الوفد صراعا مريرا بينه وبين العرش ، مرت بنا بعض أسبابه ومظاهره ، واتخذ شكلا جديدا بعد ان جند على ماهر باشا كل قواه فى سبيله من أجل تحقيق أحلامه فى محاربة الوفد وانفراد القصر بالسيطرة على البلاد بتدبير على ماهر وخطه ، لتبديد الطريق لوصوله الى رئاسة الوزارة .

وقام على ماهر باظهار الوفد « فى مظهر المعتدى على حقوق الملك الشاب الصغير والمستهتر بأبسط الواجبات نحوه . وذلك لايجاد نجوة فى العلاقات بين الوفد والشعب ، وكانت قوة الوفد تنبع من قدرته على تمثيل الشعب والتعبير عن رغباته وأمانيه ، وهذا يفسر سلسلة المقالات التى نشرت فى جريدة (البلاغ) فى أعقاب حفلات التولية ، وفى ابان ارتفاع شعبية الملك الى قممها . فقد حمل عبد القادر حمزة باشا على النحاس باشا حملة شديدة لمخالفته قواعد السلوك فى حضرة الملك . وكان من الطبيعى ان يسارع الوفد الى افساد هذه الخطة بانكار التهمة أولا ، والتبارى مع صحف القصر والمعارضة فى اظهار ولائه للملك » (٤٣) .

وكانت (المقطم) حريصة من جانبها على تبديد الخلافات بين القصر والوزارة والتأكيد الدائم على عمق الولاء الذى تحتفظ به الوزارة النحاسية لصاحب العرش ، الذى دعت (المقطم) الى ان يظل بعيدا عن صراع الاحزاب لانه « فوق الاحزاب » ، كما قالت فى خلال مناقشتها للصحف التى تعمل على ايفار صدر الملك

على النحاس . مدعية أن النحاس يحسد الملك على الحب الذي يلقيه من شعبه وانها « تدافع عن حقوق جلالة الملك ومزاياه ، من تعدى الدكتاتور النحاس عليها » (٤٤) .

وقالت (المقطم) انه « ليس أشد ولاء وإخلاصا للملك من النحاس باشا ، ولا أعرف منه بما عليه من واجبات تفرضها الأنظمة الدستورية والآداب العامة نحورب التاج » ، كما ان « ميدان الحرب بين المعارضة والوزارة هو البرلمان واسلحة الحرب هي الأساليب الدستورية المنزهة عن الشخصيات والوشايات » (٤٥) .

وانتقدت (المقطم) صحيفة (البلاغ) لايهامها القراء « بأن الوزارة خصم للقصر وانها قاصدة الاعتداء على حقوق الملك وتعطيل سلطته ، وأن البلاغ هو المحامي عنه والمدافع عن حقوقه من اعتداء خصومه الذين يعارضهم البلاغ في مقاصدهم وسياستهم » (٤٦) . وقالت ان اية مشكلة تنشأ بين القصر والوزارة لا تحل (بطريق الصحافة) وانها (بالطريقة الدستورية) وتتمثل بحصر « الخلاف بين الفريقين المختلفين دون سواهما ، وعرضه على لجنة المستشارين القضائيين الملكيين لتصدر حكمها فيها » (٤٧) .

واوضحت الصحيفة ان الحكومة لا تضيق بالمعارضة النزيهة « ولكنها تتبرم بالتحامل واختلاق التهم الباطلة وشنن الغارات الظالمة على أعمال الحكومة ونسبة كل شر اليها » (٤٨) . فالمقطم هنا مع الوزارة ضد المعارضة ، ومع تحسين اجواء العلاقات بين الوفد والقصر ، برغم هجومها على ابواق القصر .

وقد أجمل الأستاذ محمد زكى عبد القادر الخلافات التي وقعت بين الفريقين ودارت حولها مسألة حقوق الأمة وحقوق العرش بين الوزارة النحاسية ولقصر ، فقد رفضت السراى

التوقيع على مشروع قانون بفتح اعتماد اضافى طلبت الوزارة فتحه ، ووقع خلاف آخر بين الجهتين حول تعيين فخرى عبد النور عضوا فى مجلس الشيوخ ، بينما رشحت السراى عبد العزيز فهى بدلا منه ، وطلبت السراى الغاء فرق القمصان الملونة ، كما طلبت ان يكون رايها قاطعا فى تعيين موظفى السراى واحالة الموظفين المعينين بهرسوم الى المعاش وان يكون رايها نهائيا ايضا فى منح الرتب والنباشين وفى تقديم مشروعات القوانين الى البرلمان (٤٩) . فالملك فاروق ورجاله لم يكونوا ليسمحوا بان تحقق زعامة الوفد آمالها بالغاء اى دور مؤثر للقصر فى السياسة المصرية ثم انه على الجانب الآخر فان الوفد لم يكن يسمح لنفسه بالتفريط فيما ارتآه حقوقا دستورية للوزارة والبرلمان لحساب اوتوقراطية الملك (٥٠) . وازداد تصاعد الازمة بتعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى بغير علم النحاس فتبدى (المقطم) استغرابها لهذه الطريقة فى التعيين « لاسيما ان رئيس الديوان العالى صلة الوصل بين القصر والحكومة » موضحة « ان جو سياستنا الداخلية لا يخلو من الاضطراب وان مستقبله غير مأمون العواقب » ولكنها هنأت على ماهر « بهذا المنصب الذى هو خير من يتقلده وكنا نود لو تقلده والجو صاف وبحر السياسة المصرية هادى » . ودعته الى ان يبذل « ما أوتى من حكمة وواسع خبرة فى تفريج هذه الازمة » (٥١) . ونشرت لأحد أقطاب الوفد تفسيرا لعدم هتاف الاغلبية بحياة الملك فى البرلمان بان الأغلبية لا يمكن ان تقودها الاقلية التى بدأت الهتاف بلسان ابراهيم الدسوقي اباطة قطب الاحرار الدستوريين ، وان هذا ليس معناه ان الحكومة والامة ممثلة فى نوابها « لا يوالون الملك ولا يحفظون له فى قلوبهم أعق الحب » (٥٢) .

وشهدت الجامعة المصرية مظاهرات قام بها خصوم الحكومة وانصار المعارضة فطالبت (المقطم) بعدم الاهتمام بها والتهويل من

خطرها ، لان الامة بمجموعها بخير » وهذه ساكنة ترتب الأمور بنفس مطمئنة واثقة من ان الوزارة القائمة بالحكم قادرة على تسيير دفعة سفينته بيد الحزم في ظل جلالة الملك المحبوب « (٥٣) .

واستنكرت استخدام (احدى الصحف) وتقصد بها (البلاغ) لفظ الدكتاتور بالنسبة للنحاس موضحة أنه (يجاهر في أقواله دائما باحترامه للدستور وتقيده بقيود الدستور وخضوعه لأحكام الدستور » (٥٤) .

وامترضت (المقطم) على اتهام الحكومة باستعداد الانجليز على السراى في أمر تعيين رئيس الديوان الملكي ، قائلة انه « اذا وجد وزراء كانوا في ماضيهم السياسى كله تقريبا موضع اضطهاد الانجليز لهم تارة والسراى تارة أخرى ، فان وزراء الوزارة الحاضرة منهم بلا جدال ، فلا يمكن أن ينسب اليهم انهم يستعدون الانجليز على السراى بالمعنى الذى أريد بهذه العبارة أخيرا . نعم ان بينهم وبين السفارة الانجليزية علاقات حسنة ، ولكن هذا هو الواجب أن يكون في عهد التحالف والصداقة ولا يجوز أن يكون شيء سواه » (٥٥) . ولعل ذلك يوضح أكثر ، مغزى التأييد المستمر الذى توليه الصحيفة للوزارة الحاضرة ، فنقول : « ان الذين يتهمون هذه الحكومة بالتقصير والمحابة والعجز يجدر بهم أن يذكروا أنها هى التى أدركت ما لم تدركه حكومة قبلها ، وانه اذا قيس ما أتبع لها من هذه الناحية بما فعلته حكومات أخرى رجحت كفتها رجوحا عظيما جدا » (٥٦) .

ولكن المظاهرات المعادية للحكومة ، تبدأ من جديد ، فتحمل (المقطم) مسئولية قيامها للبحرزين عليها من السياسيين ، وتقول ان « معارضة الحكومة القائمة بالأمر بوسائل العنف ليس لها معنى الا الثورة على الدستور ذاته » (٥٧) .

وانتقدت العريضة المرفوعة من المعارضة للملك بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة ، بقولها « ان وراء البرلمان رأيا عاما تستطيع المعارضة ان تكسبه تدريجا لا على الورق والعرائض ، بل بما تبدي من كفاءة فى معالجة الشئون البرلمانية ومشروعات القوانين والهيمنة على العمل الحكومى » (٥٨) . ونشرت (لزعيم من اكبر زعماء الوفد) ردا على بيان لمحمد محمود قال فيه ان محمد محمود هو اول مصرى « كان له الحظ النعس فى الاعتداء على دستور البلاد فجريمته فى هذا الصدد اكبر من جريمة دولة اسماعيل صدقى باشا نفسه » (٥٩) . كما نشرت رسالة من (قارئة) تقول فيها « ان وزارة النحاس باشا هى خير وزارة اخرجت للناس » (٦٠) .

وقد تعرض النحاس باشا لمحاولة اغتيال على يد احد شبان مصر الفتاة واسمه عز الدين عبد القادر فأعلنت (المقطم) استنكارها الشديد لهذا الحادث الذى « ليس بين ابناء هذه الامة الكريمة من لا يستنكره ويدرك وخامة عواقبه على البلاد » لاسيما وقد استهدف حياة « زعيم محبوب تجل اسمه وشخصه وتقدر فضله وصادق اخلاصه وجليل خدماته الامة بأسرها ، وهو فى الوقت نفسه رئيس الحكومة الشعبية المؤيدة من سواد الامة كلها والعاملة على توطيد دعائم استقلال مصر » (٦١) .

وقد اعطى هذا الحادث الفرصة للحكومة الوفدية لتعتب خصومها وخاصة أعضاء مصر الفتاة ، ولكن لفترة قصيرة ، قبل ان يبداء فصل جديد اكثر عنفا فى علاقات الوزارة بالقصر ، عبرت عنه الصحيفة « بالازمة السياسية » وطالبت بايجاد مخرج لهذه الازمة يعتمد على التوفيق بين الطرفين ، وأوضحت (المقطم) كمعادتها فى مثل هذه الازمات ، موقف الانجليز من الازمة القائمة بقولها : « أما ما يقال عن تعرض السلطات البريطانية للأمر ، فلم

يقم دليل ما حتى الآن على وجوده الا ما كان من تمنى السير مايلز لامبسون الخير لمصر وتوقع تفريغ الازمة كما يروى بعض المكاتبين الانجليز ، وهذا اذا حدث لا غبار عليه فالذى يهم مصر من حليفتها بالطبع ولاسيما ان مصر قائمة على تنفيذ ما نصت عليه المعاهدة وتنفيذه بهم الدولة الحليفة «(٦٢)» .

ولكن الدكتور عبد العظيم رمضان يقول ان الانجليز خلال هذه الازمة الدستورية وعلى امتدادها لم يقفوا متفرجين ، بل شاركوا فى كل مراحلها بالوساطة بين الوفد والقصر ، وكان ضابط الاتصال بينهم وبين الحكومة الوفدية هو (أمين عثمان) الذى اقترح عليهم فى ذلك الحين خلع الملك فاروق عن العرش ، ولما كانت نتيجة دراسة السفير البريطانى قد اثبتت أن الملك فاروق لم يرتكب فى ذلك الحين مخالفة معينة لنص مكتوب فى الدستور او عادة دستورية مرعية ، فقد اقتصر تدخل دار السفارة البريطانية على محاولة التوفيق بين القصر وحكومة الوفد والوصول الى حل وسط . ولكن هذه المحاولات لم تسفر عن نجاح وانتهت المعركة يوم ٣٠ ديسمبر حين تلقى النحاس اسوا اقالة فى تاريخه(٦٣) وقد التزمت (المقطم) كما راينا بهذا الموقف الانجليزى خلال الازمة .

وزارة الانقلاب وأتوقراطية القصر :

شكل محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا بعد اقالمتها ، وكان معلوما أن الرئيس الجديد قد « أسلم مقاليد الشؤون العليا الى السراى ، وكان مصير وزارته نفسها رهنا بإرادة السراى ، وجعل برنامجه الخارجى قائما على أساس تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ ، بروح الود والرغبة الصادقة «(٦٤)» .

وكان استقبال (المقطم) للوزارة الجديدة فاترا الا انها اوضحت
« أن لكل مصرى الحق الكامل فى خدمة وطنه وملكه » . وهذه
الوزارة « مؤلفة من رجال خبر معظمهم الشئون السياسية والادارية
والبرلمانية وسيتوسع امامهم المجال لاطهار كفاءتهم فى اسداء الخدمة
التي تلزم مصر » (٦٥) .

وقالت (المقطم) ان « الاوان آن لان يستقر فى اذهان
النشء احترام الدستور وعدم الاستخفاف به ، فيظل قاعدة الحكم
فى البلاد بعدما جاهدت الامة جهادها العظيم فى سبيل
ادراكه » (٦٦) . ولهذا التنبيه دلالة بالطبع بعد الأزمة التي انتهت
باقالة الوزارة الدستورية . وأشارت الصحيفة الى مظاهرات
طلابية تهتف للملك ورئيس وزرائه الجديد ، كما نشرت بيان النحاس
باشا الى الامة ، الذى قال فيه « انه لمن سخر القدر أن يتولى
صيانة الدستور أولئك الذين كانوا على الدوام معاول هدم
للدستور » (٦٧) .

وأوردت اخبار اجتماع مجلس النواب لتلاوة مرسوم تأجيل
البرلمان ومنع النحاس باشا من الكلام فى تلك الجلسة من جانب
رئيس المجلس الدكتور أحمد ماهر ، الذى اجتمع الوفد وقرر فصله
من عضويته . كما نشرت تصريحاً للنحاس أوضح فيه اعتماد
الوزارة على السلطة الأوتوقراطية وتصريحا آخر للدكتور ماهر
يقول فيه عن الذين أصدروا قرار فصله ، أن بينهم فريقا لم يكن
وفديا فى ماضيه ، « ودلت تصرفاتهم على كبير حقنهم من مقابلة
البلاد لاقتلتهم بالسكون والرضا » (٦٨) .

وقد التزمت (المقطم) الحياد فى متابعة أخبار الوفد وخصوصه ،
من أركان الوزارة والمنشقين على الوفد ، ولكنها حرصت على

تسجيل موقف البريطانيين مما يجرى فى مصر ، فقالت انهم « يستفريون ان يقال مثلا ان غى باب الاحتمال تعطيل الدستور واقفال باب البرلمان الى أجل غير مسمى بل يذهبون الى أبعد من هذا فى الدلالة على نفورهم من نظام الحكم الدكتاتورى » (٦٩) .

وطالبت الصحيفة بعدم السير فى تلك الطرق التى أدت الى الغاء دستور ١٩٢٣ ، ولم تحقق النجاح « بل انتهت بالعودة الى الدستور الذى تواضعوا على تسميته بدستور الامة » (٧٠) . ويأتى هذا التحذير ، فى الوقت الذى كانت فيه الاوساط السياسية مشغولة بالمواجهة القادمة بين الحكومة والبرلمان حول مسألة الثقة، ولكنها رأت فى رغبة الحكومة بتعديل الدوائر الانتخابية خطوة لا توجب الاعتراض « مادام عملها قائما فى ضمن نطاق الدستور وروحه » (٧١) .

وذكرت ان الوزارة « تقف الآن موقف الانتظار ، فقد يجتمع عندها الاسباب التى تأمن معها ميل ممثلى الامة فتواجه مجلس النواب باطمئنان ، وتوفر على نفسها وعلى البلاد مؤونة اجراء الدخول فى معارك انتخابية حامية . وقد تضطر فى آخر الامر الى حل مجلس النواب واجراء هذه الانتخابات » (٧٢) .

واعربت عن أملها بالخروج « من هذا الموقف الدقيق بما يكفل تحقيق اقصى امانى المصريين » . ولكن الامور سارت بغير ما تمتنت (المقطم) . وصدر مرسوم حل البرلمان قبل انعقاده لبحث مسألة الثقة بالوزارة برغم الجهود التى بذلتها وزارة محمد محمود لاستمالة نواب الاغلبية ، كما قال (وغدى بارز) فى تصريحه للصحيفة (٧٣) ، التى اوضحت ان هناك امرين « يستوقفان نظر الباحث وهما جديران بالعناية والاعتباط احدهما السكينة التى استقبلت بها

العاصمة مرسوم الحل ، والآخر ما هو مسموع عن حرص الجميع على رعاية الدستور ، والعمل بما تقضى به نصوصه « (٧٣) » .

وقالت المقطم انه اذا «كانت بريطانيا يهمها من الأمر استقرار الحالة فى البلاد ، وان ترى فى مصر حكومة دستورية تكون منتخبة انتخابات حرة تجرى على أساس المبادئ الديمقراطية الصحيحة ، فان مثل هذه الرغبة اولى بأن تكون رغبة المصريين انفسهم» (٧٥) . وكانت هذه التحذيرات المتصلة التى تطلقها الصحيفة تعكس تخوفا على الحياة الدستورية له ما يبرره .

وطالبت (المقطم) بتوفير الحرية للانتخابات ، وشاركت بنشر قوائم المرشحين من مختلف الأحزاب ، وكان بينهم مرشحو « الهيئة السعدية » التى يرد ذكرها للمرة الأولى فى الصحيفة ، وتضم النقراشى والدكتور أحمد ماهر وأنصارهما (٧٦) . وقد حملت هذه الهيئة اسما آخر هو « الوفد السعدى » الذى ضم أولئك المنشقين على الوفد ، بسبب سياسة النحاس بازاء القصر ، وبسبب النفوذ والسيطرة ، اللذين كان مكرم عبيد يحظى بهما داخل الوفد ، وقد قرروا اطلاق اسم « الوفد السعدى » على حزبهام اشارة الى انهم لا يعارضون الوفد بل يعارضون النحاس الذى ابتعد برأيهم عن مبادئ سعد زغلول مؤسس الوفد (٧٧) .

كما نشرت (المقطم) اعلانا عن صحيفة (الدستور) التى يستعد (السعديون) لاصدارها برئاسة الدكتور أحمد ماهر وجاء فيه ، انها « الجريدة الوطنية الحرة لسان الوفديين الصادقين » (٧٨) . وقد اتاحت للسعديين الفرصة للتحرك بحرية تامة فى الدوائر الانتخابية وأنبعث توفير هذه الحرية من رغبة كل من القصر ومحمد محمود فى التخلص من تهمة تزوير الانتخابات ومن الرغبة فى هدم الوفد على أيدي المنشقين عنه ، واطهار ان الحزب الكبير قد انقسم

على نفسه الى (وفد سعدى) يمثل اغلبية الوفديين و (وفد نحاسى)
يمثل اقليتهم (٧٩) .

وترسم (المقطم) صورة قاتمة لما يجرى من تطاحن داخلى ،
فقد استحكم الانقسام فى النفوس « وتغلغل فى الصدور فحول
الخلافا فى الراى السياسى الى نزاع شخصى وعائلى » « وهذه
جرائدنا أو جانب منها ، تتناول اقطابنا بما لا يسر الصديق وما يشمت
العدو » (٨٠) . ونشرت عريضة مرفوعة من الوفد الى الملك من
تدخل رجال الادارة فى الانتخابات لصالح مرشسى الحكومة ،
ووقوف بعض امراء البيت المالك الى جانب الاقلية ، وكذلك استخدام
الدين فى الدعاية الانتخابية (٨١) . فتدعو الصحيفة الى وقف حازمة
من جانب الحكومة تجاه حوادث المعركة الانتخابية « ومما لا ريب
فيه أن الحكومة لا يمكن أن تكون عاجزة عن حفظ النظام بمعناه
الاعم الصحيح ، وبالتالي انها غير عاجزة عن منع الاعتداء » (٨٠) ،
وقد فاز اتباع الوزارة والسعديون والمستقلون المواليون للحكومة
بأغلبية المقاعد فى البرلمان . ونشرت (المقطم) بيانات الوفد حول
نتائج الانتخابات (والجريمة النكراء) التى ارتكبتها الوزاريون
وأشياعهم فى حق الدستور « بداعوهم أن العرش يسند مرشحهم ،
وان ارادة الملك السامية تفرض على الامة انتخابهم » (٨٣) . ولكن
الصحيفة لم تعلق من ناحيتها على هذه النتائج . واكتفت بمتابعتها
وتغطيتها كمادة اخبارية ، وربما اعتقدت بأن التلميح الذى أبدته
عن الحوادث الانتخابية يغنى عن التصريح بالنسبة لصحيفة تؤثر
السلامة وعدم الدخول فى مجابهة مع الحكومة القائمة ، ايا كان
لونها برغم قيام حكومة محمد محمود باجراء هذه الانتخابات « بصورة
مجاغبة لكل قواعد الحرية ، بحيث يمكن القول بأنها فرضت أشخاص
الناجدين غرضاً » (٨٤) .

ولكن مع اتجاه الأمور نحو استقرار الأوضاع السياسية على هذا النحو ، تقول (المقطم) ان « انصار الدستور يشعرون الآن باطمئنان عظيم لتوافر اسباب ضمان استمرار وكفالة العمل بمقتضاه (٨٥) .

وقد شارك السعديون بالوزارة ، واعتبرت (المقطم) هذه المشاركة ، تعزيزا للحكم نظرا لما يتمتعون به من الحنكة السياسية والادارية وصدق الوطنية (٨٦) . وفى الواقع أن هذا التعديل الوزارى ، وان كان قد افاد الوزارة او منحها قوة برلمانية جديدة فانه لم يوطد مركزها فى الراى العام ، فقد ظل انصرافه عنها واضحا ، كما أنه لم يبعد تدخل السراى او يقلل منه (٨٧) .

وقد حمل الدكتور هيكل مسئولية كل ما جرى فى عهد وزارة محمد محمود ، وكان أحد اعضائها ، لعلى ماهر باشا رئيس الديوان الملكى ، وصاحب المشورة على الملك فى مثل هذه المواقف ، وكانت سياسته يومئذ تدعوه ليتجاوز المشورة الى نوع من الاتصال المباشر بشئون الحكم ، وكان محمد محمود باشا شديد البرم بهذا الاتصال (٨٨) . وقد كشف النحاس باشا فى خطاب القاه فى اجتماع وفدى كبير فى سراى آل لطف الله ونشرته (المقطم) ، أساليب الحكومة فى تزوير الانتخابات بهدف محاربة الوفد ودور على ماهر والمنشقين عن الوفد فى ذلك أيضا ، كما تحدث عن الشيخ المراغى شيخ الأزهر الذى استغل منصبه فى الدعاية الانتخابية ضد الوفد (٨٩) .

مسألة التكتلات العسكرية :

اتفق محمد محمود باشا مع (اللورد هاليفاكس) وزير خارجية بريطانيا على تعديل المادة الثانية من معاهدة التحالف المصرية

البريطانية ، بحيث تتولى بريطانيا بمقتضى هذا التعديل دفع نصف تكاليف انشاء الثكنات العسكرية ، لاقامة القوات البريطانية فيها على ضفاف القناة . ووقفت (المقطم) تعارض بناء هذه الثكنات ، واقترحت توظيف المال الذى سينفق فى بنائها لتعزيز قدرات الجيش المصرى لكى يوفر على بريطانيا مهمة الدفاع عن القناة فيما بعد وبذلك تتحقق الأغراض المنشودة للجانبين المصرى والبريطانى بدون أن يتحملا هذه التكاليف (٩٠) . وقالت ان «الدفاع عن القناة مستطاع بغير أن يكون هناك ثكنات عسكرية بجواره » كما أن « وجود مدينة عسكرية بجوار القناة يجعل هذه المدينة هدفا لقنابل طائرات الأعداء » .

اما من « وجهة الكرامة القومية » فنحن أن نعرف ما هو الفرق بين اقامة الجنود البريطانيين اقامة وقتية فى القاهرة والاسكندرية من جهة او ضفاف القناة من جهة أخرى ، مادامت هذه الاقامة فى أرض مصرية ، أو مادامت محدودة الغاية وليس لها صلة باستقلال البلاد الفعلى .. وهناك اعتبار اقتصادى وهو أن الوفا من الناس فى القاهرة والاسكندرية يعيشون من معاملة القوات البريطانية فهؤلاء تقطع اسباب معيشتهم « واذا » دعيت البلاد الى حمل عشرة ملايين جنيه من أجل مشروع كمالى كثكنات منطقة القناة فقد تنوء بهذا الحمل ويؤخر ثقله اعداد جيشها الاعداد الذى تصبو اليه والذى يلزم لحماية البلاد « (٩١) ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الازمة الدولية تنذر بالانفجار بسبب استيلاء المانيا على تشيكوسلوفاكيا فى مارس ١٩٣٩ ، وكانت (المقطم) تتابع تطورات هذه الازمة وتحاول تفسير ما تفرضه معاهدة التحالف مع بريطانيا على مصر ، فى حالة اشتعال الموقف الدولى المضطرب ، وتحدثت عن أهمية ظهور مصر (بمظهر نصير السلام والتصميم على حماية

الوطن وصون سلامته والمحافظة على معاهدة الصداقة والتحالف مع حليفاتها العظيمة « (٩٢) .

فهذه المعاهدة « جاءت فى حينها ، وأن هذا التعاون الذى نشهده اليوم مقدمة لما هو منتظر ، من أن تتمكن مصر تدريجا من الاضطلاع بمهمة الدفاع الى أن تستوفىها ، وتصبح وحدها المسؤولة فى هذا الأمر الخطير ، عملا بما يقتضيه استقلالها ، فتمكن الحليفة من توجيه همها الى مواضع أخرى « (٩٣) .

وقال كريم ثابت ان « مما يزيد الحكومة المصرية اطمئنانا أن التفاهم تام بين السلطات العسكرية المصرية والسلطات البريطانية » مضافا اليه « العلاقات الحسنة التى بين رئيس الحكومة والسفير البريطانى مما يسهل لكل منهما مهمته ، ويساعد على أن يتم تشاور الحكومتين وتعاونهما وتضامهما ، فى جو مشبع بحسن التفاهم والثقة المتبادلة » (٩٤) . وقدمت صورة لهذا التعاون الذى يتخذ مظاهر متعددة منها « ما هو حادث فى الصحراء الغربية حيث تجتمع القوات المصرية والقوات البريطانية ، وتقسم بينها مهام الدفاع ، أو تشارك فيها بالرجال والعدة والسلاح والطائرات » ، أما فى العاصمة فإن السير مايلز لامبسون « سفير الدولة الحليفة لا يفتأ يقابل رئيس الحكومة المصرية ويطلع له يوميا تقريبا على المعلومات والاجراءات السياسية الدولية مما ياتيه علمه من حكومته فى لندن » (٩٥) .

مصر الفتاة :

لزمت (المقطم) الصمت بازاء الصراع الدائر بين الاجنحة المحيطة بالقصر سواء بين القصر والوزارة أى بين على ماهر رئيس الديوان ومحمد محمود باشا رئيس الوزراء ، او داخل القصر

نفسه بين على ماهر بوكيل الديوان كامل البندارى ، وهو الصراع الذى كانت (مصر الفتاة) طرفا أساسيا فيه حيث انتقل زعيمها أحمد حسين فى مسيرته السياسية من معسكر الأحرار الدستوريين الى معسكر على ماهر ثم الى معسكر كامل البندارى الذى تعاطف مع (مصر الفتاة) وحباها تأييده ، والتقى معها فكريا وروحيا ، يضاف الى ذلك الولاء الثابت الذى كانت تقدمه مصر الفتاة وفرفت بها المسماة بالقمصان الخضراء للملك فاروق ، والدور الذى لعبته هذه الفرق ضد القمصان الزرقاء الوفدية ، فى خلال الصراع الطويل بين العرش والوفد . واكثفت (المقطم) بمتابعة أخبار أحمد حسين ورحلاته الخارجية والاجتماعات التى يعقدها حزبه ، وأخبار الاعتقال التى تعرض لها هو وزملاؤه خلال معاركه المتصلة مع هذا الطرف أو ذاك .

ولكن بداية أحمد حسين فى مشروع القرش عندما كان طالبا بالحقوق ، لقبت تشجيع (المقطم) وإكبارها لها باعتبارها خطوة تعزز الاتجاه نحو النهضة الاقتصادية المنشودة فضلا عن ظهور المشروع أبان الأزمة الاقتصادية الدولية ، وفى عهد حكومة صدقى الذى حرصت (المقطم) على التركيز كثيرا فى خلاله على المواضيع الاقتصادية والإصلاحية والاجتماعية نظرا للغيوم التى تلبدت بها سماء السياسة المصرية وقتئذ فى ظل دستور صدقى وسياسته القمعية ضد الأغلبية الوفدية والعناصر الوطنية ، فقد تابعت أخبار المشروع وبيانات أحمد حسين الطالب بكلية الحقوق وسكرتير اللجنة التنفيذية للمشروع .

وإشادت بالروح الإيجابية الذى يقف وراء هذا المشروع وكيف يدفع الشباب الى العمل شغورهم « بحاجة بلادهم الى مشروعات صناعية » و « إيقانهم بأن عليهم واجبا هنا يلزم تأديته بقدر ما تصل اليه طاقتهم الأدبية والمادية » (٩٦) .

ونشرت اقتراحا لأحد الطلاب بأن يتوجه القائمون على مشروع القرش الى السراى الملكية لجمع قرش من الامير فاروق لأن « سمو الامير فاروق ولى عهدنا الحبوب هو امير الشباب المصرى وزعيم الطلبة فيها » فليكن « قرشه اول ما تتوج به قائمة هذا المشروع تبارك به اول خطوة فى سبيل تنفيذه » (٩٧) .

وكررت (المقطم) ترحيبها بمشروع القرش الذى نهضت به الشبيبة المصرية خير نهوض وقابلته الامة خير مقابلة « وجاء دليلا على نشاط الشبيبة المتعلمة وقوة ابتكارها وصدق عزميتها » (٩٨) . وقالت ان هذا المشروع « ينطوى على ثلاث حقائق ويقوم على ثلاثة اركان ، اما الحقائق فهى يقظة مصر ورغبتها فى العمل والارتقاء وتنبه شبابها الى نصيبهم من هذه المهمة ، واما الأركان الثلاثة فهى نشاط الشبيبة وحسن تنظيمها للعمل ومعونة الامة لها معونة صادرة من جميع الطبقات ، وهو اجماع يصح ان يكون شاهدا على صحة السعى وكافلا لنجاح السعى » (٩٩) .

وفى الحق ان الكسب الذى حصل عليه أحمد حسين من فكرة مشروع القرش ، كان أكثر من الكسب الذى حصلت عليه الصناعة الوطنية منها ، لقد كسبت الصناعة الوطنية ثلاثين ألفا من الجنيهات فقط هى كل النجاح الذى حققه المشروع ، ولكن أحمد حسين كسب شهرة قومية واعوانا وانصارا وخبرة بالتنظيم والعمل الجماهيرى ، سهلت له القيام بالخطوة الثانية وهى تأليف جمعية مصر الفتاة فى ٢١ أكتوبر ١٩٣٣ (١٠٠) . وقد تابعت الصحيفة أخبار جمعية مصر الفتاة ، ومسلسل الاعتقالات والانراجات بالنسبة لأحمد حسين ورفاقه فى الجمعية بسبب ما كانوا يوزعون من منشورات واعلانات تهاجم الأجانب وتدعو لمقاطعة دور السنينما الأجنبية ، ومقالات تهاجم النحاس باشا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ فى جريدة الضياء ، وكذلك أخبار القمصان الخضراء التى شكلها أحمد حسين .

وكانت فرق القمصان الخضر تحظى بعطف وتأييد من على ماهر لسبب ظاهر هو انها قد تصلح نواة لتأييد اغراضه والكيد للحكومة الدستورية(١٠١) . وكان ذلك مبعث صدامات بين اصحاب القمصان الخضراء والزرقاء خاصة فى عهد حكومة الوفد السابقة الذى بلغ التوتر فيه ذروته ، بمحاولة الاغتيال التى تعرض النحاس باشا لها على يد أحد أعضاء اصحاب القمصان الخضراء فى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٧ ، وكانت جمعية مصر الفتاة قد تحولت الى « حزب مصر الفتاة » فى اوائل عام ١٩٣٧ انتخب احمد حسين لرئاسته .

وواصلت (المقطم) موقفها من حزب مصر الفتاة بالمتابعات الاخبارية فقط ، وكانت المرة الاولى التى حاورت فيها اركان هذا الحزب على اثر الحملة التى شنّها الحزب على الحانات وامكن بيع الخمر فى البلاد ، فكتبت (المقطم) تقول ان الموضوع يتطلب بث الدعوة وتربية الناشئة لسرد مساوئ الخمر « اما أن يعهد فريق من أبناء الأمة الى اقامة نفسه مقام الحكم ، ويتوسل بالقوة لقضاء هذه المهمة الشريفة بذاتها ، فعمل اذا ترك وشأنه يؤدي الى الفوضى حتما »(١٠٢) .

وقد رد احمد حسين بقوله انه يطالب بتحريم الخمر وان حملته على الموبقات هى أهم جزء من برنامج الدّفاع الوطنى لأن حياة الشعوب ليست فى المدافع والطائرات وحدها بل لابد من أن تكون لها حياة معنوية قوية وأشار الى موقف (المقطم) فى الاتجاه نفسه لانها الجريدة الوحيدة التى لا تنشر اعلانات الخمر وتدعو لمحاربته(١٠٣) . وحاورته مرة أخرى ، عندما طبع بعض أعضاء مصر الفتاة اعلانات على واجهات المحلات والمتاجر فى طنطا بعنوان «اليهود اعداؤكم فقاطعوهم»(١٠٤) .

ورد كريم ثابت على هذه الدعوة بقوله ان « يهود مصر اخواننا لا نريد ان نكون ميدانا لدعاية ما ، مهما يكن نوع هذه الدعاية فليتركونا في حالنا ، ولكن قضية فلسطين العربية شئ آخر » (١٠٥) .

اما قضية الصراع بين على ماهر والبنداري ، والذي انتهى بابعاد البنداري عن الديوان الملكي بعد نجاح خطة على ماهر بالتحالف مع الانجليز من خلال زيارته لبريطانيا للمشاركة بمؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين ، فلم تتحدث عنه بأكثر من خبر عن رفض الملك لاستقالة على ماهر التي كان السبب الباعث على تقديمها تعذر قيامه بالعمل مع وكيل الديوان كامل البنداري بالرغم مما كان يجمعهما سابقا من صلات وثيقة ، وقد نفى البنداري لئندوب (المقطم) وجود صلات بينه وبين حزب مصر الفتاة وتأييده لأعضائه غجبيح الاحزاب في نظره سواء ، ولكنه يرى ان الوقت قد حان « ليعمل الدم الجديد » (١٠٦) . وقد تأثر حزب مصر الفتاة كثيرا بخروج البنداري واشتداد قبضة على ماهر على مقاليد الأمور في البلاد وتعرض أحمد حسين للسجن لمدة طويلة في أثناء الحرب العالمية الثانية قبل ان يعاود نشاطه بعد الحرب بشكل واحد العناصر المهمة في صفوف الحركة الوطنية المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ .

الاخوان المسلمون :

كان صمت (المقطم) تاما حيال جماعة الاخوان المسلمين منذ تاسيسها على يد (الشيخ حسن البنا) عام ١٩٢٨ في مدينة الاسماعيليه ، وانتقال مركز نشاطها الى القاهرة عام ١٩٣٢ ، وكان اول خبر يرد فيه ذكرها على صفحات (المقطم) للمرة الاولى في منتصف عام ١٩٣٦ لدى قيام وفد من زعماء فلسطين بزيارة لدار

« جمعية الاخوان المسلمين » فى القاهرة « غاستقبلهم اعضاء الجمعية مرحبين بهم وخطب كثير منهم خطبا اعربوا فيها عن عطف المصريين على اخوانهم عرب فلسطين فى محنتهم وتمنوا لهم النصر النهائى » (١٠٧) . وذلك ابان الثورة الفلسطينية الكبرى التى انطلقت عام ١٩٣٦ . وقامت قوات الجيش البريطانى بقمعها بشدة « وكان الاخوان قد اعلنوا تضامنهم الكلى مع عرب فلسطين ، منذ بداية تطور القضية الفلسطينية ، ولكن تحت تاثير العامل الدينى لا القومى العربى وقد قامت علاقة وثيقة بين الشيخ حسن البنا ومفتى فلسطين » (١٠٨) ونشرت (المقطم) اخبار جمعية الاخوان المسلمين مقرونة بالنشاط المبذول لنصرة القضية الفلسطينية ، وبعض اوجه النشاط الاجتماعى فى مصر ، وذلك بشكل محدود للغاية طيلة الفترة منذ تأسيس الجماعة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، برغم دخول الجماعة معترك الحياة السياسية فى عام ١٩٣٨ فى الذكرى العاشرة لتأسيسها ، واحتضان على ماهر لها بعد تشكيل وزارته فى اغسطس ١٩٣٩ خلفا لمحمد محمود .



اما لماذا صممت (المقطم) ازاء المناهج السياسية لكل من مصر الفتاة والاخوان المسلمين فيمكننا تفسير ذلك بأن (المقطم) لم يكن يريد لها وجود هيئات متطرفة فى عدائها للأجانب والانجليز منهم على وجه الخصوص ، كما كان واضحا لدى التأييد الذى حبه (المقطم) للوفد فى صراعه مع القصر بحكم الدور الذى لعبه الوفد فى انجاز معاهدة الصداقة والتحالف ووضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ ، فضلا عن محاولات القصر الانفراد بالحكم بعيدا عن ايدي

الانجليز ونفوذهم وتدخلاتهم ، وذلك فى الوقت الذى حظيت فيه مصر الفتاة برعاية القصر وتأييد المحيطين به من أجل معاداة الوفد ومحاربته التى بلغت ذروتها بمحاولة اغتيال النحاس على يد أحد أعضاء مصر الفتاة ، وذلك ابان الصراع المحتدم بين العرش والوزارة الوفدية ، وكذلك الامر بالنسبة للاخوان المسلمين الذين لم يكونوا أقل تطرفا فى عدائهم للانجليز من مصر الفتاة . وقد أراد القصر استخدامهم فى بعض المراحل أيضا ضد الوفد وضرب شعبيته فى البلاد .

هوامش الفصل الثالث

- (١) عيد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ٢٧ - ١٩٤٨ ، ج ١ ، دار الوطن العربي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩ - ٤٢ .
- (٢) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٣٦ .
- (٣) المقطم ٣٠ نوفمبر ١٩٣٦ .
- (٤) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٣٦ .
- (٥) المقطم ١٧ مارس ١٩٣٧ .
- (٦) المقطم ١٨ مارس ١٩٣٧ .
- (٧) المقطم ١٩ مارس ١٩٣٧ .
- (٨) المقطم ١ أبريل ١٩٣٧ .
- (٩) المقطم ٣ أبريل ١٩٣٧ .
- (١٠) المقطم ٤ مايو ١٩٣٧ .
- (١١) المقطم ١٨ مايو ١٩٣٧ .
- (١٢) المقطم ٢٨ مايو ١٩٣٧ .
- (١٣) المقطم ٢ يونيو ١٩٣٧ .
- (١٤) المقطم ٩ يونيو ١٩٣٧ .
- (١٥) المقطم ١١ يونيو ١٩٣٧ .
- (١٦) المقطم ٢١ يونيو ١٩٣٧ - وكان الشيخ مصطفى المراغي هو شيخ الأزهر

فى ذلك الوقت .

(١٧) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٣٧ .

(١٨) محمد التامى ، من اسرار الساسة والسياسة ، دار القلم ، القاهرة ،
بدون تاريخ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، وقارك كريم ثابت فى اصدار صحيفة (المصرى)
فى ١١ اكتوبر ١٩٣٦ ، مع محمد التامى ومحمود أبو الفتح ، ولكنه ترك العمل بها ،
وباع حصته لزميليه وعاد الى العمل ثانية فى المقطم فى عام ١٩٣٩ .

Yossef, Amin, independent Egypt, London, 1940,
P. 236. (١٩)

وكان الأمير عبر طوبسون يلح فى مقالاته على كلمة التولية وليس التتويج ،
باعتبار ان التولية اجراء يتفق مع التقاليد الاسلامية .

(٢٠) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٣٧ .

(٢١) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٢) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٣) المقطم ٢٩ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٤) المقطم ٣٠ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٥) المقطم ٤ اغسطس ١٩٣٧ .

(٢٦) المقطم ٩ اغسطس ١٩٣٧ .

(٢٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ - ٤٨ ، ج ١ ،

ص ٧٠ - ٧٢ .

(٢٨) المقطم ١٠ اغسطس ١٩٣٧ .

(٢٩) المقطم ١١ اغسطس ١٩٣٧ .

(٣٠) المقطم ١٠ اغسطس ١٩٣٧ .

(٣١) المقطم ١٧ اغسطس ١٩٣٧ .

(٣٢) المقطم ٢٧ اغسطس ١٩٣٧ .

(٣٣) المقطم ٧ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٣٤) المقطم ٧ سبتمبر ١٩٣٧ - الاقتراح بتوقيع (مصرى) . ومن هذه

التوقيعات لا تخرج عن دائرة هيئة تحرير الصحيفة .

(٣٥) المقطم ٨ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٣٦) المقطم ٨ سبتمبر ١٩٣٧ .

- (٣٧) يونان لبیب تاریخ الوزارات المصریة ، ص ٣٩٣ .
- (٣٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٢٧ - ٤٨ ، ص ٩٧ .
- (٣٩) المقطم ٥ يونيو ١٩٣٧ .
- (٤٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٣٧ .
- (٤١) يونان لبیب ، أصحاب القمصان الملونة فی مصر ٣٣ - ١٩٣٧ ، المجلد التاريخیة المصریة ، المجلد ٢١ ، ١٩٧٤ .
- (٤٢) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٣٧ .
- (٤٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ - ٤٨ ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
- (٤٤) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٤٥) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٤٦) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٤٧) المقطم ١٨ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٤٨) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٤٩) محمد زکی عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١٠٧ .
- (٥٠) يونان لبیب ، تاریخ الوزارات المصریة ، ص ٣٩٨ .
- (٥١) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٥٢) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٥٣) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٧ .
- (٥٤) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٥٥) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٥٦) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٥٧) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٥٨) المقطم ١٨ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٥٩) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٦٠) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٦١) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧ .
- (٦٢) المقطم ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧ .
- (٦٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ - ٤٨ ، ج ١ ، ص ١٥٩ .
- (٦٤) عبد الرحمن الرامعی ، فی اعقاب الثورة المصریة ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

- (٦٥) المقطم ٣١ ديسمبر ١٩٢٧ .
- (٦٦) المقطم ١ يناير ١٩٢٨ .
- (٦٧) المقطم ١ يناير ١٩٢٨ .
- (٦٨) المقطم ٤ يناير ١٩٢٨ .
- (٦٩) المقطم ٧ يناير ١٩٢٨ .
- (٧٠) المقطم ١٧ يناير ١٩٢٨ .
- (٧١) المقطم ١٩ يناير ١٩٢٨ .
- (٧٢) المقطم ٢٨ يناير ١٩٢٨ .
- (٧٣) المقطم ٢ فبراير ١٩٢٨ .
- (٧٤) المقطم ٣ فبراير ١٩٢٨ .
- (٧٥) المقطم ٥ فبراير ١٩٢٨ .
- (٧٦) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٢٨ .
- R.I.A., Great Britain and Egypt, Op. Cit., P. 50. (٧٧)
- (٧٨) المقطم ١٣ فبراير ١٩٢٨ .
- (٧٩) يونان لبیب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٠٩ .
- (٨٠) المقطم ٤ مارس ١٩٢٨ .
- (٨١) المقطم ١٥ مارس ١٩٢٨ .
- (٨٢) المقطم ٢٢ مارس ١٩٢٨ .
- (٨٣) المقطم ١٢ أبريل ١٩٢٨ .
- (٨٤) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١١٣ .
- (٨٥) المقطم ١٢ أبريل ١٩٢٨ .
- (٨٦) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٨ .
- (٨٧) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١١٥ .
- (٨٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٨٦ .
- (٨٩) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٨ .
- (٩٠) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٢٨ .
- (٩١) المقطم ٤ أكتوبر ١٩٢٨ .
- (٩٢) المقطم ٢٠ مارس ١٩٢٩ .
- (٩٣) المقطم ٢١ مارس ١٩٢٩ .

- (٩٤) المقطم ٢٢ مارس ١٩٣٩
- (٩٥) المقطم ١١ مايو ١٩٣٩
- (٩٦) المقطم ١٦ يناير ١٩٣٢
- (٩٧) المقطم ٢٦ يناير ١٩٣٢
- (٩٨) المقطم ١٤ فبراير ١٩٣٢
- (٩٩) المقطم ٢٥ يناير ١٩٣٣

(١٠٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٢٧ — ٤٨ ، ج ١ ،

ص ١٨٢ .

(١٠١) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٩٥ .

- (١٠٢) المقطم ١٠ يناير ١٩٣٩
- (١٠٣) المقطم ٢٧ مايو ١٩٣٩
- (١٠٤) المقطم ٢٠ يوليو ١٩٣٩
- (١٠٥) المقطم ٣ أغسطس ١٩٣٩
- (١٠٦) المقطم ٧ أبريل ١٩٣٩
- (١٠٧) المقطم ١٦ يونيو ١٩٣٦

(١٠٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٢٧ — ٤٨ ، ج ١ ،

ص ٢١٠ .

الفصل الرابع

المقطم ومصر في الحرب العالمية الثانية

مصر بين الحرب والحياد :

شكل على ماهر وزارته بعد استقالة وزارة محمد محمود ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه الأحداث السياسية العالمية تسرع فى اتجاه اشتعال الحرب العالمية الثانية ، فنقول (المقطم) « ان الحاجة الى النشاط والهمة كبيرة ، ولاسيما ان الموقف السياسى الدولى ليس على خير ما يرام ، سينجا العالم قبل انقضاء هذا الشهر بأمور ، وان تكن لاتزال فى عالم الغيب والخفاء فان الدلائل تدل من الآن على خطورتها ، وهى أمور ووقائع يصيب مصر نتائجها وعواقبها » (١) . ودعت الحكومة المصرية الى مطالبة بريطانيا رسميا بمساعدة مصر ، حيث « لا نستطيع ان نستمر فى هذا الاتفاق طويلا » (٢) . وكانت وزارة محمد محمود السابقة قد أعدت برنامجا لتسليح الجيش المصرى تكلف مبالغ طائلة من أجل اعداد الجيش وتسليحه ، بالاضافة الى ما كانت تتحدث عنه (المقطم) من خسائر تدملتها مصر بنزول أسعار سنداتها وأسهمها بفعل خطر الحرب ، لا تقل عن عشرين مليونا بن الجنيهات (٣) .

وقد احتلت اخبار الازمة الدولية وتطوراتها ، مانشيئات الصحيفة ومعظم صفحاتها ، واجرت حديثا مع أحد قادة الجيش

يقول فيه أن انجلترا ملزمة بتقديم السلاح والذخيرة لمصر (٤) ،
وحديثا مع قائد آخر أعلن فيه أن بناء الثكنات الآن معناه القاء الماء
فى البحر (٥) . وقد مر بنا كيف وقفت (المقطم) تعارض فى بناء
الثكنات ، بعد الاتفاق الذى وقعه محمد محمود باشا فى لندن ،
وقدمت مبررات معينة لذلك تتفق مع رغبة بريطانبا التى كان
« يهملها لحد بعيد الا تتمكن مصر اطلاقا من بناء الثكنات ، حتى تبقى
جنودها منتشرة فى جميع أرجاء البلاد » (٦) . وبدأت (المقطم)
بمتابعة أخبار القتال ، والأجواء الدولية الملتفة بنيران الحرب ،
وكان المانشيت الرئيسى الذى تصدر عدد (المقطم) عن بدء القتال
بين ألمانيا وبولونيا ، وقول هتلر لجيشه بأنه سيرد على القوة وأنه
سيحارب (٧) .

وأوردت (المقطم) نبا إعلان الأحكام العرفية فى مصر ، وقالت
أن الواجب يفرض على مصر الآن « أن تتوسل بالسكينة والهدوء
وتستعين برباطة الجأش وتقوى باتحاد كلمتها على مواجهة الموقف
الخطير ، وتلتف حول العرش المهدى الذى يجلس عليه القائد
الأعلى » . وكذلك المحافظة على « الأمن والنظام ومساعدة القوات
الدافعة والبذل والتطوع واجتناب النزاع الداخلى حتى الكلامى فى
وجه هذه النازلة » (٨) .

وذكرت (المقطم) أن الحكومة « ماضية فى الاستعداد والتأهب
ومواجهة الطوارئ والمقتضيات » وإنها « قطعت علاقاتها السياسية
بالدولة الألمانية مقتصرة على هذا النظام ، فكان موقفها من هذه
الناحية غذا بين مواقف الدول الأخرى كلها وهى بين محارب
ومحايد » ، وطالبت الشعب بوجوب « تأييد مساعى الحكومة
وتهوين عملها الشاق بتنفيذ القوانين التى تسنن لمواجهة حالة
الطوارئ واتخاذ الجميع على صون الأمن والنظام » (٩) .

وهذا التأييد الذى تملنه الصحافة لخطوات الحكومة وأجراءاتها ، من قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا ، وإعلان الأحكام العرفية ، يتفق مع منهج (المقطم) بنصرة قضية الحلفاء وتوفير الظروف الملائمة لحربهم ضد المحور ، علما بأن مرسوم إعلان الأحكام العرفية ، الذى جاء بعد المرسومين الخاصين بالتدابير الاستثنائية وحماية الأسرار العسكرية قد أثار « دهشة المراقبين السياسيين ، لأن إنجلترا نفسها لم تعلن الأحكام العرفية فى بلادها أو فى مستعمراتها ، فكان على ماهر باشا قد تجاوز ببعض الإجراءات ما اتخذته الدول المحاربة نفسها فى بلادها من إجراءات » (١٠) .

وقد أبدت (المقطم) دعوة البرلمان الى الاجتماع لمناقشة مسألة الأحكام العرفية ، ورات أن الغرض من ذلك « ليس الرغبة فى تشكيك الناس فى صحة السياسة التى انتهجتها الحكومة بل الرغبة فى تعزيز هذه السياسة تحت قبة البرلمان » . ومادام الأمر كذلك ، فانه لا مجال للتخوف من مواجهة البرلمان بهذه السياسة ، لأن « البلاد كلها على اختلاف أحزابها وهيئاتها مجمعة على الوقوف فى صف بريطانيا العظمى فى الحرب التى خاضت غمارها متفقة على ما تقتضيه هذه الخطة من التزامات وتدابير وإجراءات » (١١) .

ولا تقف (المقطم) عند هذا الحد ، بل تدعو الى ما هو أبعد بكثير من الموقف الذى اتخذته الحكومة لنصرة بريطانيا ، وذلك بإعلان حالة الحرب مع ألمانيا ، فنقول : « يجب أن نقرر أننا فى حالة حرب فعلا . . أما ماذا نكسب . نكسب كثيرا . نكسب حق المساهمة فى مفاوضات الصلح . ونكسب حق الجلوس الى مائدة الصلح . والاشتراك فى امضاء معاهدة الصلح . ونكسب ما

يجب أن يؤول إلنا من غنائم الحرب وأسلابها . وهذا اعتبار له أهملته لأننا نعوض عندئذ بعض ما بذلناه فى سبيل الاستعدادات التى تكلفنا الآن مالا طائلا . أما لو بقينا على قرار قطع العلاقات السلساسية ، فلا نكسب شلنا ولا نستفد شلنا ، فى حين أننا نستطاع أن نكسب وأن نستفد . هذا هو الفرق «(٢٢)» .

وبقول (لوجول) أن (المقطم) ، الصلفة المؤيدة للقضية البرلطانلة ، قد وضعت هنا بكل صراحة ، الجواب على ذلك السؤال الخطير ، هل ستعلن مصر الحرب على الراىخ الألماني ، والذى سوف يتكرر فى بحر السنوات التالية ، مما أثار العفد من التعليقات ، ولكن الجمهور لم يحرك ساكنا بانتظار الالابة(١٣) .

وقالت (المقطم) فى معرض التعقيب على تصريح على ماهر بعدم الاعتراض على اتصال السلطة التنفيذية بالبرلمان ، أن مصر قد جهزت « بلسان زعمائها وأقطابها على أختلاف أحزابهم بأنها تقف فى صف انجلترا حلفتها انتصارا للديمقراطية ، وقطعت الحكومة المصرية علاقاتها السلساسلة بالمانلا انتصارا للديمقراطية كذلك . وفى هذا كله دليل على تعلق مصر بالمبادئ الديمقراطية «(١٤)» . وقالت أن ممثلى الهلئات البرلمانية يستطيعون فى الاجتماعات التى يعقدونها مع على ماهر « أن يستطلعوا رؤس الحكومة أمورا قد يكون لها تأثير كبير فى تعمين الخطة التى ينتهجونها فى داخل البرلمان «(١٥)» .

ويتضح هنا داب الصلفة لخلق موقف برلمانى منسجم مع سلساسة الحكومة المصرية . وفى هذا السباق أيضا كان ترحيبها بتصريح على ماهر الذى قال فىه ، أنه « لو لم تكن هناك معاهدة بين مصر وانجلترا لما وقتت مصر غير موقفها الحاللى » بقولها أن

« هذا الذى قاله رنمته وعبر به عن شـمـور مصر كلها هو المعاهدة الحقيقية ، وهو الصداقة الصحيحة والتحالف النزيه . .
!ها المعاهدة المصرية الانجليزية فقائمة على أساس متين من
الصداقة ، وهى صداقة ظل المصريون يجاهدون نحو سبع عشرة
سنة فى سبيل عقد أوامرها « (١٦) . وكتبت يوم انعقاد البرلمان
تقول ، ان حكومة جلالة الملك رات « عملا بما يقتضيه دستور
البلاد الا تنفرد بالأمر ، وان تتيح الفرصة للملائمة لى تعرب
الامة عن رأيها ممثلة ببرلمانها ، فتعرض عليه الحكومة ما اختارت
من سياسات وما اتخذت من قرارات أريد بها الوفاء بالعهود
وصون مصالح البلاد الحيوية » مؤكدة على ان الامة
« مستعدة للوفاء بنصوص المعاهدة وعدم السماح لاحد بأن يتعدى
حدودها ، وسيبدو هذا التصميم بشكله الجديد نيمـا يجمع عليه
البرلمان حينما تعرض عليه الحكومة المراسيم والقوانين التى صدرت
فى اثناء العطلة البرلمانية « (١٧) .

ونشرت بيان رئيس الوزراء الذى ادلى به فى البرلمان تحت
عنوان « فى سبيل مصر نقف صفا واحدا تحت راية الوطن
والعرش والحرية « (١٨) . وقد انتهت مناقشات البرلمان الى
الموافقة على هذه المراسيم ، التى دافع على ماهر عنها بحرارة ،
خصوصا فى مواجهة الموقف المتصلب الذى وقفه مجلس الشيوخ
الذى كان يتمتع بأغلبية وفدية فى صفوفه .

فى هذه الأثناء ، كانت البلاد تعيش اجواء ازمة حادة فى
القطن المصرى ، وتجرى الاتصالات للتوصل الى حلول مناسبة
لها بين حكومتى مصر وبريطانيا ، وازدادت خطورتها الى درجة
ان البرلمان المصرى عقد جلسة خاصة بشأنها ، وقرر تكليف
الحكومة بمخاطبة بريطانيا لشراء القطن المصرى كله وذلك بناء

على اقتراح تقديم به محمد محمود باشا وآخرون ، فتقول (المقطم) :
« ولسنا فى حاجة الى القول بأن هذا القرار يدل دلالة واضحة
على أن مصر تنتظر من حليفتها أن تساعدنا من هذه الناحية كما
ساعدتها مصر من نواح أخرى ، وبذلك تعزز روح المعاهدة من
الجانبيين ، لا نخطئ اذا قلنا ان رغبة الحليفتين فيه متماثلة
متعادلة » (١٩) مؤكدة على ان « للمصريين ثقة تامة بأن سعادة
السير مايلز لامبسون سيكون خير وسيط فى هذا الموضوع بين
الحكومتين بما عرف عنه من حب لهذه البلاد ومن انصاف واصالة
راى فى معالجة الامور المتصلة بما بين البلادين من مصالح
مشتركة » (٢٠) . واوضحت ان « الناس جميعا فى مصر يعتقدون
أن فى طاقة بريطانيا ان تفرج أزمة القطن المصرى ويرنون
بأبصارهم الى لندن منتظرين بفروغ صبر ما يستقر عليه القرار
هناك فى هذه المسألة الحيوية » (٢١) ونوهت بكلمة محمد محمود
باشا فى البرلمان التى جاء فيها : « ونحن فى هذه البلاد نناصر
بكل قوتنا المبادئ الديمقراطية ونعمل لانتصارها الحاسم » قائلة
ان هذه « عبارة يجدر بطفاننا الانجليز أن يقدرُوا نبل الروح التى
انطوت عليها لان معنى هذه العبارة أننا نعد القضية قضية مشتركة
ونعنى قضية الديمقراطية وفى هذا ما يدعونا الى النهوض بتعهداتنا
للحليفة بكل صدق واخلاص وأمانة » (٢٢) .

ومن الجدير ذكره ، ان العلاقات بين محمد محمود والسفير
البريطانى ، كانت تسير بشكل جيد ابان حكومته السابقة ، التى
وفت بجميع ما تطلبته المعاهدة من تعهدات ، فى الوقت الذى
حدث فيه تباعد بين الوفد والانجليز ، بعد التحالف المؤقت الذى
جرى بينها اثناء الأزمة الدستورية ، فقد رأى الذخاس ان من
المستحيل على الملك فاروق ان يستطيع وحده بتأييد من على ماهر

باشا اقالته اذا كانت الحكومة البريطانية ترى جديا أن تمنع حدوث ذلك (٢٢) .

وفى محاولاتها المستمرة لتأييد خطط الحكومة المصرية واجراءاتها بما يدعم الموقف البريطانى وخصوصا مسألة الاحكام العرفية تقول (المقطم) ، ان « الجمهور لا يشعر بشيء اسمه وطأة الاحكام العرفية الا من ناحية ضربها على ايدى بعض التجار الذين زين لهم طمعهم وجشعهم ، أن يفتشوا فرصة الظروف الحاضرة ليحاولوا استغلال الناس استغلالا غير شريف » ولم تحاول الحكومة أن تستغل الاحكام العرفية لمصلحتها بحال فلا عنت ولا تعنت ، وكذلك لم تحاول الانتفاع بها فى غرض سياسى أو حزبى « بل ظلت الروح الدستورية هى المتغلبة » (٢٤) .

ولم تال (المقطم) جهدا فى الاشادة بكافة مظاهر التعاون المصرى البريطانى (٢٥) كالمناورات المشتركة بين الجنود المصريين والبريطانيين ، التى جاءت « دليلا جديدا على ما بين الرجال العسكريين المصريين والرجال العسكريين البريطانيين من صداقة ومودة ورغبة صادقة فى التآزر والتضافر » (٢٦) وكتب مندوبها يصف زيارته للوحدات الميكانيكية فى (جيش الشرق) بدعوة من الجنرال (فيجان) قائلا : « انك ترى الحياة فى نظرات هؤلاء الجنود وترى العزائم الصادقة مرسومة على جباههم » (٢٧) .

وقالت (المقطم) انه « كلما اشتدت الحرب فى أوروبا ازداد الناس فى مصر ايمانا بفوائد محالفة بريطانيا أو بعبارة أخرى كلما اشتد الضغط على الدول الصغيرة فى أوروبا ازداد الناس هنا ايمانا بضرورة أن يكون لمصر حليفة قوية » . وموقع مصر الجغرافى يوجب عليها أن « تكون فى صف بريطانيا ، وأنه حتى لو لم تكن

بيننا وبين بريطانيا معاهدة كالمعاهدة المفقودة بين البلدين لتقتضى طبيعة الأمور في الظروف الحاضرة بأن تكون بريطانيا ومصر في صف واحد « (٢٨) . ونشرت تصريحاً للجنرال ويلسون يقول فيه : « ان القوات المسلحة والجيش المتحالفة في مصر على تمام الاستعداد للدفاع عن البلاد » (٢٩) . وتحدثت عن « زيارة جلالة الملك لمنطقة القناة ليشراف على تدابير تأمين الدفاع عنها » (٣٠) ، وعن عزم الحكومة على « الاستعانة بأعيان البلاد وذوى النفوذ فيها لتعزيز الأمن والنظام » (٣١) .

على ماهر وسياسة تجنب مصر ويلات الحرب :

أشارت (المقطم) الى الاجتماعات والمناقشات الدائرة بين رئيس وزراء مصر وسفير بريطانيا التي « تدور في جو من الإدراك الصحيح للظروف الدولية الحاضرة ووقوف مصر من جميع النواحي كدولة مستقلة من جهة وكحليفة لبريطانيا من جهة أخرى ، وليس للحكومة سوى غرض واحد هو أن تصون مصلحة مصر كاملة في ظل أحكام الدستور وبما يطابق نصوص المعاهدة » (٣٢) . وذلك بعد دخول إيطاليا الحرب ضد الحلفاء ، وقد عقد البرلمان المصري جلسة خاصة لاستيضاح سياسة الحكومة بإزاء الموقف المستجد ، فنقول (المقطم) : « اليوم كلنا وراء الحكومة ، نقول الحكومة ولا نقول الوزارة ، فان الموقف أخطر من أن ننظر الى الحكومة من خلال الوزارة ولا يعنينا من يرأس الوزارة ولا ممن تؤلف الوزارة .. ومن الواجب على كل واحد منا اليوم أن يقف خلف الحكومة ، لأنها حكومة مصر ، حكومة الدولة التي على رأسها فاروق » (٣٣) .

وأعلن على ماهر باشا في مجلس النواب سياسته الخاصة بموقف مصر في هذه الظروف وكانت هذه السياسة تقضى بدخول

مضر الحرب فى حالة اعتداء ايطاليا عليها باحدى الطرق الثلاث
الآتية :

١ — اذا توغلت الجنود الايطالية فى الاراضى المصرية مبتدئة .

٢ — اذا ضربت المدن المصرية بالقنابل .

٣ — اذا ارسلت غارات جوية على مواقع الجيش المصرى .

ومن الغريب ، مع ذلك ، ان يسمى على ماهر باشا سياسته
هذه سياسة تجنب مصر ويلات الحرب ، مع انها استمرار لسياسته
القائمة على الحرب الدفاعية (٣٤) .

وقالت (المقطم) ان يوم امس سيظل « يوما تاريخيا فى سفر
الحياة البرلمانية المصرية فقد ضربت المعارضة امس مثلا ساميا
للوطنية الخالصة المنزهة عن كل غرض ، واثبتت انه عند الشدائد
وفى مثل هذه الظروف الخطيرة تعرف مصر كيف توحد كلماتها » (٣٥) .

واشادت بخطة على ماهر التى نالت الموافقة الاجماعية والثقة
العامة بقولها ، ان « السنة العباد فى طول البلاد وعرضها تترنم
بها فى كل مجلس وناد وحسبنا أن نقول انها سجلت لمصر فخر
الحرص على السلام من دون أن ترتضى لنفسها الضيم أو تنزل عن
حقها فى الدفاع عن الشرف ومكنتها من التوفيق بين الاحتفاظ بأمنها
الداخلى من ناحية وتوفية ما عليها لحليفها العظمى من التزامات
من ناحية أخرى ، وهذا كله فضل الله يؤتيه من يشاء » (٣٦) .

الا أن تغييرا مفاجئا فى الموقف البريطانى من وزارة على ماهر
يحدث بتقديم تبليغ الى الملك فاروق من السفير البريطانى لامبسون ،
يقول فيه « فى هذا الوقت بالذات .. فاننا لسنا مستعدين . لا نحن
ولا جلالتك ، لبقاء رجل فى عجلة القيادة ، لا نثق فيه ، لا نحن

ولا الشعب المصرى ، أن على ماهر يجب أن يخرج ، ويخرج
بسرعة «(٣٧) .

ويقول الدكتور هيكل ان الملك دعا زعماء الأحزاب للتشاور
فى الموقف فى قصر عابدين ، وأن الحاضرين وفى مقدمتهم أحمد
ماهر باشا رأوا الخير فى أن تستقيل وزارة على ماهر باشا بعد
ان انعدمت الثقة بينها وبين الحكومة البريطانية ، وبعد أن أصبح
تعاونها غير ممكن ، وعلى اثر هذا القرار القى على ماهر باشا فى
البرلمان تصريحاً طعن فيه طعناً جارحاً على موقف انجلترا من
مصر ، وعلى تصرف سفيرها الاستبدادى مع وزارة مصر ، مما جعل
منه خصماً صريحاً لمثل انجلترا فى مصر ، وخصماً صريحاً لانجلترا
نتيجة لذلك ، ورفع على ماهر باشا استقالة وزارته الى الملك
فقبلها (٣٨) .

ولم تتطرق (المقطم) للخوض فى ملابسات خروج على ماهر
من الحكم ، التى ناقشت بعض المراجع أسبابها الظاهرة ، بما قدمته
الوثائق البريطانية ، ومنها « العمل الدائب من جانب عزيز المصرى
لتقويض مركز البعثة العسكرية البريطانية عهدا ، وفى تشجيع
رئيس الوزراء للحملة ضد الوضع الانجليزى المصرى فى السودان ،
وفى طرد عدد من موظفى الحكومة المعروفين بميولهم الودية نحو
بريطانيا » و « وتشجيع الوزارة والملك على انتهاج خطة العداء
نحو الوجود البريطانى والسعى الى الاتصال بدولتى المحور » (٣٩) .

أما الدكتور عبد العظيم رمضان فيرى ان الأسباب الحقيقية
للخلاف بين على ماهر ولاميسون كانت تتركز حول مسألة دخول
مصر الحرب ، فبينما كان على ماهر يفرق بين الحرب الدفاعية
والحرب الهجومية ويرى ان دخول الحرب الدفاعية يلزم فيه اعتداء
ايطاليا على مصر ، وأن دخول الحرب الهجومية يلزم له موافقة

البرلمان ، كان السير مايلز لامبسون لا يفرق بين الحربين ، ولما رأى لامبسون أن على ماهر لا يريد أن يذعن للضغط الواقع عليه ، وفى الوقت نفسه كانت الصحف الحكومية تروج لفكرة الحياد ، بينما كانت التقارير ترد من روما بأن الوزير المصرى المفوض فيها يفاوض بخصوص الحياد ، اعتبر لامبسون ذلك علامة على أن على ماهر يلعب على الحبلين ، وأنه يماطل فى إعلان الحرب تمهيدا لإعلان الحياد(٤٠) .

وزارة حسن صبرى وخروج السعديين :

ذهبت وزارة على ماهر ، « وأختير الرئيس الجديد ، ن الشخصيات التى يرضى عنها الانجليز . فعهد الى حسن صبرى الذى كان سفيراً لمصر فى بريطانيا بتشكيل الوزارة »(٤١) . وقد أعلن حسن صبرى التزام حكومته بالمحافظة « على استقلال البلاد وتجنبيها شرور الحرب »(٤٢) . وبالرغم من أن حسن صبرى قد انتهج حيال الحرب نفس الموقف الذى انتهجه على ماهر بتجنيب مصر ويلاتها ، فان خطة التعاون التى التزم بها حيال الحليفة قد أدت الى تحسن الأمور بين الطرفين على نحو واضح ، ولكن فى نفس الوقت أدى الى توتر العلاقات بين السعديين الذين كانوا يشكلون أهم المجموعات الحزبية التى تتألف منها وزارته . فبعد أسابيع قليلة من تشكيل الوزارة بدأ الدكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية ورئيس مجلس النواب ، فى شن حملة سياسية تستهدف أن يكون لمصر دور أكثر تحديداً فى الحرب . وتعزو المصادر البريطانية هذه الحملة الى عدة دوافع ، منها ايمانه حقيقة بأن ذلك سيكون من مصلحة مصر ، ومنها انه كان يأمل من خلال هذه الحملة فى الوصول الى رئاسة الوزارة(٤٣) .

وقد حرصت (المقطم) على الدعوة الى ان « تظهر مضر
بظهر رجل واحد فى هذا الطرف العصيب » (٤٤) . ووصفت جو
العلاقات السياسية بين مصر وبريطانيا بأنه « جو اطمئنان تام
وارتياح تام » وأن « وزارة الدفاع ماضية من جهتها فى مواجهة
الموقف الحربى بما يقتضيه من تدابير ، حتى لا تأخذ الحوادث الجانب
المصرى على غرة » (٤٥) . وقالت ان البلاد اليوم فى حاجة الى
خطة تهتدى بها « وهذه الخطة لابد ان تكون خطة اجماعية فى ظرف
كهذا الطرف الدقيق ، فاذا قضت علينا الاحوال بخوض الحرب
خضناها متحدين متضافرين متراصين ، واذا كتب لنا السلام نكون
قد خرجنا من هذه الازمة بالاتحاد ولا نزن ان احدا يأسف على كوننا
متحدين » (٤٦) .

وحاولت (المقطم) ان تقف موقفا وسطا بين الجانب الحكومى
والسعديين الذين خرجوا من الوزارة ، بسبب رفض دعوتهم الى
الدخول فى الحرب ، فقالت ، ان احدا لا يتردد « فى الدفاع عن
بلادنا اذا قيل له انها فى خطر » . وكان رأى رئيس الوزراء ومعظم
زملائه « ان التريث افضل فى ظروف كهذه ريثما تنكشف النيات
وتتبين حقيقة النيات ، اما المبدأ فى ذاته اى مبدأ الدفاع عن البلاد
فمبدأ مسلم به من الجميع . . فمادام الأمر كذلك فلا نرى حقيقة أين
وجه الحكمة فى ان يكتب بعضهم كتابات يدعو فيها الى تأييد هذه
النظرية او تلك فيظهروا الشعب بمظهر لا يليق ان يظهروه به . .
يضاف الى ذلك ان أمرا خطيرا كهذا الأمر لا يبت فيه بالمقالات او
على صفحات الجرائد بل يبت فيه المسئولون عن مصير البلاد » ،
وأوضحت ان « الوفاق تام بين الحكومة المصرية والحكومة الانجليزية
وأن التفاهم تام كذلك بين دولة رئيس مجلس الوزراء وسعادة
السفير البريطانى » وأنه لم يكن « للجانب الانجليزى طلب ما فى
الموضوع الذى كان محل خلاف فى مجلس الوزراء ، وقد أيد سير

الحوادث هذا القول تأييدا تاما بما بدا من موقف السفير البريطاني كما هو معروف للدوائر الرسمية «(٤٧)» .

ودعت (المقطم) الى الحيطة والحذر خلال الاحاديث العامة والخاصة فى المنتديات تجاه كل ما يمس أمن البلاد لاحباط جهود الجواسيس الذين تقول السلطات البريطانية ان ايطاليا قد نظمتهم للعمل فى مصر ضد الجيش البريطانى(٤٨) . وقالت ، تعقيا على زيارة ايدن لمصر ، ان التناهم بين مصر وبريطانيا « لا تشوبه شائبة فى هذا الوقت الدقيق فالاخلاص متبادل والثقة متبادلة والرغبة الصادقة فى المعونة الخالصة متبادلة كذلك »(٤٩) .

واشارت الصحيفة ، دون تعليق من ناحيتها ، الى الخطاب الذى القاه النحاس باشا فى سمنود ، وأعلن فيه رفض الوفد لزج البلاد فى الحرب ، منسجما فى ذلك مع موقف الأمة بأسرها . كما انتقد اوضاع الحكم السياسى الداخلى فى مصر(٥٠) .

وزارة حسين سرى :

شكل حسين سرى الوزارة التى خلفت وزارة حسن صبرى بعد وفاته وهو يلقى خطاب العرش . وفى الوقت الذى كانت (المقطم) تتابع فيه سير المعارك الحربية ، وبخاصة « معركة سيدى برانى وانتصار الحلفاء فيها »(٥١) . وقد وصفتها « بمعركة الصحراء العظيمة »(٥٢) ، التى ظهرت فيها قوات الحلفاء الصحراء الغربية « من الايطاليين فى جميع الاراضى المصرية ، وما برحت تطاردهم فى الاراضى الايطالية »(٥٣) .

وقد سار حسين سرى فى سياسته على سياسة سلفه ، فشدد الاجراءات المتخذة ضد رعايا المحور والدول الدائرة فى .

فلكه . واعتقل الشخصيات المصرية المعروفة بميلها للمحور ومنح كافة التسهيلات للقوات البريطانية فى المواصلات وفى الاستيلاء على المباني(٥٤) ، كما سارت الوزارة على نهج الوزارة السابقة فى مسألة موقف مصر من دخول الحرب ، فتقول (المقطم) انه « اذا كان البرلمان قد أيد الوزارة فى سياستها والايطاليون يحتلون سيدى برانى فلم يؤثر اعلان الحرب على ايطاليا او اعتبار أنفسنا فى حالة حرب مع ايطاليا تجيز للقوات المصرية أن تشترك فى قتال الايطاليين فلا يعقل ان يقرر البرلمان ذلك ، وقد طرد الايطاليون من الاراضى المصرية كلها »(٥٥) .

وتحدثت الصحيفة عن دور مصر « فى تحقيق النصر الذى أحرزه حلفاؤنا فى الصحراء الغربية ، فالحرب الحديثة ليست مجرد رجال وسلاح وطعن وضرب ، ولكنها تتوقف الى مدى بعيد على التموين والمواصلات والتدابير والمنشآت التى تتيح للرجال والمعدات أن يؤدوا ما عليهم .. وقد هيات مصر لحليفاتها فى هذا الميدان أقصى ما كانت تستطيع أن تهينه لها »(٥٦) .

ونشرت كتابا من الجنرال (ويفل) القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط الى رئيس الوزراء سرى باشا ، يثمن فيها المعونة التى أسداها الجيش المصرى لجيوش الامبراطورية البريطانية فى حملتها على ليبيا(٥٧) . وذكرت أن ايدن « انتهز فرصة اجتماعه برئيس الوزارة فكرر له شكر انجلترا لاخلاص مصر لقضية الحلفاء واعرب عن امتنان بلاده للمعونة التى أسدتها مصر الى الجيوش البريطانية »(٥٨) .

وحرصت (المقطم) على التنبيه الى خطورة الاشاعات التى يروجها البعض ومنها اشاعة تعديل الدستور ، واشاعة طلب بريطانيا أن يشترك الجيش المصرى فى احتلال المناطق التى احتلها

الانجليز فى ليبيا ، واشاعة رغبة الانجليز فى اسستخدام العمال المصريين فى الاعمال العسكرية(٥٩) . وذلك فى الوقت الذى كان فيه معارك ليبيا وتطوراتها تؤذن بأخطار شديدة محتملة ضد الحلفاء، مما كان موضع اهتمام بالغ للسفير البريطانى ورجال الحكم فى مصر « نالحرب قائمة فى ليبيا وعلى حدود مصر الغربية وستتوالى المعارك وستكون معارك كبيرة شديدة تقتضى جهدا كثيرا وعناية عظيمة وسلاحا ومددا وقد تستغرق هذه الاجراءات اياما واسابيع . . وقد تحين ساعات دقيقة وتحل ايام مزعجة ولكن العبرة بالنتيجة النهائية وهى بيت القصيد »(٦٠) .

ودافعت الصحيفة عن الاجراءات التى اتخذتها الحكومة بشأن الأجانب من أجل « سلامة البلاد وسلامة القوات الحليفة » التى « يجب أن تقدم على كل اعتبار آخر » وكل اجنبى يريد أن « يحتفظ بصداقة مصر » عليه الآن أن يلتزم « السكون والهدوء »(٦١) . ونوهت بتصريح رئيس الوزراء عن خطورة الوضع وما يتطلبه ذلك من « كل مصرى أن يؤدى الواجب عليه »(٦٢) .

فكرة الوزارة القومية :

امام اشتداد الخطر الالماني على جبهة ليبيا ، وانعكاساته التى تحدثت عنها الصحيفة على مصر ، اشارت (المقطم) للاجتماعات واللقاءات التى يعقدها الملك مع زعماء البلاد ، بقولها انه امام « هذه الاحداث التى تتعاقب كل يوم وامام التبعات والمسئوليات التى تقتضيها الحالة العامة من المسئولين عن قيادة السفينة لا مندوحة عن توحيد الصفوف توحيدا عمليا ، فيضطلع كل مصرى بنصيبه من التبعة والمسئولية لبلاده وقومه »(٦٣) .

ونقلت عن النحاس باشا قوله ، على اثر مقابله للملك ، لقد
 « تجلى لى فى هذه المقابلة ما اعرفه عن ملك البلاد من حب صادق
 لشعبه وحرص على وحدته وجمع كلمته والامر الآن متروك بين
 يدى جلالتة حفظه الله » (٦٤) . وهذا الامر الذى نوه به هو فكرة
 الوزارة القومية التى طرحت من جديد ، ووافق عليها الوفد للمرة
 الاولى منذ انتهاء الائتلاف الوزارى عام ١٩٢٨ ، اما التقارب بين
 الوفد والملك ، الذى بدأ فى ابريل ١٩٤١ ، فقد بدا الخطوة الاولى
 فيه الملك فاروق كما يقول الدكتور عبد العظيم رمضان ، الذى
 يرجع ان هذا الاتصال انها يرجع الى رغبة فاروق فى الاستناد الى
 قوة شعبية تحميه مما يتخوفه من عزله على يد الانجليز واحلال
 الامير محمد على مكانه وبمعنى اصح ان فاروق كان يريد حماية ظهره
 فى الداخل ، بينما كان يجرى اتصالات بالالمان فى الخارج ليحمى
 عرشه فى حالة غزوهم لمصر (٦٥) . ولكن الاحزاب المصرية الاخرى
 رفضت فكرة الوزارة القومية لاصرار الوفد على حل
 البرلمان القائم الذى تتمتع هذه الاحزاب بالاغلبية فيه ، واجراء
 انتخابات جديدة . وفى مواجهة هذه الحالة ، تقول (المقطم) انها
 لا تحب الكتابة فى السياسة ، لان « سياسة فلان غضب
 او فلان استقال او فلان يطمع فى الوزارة او فلان يكيد لفلان
 ليست السياسة التى يجوز ان تشغل بها البلاد فى هذه
 الايام » اما « موضوع الوحدة » فلم يعد « فى حاجة الى كتابة
 وبيان بل يحتاج الى عمل . يحتاج الى ان نسال انفسنا : اين نحن
 والى اين نحن سائرون وما هو مصير هذا كله » (٦٦) .

حادث طائرة المصرى :

تابعت (المقطم) تفاصيل حادث الطائرة التى حاول الفريق
 عزيز المصرى والطياران حسين ذو الفقار وعبد المنعم عبد الرؤوف
 الهرب بواسطتها للاتحاق بالالمان ، وقالت ان « المحاولة لم تكن

وليدة تفكير سريع بل جاءت نتيجة خطة مختمة « (٦٧) . وعمدت الى السخرية من شخصية المصرى ، فقد « طرا على عزيز المصرى باثنا فى الايام الاخيرة تحول كبير فى نفسه بدليل انه ترك حقائبه فى الطائرة ، وكان عنده متسع لنقلها » (٦٨) .

ونقلت على لسان رئيس الوزراء حسين سرى قوله عن المصرى ان (توازنه الخلقى) قد (تناقم) « على اثر نجاح الغازى كمال اتاتورك ، فقد كان دائما يجهر بأنه أعظم من اتاتورك فى نبوغه العسكرى وأنه هو الذى كان يتعين عليه ان ينقذ تركيا وأن يشرف على نهضتها ، ولما قلدت وزارة الدفاع الوطنى واتصلت به ادهشنى ان اراه يرجع كل شئ الى المسألة المادية بل دعنى اقول الكلمة بصراحة .. الى المال » (٦٩) .

وكتبت (المقطم) تحت عنوان « نوادر » حكايات يرويها « وكيل وزارة سابق » وبعض الضباط يؤكدون فيها اهتزاز شخصية عزيز المصرى واضطراب نفسه وغروره (٧٠) .

وقالت (المقطم) ان « هذا الحادث لم يشغل الراى العام المصرى الا من الناحية الروائية فيه ، فكان الاهتمام بظروفه أكثر من الاهتمام بموضوعه ولاسيما بعدما نشرت الصحف والمجلات على اختلاف ألوانها ما نشرته عن عزيز على المصرى باثنا وأطواره ، فلم ينظر أحد الى الموضوع نظرة جدية بل أضافوا الى ما قرأوه عنه ولم يأسفوا الا على تقريره بشابين فى مستقبل الحياة فذهبا ضحيته » (٧١) .

الا ان (المقطم) لم تذكر شيئا عن الدوافع التى تقف خلف محاولة فرار المصرى ، واكتفت بالهجوم عليه والسخرية منه ، ولعلها فى ذلك تلتزم بالموقف البريطانى من (المصرى) ، الذى اقبل

من منصبه فى رئاسة اركان الجيش بايعاز منهم ، كما يقول الدكتور محمد أنيس ، الذى يضيف ان عزيز المصرى كان فى جولاته بين وحدات الجيش المصرى يشيد امام الضباط المصريين بالعسكرية الالمانية ، ويقتل من شان العسكرية الانجليزية والفرنسية ، ولاشك والوضع على هذا النحو ان تنأثر به مجموعة الضباط الصغار الوطنيين ، مما اوقع هؤلاء الضباط فى بلبلة شديدة حول طبيعة الصراع الذى كان يدور بين المحور والحلفاء ، وجذب بعضهم الى التعاطف مع المحور ، لا حبا او حتى فيها للفاشية لكن كراهية وشماتة فى المحتلين الانجليز ، ولابد أن نقرر للحقيقة التاريخية هنا ، أن هذا كان موقف غالبية الشعب المصرى (٧٢) .

مشكلات خطيرة فى طريق الوزارة :

تعرضت البلاد فى عهد وزارة سرى لغارات جوية عنيفة ، وبخاصة فى الاسكندرية ، تسببت فى وقوع خسائر بشرية ومادية جسيمة ، وقد أشارت (المقطم) الى دعوة رئيس الوزراء لرجال الصحافة لمعاونته فى هذه الظروف العصيبة والعمل على تهدئة الخواطر وتسكين النفوس (٧٣) . كما أشارت الى « هبة » بريطانية قيمتها مليون جنيه للاسهام فى وقاية المدنيين فى مصر ، والى بيان الوفد حول التصير الجسيم الذى ادى الى الخسائر الكثيرة فى الارواح بالاسكندرية (٧٤) . وكذلك ازدادت مشكلة التموين حدة وخطورة ، وشاركت (المقطم) بحملة الانتقاد التى تعرضت لها الوزارة بسبب هذه المشكلة ، فتقول ، انه « لا يكفى ان يقال للشعب ان التمح والذرة متوفران فى البلاد ، بل يجب أن تعلم حل عند الشعب المقدرة على الشراء بالاسعار التى تطلب منه فلا تجزع الطبقات العاملة » (٥٧) . ودعت الى استخدام الشدة المتناهية مع التجار الجشعين لان كثرة المخالفات الأسبوعية تدل على كثرة المستهترين (٧٦) .

يضاف الى ذلك كله ان هذه الوزارة لم تعد موضع ثقة فاروق بسبب أزمة حكومة فيشى ، فقد طلبت بريطانيا من حسين سري قطع علاقات مصر بحكومة فيشى التي قامت اثر انهيار الجمهورية الفرنسية الثالثة ، وتقسيم فرنسا الى شطرين ، فالمطلب اذن من بريطانيا ، لكن وقعه على المصريين كان الى حد ما سيئا ، للعلاقات التاريخية التي تربط بين فرنسا ومصر ، لان غالبية الساسة المصريين كانوا متشيعين للثقافة الفرنسية ، ورغم هذه المعارضة استطاع حسين سري ان يستخلص من مجلس الوزراء قرارا بقطع العلاقات ، حدث هذا وفاروق فى رحلة فى البحر الأحمر ، ثم عاد فاروق من رحلته وعلم بما حدث فى مجلس الوزراء والقى اللوم على صليب سامى وزير الخارجية لانه كان يجب ان يعترض على اقتراح رئيس الوزراء ، واذا برئيس الديوان يبلغ وزير الخارجية بان يلزم داره . وهكذا نشبت أزمة بين الوزارة والقصر ، وكان لابد للوزارة من تقديم استقالتها فى ٢ فبراير ١٩٤٢ (٧٧) .

وقد ايدت (المقطم) قرار الحكومة المصرية بقطع العلاقات مع حكومة فيشى ، منسجمة فى ذلك مع الطلب البريطانى ، وضد رغبة القصر ، فتقول ان « مفوضية فرنسا لم تكن تمثل الشعب الفرنسى بل كانت تخدم مصالح دول المحور ، فلم تعد هناك حاجة الى بقائها ، وقد توافرت الأدلة على ان عمال فيشى كانوا عمالا متكرين للمحور » « وثبت ان بقاء المفوضية الفرنسية قد يؤدى الى نشوء طابور خامس تكون المفوضية مقرا لنشاطه ، غير ان مصر كانت ساهرة على أمنها ، وعلاوة على ذلك اظهرت مرة اخرى عطفها على قضية الحلفاء وتضامنها معهم فى سبيل النصر . وقد عرفت مصر كدولة ديمقراطية ان تدافع عن المبادئ الديمقراطية ، وانه يجب على البلاد الديمقراطية ان تحمى أمنها ، وهذا هو الغرض الذى قصده من وقف علاقاتها بهيئة تهدد الامن » (٧٨) .

وزارة ٤ فبراير الوفدية :

تحدثت (المقطم) عن النشاط السياسى الذى شهدته البلاد بعد استقالة وزارة حسين سرى بقولها ، ان الموقف السياسى والوزارى قد تحول « تحولا كبيرا لم يكن متوقعا بهذه السرعة ، وان كان الواقفون على مجرى الامور قد توقعوا من ايام انه لابد ان ينجلى الموقف عن نتيجة نهائية فى هذا الاتجاه او فى ذاك » (٧٩) .

وسردت اخبار المقابلات التى تمت ، واوضحت انه « لا يمكن التكهّن بشئ عن مصير الموقف السياسى او الوزارة الجديدة » . ونوهت بمسئولية الزعماء قائلا : « وليس رجال مصر واقطابها فى حاجة الى من يحدثهم عنها عليهم فى هذه الايام ، وليس لنا نحن على كل حال ان نحدثهم عن ذلك ، ولكن اذا كان للصحافة ان تردّد ما يريده الشعب فى مناسبات كهذه فان الشعب يقول لهم اليوم : مصر اولا وقبل كل شئ » (٨٠) .

واكدت على ان الموقف السياسى الحالى « لا يعالج بالاشاعات ومادامت مشيئة جلالة الملك قد اتجهت نحو استشارة الزعماء والاقطاب فلتترك البلاد لحكمة ملكها واخلاص رجالها » (٨١) .

وقدمت تفاصيل اللقاءات والاستشارات الملكية مع الزعماء ، ومقابلة السفير البريطانى للملك ، وتصريح النحاس باشا حول قبوله تشكيل وزارة وفدية ، بعد ان كلفه الملك بذلك ، ونشرت تصريحاً لمكرم عبيد يقول فيه ، ان النحاس باشا « بقبوله الحكم فى هذه الظروف الخطيرة ، قد وقف موقفاً خالداً ، كله تضحية وانكار ذات » .

ونقلت على لسان (مصدر وفدى كبير) أن النحاس باشا « لم يقبل تأليف وزارة قومية لاعتبارين جوهريين :

الأول : انه يرى أن جميع الأحزاب قد فشلت فى مهمتها ، وقبول مبدأ الوزارة القومية معناه مشاطرة تلك الأحزاب فشلها .

والثانى : انه اراد بطلب أن تكون الوزارة وغدية أن تجيء الوزارة الجديدة ممثلة لمشينة الأمة المصرية « (٨٢) .

أما (المقطم) فلم تعلق من جانبها على ما حدث مساء الرابع من فبراير ، ولكنها عمدت الى نشر الكتابات المؤيدة للوزارة وخصوصا ما اورده (رويتر) عن ارتياح الحكومة البريطانية الكبير لقرار تأليف الوزارة ، وما كتبه كل من (الاجيشيان جازيت) و (الاجيشيان ميل) و (النيوز كرونكل) و (التايمز) التى ذكرت أن النحاس باشا وحده هو الذى يستطيع أن ينشئ استقرارا سياسيا فى مصر (٨٣) .

كما اوردت (المقطم) خبر ذهاب السفير البريطانى لتهنئة النحاس باشا فى دار رئاسة الوزراء وهتاف الجماهير له (لتحى إنجلترا) وتلويحه لها بـ (لتحى مصر) (٨٤) .

ولكن (المقطم) ومعها الصحف المصرية الأخرى ، لم تستطع بسبب الرقابة المفروضة عليها لظروف الحرب ، أن توضح الحقيقة فى حادث ٤ فبراير الذى جرى فيه تطويق قصر عابدين بالدبابات البريطانية ، وتقديم انذار بريطانى للملك ، والتوصل الى تأليف وزارة وغدية بعد أن رفض النحاس باشا تأليف وزارة قومية ، كان زعماء الأحزاب المصرية والملك عازمين على تشكيلها .

وقد اتفقت سائر المراجع على أن هذا التدخل البريطانى كان انتهاكا صارخا للسيادة الوطنية ، واتفقت على تعرض سمعة الوفد

الوطنية للاهتزاز ، لقبوله تسلم الحكم بالتدخل البريطانى ، وأن كانت قد برأت النحاس باشا من علمه المسبق بفحوى الانذار واتجاه الأحداث ، وحملت مسئولية الاشتراك بتدبير الحادث لأمين عثمان الذى كان موضع ثقة كل من الوفد والانجليز .

أما لماذا كان الاصرار البريطانى على تسلم النحاس باشا دست الحكم فى تلك الفترة فلأن الانجليز كانوا يدركون ان الارتباط بالوفد ، يعنى الارتباط بالشعب المصرى ككل وكانوا على ثقة من ان وصول الوفد الى الحكم ، رغم كل شىء سيقوى من قضية الحلفاء وسيضرب كافة النشاطات المعادية لبريطانيا . لقد كانت هذه هى المرة الاولى التى يتدخل فيها الانجليز لصالح حزب الاغلبية لا لان هذا الحزب قد أصبح عميلا لبريطانيا ، لكن لان بريطانيا فى ظروف الحرب العالمية الثانية خصوصا اواخر ١٩٤١ ، كانت فى اشد الحاجة الى حزب الاغلبية فى الحكم (٨٥) .

ولعل ذلك يوضح ، سعى (المقطم) للرد على دعاة الوزارة القومية التى لم تتحقق ، والدفاع عن الوزارة الوضعية بقولها : « الا يمكن لمصر . وهى فى اشد الحاجة الى مواصلة العمل متحدة متأزرة لتحقيق آمالها والمحافظة على كرامتها ان تعمل لذلك ، من دون ان تكون هناك وزارة قومية او ائتلافية ؟ او بعبارة اخرى مادام تأليف الوزارة القومية لم يتيسر فهل معنى ذلك ان الجهود لا يمكن ان تتحد وأن تتأزر الا فى ظل الحكم وتحت سقف الوزارة ؟ ولماذا لا يتحدث بعضهم عن تحقيق التصفى المنشود الا اذا تالفت وزارة قومية ؟ الا يمكن ان يكون هناك أولا صفاء وتأزر ووحدة فى داخل البرلمان فى ظل الدستور وهو الاساس ؟ » (٨٦) .

وعلقت (المقطم) على فوز الوفد فى الانتخابات النيابية التى قاطعها السعديون والاحرار الدستوريون ، لعدم قبولهم بتخصيص

ربع المقاعد لهم واصرارهم على طلب الثلث ، ورفض الوفد ذلك لرغبته فى ضمان جميع الأغلبيةات المقررة فى الدستور لأعمال البرلمان ولجانه المختلفة ، وقالت انه « حتى لو نزل الوفد لهم عن عدد الكراسى التى طلبوها لظلت الاغلبية الكبرى مكتولة له » ، وان من بواعث الارتياح « وهذا نقوله كمستقلين أن الانتخابات كفلت للوزارة القائمة تأييدا شعبيا لم تتمتع وزارة سابقة بمثله ، حتى لما كانت الوزارات ائتلافية ، فقد كانت مؤتلفة شكلا لا روحا ، فهذا التأييد الشعبى المنقطع النظير يمكن معه للوزارة التى يرأسها رفعة مصطفى النحاس باشا أن تقول فى كل قرار تقرره وفى كل موقف تقفه انها تتكلم باسم الشعب وتعبّر عن مشيئته وهى مطمئنة الى انها تقول حقا ، والى أن العالم يعلم انها تقول الحق ، ولهذا قيمته العظيمة فى كل وقت ، فما بانك فى الوقت الحاضر ، والعالم يستقيظ كل صباح وهو يجهل ما يخبئه له الزمان فى ثنايا الحوادث والاحداث » (٨٧) .

واشارت الى ان الفقرات الخاصة بصلات مصر وبريطانيا فى خطاب العرش قد قوبلت بالتصفيق الشديد من جانب ممثلى الشعب ، مما « يدل على اتجاه ممثلى الأمة فى تقديرهم لمصلحة مصر تقديرا صحيحا ، وهذه أول مرة على ما نذكر تعلن مصر عن ميولها الديمقراطية فى مثل هذه المناسبة بمثل هذا التوكيد » (٨٨) .

وثمنت مبادرة النحاس بتقديم الهدايا للجنود الانجليز الناقهين فى مصر بمناسبة عيد القيامة ، بقولها : « ولا ريب فى أن الخاطر الذى أودى الى النحاس باشا بفكرة هذا العمل الجليل خاطر انسانى عظيم ، وهو عمل تجاوز أهميته الروحية او المعنوية الناحية المادية فيه بمراحل » . وقد « جاء دليلا ساطعا على ما بين الحلفاء من تضافر وتعاون شديدين وعلى حسن العلاقات القائمة بين الفريقين » (٨٩) .

كما أشادت بمظاهر الصداقة المصرية البريطانية التي تجلت في حفلة كلية فكتوريا ، حيث « كانت الكلمات التي القيت في حفلة كلية فكتوريا أمس الاول مظاهرة جميلة جديدة للصداقة المصرية الانجليزية بل ان الحفلة كلها كانت مظهرا جليلا رائعا لهذه الصداقة ، وكل مظاهرة للصداقة المصرية الانجليزية ليست في الواقع سوى مظاهرة للمبادئ الديمقراطية الصحيحة ، وعلى المبادئ التي ينتهز رفعة مصطفى باشا كل فرصة تسنح ليكرر اعلان تعلق مصر بها » (٩٠) .

وهكذا دأبت (المقطم) على الاهتمام بكل مجالات التعاون بين الوزارة الوفدية والسلطات البريطانية ، وتشجيع هذا التعاون وتحبيذه والترنم به ، منسجمة في ذلك مع الظروف التي أحاطت بتأليف الوزارة والمهمة التي جاءت لتنفيذها في خدمة المصالح البريطانية .

بين النحاس ومكرم عبيد :

وقفت (المقطم) على الحياد بازاء مسلسل الخلافات التي بدأت بين النحاس باشا ومكرم عبيد . وقد تابعت الصحيفة أخبارها منذ إعادة النحاس تشكيل وزارته التي خرج منها مكرم عبيد .. وتحديث عن حرص الذي تبديه الهيئة الوفدية لتطويق الخلافات وابقاء كتلة الوفد سليمة ، لأن « الحكم زائل والوفد باق ، وهو ميراث للأجيال القادمة » . كما قال عبد السلام نهمي جمعة ، في اجتماع الهيئة الوفدية في النادي السعدي الذي أنتهى الى المصافحة بين النحاس ومكرم عبيد ، وتأكيده مكرم عبيد على بقاءه في الوفد « لأنه من الوفد والى الوفد » (٩١) .

وذكرت (المقطم) أن هذه النتيجة قوبلت « بارتياح عام ، فان للموضوع ناحيتين : الناحية العامة وهى تهتم كل مصرى لا ينظر الى هذه الأمور الا على ضوء مصلحة مصر وحدها ، والناحية الخاصة وهى تهتم الوفديين بوجه خاص ، فالارتياح العام الذى ننوه به هنا شمل الفريقين معا . ومن الطبيعى أن اغتباط المصرى الوفدى كان مزدوجا كمصرى أولا وكوفدى ثانيا » (٩٢) .

ودعت الى مقاومة ما أسمته « بالطبور السادس فى حياتنا السياسية الداخلية » فقد « كان هذا الطبور السادس فى احوال شتى سبب استحكام خلافات شخصية كثيرة كما يعلم المطلعون ، ومن بواعث السرور أن بعض كبار الوفديين تنبها الى ضرورة مقاومته اذا اريد احلال الصفاء محل الجفاء فساعدت الجهود التى بذلوها فى هذا السبيل على نجاح مساعى الذين سعوا لكى يسفر اجتماع الهيئة الوفدية عما أسفر عنه فخرجت الكتلة منه سليمة » (٩٣) .

وكانت الجبهة العسكرية فى هذه الفترة ، تشهد المعارك الطاحنة فى (العلمين) فتؤكد (المقطم) على ضرورة حفظ الأمن الداخلى والقضاء على الاشاعات المفرضة المقلقة للخواطر « بقصد إثارة النفوس وتعكير الجو وايقاظ الفتنة » ، مبينة أن « أقطاب مصر على اختلاف احزابهم ومشاربهم متفقون على أن لا شئ يخدم مصر فى هذه الظروف العصيبة مثل تمسكها بأهداف النظام وتضافر جهود ابنائها على صون الأمن الداخلى وتعزيزه » (٩٤) . واوضحت الصحيفة أن موقف مصر فى هذه الظروف الحرجة قد استحق « تحية الديمقراطية له فى كل مكان » « فهاهو ذا الامتحان قد عقد فى ظل الشدائد وهاهى ذى مصر تجتازه مرغوة الرأس موفورة الكرامة حريصة على سياستها امينة لكلماتها ونية لعهدا مخلصا لامضائها » (٩٥) .

وبينما كانت مصر تثبت نجاحها فى مواجهة الاخطار التى حملتها رياح العلمين العاصفة كان الوفد يتعرض للانشقاق الرابع فى حياته ، والثالث على عهد النحاس باشا ، بخروج مكرم عبيد وستة عشر عضوا جُلبهم من العناصر الشبابية ، كجلال الحماصى وفريد زعلوك والاقباط . وقد تميز هذا الانشقاق عن سابقيه اللذين أصابا الوفد تحت رئاسة النحاس ، انه قد حدث بشكل مباشر فى قمة زعامة الحزب الكبير ، وقد أصاب بشكل مباشر هذه الزعامة الثنائية التى استمرت لأكثر من خمس عشرة سنة (٩٦) .

وشكل هؤلاء المنشقون الجدد « الكتلة الوفدية المستقلة » . وقد تابعت (المقطم) ما جرى بين نريقى النحاس ومكرم بشكل اخبارى دون اى تعليق من جانبها ، ومن ذلك ، الخطب والاثهات المتبادلة والهجوم الذى تولاه النحاس وصبرى أبو علم سكرتير الوفد الجديد ضد مكرم عبيد دفاعا عن نزاهة الحكم .

الكتاب الأسود :

وشهد هذا الخلاف فصلا جديدا ، زاده حدة وتعتيدا العريضة التى رفعها مكرم عبيد الى الملك فى ٢٩ مارس ١٩٤٣ ، والتى عرفت باسم « الكتاب الأسود » الذى اتسم بادانة « الطابع الاجتماعى للزعامة الوفدية الطبقية واتهامها بالفساد واستغلال الشعب » ، كما حفل « بالاثهات لطبقة كبار الملاك أو اصحاب العزب الذين سيطروا على الحكومة الوفدية » (٩٧) .

وقد تحدث النحاس عن هذه الاتهامات فى بيانه امام البرلمان واعرب عن استعداد الحكومة لتنفيذ كل ما جاء فيها قائلا : « وقد كان فى وسع صاحب العريضة أن يواجه الحكومة فى البرلمان بما

يريد من الاسئلة والاستجابات ، ولكنه لم يرد أن يسلك هذا الطريق القويم الكنيل باظهار الحق فى أقرب وقت . وهذه المداورة مكشوفة القصد ظاهرة الغرض ، فهو يعلم قبل غيره أن محتويات المريضة مكذوبة جملة وتفصيلا ، وأن القاء النور عليها يفضحها ويظهر الناس جميعا على افكه وبهتانه » . وأعلن استنكاره لتقديم مكرم عبيد نسخا من كتابه للهيئات الامريكية والانجليزية لانه بذلك يهدر صفته النيابية وكرامته الوطنية « وكذلك تأسف الحكومة لاسفائه فى لهجته وعبارته اسفافا كبيرا » (٩٨) . وأعرب عن استعداده لوضع كافة المعلومات المناسبة تحت تصرف النواب للاطلاع عليها ، ولكى يتبينوا مدى ما تضمنه « الكتاب الأسود » من مفتريات (٩٩)

ويعتبر الكتاب الأسود عربون الانتقال من صفوف الوفد الى صفوف القصر ، وثمرة من ثمار التآمر البعيد بين مكرم عبيد باشا وأحمد حسنين باشا ، وهو على كل حال حلقة فى سلسلة المؤامرات التى كان يدبرها القصر ضد الوفد ، كلما أراد التخلص منه ، وهو فى الحكم (١٠٠) .

وقد التزمت (المقطم) الصمت حيال هذا الموضوع ، لاسيما أن مصممى هذه الخطة قد استهدموا « تحييد الانجليز فى المعركة ، التى قرر رئيس الديوان الملكى وسكرتير الوفد القديم أن يخوضاها ضد حكومة النحاس » (١٠١) وليس من مصلحة (المقطم) بالتالى السعى للصدام مع القصر من أجل الوزارة فى حالة وقوف الانجليز على الحياد بازاء ما تتعرض له من هجوم فى الوقت الذى ابتمدت فيه أخطار الحرب عن مصر ، بعد انتصار الحلفاء فى العلمين ، واقتصرت على متابعة الموضوع بصفة اخبارية محايدة ، فنشرت تفاصيل اعلان ثقة مجلس النواب بالوزارة ، فى ختام مناقشة

الاستجواب المقدم من مكرم عبيد الى الحكومة ، بشأن ما ورد من اتهامات موجهة للنحاس باشا فى الكتاب الاسود . وقد تضمن اعلان الثقة مقترحات حلت بعنف على الكتاب الاسود وواضعيه وعلى الاخص مكرم عبيد(١٠٢) .

نادى العلمين :

اهتمت (المقطم) انسجاما مع خطتها فى دعم اواصر التعاون والصداقة بين المصريين والانجليز ، بافتتاح (نادى العلمين) فى الجزيرة ، ونشرت تفاصيل هذا الافتتاح والكلمات التى القيت بهذه المناسبة لكل من النحاس باشا وامين عثمان والسفير البريطانى ، ومما قاله النحاس مخاطبا الجنود الانجليز (الاعزاء) : « اننا فى هذا المكان نستعيد !مجد الذكريات فان اسم العلمين سيظل بارزا ماثلا بين اعظم الاسماء فى التاريخ لانه الاسم الذى اقترن باعظم الانتصارات »(١٠٣) .

وكان امين عثمان ، الذى اصبح وزيرا للمالية ، يرأس (لجنة اكتاب العلمين » . وقد نشرت (المقطم) كلمة له يدعو فيها المصريين الى المساهمة بسخاء فى تخليد ذكرى جنود الجيش الثامن (الباسل) الذين « ثبتوا فى مواقعهم ، وحالوا دون تقدم جيش روميل . . وحاربوا بشجاعة وايمان ، واستطاعوا بصدق عزيمةهم صد الفزاة عن بلادنا »(١٠٤) . وشاركت (المقطم) بحملة اعلانية لهذا الاكتاب ، ومن ذلك اعلان يقول « اذكروا العلمين — لجنة الاكتابات لنادى العلمين »(١٠٥) ، الذى سيتم اهداؤه الى الجيش الثامن ، والى جميع الوحدات الحاربة ، التى اشتركت معه فى معارك الصحراء الغربية ، كما اوضحت الصحيفة .

المقطم وفاروق :

فى هذه الآونة ، ألقت (المقطم) بثقلها الى جانب فاروق ، ويبدو أن صداقة كريم ثابت للملك التى بدأت عام ١٩٤٣ كما قال القابمى ، بالإضافة الى الجهود الدعائية التى قام بها أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى لآظهار فاروق (بمظهر الرجل الوطنى) ، فأضاف له كل محبة ممكنة وجعله يغشى المساجد ، ولما أصيب فى حادث (القصاصين) « اتخذ منه فرصة لاستدراار العطف على الملك الجريح ، وجعل من يوم عودته الى القاهرة مظاهرة شعبية كبيرة » (١٠٦) .

واهم من ذلك كله تحسـن علاقات الملك بالانجليز ، هذه العوامل مجتمعة جعلت (المقطم) تضاعف اهتمامها بأخبار الملك وجولاته وأعياده والإشادة بمناقبه وأعماله .

وقد تولى كريم ثابت كتابة هذه الموضوعات بقلبه ، وكان يرافق الملك فى كل رحلاته وزياراته فى داخل البلاد وخارجها ، فيتحدث عن ديوقراطية الملك وعلاقاته الحبيمة مع ضباط جيشه ، فى مقال بعنوان « الملك وسط ضباط جيشه ، جلالته يفاجئ نادى الضباط بزيارته » (١٠٧) .

ويكتب بمناسبة عيد ميلاد الملك تحت عنوان « الملك المحبوب يقضى عيده بين شعبه فى أعلى الصعيد » (١٠٨) . وأرسل من الصعيد موضوعا يقول فيه : ان « الملك يأكل من طعام الفقراء : انا أول من يساعد المرضى والفقراء » (١٠٩) . ومقتالا بعنوان « دروس من رحلة الملك فى أعلى الصعيد » (١١) . و « الملك

يكرم من يكرم الفقير — التقليل من حفلات التكريم والتبرع
بمالها « (١١١) .

وفى عيد جلوس الملك يقول : « اليوم ومصر تحتفل بعيد
الجلوس السعيد ، يذكر المصريون ذلك ، ويذكرون معه ما يبذله
الفاروق منذ اعتلائه العرش فى سبيل مجد البلاد وسؤددها فترتفع
الدعوات فى كل بيت بأن يمد الله فى عمره ليحقق لمصر الآمال
الواسعة التى يخفق بها قلبه العارم بالايمان » (١١٢) . وفى ذكرى
تسلمه سلطاته الدستورية يقول كريم ثابت « يسن الفاروق سنة
جديدة فيحتفل بهذه الذكرى السعيدة بين العمال فى عاصمة مصر
الصناعية » . ان « الملك للشعب والشعب للملك : ميثاق غير
مكتوب ولكنه منقوش على القلوب فليقر به الدستور وليهنا به
سياجا قويا منيعا » (١١٣) .

وقد نجح الملك أخيرا فى التخلص من وزارة الوفد التى شكلت
رغم ارادته ، فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وعين الدكتور أحمد ماهر رئيسا
للوزارة الائتلافية الجديدة التى تضم السعديين والدستوريين والكتلة
والحزب الوطنى ، وقد أدلى الدكتور ماهر عقب تكليفه بتصريح
قال فيه ان عليه وزملائه واجب اصلاح البلاد من الفساد والفوضى
والاستخفاف بحقوق الشعب ، وان يرد الى الشعب ما سلبه اياه
الحكم الجائر الذى طويت اليوم آخر صفحاته (١١٤) .

ولم تعلق (المقطم) على هذا التحول السياسى مكتفية بمتابعتة
كمادة اخبارية ، وقدمت بديلا عن صحتها مقالة (للتايز) اللندنية
التي كتبت عن انتهاء « الخلافات الطويلة الأمد بين الملك فاروق ملك
مصر ومصطفى النحاس باشا باقالة الملك لرئيس وزرائه » ومع أن
السفارة البريطانية قد بذلت « محاولات غير رسمية وبكيفية ودية

لحسم النزاع فلم تكلل مساعيها بالنجاح . . ومع أن هذا التغيير يرجع الى سبب واحد هو المنازعات السياسية الداخلية التى لا يهم الحليفة أمرها فمما يستحق الاطراء ما أبداه رئيس الوزارة السابق من الاخلاص للتحالف مع بريطانيا العظمى فى أثناء الوقت العصيب الذى دارت فيه الحرب فى ليبيا «(١١٥) .

ولعل صمت (المقطم) بازاء اقالة الوزارة التى كانت تؤيدها ، يفسره تخلى الانجليز عنها وقيادة الملك لمعركة التلخس منها ، فقد اشارت المصادر الانجليزية بوضوح الى أن النحاس باشا كان يعلم أنه سيقال ، وأن السلطات البريطانية كانت قد كفت عن مساندة وزارته ضد القصر ، وقد دخلت العلاقات بين حكومة الوفد والانجليز مرحلة جديدة بعد ابتعاد الغزو الفاشى عن أرض مصر ، وبعد أن اخذت هزيمة المحور تبدو فى الأفق ، فلم يترك النحاس باشا مناسبة الا اعلن فيها أنه يعتزم تعديل المعاهدة بعد الحرب(١١٦) .

وقد اتاحت هذه التطورات لكريم ثابت ، بعد أن أصبح الملك الفارس الوحيد فى الميدان وأصبحت الوزارة رهن إشارة السراى، لكى يزيد من التسبيح بمجد مليكه ، فينقل عن أحمد حسنين فى خلال مرضه قوله « أريد أن أعيش لكى أخدم مولانا »(١١٧) .

ويشيد كريم ثابت بديموقراطية الملك الذى « عرفته البلاد ولكا ديمقراطيا من اليوم الأول لاعتلائه العرش ، فازدادت به تعلقا وما برح من ذلك الحين يطالع شعبه كل يوم بمظهر جديد من مظاهر روحه الديموقراطية السامية فيزداد الشعب حوله التفاناً ويزداد به ثقة وإيمانا »(١١٨) .

وكشف كريم ثابت عن اللقاء الذى تم بين فاروق والرئيس روزفلت والمستر تشرشل فى مصر ، وقال لقد « استيقظت القاهرة

فى صباح يوم الثلاثاء ١٣ فبراير ، وهى لا تدرى أن الزمان سيسجل
بعد ساعات حدثا عظيم الشأن وأن جلالة ملكنا المعظم سيكتب
صفحة تاريخية جديدة فى علاقات مصر الدولية .

وبعد أن قدم وصفا شاملا للقاء ، قال : « وقبيل الغروب كانت
سيارة عادية تدخل قصر عابدين تقل المصرى الذى يعمل فى صمت
لمجد مصر ورغاهيتها بل لمصر والعروبة » . كما تحدث عن لقاء
(الفيوم) الذى شارك فيه فاروق والقوتلى والملك عبد العزيز ؛
يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٤٥ ، ووصفه بأنه يوم مشهود « عظيم
الشأن فى تاريخ العلاقات العربية ومستقبل البلدان العربية » (١١٩)

وقد شهد كريم ثابت هذه اللقاءات ، وكان الصحفى الوحيد
الذى خصه الملك بهرافقه فيها ، وعندما تسلم رئاسة تحرير
(المقطم) فى أول مارس ١٩٤٥ خلفا لوالده خليل ثابت الذى أصبح
مديرها العام ، كان أول تغيير يطرأ على تحرير الصحيفة تغيير
الباب الثابت فى الأخبار المحلية « السراى الملكية » ، (بالعصر
العالم » .

وإزداد اهتمامه بكل صغيرة وكبيرة فى حياة الملك وأسرته
ورحلاته العائلية . وأصبحت (المقطم) كأنها نشرة خاصة بالقصر ،
كما قال رئيس تحريرها السابق أنطون نجيب مطر (١٢٠) .

مصرع أحمد ماهر :

لقى الدكتور أحمد ماهر رئيس الوزراء مصرعه بدار البرلمان
على يد ثواب يدعى محمود العيسوى . فتصف (المقطم) هذا
الحادث بالكارثة الوطنية قائلة : « أن مصر بهذه الكارثة خسرت
رجلا عظيما وفقدت خادما من أخلص خدامها . واضاعت ابنا من
أقدر أبنائها وأمضاهم عزما ، ومن أشجعهم قلبا ومن أعفهم يدا

وانزههم خلقا وأشهرهم اقداما وبطولة وأحرصهم رأيا وأصنفاهم سريرة وأصدقهم سسعى الى خيرها وأكثرهم تفانيا فى قضيتها» (١٢١) . ونشرت المرسوم الملكى باعلان الحرب الدفاعية على المانيا واليابان ، وهو الأمر الذى كان وراء مصرع الدكتور ماهر (١٢٢) .

وأوضحت الصحيفة ان « البلاد كانت تعرف ما هى سياسة أحمد ماهر ، ولم يكن الموضوع الذى شغل الأذهان فى الايام الأخيرة سرا مكتوما عنها ، وكذلك كانت البلاد تعرف ما يريده أحمد ماهر من مجد واستقلال كامل فكانما أرادت بالمظهر الذى ظهرت به يوم الاحتفال بتشجيع جنازته ان تظهر للعالم حقيقة شعورها » (١٢٣) . ونشرت أبرز النقاط التى تضمنها بيان أحمد ماهر الأخير فى البرلمان قبل مصرعه ، حول موضوع اعلان الحرب الدفاعية على دول المحور بعد ان ابغىه المستر ايدن ما تقرر فى مؤتمر القرم ، من ان الدول التى تعلن الحرب على المحور قبل أول مارس هى التى يحق لها الاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو ، وتعد من الأعضاء التى تهتم بالسلم بعد الحرب (١٢٤) .

وقد خلف النقراشى ، الرئيس الفريد ، فى رئاسة الوزارة وفى رئاسة الهيئة السعدية . وقالت (المقطم) ان الدلائل تشير الى ان النقراشى باثا سيسير على خطة سلفه فيؤثر المصلحة القومية والعامّة على كل اعتبار آخر (١٢٥) .

لقد ظهر بوضوح فى الصفحات السابقة كيف انعكست ميول المقطم الانجليزية على كتاباتها المؤيدة بكل صراحة لبريطانيا والحلفاء فى الحرب . وكذلك تأييد خطوات الحكومات المصرية المساندة للحلفاء . فقد ايدت اعلان الاحكام العرفية ، ودعت بعد نشوب الحرب بأيام قليلة الى اعلان حالة الحرب ضد المانيا ، وايدت قطع

العلاقات مع حكومة فيشي ودافعت عن وزارة { فبراير الوفدية
التي فرضها السفير البريطاني تحقيقا لمصالح بلاده ابان احلك
ساعات الحرب على الجبهة الليبية ، وأبدت سعادتها لانتصارات
الحلفاء وافتتاح نادى العلمين لضباط الانجليز وجنودهم . وعندما
تخلى الانجليز عن وزارة الوفد بعد زوال الخطر الفاشى وأقالها
الملك ، الذى تحسنت علاقاته بالانجليز ، لم تجد المقطم ما يمنعها
من تجاهل الوزارة وأخذ جانب الملك مادامت قد أصبحت له السيطرة
الفعلية على مقاليد الأمور فى ظل صداقته للانجليز ، هذه الصداقة
التي تجلى حرص الصحيفة عليها فى كل كلمة كتبتها كما رأينا .

هوامش الفصل الرابع

- (١) المقطم ١٩ أغسطس ١٩٣٩ .
- (٢) المقطم ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ .
- (٣) المقطم ١٦ أغسطس ١٩٣٩ .
- (٤) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٣٩ — اللواء محمد سامى باشا .
- (٥) المقطم ٢٨ أغسطس ١٩٣٩ — الأميرالاي محمد زكى بك .
- (٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ — ١٩٤٨ ، ج ٢ ، دار الوطن العربى ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٨ .
- (٧) المقطم ١ سبتمبر ١٩٣٩ .
- (٨) المقطم ٢ سبتمبر ١٩٣٩ .
- (٩) المقطم ٥ سبتمبر ١٩٣٩ .
- (١٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ١٩٤٨ ، ص ١١ .
- (١١) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
- (١٢) المقطم ١٥ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
- (١٣) LUGOL, JEAN, EGYPT and World War II, (١٣)
Cairo, 1945, P. 34.
- (١٤) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
- (١٥) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .

(١٦) المقطم ٣٠ سبتمبر ١٩٣٩ - كريم ثابت .

(١٧) المقطم ٢ أكتوبر ١٩٣٩ .

(١٨) المقطم ٣ أكتوبر ١٩٣٩ .

(١٩) المقطم ٩ أكتوبر ١٩٣٩ - كريم ثابت .

(٢٠) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٣٩ - كريم ثابت .

(٢١) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٩ .

(٢٢) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٩ - كريم ثابت .

(٢٣) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٩ - كريم ثابت .

(٢٤) محمد جمال الدين المسدي ويونان لبيب رزق وعبد العظيم رمضان ، مصر .

والحرب العالمية الثانية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٦٤ .

(٢٥) المقطم ١٤ يناير ١٩٤٠ - القى الدكتور غارسى نهر كلمة في الاتحاد

المصري الانجليزى قال فيها : « والله اُحِبُّ على أنه مدعى عبرى فرايت اليوم الذى

يجتمع فيه المصري والانجليزى تحت سقف هذا الاتحاد كحليين مخلصين ، يتبنى كل

منهما للآخر ما يتناهى الآخر له . واسمحوا لى فى هذا المقام بأن أتحم ذكر نفسى

فى سياق هذا الكلام فأقول اننى ارى اليوم ثمرة العمل الذى ما برحنا نعمل له من

خمس وخمسين سنة ، فما نحن اليوم خطفاء واصدقاء ، جهودنا مشتركة واغراضنا

مشتركة وفى مقدمة هذه الاغراض نصرة الانسانية والانتصار للديموقراطية » .

(٢٦) المقطم ١٦ أبريل ١٩٤٠ .

(٢٧) المقطم ١٩ مايو ١٩٤٠ .

(٢٨) المقطم ١٦ مايو ١٩٤٠ - كريم ثابت .

(٢٩) المقطم ٢١ مايو ١٩٤٠ .

(٣٠) المقطم ١ يونيو ١٩٤٠ .

(٣١) المقطم ٣ يونيو ١٩٤٠ .

(٣٢) المقطم ٥ يونيو ١٩٤٠ - كريم ثابت .

(٣٣) المقطم ١٢ يونيو ١٩٤٠ - كريم ثابت .

(٣٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ - ١٩٤٨ ،

ج ٢ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣٥) المقطم ١٣ يونيو ١٩٤٠ - كريم ثابت .

(٣٦) المقطم ٢١ يونيو ١٩٤٠ .

- (٢٧) محسن محمد ، التاريخ المسمى لمصر ، المكتب المصري الحديث ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٢٥ .
- (٢٨) محمد حسين هبكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ٢ ص ١٨٦ .
- (٢٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٢٠ .
- (٣٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٢٧ - ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، ٧٤ .
- (٤١) صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٩ .
- (٤٢) المقطم ٤ يوليو ١٩٤٠ .
- (٤٣) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٢٤ .
- (٤٤) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٤٠ .
- (٤٥) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٤٦) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٤٧) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٤٨) المقطم ١٦ أكتوبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٤٩) المقطم ٢٠ أكتوبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٥٠) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٤٠ .
- (٥١) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٤٠ .
- (٥٢) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩٤٠ .
- (٥٣) المقطم ١٩ نوفمبر ١٩٤٠ .
- (٥٤) صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، ص ٢١٩ .
- (٥٥) المقطم ١٩ ديسمبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٥٦) المقطم ٢٠ ديسمبر ١٩٤٠ - كريم ثابت .
- (٥٧) المقطم ١ مارس ١٩٤١ .
- (٥٨) المقطم ١٧ مارس ١٩٤١ .
- (٥٩) المقطم ١٧ مارس ١٩٤١ - كريم ثابت .
- (٦٠) المقطم ١٥ أبريل ١٩٤١ .
- (٦١) المقطم ٢٢ أبريل ١٩٤١ - كريم ثابت .
- (٦٢) المقطم ٣٠ أبريل ١٩٤١ .
- (٦٣) المقطم ٣٠ أبريل ١٩٤١ .

- (٦٤) المقطم ١ مايو ١٩٤١ ،
 (٦٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ٢٧ - ١٩٤٨ ،
 ج ٢ ، ص ١٥٥ .
 (٦٦) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٤١ .
 (٦٧) المقطم ١٩ مايو ١٩٤١ .
 (٦٨) المقطم ٢٠ مايو ١٩٤١ .
 (٦٩) المقطم ٢٢ مايو ١٩٤١ .
 (٧٠) المقطم ٢٣ مايو ١٩٤١ .
 (٧١) المقطم ٣٠ مايو ١٩٤١ - كريم ثابت .
 (٧٢) محمد أنيس ، ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
 (٧٣) المقطم ٩ يونيو ١٩٤١ .
 (٧٤) المقطم ١٢ يونيو ١٩٤١ .
 (٧٥) المقطم ٩ سبتمبر ١٩٤١ - كريم ثابت .
 (٧٦) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٤١ .
 (٧٧) محمد أنيس ، ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي ، ص ٨ ، ٩ .
 (٧٨) المقطم ١٢ يناير ١٩٤٢ .
 (٧٩) المقطم ٢ فبراير ١٩٤٢ .
 (٨٠) المقطم ٣ فبراير ١٩٤٢ - كريم ثابت .
 (٨١) المقطم ٤ فبراير ١٩٤٢ - كريم ثابت .
 (٨٢) المقطم ٥ فبراير ١٩٤٢ .
 (٨٣) المقطم ٦ فبراير ١٩٤٢ .
 (٨٤) المقطم ٧ فبراير ١٩٤٢ .
 (٨٥) محمد أنيس ، ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي ، ص ٨٨ .
 (٨٦) المقطم ١٩ فبراير ١٩٤٢ .
 (٨٧) المقطم ٢٦ مارس ١٩٤٢ - كريم ثابت .
 (٨٨) المقطم ٣١ مارس ١٩٤٢ - كريم ثابت .

- (٨٩) المقطم ٥ ابريل ١٩٤٢ — كريم ثابت .
- (٩٠) المقطم ١٧ ابريل ١٩٤٢ — كريم ثابت .
- (٩١) المقطم ٢٧ مايو ١٩٤٢ .
- (٩٢) المقطم ٢٨ مايو ١٩٤٢ — كريم ثابت .
- (٩٣) المقطم ٢٩ مايو ١٩٤٢ — كريم ثابت .
- (٩٤) المقطم ٦ يوليو ١٩٤٢ — كريم ثابت .
- (٩٥) المقطم ١٣ يوليو ١٩٤٢ — كريم ثابت .
- (٩٦) يونان ليبب ، الوفد والكتاب الأسود ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٠ — ٢١ .
- (٩٧) يونان ليبب ، الوفد والكتاب الأسود ، ص ١٧ ، ١٨ .
- (٩٨) المقطم ١٣ ابريل ١٩٤٣ .
- (٩٩) المقطم ١٥ ابريل ١٩٤٣ .
- (١٠٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٢٧ — ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .
- (١٠١) يونان ليبب ، الوفد والكتاب الأسود ، ص ٧٦ .
- (١٠٢) المقطم ٢٤ مايو ١٩٤٣ .
- (١٠٣) المقطم ٢٦ مايو ١٩٤٣ .
- (١٠٤) المقطم ١ يوليو ١٩٤٣ .
- (١٠٥) المقطم ٣ يوليو ١٩٤٣ .
- (١٠٦) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١٣٨ .
- (١٠٧) المقطم ٥ فبراير ١٩٤٤ .
- (١٠٨) المقطم ١١ فبراير ١٩٤٤ .
- (١٠٩) المقطم ١٢ فبراير ١٩٤٤ .
- (١١٠) المقطم ١٤ فبراير ١٩٤٤ .
- (١١١) المقطم ١٩ فبراير ١٩٤٤ .

- (١١٢) المقطم ٦ مايو ١٩٤٤ .
- (١١٣) المقطم ٢٩ يوليو ١٩٤٤ .
- (١١٤) المقطم ١ أكتوبر ١٩٤٤ .
- (١١٥) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٤٤ .
- (١١٦) عيد العظيم رمضان ، تطور الحركة 'الوطنية' ٢٧ - ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ٢٨٩ - ١٩١ .
- (١١٧) المقطم ١١ نوفمبر ١٩٤٤ .
- (١١٨) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩٤٤ .
- (١١٩) المقطم ٢٠ فبراير ١٩٤٥ .
- (١٢٠) حديث شخصي مع الأستاذ أنطون نجيب مطر آخر رئيس تحرير 'المقطم' في ٦ مايو ١٩٨٠ .
- (١٢١) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٤٥ .
- (١٢٢) المقطم ٢٧ فبراير ١٩٤٥ .
- (١٢٣) المقطم ٢٨ فبراير ١٩٤٥ .
- (١٢٤) المقطم ١ مارس ١٩٤٥ .
- (١٢٥) المقطم ٣ مارس ١٩٤٥ .

الفصل الخامس

المقطع والقضية الوطنية بين المفاوضات والتحكيم الدولي

المطالب القومية :

بانتصار الحلفاء فى أوروبا وتسليم جيوش المحور ، بدأت (المقطم) تتحدث عن ابرام عقد التسليم واحتفال البريطانيين بالنصر وعن الدروس والعبر التى خرجت بها الشعوب من هذه الحرب ، ونشرت كلمة رئيس الوزراء النكراشى باشا عن دور مصر فى نصره الحلفاء ، وتهنئتها الحارة لهم فى هذا اليوم العظيم (١) . وكذلك رسالة الملك فاروق الى شعبه بمناسبة يوم النصر (٢) .

وقالت الصحيفة ان الدول الظافرة قد نادى « بالديمقراطية والحرية ، حرية الفرد وحرية الجماعة ، وقالت انها حاربت الطغیان واستبداد شعب قوى بشعوب اضعف منه . وزادت على هذا كله عزمها على مكافحة الفاقة والجهل والمرض ، وجاء الآن دور التنفيذ وشرعنا نشهد أولى مراحلها فى سان فرانسيسكو ، أفلا يحق لنا أن نذكر الظافرين بكل شعار نادوا به وكل مبدأ دعوا الى العمل به » (٣) .

وبدأت مصر بكل أحزابها وهيئاتها بتذكير بريطانيا بما يجب عليها من الآن أن تقدمه لمصر لاستكمال استقلالها عن طريق إعادة النظر فى المعاهدة المعقودة بين البلدين ، فانه مع رفع الرقابة على الصحف فى يونية ١٩٤٥ ، طفت على الفور المسألة الوطنية على

سطح الحياة السياسية .. تراكبت الاهداف الوطنية مع فساد
معاهدة ١٩٣٦ ، ومع الشعور بالكبت زمن الحرب ، مع الرغبة فى
استغلال الظروف الجديدة ، مع نظرة شاملة لشعوب العالم تنزى
لإعادة بناء عالم جديد تسوده الحرية والاخاء مع حذر تقليدى من
مؤامرات الاستعمار المتوقعة لترسيخ اقتداه ، تراكم كل ذلك لينفض
من النفس المصرية حركة مستعجلة وفورانا جياشا (٤) .

ووسط هذه الوقفة المصرية الواحدة ، كان لابد للمقطم أن
تدخل المعركة وتدلّى بدلوها فتقول انه وان كانت بريطانيا منهكة
الآن فى حرب اليابان « فان مصر تعرف متى تختار الوقت المناسب
لتكاشف الحكومة البريطانية بما ترى ان يكون عليه مستقبل
العلاقات بين البلدين . وقد جهر أقطاب مصر فى غير مناسبة واحدة
بأنهم لا يريدون اخراج الحليفة بحال ما وهى مثبته فى حرب
ضرروس » .

واكدت الصحيفة على « أن مصر على اختلاف أحزابها متفقة
على السعى لاستيفاء استقلالها واستكمال أمانها القومية » . وان
إعادة النظر فى علاقات الدولتين « فى مصلحتها كليهما . وقد
أيقنت الدولة البريطانية بالاختبار أن مصر الراضية المستريحة خير
لها من مصر المستاءة » (٥) . واعادت القول بأن فى ترديد هذه
الرغبة من جانب مصر وصحافتها وأحزابها « مصلحة للجانب
البريطانى كذلك ، اذا كان يهيم أن يحيط بحقيقة شعور البلاد ..
وعندنا ان ذلك يجب ان يهيم لان المعاهدة الصحيحة هى التى تقوم
على أساس صحيح ، أى على شعور صحيح » (٦) .

وهكذا حرصت (المقطم) على إيجاد أرضية مشتركة للطرفين ،
وبيان مصلحة بريطانيا فيها تطلبه مصر ، كما أوضحنا ما يجب

على مصر أن تفعله للحصول على استقلالها ، بالعمل على نشر الإصلاح في دوائرها ومرافقها « وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وعلى المصلحة الحزبية » ، وتعاون الجميع « على علاج أخطائنا وأمراضنا علاجاً صحيحاً » (٧) . وأشارت الى مذكره (الوفد) المقدمة الى الحكومة البريطانية حول مطالب مصر القومية وأهمها الجلاء وموضوع السودان ، وقالت (المقطم) أن بقاء القوات العسكرية البريطانية يشكل عبئاً مالياً على بريطانيا ، وعلة من علل استمرار شكوى المصريين ، وأن الوقت الآن مناسب للفصل في قضية السودان لاسيما أن السودانيون يريدون أن تكون علاقاتهم بمصر على قاعدة الاخاء والتعاون بين الأشقاء (٨) .

وتحدثت الصحيفة عن انتهاء الحرب العالمية الثانية تماماً باستكمال انتصار الحلفاء وتسليم اليابان ، وشعور الفرح والابتهاج الذي غمر مصر والجنود المحاربين الموجودين على أرضها (٩) .

وكانت هذه الخاتمة السعيدة للحرب ، باعنا للأحزاب المصرية لتحديد موقفها تجاه مستقبل العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وقد أشارت (المقطم) الى بيانات ، بهذا الصدد ، لكل من مصر الفتاة والأحرار الدستوريين ، وتساءلت الصحيفة من جانبها قائلة : « أنه إذا كان جلاء القوات البريطانية مرهوناً بالمفاوضات المنتظرة ، فلماذا يبقى في مصر حتى الآن من نشاهده من جنود يونانيين ويوغسلافيين وبولونيين ؟ » (١٠) . وقالت أن الضرورة التي اقتضت مجيء القوات البريطانية المحاربة قد زالت وأن « من حق البلاد أن تنتظر قرب رحيل هذه القوات الطارئة عن أراضيها وليس بقاء القوات المشار إليها غير مرغوب فيه من الوجهة الوطنية وحدها بل منها ومن وجهة الضيق الذي يعانيه سكان المدن المصرية بسبب عدم وفرة المساكن » (١١) .

وقد اتسعت دائرة الحركة السياسية في مصر لتمثل كافة الهيئات والتنظيمات والجماعات ، وما ساعد على اشتداد هذه الحركة ، بالإضافة الى إلغاء الرقابة على الصحف وقوانين السجن والاعتقال وحظر الاجتماعات العامة ، التغيير في حكومة لندن الذي جاء بحكومة العمال برئاسة (اتلى) الى السلطة ، مما اعطى المصريين آمالا جديدة بتحقيق أهدافهم القومية ، فقد انفتحت وجهات نظر الحكومة والمعارضة في مصر على أن الحكومة العمالية سوف تعدل كثيرا من الوضع بشكل أفضل من حكومة ونستون تشرشل الراحلة (١٢) .

وقد اشارت (المقطم) الى مذكرة (الاخوان المسلمين) المرسلة الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى بلندن حول مطالب مصر القومية (١٣) . ومذكرة « جبهة الشباب القومى » المقدمة لرئيس الوزراء حول الموضوع نفسه ، وكذلك اجتماع مجلس ادارة « حزب مصر الفتاة » الذى جرى فيه بحث التحولات السياسية الجديدة (١٤) وبيان « الهيئة السياسية » التى تضم عددا من زعماء البلاد داخل الحكم وخارجه ، الذى اكد على « جلاء القوات البريطانية وتحقيق مشيئة اهل وادى النيل في وحدة مصر والسودان » (١٥) ، وبيان الحزب الوطنى الذى أعلن اغتباطه لان مبادئ الحزب قد أصبحت هي مبادئ الأمة (١٦) ، وبيان « جبهة الهيئات العامة » (١٧) ، ومذكرة « نقابة المحامين الشرعيين » الى الملك بشأن المطالب القومية ، واجتماعات «جمعية الاصلاح الوطنى» و « مجلس شورى شباب محمد » لمناقشة المطالب ذاتها (١٨) .

وقد ثمنت (المقطم) هذه الحركة الواحدة المتمثلة بالتفاف الأمة بجميع هيئاتها حول أهدافها القومية ، ولكنها حذرت من قيام الطبقة بالمظاهرات في بداية العام الدراسى « لان المرور للتظاهر

أو الاحتجاج معدوم في هذه الحالة قطعاً ، مادامت الأمة مجمعة هذا الاجماع الرائع على اغراضها ، ومادامت الحكومة سائرة في تحقيق ما اتفقت عليه الأمة دون أن يكون ثمة خلاف على القصد أو تلكؤ في العمل أو خروج على الوحدة ، فعلام يتظاهر الطلبة وغير الطلبة ؟ وعلى من يحتجون ؟» (١٩) . واعتبرت عدم لجوئهم للتظاهر ، كما طالبت ، موقفنا مشرفاً للشباب الجامعي تجاه الاهداف القومية ، فقد اثبتوا « أنهم ابرا قصداً وأعلى وطنية من أن يأتوا عملاً يلحق الأذى ، ولو عن غير تعمد ، بقضية بلادهم في هذه الظروف » (٢٠) . وقالت أن مناقشة المطالب القومية في البرلمان قد امتازت « بأن رفعت من منازل الحزبية الى مراتب القومية » (٢١) .

وأوضحت (المقطم) أن « الاهداف القومية والاماني الوطنية لقيت في كنف العرش سنداً قوياً وعضداً متيناً » . وذلك بمناسبة لقاء الملك بأعضاء الهيئة السياسية (٢٢) . ونوهت بما جاء في خطاب العرش حول القضية الوطنية ، حيث « كشف النقاب عن مسعى الحكومة في مطالبتها بالجلء ووحددة وادي النيل . وقد كان الناس يلحنون على الحكومة في أن تنصح عن نيتها وتبوح بخطتها من جهة اغراض مصر القومية ، فهاهو ذا خطاب العرش يحقق سؤال الطالبين ولا يدع مجالاً لأقل ريب في هذا الشأن الخطير » (٢٣) .

وكانت (المقطم) ترد بدفاعها هذا عن الحكومة ، على المطالبات الجماهيرية بتحديد سياسة واضحة بازاء القضية الوطنية ، فقد كانت الأحاديث في البرلمان تتسم بطابع التميع والحذر ، وادركت الجماهير بخبرتها مع مثل هذا النوع من الحكومات أنها تماطل وتسوف ، وانتشرت بين الناس عبارة ، سياسة الصمت التي تتبعها الحكومة ، فلما تحرك النقراشي ، لم يجد قولاً يردده الا أنه ينتظر الوقت المناسب ، فأطلقت عليه الجماهير والصحف في سخرية : « رجل الوقت المناسب » (٢٤) .

وقالت (المقطم) ان « كل محب لمصر وكل محب للسلام يتمنى ان تنفضى المحادثات الدائرة الآن بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية ، وقد بدأت من زمان ، الى مفاوضات تنتهى بتحقيق الآمال وتوطيد أركان السلام فى الشرق الأوسط » (٢٥) .

ودعت الصحيفة بريطانيا الى أن تكون البادئة بفتح باب المفاوضات « لتعزز فى نفوس شعوب الشرق كلها أن ما تنادى به من آيات الحرية ومبادئ الديمقراطية تطبقه من تلقاء نفسها بدون أن يطالبها سواها به ولا سيما إذا كان مقام هذه الشعوب منها مقام مصر الحليفة الأمانة التى آمنت بعقيدة الحرية وجرت على قواعد الديمقراطية » (٢٦) . وذكرت ان مجلس الوزراء قرر بالاجماع طلب فتح باب المفاوضات مع بريطانيا لتحقيق الاهداف الوطنية ومخاطبة الحليفة لتحديد موعد البدء بهذه المفاوضات (٢٧) . وقالت ان « التعميل بفتح باب المفاوضات هو فى مصلحة بريطانيا قبل أن يكون فى مصلحة مصر ، ان مصر صنعت كل ما تستطيعه أمة للاعراب عن صدق صداقتها لبريطانيا ، وفعلت هذا بطرق متعددة .. فهذه العاطفة وهذه الصداقة العملية يجب أن يقابلها طوعا من الجانب الآخر ما يدل على تقديرها وتقديرها صحيحا وعمليا » (٢٨) ، فان « رضا مصر وارتياحها كبير القيمة لبريطانيا فى الشرق الأوسط كله ولأن اقدام بريطانيا على عدم التمسك بحرف المعاهدة يدل على أنها تتذرع بسعة الصدر .. وأقل ما يقال ان ما بذلته مصر فى الحرب يجب أن يكون سببا كافيا لحمل الدولة البريطانية على أن تقترح الشروع من الآن فى تعديل هذه المعاهدة » (٢٩) .

ويلاحظ ان (المقطم) تلجا هنا الى نفس الأسلوب الذى كانت تتبعه فيما مضى لدى مناقشة مسألة المفاوضات مع بريطانيا ، أسلوب الملائنة والتركيز على مصلحة بريطانيا ، برغم اختلاف

الظروف التي تمر بها البلاد بعد انتهاء الحرب ، وقد اشتد بساعد الحركة الوطنية والتحق في صفوفها عناصر شعبية جديدة ، وتبلورت أهدافها القومية واتحدت على مطالب واضحة تعرف الصحيفة أبعادها ، ولكنها تصر على مواصلة صب الماء البارد فوق النار المتأججة .

وشهدت البلاد أزمة سياسية كادت تقضى على الائتلاف الوزاري ، بسبب التصريحات التي أدلى بها وزير الخارجية عبد الحميد حمدي . وكان يمثل مصر في المنظمة الدولية عن عدم اختصاص مجلس الأمن بمناقشة مشكلات مصر والشرق الأوسط ، وعن أواصر الصداقة المتينة بين مصر وبريطانيا ، وقد أدت هذه التصريحات الى حدوث أزمة وزارية بين الوزراء من أعضاء الكتلة الوفدية وزملائهم الآخرين في الوزارة ، تدخل الملك لتطويقها لكي تتاح الفرصة لمواجهة الظروف المستجدة المتعلقة بقرب وصول الرد البريطاني على المذكرة المصرية ، صفا واحدا ، كما قال رؤساء الأحزاب المؤتلفة في تصريح لهم ، بعد اجتماعهم في دار حسنين باشا (٣٠) . وقال (كريم ثابت) ان البلاد كلها « تتجه اليوم الى جلالة الملك ، شأنها في كل وقت خطير وحادث جلل متوقعة أن يعالج الموقف بحكمته السامية بما يدرأ عن البلاد خطر هذه الخلافات في وقت يجب أن تتجه فيه الجهود في سبيل واحد ، وهو سبيل الدفاع عن حقوق مصر » (٣١) . فقد أثارت تصريحات عبد الحميد بدوى ضيق الجماهير وغضبها وخرجت المظاهرات تهتف ضده وضد الحكومة ، كما وصل الرد البريطاني على مذكرة الحكومة المصرية ، وقد أذاعت الحكومة المذكرة والرد « وعرفت الجماهير أن الحكومة تسلم ببدا التحالف مع الانجليز وأن وجود القوات الأجنبية ليس الا ذليلا على ريبة بريطانيا في ولائها ، وأن بريطانيا متمسكة بمعاهدة ١٩٣٦ متشبثة بفكرة التحالف وأنها تعتبر مصر ، البلد المستقل ،

ضمن مجموعة الأمم الإمبراطورية ، وكانت هذه النقطة الأخيرة من أكثر ما يمس الكبرياء المصرى « (٣٢) . أما (المقطم) ، فلم تشأ أن تقول صراحة ان الرد البريطانى يتعارض كلية مع طموحات مصر الاستقلالية وآمالها ، ولجأت الى اخفاء الحقيقة داخل أسلوب لفظى يغتفر الى الوضوح ، فتقول لقد « افرغت الدعوة والرد فى قالبين جميلين من المودة وحسن المجاملة ، وهو ما يجب أن يكون بين دولتين حليفتين ، أما فيما سوى ذلك فالذى نراه هو أن (قطع) الرد لا تنطبق تماما على (قطع) الدعوة ، نعم ان هناك تماسا هنا وهناك ، ولكن الانطباق غير متوافر ، وفى الرد أمران جديران بالانتباه أحدهما اغفال والآخر ادخال ، أما الاغفال فهو ما طالما نره به اقطاب بريطانيا المديون والعسكريون فى وصف نصيب مصر — المحايدة — من الحرب العالمية وهو نصيب اظن غير واحد من أولئك الاقطاب فى وصفه ، ولم ترد اشارة ما اليه فى الرد البريطانى ولا يعقل هذا مع حسن الظن الا بأن هذه الحقيقة بلغت من الشهرة مبلغا لا يحتاج المرء بعدها الى التكرار . وعسى هذا التحليل أن يكون التحليل الصحيح ، أما الادخال فاقحام هيئة الأمم المتحدة فيما بين مصر وبريطانيا « (٣٣) .

ونشرت الصحيفة بيان (الوفد) الذى أعلن أن هذا الرد البريطانى « تتجلى فيه نزعة الاستغلال وروح الاستعمار حتى جاء غير مطابق لكرامتنا واستقلالنا » وبيان (الحزب الوطنى) الى الأمة يدعوها فيه الى التمسك بمبدئه القديم بأن لا مفاوضة الا بعد الجلاء . وذكرت خبر قيام الحكومة بمحاصرة دار « حزب مصر الفتاة » ، والقاء القبض على بعض أعضائه ومنع مؤتمره المزمع اقامته لبحث الموقف السياسى (٣٤) .

وكانت هذه التطورات مؤشرا لغضبة جماهيرية ومظاهرات طلابية عارمة ، فقد بدأ الطلبة المصريون يتحركون ضد حكومة

النقراشى بزعامة اللجنة التنفيذية العليا لطلبة الجامعة والمعاهد العليا ، وتمخض هذا التحرك عن عقد اجتماع تاريخى كبير فى مؤتمر جامعى فى ٩ فبراير ١٩٤٦ ، كما تمخض المؤتمر بدوره عن مظاهرة ضمت بضعة آلاف من الطلبة ، تحركت نحو قصر عابدين حيث حدثت مذبحة كوبرى عباس التى أشعلت النار فى جوع الشعب فى المدن المختلفة . وقامت معارك حقيقية بين الطلبة والبوليس ، لعل من أشهرها معركة قصر العينى التى استمرت يوما كاملا (٣٥) .

وقد اشارت (المقطم) لهذه المظاهرات والمصادمات ، ولكنها لم تذكر شيئا عن « مذبحة كوبرى عباس » . وتحدثت عن اصابات فى صفوف الطلاب فى القاهرة ، ومضوع طالبين فى الاسكندرية (٣٦) . كما تحدثت عن قيام الملك بوضع حجر الأساس للمدينة الجامعية (٣٧) ، دون أن تشير بالطبع الى موقف الطلاب الذين قاطعوا الاحتفال ، وهتفوا ضد الملك « وكان هذا الموقف تجاه الملك تطورا جديدا فى الكفاح الوطنى ، فقد ارتبط بوضوح وبشكل مباشر وظاهر وأكثر جراحة بمعاداته للسراى كركيزة من ركائز الاستعمار . وكان ذلك بداية لتخلص الحركة الوطنية ، من اتجاهات التردد حيال العرش ، التى كانت تضعف الكفاح الوطنى » (٣٨) . ولكن (المقطم) حرصت على نشر البيانات التى تؤكد الولاء للملك ، ومنها بيان (لجنة الطلبة التنفيذية العامة) الذى جاء فيه أن الطلبة فى هتافهم من أجل الاستقلال والجلاء التام عن مصر والسودان انها يستمدون حماسهم من ولائهم للملك والتفافهم حول عرشه ، وأوردت اخبار مظاهرات سلمية احتشدت فى ساحة عابدين تهتف للملك والجلاء ووحدة وادى النيل (٣٩) .

وزارة صدقي واتخاذ ٢١ فبراير :

وكانت محصلة هذه المواجهات الطلابية الحكومية ، استقالة وزارة النقراشي وتكليف صدقي باشا بتأليف الوزارة الجديدة . وقد كلف صدقي بالوزارة والمظاهرات في عنفوانها ، ولم يكن في مقدوره وقف التيار فجأة ، ولا كان من حسن السياسة أن يفعل ، وكان حريصا في البداية أن يمحو مايزال عالقا في الأذهان من ذكريات البطش والعنف ، الذي مارسه في الثلاثينات . ومن جهة ثانية ، قدر صدقي أن يرخي أولا الزمام لخصومه حتى يوقع بهم متورطين في أعمال الشعب فتسوغ شدته معهم بعد ذلك ، ومن جهة ثالثة رأى أن قليلا من المظاهرات قد يصلح المناوضة ، فطلب منها قناة الانجليز وتسهل مهمته معهم (٤٠) .

ويبدو أن الاختيار الملكي لصدقي جاء بناء على حقيقتين « أولاها : حالة عدم استقرار الأمن التي شابت نهاية عهد النقراشي ، وقد رأى الملك أن يكون رئيس الوزارة الجديدة شخصية قوية ، وقد رأى أن صدقي باشا تتوافر فيه الصفات المطلوبة ، ثانيتهما : أن شرطا أساسيا كان يجب توافره في رئيس الوزراء المكلف بتأليف الوزارة القومية . وهو أن يكون سياسيا لا حزبيا . وكان صدقي باشا من هذا الطراز خلال تلك المرحلة من تاريخه السياسي » (٤١) .

وقد تحدثت (المقطم) عن مظاهرات سلمية خرجت من الجامعة إلى ساحة عابدين تؤكد الولاء والانحياز للملك ، وأشارت إلى أن الجهات المختصة طلبت من النيابة تصفية المسائل المنسوبة للطلبة الذين اعتقلوا في الحوادث الأخيرة (٤٢) . وتكررت مذكرة (لجنة

الطلبة التنهيدية) الى الملك ، يؤكد فيها الطلاب انهم لمصر والملك ،
ويطلبون التحقيق مع المسئولين عن حوادث ٩ و ١٠ فبراير ،
والانفراج عن المعتقلين والمقبوض عليهم من الطلبة واعادة الطلبة
المفصولين الى معاهدهم والسماح لهم بدخول الامتحان والتمسك
بقرار اللجنة السابق وهو صدور تصريح بريطاني يعترف بالجلاء
ووجدة وادى النيل كاساس للمفاوضة والتمسك ايضا بدولية القضية
المصرية ومطالبة الحكومة بالتمسك بهذا القرار وجعله اسبابا
للحكم (٤٣) .

ودعت (لجنة الطلبة والعمال) الى قيام مظاهرات شعبية
يوم ٢١ فبراير للتأكيد على مطالب الأمة الاساسية فى الجلاء
والاستقلال التام ، وشاركت (المقطم) بتغطية هذه المظاهرات التى
بدأت سلمية ، وانتهت بمصادمات عنيفة فى ميدان الخديوى اسماعيل
(التحرير) بجوار ثكنات قصر النيل بين المتظاهرين والجنود
البريطانيين ، ادت الى سقوط عدد من الشهداء والجرحى فى صفوف
الطلاب والعمال المصريين وقد كانت « مجزرة رهينة أشبه بمعركة
حربية غير متكافئة » (٤٤) . وروعت البلاد من هذا الاعتداء الاثيم ،
ومعها الحزن الاثيم على اولئك الضحايا الأبرياء (٤٥) . وكان صدى
هذا اليوم عظيما ، أكد مرة أخرى الاجماع الشعبى فى سائر بلاد
القطر ، من كافة طبقات الشعب ، فى تأكيد استمرارية النضال
والاحتجاج على التصرفات البشعة للقوات الانجليزية (٤٦) .

وقد أشادت (المقطم) بالروح الوطنى الذى أبدته الأمة يوم
٢١ فبراير وكتبت تقول : « أصبحت العاصمة اليوم ، ومدن المملكة
الأخرى ، فى حالة اضطراب عن الاعمال ، فالدراسة فى الكليات
والمدارس معطلة ، ومركبات الترام وسيارات الاوتوبيس لم تغادر
مخازنها ، والمتاجر والمحال العامة مغلقة ، والمظاهرات السلمية

تجوب الشوارع والمتظاهرون يهتفون للجلاء ووحدة وادى النيل ، وكل هذا انما قصد به ان تعرب البلاد عن شعورها الوطنى وتوسع العالم انها مجمعة على المطالبة بامانيها المشروعة فى الاستقلال التام الذى لا تقتيده قيود ، ومع ان الامة على اختلاف احزابها السياسية اذاعت قبل الآن بجميع الوسائل تمسكها بالجلاء ووحدة وادى النيل ، وانها لا تنزل عن هذين المطلبين قيد انملة ، رضى ان تظهر مشيئتها هذه بعمل آخر ، هو هذا الاضراب السلمى الشامل حتى يقتنع من لم يقتنع بان الامة جادة لا هازلة ، وانها لن تتوانى فى مساعيها الى اغراضها الوطنية الى ان تنالها فما ضاع حق ووراءه مطالب به « (٤٧) .

وفى عدد اليوم التالى ، نشرت (المقطم) تفاصيل المصادمات التى جرت فى المظاهرات وبيان صدقى باشا الذى يتحدث فيه عن قيام قوات الأمن بواجبها بعد ان تدخلت عناصر غير مسئولة فى المظاهرات ، وجنحت بها نحو (التخريب) . واعلن منع التظاهر بتاتا من الآن ، كما نشرت (البيان البريطانى عن الحوادث) الذى يتحدث عن (اعتداءات) قام بها المتظاهرون ضد المنشآت البريطانية وذكرت ان الجيش المصرى سيتولى حراسة المنشآت العسكرية البريطانية ، وقالت الصحيفة ان « رجال الجيش المصرى والبوليس المصرى بذلوا جهد الطاقة فى المحافظة على النظام ، واتبعوا التعليمات التى صدرت اليهم بكل تدقيق وامانة ، فكان موقفهم بعيدا عن كل لائمة ، ولا يسعنا اخيرا الا ان نترحم على ارواح القتلى ، ونرجو للجرحى الشفاء آمليين ان تكون هذه الدماء قربانا طاهرا تقدمه مصر فى سبيل ما تصبو اليه من آمال وطنية سامية لتنعم بالحرية والرفاهية فى ظل عرشها المفدى » (٤٨) . ولكن (المقطم) لم يتحدث عن مسئولية القوات البريطانية ولم تهاجم ما ارتكبه من اعمال ولم تسدد اصابع الاتهام ضدهم بالرغم من الغضب العارم

الذى فجرته هذه الحوادث فى نفوس الشعب المصرى قاطبة ضد الاحتلال البريطانى وجنوده .

وفور وقوع الحوادث ، قدم الانجليز احتجاجا للحكومة ، طلبوا اليها فيه منع المظاهرات والمحافظة على الامن ومعاقبة المسؤولين عن الحوادث ، مع الاحتجاج على ما حدث من اعتداء على الاموال ، واسلموا الاحتجاج الى الملك متجاهلين صدقئ رئيس الوزراء . وقد استفز صدقئ أن يتهم بالضعف من الانجليز ، وهو من يستبد جزءا منها من سمعته السياسية من قسوته وقدرته على البطش بالجمهير ، ودافع عن نفسه فى مجلس النواب ضد « هذه المزاعم الباطلة » . ثم اصدر بيانا بمنع المظاهرات والاجتماعات . وبدأ يعمل على تفتيت القوى الشعبية التى ظهرت فى الاحداث الاخيرة (٤٩) وقد ايدت (المقطم) صدقئ باشا فى موقفه وحرصه على اداء واجباته ، بقولها : « ولا يخبرنا شك فى أن الحكومة ستؤدى ما عليها كاملا ، وانها ستغتنم هذه الفرصة لتعرب عن شعور الجانب المصرى اعرابا جليا قويا ، واذا كان لنا بهذه المناسبة ان نقول كلمة للرأى العام البريطانى فهى أن مصر كلها اليوم مشيئة واحدة وشعور واحد واتجاه واحد . وانه على ضوء الحقيقة يحسن بالحكومة البريطانية أن تبنى سياستها نحو مصر » (٥٠) .

ودعت الصحيفة الحكومة المصرية الى استثمار الشعور الوطنى الجارف الذى يسود البلاد حاليا « لمصلحة القضية الوطنية لانها قوى عظيمة تسند ظهرها فى جهادها لاستخلاص حقوق البلاد وتثبت قدميها فى موقع الدفاع ، وتبعث فيها روح الاقدام والحرز فى التمسك بالمطلب الوطنى الاسمى » (٥١) .

ولكن (المقطم) تبدأ بالبحث عن مخرج يهدى العاصمية ،
ويفتح الطريق للقاء المصريين والبريطانيين وتجاوز أحداث ٢١ فبراير
الدائمة ، وما خلفته من جراح غائرة ، فقد « حدث ما حدث وصار
فى حكم الماضى والتاريخ ، فساد الرأى يقضى بأن يستخرج منه
خير النتائج للفريقين على قواعد الحق والعدل لا أن يتوسل به
أحدهما لزيادة المشكلات ، هذه هى الدبلوماسية الصحيحة ونرجو
الأ تخفى على أقطاب حزب العمال البريطانى وحكومته وأن تضعها
صحف بريطانيا نصب عيونها » (٥٢) . ولم تعقب على الحوادث
الجديدة التى سقط فيها عدد من الشهداء والجرحى يوم ٤ مارس
يوم الحداد العام ، برصاص حكومة صدقى فى مدينة الاسكندرية (٥٣)
. . ولم تعقب أيضا على فشل الجهود والوساطات التى جرت
لاشراك الوفد فى المفاوضات التى تزمع الحكومة الشروع فيها (٥٤)
الا انها دعت الى الالتفات حول المفاوضات وتأييدهم ، وتهيئة الجو
الصالح لهم (٥٥) فى الوقت الذى اعترض فيه على اجراء هذه
المفاوضات كل من الوفد والحزب الوطنى ومصر الفتاة (٥٦) . وطالبت
(المقطم) - بقلم كريم ثابت - جميع الأحزاب بالامتنال لرغبة الملك
فى تقديم شئون البلاد العليا على غيرها من الشئون وبجعل جميع
الجهود تسير فى اتجاه ايثار قضية مصر على كل اعتبار آخر
بقولها : «ولا ريب عندنا فى أن هذا الاعتبار سيلقى ما هو خليق به
من تقدير فلا ننحرف عن هذا الطريق بدافع من خلافات حزبية لم تعد
البلاد تطيقها فى هذه المرحلة الدقيقة من حياتها السياسية » (٥٧) .
وهى تعنى بذلك الوفد على وجه التحديد ، لاصراره على التعاون
مع حكومة نيابية معبرة عن ارادة الأمة فى انتخابات سليمة ويتفق
هذا الانتقاد الذى ساقته (المقطم) للوند بطريق غير مباشر ، مع
بيان نشرته لرئيس الوزراء يهاجم فيه ذلك الحزب السياسى ، الذى
دأب على تقديم الحزبية على مصلحة الوطن المقدسة ، ويقوم

بالتحريض لدفع الطلبة والعمال للتظاهر ، بينما مصلحة الوطن تتطلب الهدوء ، وان اى خروج على النظام سيقابل بالشدة (٥٨) .

وكان عهد صدقى الحاضر قد شهد فى مستهله نقل اللورد كيلرن من وظيفته سفيرا لبريطانيا فى مصر ، وكان حدثا فى ميدان السياسة المصرية ترك بصماته على الوزارة ، فقد ادى خروج اللورد كيلرن الى اكثر من نتيجة ، ومنها انفراد القصر تماما بالسيطرة على الوزارة ، وتبدى هذا فى مجموعة التصرفات التى تصرفها الملك فاروق دون استشارة حكومته ، وقد خلف اللورد كيلرن فى منصبه السير رونالد كامبل ، وبالإضافة الى ان الرجل كان من موظفى السفارة القدامى فقد كان معروفا انه من انصار صدقى باشا ، وقد شجع هذا الملك والوزارة على الاسراع بفتح باب المفاوضات مع الجانب البريطانى (٥٩) .

مفاوضات صدقى - بيفن :

مع الاستعداد لبدء المفاوضات المصرية البريطانية ، تؤكد (المقطم) اهمية الثقة التى يجب ان تحكم موقفى البلدين فاذا « كسبت بريطانيا ثقة مصر فانها تكسب ثقة سائر شعوب العرب وهذا الاعتبار لا نعتقد ان الدولة البريطانية تغفله من اعتبارها » (٦٠) وقالت ، ان الجلاء هو حق أساسى لمصر التى جربتها بريطانيا فى الحرب واصدرت حكما بأهمية الدور الذى قامت به مصر برغم التضحيات التى نادى بعضهم بها « فى شوارع القاهرة قائلا الى الامام يا روميل » فان « الذين نادوا هذا النداء كانوا جماعات صغيرة جلها من طبقات جاهلة وغير مسؤولة ، يقابل ذلك موقف مصر كلها بجميع طبقاتها وهيئاتها البرلمانية والحكومية وصحافتها » (٦١) وهى المرة الاولى التى تشير فيها الصحيفة الى هذا النداء برغم مرور بضع سنوات عليه .

وقالت (المقطم) ، وهى ترحب بوفد المفاوضات البريطانية الذى وصل الى مصر ، ان فى ايدى هؤلاء المندوبين « مصير صداقة البلدين » وامامهم فرصة لا تعوض ليكسبوا لبريطانيا صداقة مصر الدائمة « وان مصر لشديدة الرغبة فى هذه الصداقة وفى كل ما يفضى الى تعزيزها ، ولكن بشرط أن تكون صداقة أساسها الاعتراف بحقوق مصر « (٦٢) وتمنت للمفاوضين « نجاحا يفضى الى توثيق عرى الصداقة والتعاون بين الحكومتين والشعبين بعد انقضاء أسباب عدم الرضا « (٦٣) مبينة أن حق مصر فى جلاء القوات العسكرية عن أراضيها « يطابق ما تنادى به بريطانيا نفسها ، وما تدعو اليه وما تؤمن به ، فلا يعتل والحالة هذه أن يقوم بين البريطانيين من يتعمد معارضة مصر « (٦٤) ، لاسيما أن « مبدأ الجلاء التام عن الأراضى المصرية أصبح امرا مسلما به من الجانب البريطانى وان تفاصيل نظام الجلاء ومدته هى التى كانت موضوع البحث فى الايام الأخيرة « (٦٥) . وقالت ان الدلائل تشير الى أن « المفاوضات تسير سيرا حسنا وأنه لا يبالغ من يرى أنها صائرة الى اتفاق « (٦٦) .

ولكن هذه المفاوضات لم تصادف ما توقعته (المقطم) ، فقد توقفت وأعلن الوفد البريطانى أنه سيفادر الى لندن لمشاورة حكومة بلاده ، وازاء هذا التطور الجديد ، أكدت الصحيفة على أهمية التوصل الى اتفاق الفريقين فى هذا الوقت بالذات لأنه قد لا تاتى فرصة اخرى لوضع علاقة بريطانيا بمصر « على قاعدة صحيحة ترضيها الأمة المصرية « (٨٦) وان على حكومة بريطانيا الا تقع اسيرة لبعض الساسة البريطانيين (الهادمين) الذين « يصرون على وجوب التوصل بالقوة فى السياسات ويستعدون للنضال بقطع النظر عن العاقبة « (٦٨) وأنه « اذا انتفت الثقة فلا تنفع الجيوش ولا الحصون » فان « أعظم عناصر الاتفاق والتحالف والتعاون انما

هى الثقة والايان بوحدة المبدأ وصحة القصد وسلامة التسعور
بوجوب التعاون لخير الفريقين « (٦٩) .

ويلاحظ هنا السعى الدؤوب للمقطم لتجاوز العقبات ودعوة
بريطانيا لاستئناف المفاوضات وعدم الاستسلام للمعارضة الداخلية
التي يقودها المحافظون ، فهؤلاء لن ينالوا « من هذه المناورة سوى
الفشل وسوء السمعة وما يلصق بأذهان المصريين وسائر العرب
من كره وحقد على الذين يدعون نصرة الديمقراطية بقطع اوصالها
وتمزيق ثيابها » (٧٠) . وقالت ان المستر بيفن « أشجع من أن يعرفه
خوف من حملات تشرشل مهما اشتدت ولا سيما ان حكومة العمال
تؤيدها فى مجلس النواب كثرة عظيمة » (٧١) ورفعت صوتها بانتقاد
الجانب البريطانى الذى « ناز المحافظون خصوم الاتفاق بعرقلة
عمله متوسلين بالسلطات العسكرية فخوفوها بما يحتل ان تنكب
به الامبراطورية البريطانية اذا غازت مصر بتحقيق رغباتها » (٧٢) .
وعادت ثانية الى هدوئها المعهود برجاء « ألا تصل الأمور الى هذا
المدى وان نسمع قريبا ان الدوائر البريطانية استردت شجاعته
الاولى فلا تعباً بالذين لا يفتأون يقرعون نواقيس الشجن
والاسى » (٧٣) اى المحافظين .

وامام الموقف البريطانى المتعنت من المفاوضات ، تدعو
الصحيفة الى اتخاذ موقف قاطع « فلما أن بينى الحلف الجديد !و
العهد الجديد على قواعد الصداقة وحسن النية ووحدة المصلحة
الحقيقية والا فليقتل باب المفاوضة من الآن ، ولينصرف المصريون
الى العناية بأمورهم » (٧٤) . ففى هذا الوقت كانت الحكومة
المصرية تعاني من الصعوبات الداخلية ، داخل هيئة الوزارة ،
وداخل هيئة المفاوضات المصرية ، بالإضافة الى موقف المعارضة
المصرية ، وبخاصة الوفد الذى رأى أن ما يجرى ، فيه مساس
بقضية البلاد (٧٥) .

كما أضاف المشروع البريطاني الجديد صعوبة أخرى ، ورأى
أحد أعضاء هيئة المفاوضات رفضه كلية ، كما ذكرت الصحيفة ،
بينما تمسك الباقون « بحكمة الأناة والتروى والسير مع البريطانيين
الى أقصى مدى مستطاع ، فاذا لم تتقابل وجهتا النظر المصرية
والبريطانية فى مصر ، فالخطوة الأخيرة هى الإبقاء على سياسة
الباب المفتوح ، وإجراء مساع وبذل جهود جديدة فى لندن » (٧٦) .

وقد رأى صدقى باشا أن يقدم استقالته بعدما وصلت المسألة
الى هذه الحالة من الجمود فضلا عن متاعبه مع الأحزاب المشتركة
فى الحكم ، ولكنه عاد ليرأس الوزارة ثانية بعد أن عجز (شريف
صبرى باشا) خال الملك عن تشكيل الوزارة الجديدة التى كلفه
الملك بتأليفها ، والتوفيق بين الأحزاب المختلفة وخصوصا اقناع
الوند بالانضمام للوزارة .

ورأى صدقى باشا السفر الى لندن لمفاوضة مستر بيغن ،
مترحب (المقطم) بذلك قائلة ، انه « يجدر بالمشتغلين بهذا الموضوع
أن يمهلوه الى أن يتم رحلته ، فاذا نجح فى المهمة التى يسافر من
أجلها جنت البلاد ثمار نجاحه ، واذا لم ينجح فانه هو الذى سيقول
للبلاد : هذا أقصى ما أمكننى أن اصل اليه مع الانجليز ، فتدبرى
أمرك ، أما الخوف من أن يتقيد صدقى باشا بأمور لا ترضاها البلاد
فخوف فى غير محله لأن صدقى باشا يعرف تمام المعرفة ما تقبله
البلاد وما لا تقبله » (٧٧) وحثت السياسة البريطانيين على إيجاد
حل عادل للقضية المصرية ، مؤكدة على أن « مصلحة بريطانيا
ومصلحة مصر وسائر اقطار الشرق الأوسط هى فى استيفاء
الاستقرار فى هذا الشرق » (٧٨) .

وبعد عودة صدقى باشا الى مصر ، قالت (المقطم) ، انه
« اذا وافقت الحكومتان على الاقتراحات التى قدمها المستر بيغن :

وصدقني باشا فسيوفر هذا عن تضمين وثيقة المعاهدة الانجليزية المصرية نصا خاصا يشمل السيادة على السودان ويقبله الفريقان ويوافقان عليه «(٩٧) . وفي نفس الوقت ، كانت بعض الأحزاب والتنظيمات والهيئات الوطنية المصرية تبدى معارضتها الشديدة لتجركات صدقي ومشاريعه ، وتدعو الى الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، فتستنكر (المقطم) ما أسمته بالخلافات الداخلية في هذا الطرف البقيق ، قائلة : « لقد » سئم الشعب الخلافات والمنازعات الحزبية والشخصية بالشكل الذي رآها به حتى الآن ، وأصبح يريد أن يرى شيئا جديدا في حياتنا العامة أساسه تقرير مصلحة مصر قبل كل شيء والعمل لوجه مصر وحدها «(٨٠) . وأشارت الى تجمع الطلاب في الجامعة حول النصب التذكري للشهداء وتالينهم (الجبهة الوطنية لطلبة وادي النيل) ، تضمن ميثاقها السعى لتحقيق « الأغراض الوطنية من ناحية وجهة نظرهم ، ووقع عليه مندوبو شتى الأحزاب من الطلبة . ولم يوقع عليه السعديون وطلبة الأحرار الدستوريين «(٨١) . ولم تعقب الصحيفة على هذا الخبر ، وإن اتضح من صياغته ، وعدم ترحيبها بهذا النشاط الطلابي الوطني المعارض لخطط الحكومة ، ونشرت بلاغا حكوميا عن حوادث عنف قام بهام الطلبة ، وقرار الحكومة بمنع المظاهرات ، ومنع تجهيز الطلاب بشكل حازم ، وبلاغا رسميا آخر عن مظاهرات لمنتسبي (الإخوان المسلمين) جرى خلالها الاعتداء على المتاجر وتمكن البوليس من تفريقها(٨٢) .

وبعد أخذ ورد ، حول مشروع المعاهدة الذي أحضره صدقي باشا ، داخل هيئة المفاوضات المصرية ، أصدر سبعة من أعضاء الهيئة بيانا أشارت اليه (المقطم) بكلمة مقتضبة جاء فيها أنهم « بسطوا فيه موقفهم من المشروع الجديد للمعاهدة وأسباب رفضهم للمشروع في وضعه الجديد «(٨٣) . واستتبع ذلك الرفض صدور

مرسوم ملكى بحل الوفد الرسمى للمفاوضات . ونشرت (المقطم) تصريح وزير المعارف حول « اغلاق الجامعات فى مصر والاسكندرية ووقف الدراسة فى بعض المدراس لايام معدودة حتى يمكن اعداد اللازم ، وابعاد عناصر الشغب القليلة الموجودة بين الطلبة ثم تنتظم الدراسة » (٨٤) ، دون أن تخوض من ناحيتها فى هذا الموضوع الذى يشير الى انفجار الموقف الداخلى فى وجه حكومة صدقى ، الا انها تلتقى بالمسئولية على حكومة لندن ومناوراتها وعدم ادراكها للحقيقة ، فتقول : « ان دوائر لندن ترتكب خطأ عظيما اذا اعتقدت او بكلمة اصح اذا توهبت ان فى مصر من يرضى بأقل مما ينطوى عليه المشروع الحالى . . اما ان نسمع ان فى لندن مناورات اساسها ان ما انطوى عليه مشروع المعاهدة كثير وانه يجب الرجوع فيه ، فهذا ما لم تكن نتوقع سماعه » (٨٥) . وكانت هذه الحدة فى أسلوب (المقطم) مؤشرا للفشل الذى لقيه مشروع معاهدة صدقى وبيفن .

والحاصل ان الانجليز لم يكونوا متحمسين لعقد المعاهدة مع صدقى ، حتى بعد مناورة استقالته وسفره الى لندن ، ورغم الاتفاق الذى وصل اليه مع بيفن ، وحتى بعد توقيعه بالأحرف الاولى ، بقيت الصحف البريطانية تسودها نفمة من التشاؤم ومن توقع استقالة صدقى على أساس نظرهم الى الاوضاع الداخلية فى مصر ، وقد أدرك الانجليز انه يستحيل ضمان تنفيذ مشروع المعاهدة الذى أعد ، وان صدقى نفسه لم يستطع مصارحة الراى العام بحقيقة النص الخاص بالسودان . وحاول أن يعطيه معنى لم يتفق عليه الطرفان ، واذا كان موقع المعاهدة واحد صانعيا لا يستطيع مواجهة شعبه بها فالأحرى الاعتقاد بأن تنفيذها لن يضمن على يديه ولا على يد غيره من بعده (٨٦) .

.. وكان سقوط معاهدة صدقى وبيفن نروة الانتصار للحركة الوطنية ، كما تعتبر الفترة من مذبحة كوبرى عباس فى ٩ فبراير

الى سقوط مشروع صدقى - بيغن فى نوفمبر ١٩٤٦ ، من أعنف وأخضب فترات النضال الوطنى بين معسكر الثورة وأعداء الثورة ولا شك أن الفضل الأول فى كسب الشعب المصرى للمعركة خلال هذه الفترة يعود الى تلك القيادة الشعبية الجديدة الممثلة فى اللجنة الوطنية للعمل والطلبة (٨٧) .

ثم كانت استقالة وزارة صدقى باشا ، فتنوه (المقطم) بجهوده ، وتقول أنه عندما تنشر تفاصيل المباحثات والمفاوضات « ويحكم الناس فى عمله حكما غير متأثر بالاعتبارات الحزبية والخلافات السياسية سيتجلى لهم مقدار الجهود العظيم الذى بذله دولته فى سبيل بلاده بما عرف عنه من مقدرة وكفاءة استثنائيتين ، وكياسة وحزم » (٨٨) .

القضية .. فى مجلس الأمن :

شكل النقراشى باشا الوزارة التى خلفت وزارة صدقى باشا المستقيلة ، فتقول (المقطم) : « هذه وزارة مصرية ثالثة تنفى التناغم مع الدولة البريطانية ، والمفهوم أن موقفها لا يختلف عن موقف سابقتها فيها يختص بصون حقوق مصر فى وادى النيل كله » (٨٩) . وهاجمت محاولات حاكم عام السودان لفصل السودان عن مصر بحجة الاستقلال ، وخاطبت البريطانيين قائلة : « تريدون أن تعدوا السودانيين للاستقلال . حسن ، فلماذا لا تدعون حكومة مصر الى مؤتمر للبحث فى خير الوسائل لتحقيق هذه الأمنية ؟ لماذا لا تصنعون هنا ما انتم صانعوه فى سائر القضايا الدولية ؟ ان جوهر الدعوة فى السودان الآن وعلى رأس دعائها الحاكم العام ، هو فصل السودان عن مصر ، لا استقلال السودان والسودانيين .. اتنا لا نزال نعلق آملا بأقطاب بريطانيا بأن يقوموا هذه السياسة المعوجة وان ينصروا الحق » (٩٠) .

ويلاحظ ان (المقطم) ماتزال تعتمد الهدوء فى تعليقاتها ، وتمسك بسياسة التفاهم مع بريطانيا ، برغم كل المواقف المعادية الصريحة للقضية الوطنية ، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع السودان ، الذى كان سبب حيوط مشروع صئقى — بين ، والذى حاول النقرائى ايجاد مخرج له بمباحثات مع السفير البريطانى ، كان مصيرها الفشل .

وقد اعلن النقرائى باشا قطع المفاوضات فى بيانه امام البرلمان . ووصفت (المقطم) هذا البيان بأنه كان « صريحا واضحا رائعا زاد فى روعته ما بدا فى مجلس النواب من روح قومية عالية فكانت بحق جلسة تاريخية » بل « من أجل الجلسات شأننا وأخطرها موضوعا ، وما زادها جلالا وشأنا اهتمام جلالة الملك المعظم بأن يشهد بنفسه ما يدور فيها حول قضية الوطن ، فاقبل أعزه الله لحضورها بصفة خاصة خالية من كل صبغة رسمية » . وقد أعلنت مصر « حقوقها واضحة وأعربت عن عزمها على الاحتكام الى العالم وصيغ قضيتها بالصفة الدولية بعدما ظلت هذه السنين الطوال محصورة بينها وبين بريطانيا » (٩١) .

وفسرت الصحيفة فى أكثر من تعليق أسباب توجه مصر بقضيتها الى مجلس الأمن لاداعتها على العالم كله ولكى يحكم ضميره فيها ، وقالت ان غلبة الصحف البريطانية على قرار مصر « دليل لنا ولبؤانا على ان السلطات البريطانية تخشى كثيرا أن ينتهى عرض قضية وادى النيل على هيئة الأمم المتحدة ، الى اظهار حق مصر والسودان وبطلان دعوى بريطانيا » (٩٢) .

وقد التفت قوى المعارضة الوطنية جميعها على وجوب عرض مسألة مصر على مجلس الأمن . وكان هذا لدى القيادة التقليدية

للوعد أسلوبا من أساليب الكفاح بالوسائل السلمية المشروعة
وخروجا عن نطاق العلاقات الثنائية ببريطانيا ، وكان لدى التيارات
الوطنية الجديدة تفاؤلا بميزان القوى العالمية الذى تغير لصالح
حركات الشعوب بعد الحرب (١٩٣) الا أن الوعد ، هاجم قيام الحكومة
المصرية بهذه المهمة ، فى بيان اشارت اليه (المقطم) . وقال فيه :
« ان وسيلته لتحقيق مطالب البلاد هى رفع القضية الى الهيئات
الدولية ليدافع عنها من يمثلون الامة حق التمثيل » (٩٤) .

ورد رئيس الوزراء على بيان الوعد بقوله ، ان « الهدف
المباشر لهذه الحملة العنيفة هو أن تستقيل هذه الوزارة ويحل
مجلس النواب وتجرى الانتخابات ويطمع النحاس باشا فى غير
مطمع أنه فائز لا محالة بالأغلبية ، ثم بالوزارة ، وهى بيت القصيد
وقرة العين » (٩٥) .

ولم تتدخل (المقطم) من ناحيتها فى هذه المساجلة ، ولكنها
القت بكل ثقلها الى جانب الحكومة المصرية فى عزمها على التوجه
الى مجلس الأمن ، فنقول : « ان مصر تذهب الى هيئة الأمم المتحدة
عالة أنها ستكسب وعلى كل حال لن تخسر .. فنيها يختص بمصر
سيتم الجلاء التام عملا بقرار هيئة الأمم نفسها . وهذا قرار
لا تستطيع بريطانيا نقضه . بقى السودان ولا يمكن ان يصدر من
الهيئة قرار يجعل مقام مصر فى السودان أسوأ مما هو الآن ..
فالسودان أصبح مستعمرة بريطانية » « فما الذى تستطيع هيئة
الأمم أن تحكم به أكثر من هذا الواقع ؟ » (٩٦) .

فى هذه الأثناء ، كانت مصر تحتفل بجلاء البريطانيين من
ثكنات قصر النيل ، وتابعت (المقطم) هذه الاحتفالات بأخبارها
وتعليقاتها التى تمجد الملك فاروق ، الذى « ينشر علم البلاد على

ثكن قصر النيل في احتفال عسكري كبير . « ويقول « ان والذي كان يريد ان يعيش ليرى هذا اليوم » وقالت ان المصريين اليوم يحتفون برفع العلم المصري على هذه المباني العظيمة التي تحرس النيل الكريم وتطل على الاهرام الخالدة وتشرف على القاهرة الفاروق اكبر مدن القارة الافريقية » (٩٧) .

والواقع ان الانجليز كانوا حريصين في ذلك الحين على جلاء قواتهم عن قناة السويس تخفيفا لابعاء دافع الضرائب البريطاني ، ولان القناة لم يبق لها من الاهمية الاستراتيجية بعد التطور الذي حدث في اسلحة الحرب مثل ما كان لها من قبل وليثبتوا حسن نيتهم نقلوا قواتهم من القاهرة والاسكندرية الى منطقة قناة السويس (٩٨) .

وقالت (المقطم) ان « مصر كلها متجهة اليوم الى الجالس على عرشها تدعوه الى ان يقبض بساعديه القويتين على دفع سفينة البلاد ليكمل سفرها الى ميناء السلامة والسلام وتحقيق الاماني والامال » (٩٩) .

وتحدثت عن توجه وفد ضباط الجيش الى قصر القبة لرفع « آيات الشكر والولاء بمناسبة جلاء الانجليز عن القاهرة والاسكندرية والدلتا » (١٠٠) . وذكرت ان الملك قرر عدم الانتقال الى الاسكندرية رسميا في هذا الصيف « لانه يرى ان البلاط يجب ان يكون حيث مقر الحكم في اثناء عرض القضية المصرية » (١٠١) .

وقالت (المقطم) ان « عرض قضية وادي النيل على هيئة الامم المتحدة ، سيكون امتحانا عظيما لهذه الهيئة والدول التي تتألف منها ، يذوق فيه مدى ايمانها الصحيح بالحرية والديمقراطية وبيثاق سان فرانسيسكو » (١٠٢) ، وان وفد مصر سيمرض « على المجلس والعالم كله امثلة صحيحة من تصرف الدولة البريطانية مع مصر

المستقلة بعد سنة ١٩٣٦ ، بحكم المعاهدة التى تتمسك بريطانيا بها ، وتابى ان تتحول عنها ، سيطلع وفد مصر المجلس والعالم على ما صنع اللورد كيلرن سفير بريطانيا الحليفة والصديقة مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ويظلمهما على طائفة من مكاتبات اللورد كيلرن الى الحكومة المصرية يطالبها بان تنقض قرارات البرلمان ، وان تمنع المحاكم المختلطة من نظر قضية سندات قناة السويس ، وعشرات من امثال هذه الطلبات التى تدل على مدى تقدير الحكومة البريطانية لاستقلال مصر ، وعلى الخطر الذى تستهدف له ، مادام فيها قوات عسكرية اجنبية « (١.٣) .

ونشرت نصوص البرقيات المرسلة الى سكرتير مجلس الامن لتأييد طلبات مصر ، لمناسبة عرضها على المنظمة الدولية من الاحزاب والهيئات والنقابات فى مصر . وقالت : اننا « نقول جهره وبغير مواربة ان الموم فى اكراه مصر على هذا الاحتكام هو بريطانيا خصمها الآن ، فلم تقدم مصر على الاحتكام الى الهيئة الدولية الكبرى الا بعدما عيل صبرها وضاق صدرها وقطعت كل ابل بانصافها » (١.٤) . وناقشت اقوال (الكسندر كادوغان) مندوب بريطانيا فى مجلس الامن ، بقولها ان مصر « ذهبت لتثبت ان بريطانيا نقضت المعاهدة التى تدافع عنها الآن ، والتى تقول انها عقدت برضا الجانبين ، وسيرى مجلس الامن وسائر العالم ان الذى نقض معاهدة ١٩٣٦ هو بريطانيا لا مصر » ، فان « المعاهدة التى يدافع عنها السير الكسندر كادوغان هى غير المعاهدة التى ارتضاها الشعب المصرى وعدها مرحلة من مراحل استقلاله ، ان المعاهدة التى يدافع عنها السير الكسندر كادوغان ، ويقول ان مصر رحبت بها ، لم تكن فى عرف المصريين ان يطلب سفير بريطانيا استنادا الى قوة الدبابات والسيارات ، فعل كذا وعدم فعل كذا » (١.٥) ، وأنه « لم يبق فى الوجود معاهدة اسمها معاهدة

١٩٣٦ .. اجمعوا قصاصات معاهدة ١٩٣٦ والقوها حيث القيمة
ميثاق الائتليكي اى فى قعر ذلك الاوقيانوس العظيم ، واحمدوا الله
على سلامتكم من زحف قوات المحور بمعونة مصر الثمينة
جدا « (١٠٦) .

وذكرت أن النقراشى فند الحجج البريطانية التى اثارها
المندوب البريطانى فى مجلس الأمن ، وأوضح أن قضيتنا قوية وثقتنا
لا تتزعزع (١٠٧) . وانحت باللوم على بريطانيا التى أدت سياستها
الى لجوء مصر الى الأمم المتحدة قائلة : « الا يشعر اقطاب
بريطانيا .. بالخسارة الادبية العظيمة التى لحقت بالدولة البريطانية ،
وكان من اظهر مظاهرها أن يذهب وفد مصر برئاسة كبير وزرائها
فى طلب الانصاف الى نيويورك بدلا من الذهاب الى لندن ؟ ترى
ايدرك من ذكرنا مغزى هذا التبدل ؟ يالها من غلطة عظيمة » (١٠٨) .

وقد اتضح عجز مجلس الأمن عن حسم المسألة لصالح الحقوق
المصرية المشروعة ، فتخرج مظاهرات كبيرة فى مصر احتجاجا على
مواقف الدول فى المجلس ، وتقول (المتطم) ان « هيئة الأمم المتحدة
لا تختلف عن جامعة الأمم ، فهى أداة بيد الدول العظمى ، كما كانت
جامعة الأمم بيد بريطانيا وفرنسا » (١٠٩) .

وعلقت على قرار مجلس الأمن بقولها ، ان المجلس لم يفصل
« فصلا نهائيا حاسما فى قضية وادى النيل على الدولة البريطانية .
غير أنه قرر احكاما فرعية كبيرة القدر ، منها احكام ايجابية واحكام
سلبية ، ومن الاحكام الايجابية أنه قضى ببقاء القضية فى جدول
اعمال المجلس » « أما الاحكام السلبية فمنها عدم اقرار المجلس لدعوة
الجانب البريطانى بأن معاهدة ٣٦ قائمة » (١١٠) .

وقالت (المقطم) ان الأجدر بمجلس الأمن أن يسمى باسم آخر ،
كمجلس الوسطاء أو مجلس الاقتراحات المرفوضة « فان مهمته
ليست في أن يلزم الظالم رد الحقوق الى أهلها بل مهمته أن يحاول
التوسط بين دولتين متخاصمتين ، وأن يقدم الحلول والمقترحات ،
فإذا عجز عن الاهتمام الى حل أطبق يديه على صدره وترك امر
الخصام للأقدار » (١١١) .

ورأت انه اذا كانت مضر لم تنجح في حمل مجلس الأمن
« على الحكم لها » فانها نجحت حقا في عرض القضية على
العالم بأسره ، ونالت تأييد غير دولة واحدة » (١١٢) .

وشاركت الأمة ترحيبها بعودة النقراشى باشا الى البلاد ،
وهو « أقوى أملا بتحقيق مطالب مصر القومية وأعظم ايمانا بنجاح
قضيته العادلة » (١١٣) . « وما كان في طاقة مصري آخر أن
يدرك فوق ما أدركه النقراشى باشا مدفوعا بصدق وطنيته واخلاصه
.. فلا غرو اذا استقبل جلالة الملك وزيره .. وقال له ما زال
معربا عن شعور كل وطني تهمة قضية وادى النيل وريح هذه
القضية أيا كان المصري الذي يسمى لكسبها ، ولا غرو اذا كان
استقبال مصر له ما شهد الناس » (١١٤) .

وكان النقراشى قد قوبل بمقابلة حماسية لدى عودته الى
مصر ، لأن خطبته أمام مجلس الأمن استهوت الجماهير بما كان
فيها من عبارات تاسية موجهة الى الانجليز (١١٥) .

لم يكن انفعال (المقطم) بالحركة الوطنية الجديدة التي أفرزتها
ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كما رأينا ، متناسبا مع حجم
هذه الحركة وثوريتها ، وما كانت تتسم به من صلابة واصرار على
تحقيق الاهداف القومية في الجلاء ووحددة وادى النيل . ولم تواكب

بالتالى هذه الحركة ومعاركها بالقدر المطلوب ، فى الوقت الذى اكدت فيه حرصها الكامل على الالتزام بالمساعى الحكومية للتوصل الى حل القضية بالمفاوضات ثم بطرحها على مجلس الامن مع التذكير المستمر بدور القصر ووطنيته والحديث عن التزامه بأهداف الجماهير . واذا كانت قد رفعت نفمة احتجاجها على البريطانيين ومناوراتهم فانها لم تتشأ الوصول معهم الى نقطة اللاعودة والتحول الى طريق آخر من الكفاح المشروع ، وظلت ونية لأسلوب الدعوة للتفاهم والعلاقات الحسنة بين البلدين .

هوامش الفصل الخامس

- (١) المقطم ٩ مايو ١٩٤٥ .
- (٢) المقطم ١٠ مايو ١٩٤٥ .
- (٣) المقطم ١٢ مايو ١٩٤٥ .
- (٤) طارق البشري ، الحركة النتناسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٢ .
- (٥) المقطم ٦ يوليو ١٩٤٥ .
- (٦) المقطم ١٤ يوليو ١٩٤٥ .
- (٧) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٤٥ .
- (٨) المقطم ٦ أغسطس ١٩٤٥ .
- (٩) المقطم ١٥ أغسطس ١٩٤٥ .
- (١٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٤٥ .
- (١١) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ .
- (١٢) SHAH, ABDUL QAYYM, Egypt Reform, New Delhi, 1973, PP. 36 , 38.
- (١٣) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ .
- (١٤) المقطم ٢١ سبتمبر ١٩٤٥ .
- (١٥) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٤٥ .
- (١٦) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٧) المقطم ٢٧ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٨) المقطم ١ أكتوبر ١٩٤٥ .

(١٩) المقطم ٢ أكتوبر ١٩٤٥ .

(٢٠) المقطم ٨ أكتوبر ١٩٤٥ .

(٢١) المقطم ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ .

(٢٢) المقطم ٢٩ أكتوبر ١٩٤٥ .

(٢٣) المقطم ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ .

(٢٤) طارق البشرى ، الحركة السياسية في مصر ٤٥ - ١٩٥٢ ، ص ٢٢ .

(٢٥) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ .

(٢٦) المقطم ١١ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٢٧) المقطم ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٢٨) المقطم ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٢٩) المقطم ١ يناير ١٩٤٦ .

(٣٠) المقطم ٢٨ يناير ١٩٤٦ .

(٣١) المقطم ٢ فبراير ١٩٤٦ .

(٣٢) طارق البشرى ، الحركة السياسية في مصر ، ص ٢٦ .

(٣٣) المقطم ٤ فبراير ١٩٤٦ .

(٣٤) المقطم ٧ فبراير ١٩٤٦ .

(٣٥) محمد انيس والمسيد رجب حراز ، التطور السياسي للجنكح المصري

الحديث ، ص ٢٢٢ .

(٣٦) المقطم ١٢ فبراير ١٩٤٦ .

(٣٧) المقطم ١٣ فبراير ١٩٤٦ .

(٣٨) عاصم محروس ، دور الطلبة المصريين في الحركة الوطنية ، ص ٥١٣ .

(٣٩) المقطم ١٥ فبراير ١٩٤٦ .

(٤٠) طارق البشرى ، الحركة السياسية في مصر ٤٥ - ١٩٥٢ ، ص

١٧ - ١٨ .

(٤١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٨٠ .

(٤٢) المقطم ١٨ فبراير ١٩٤٦ .

(٤٣) المقطم ١٩ فبراير ١٩٤٦ .

- (٤٤) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٣ .
- (٤٥) عبد الرحمن الرافعى ، فى امقلب الثورة المصرية ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .
- (٤٦) عصم محروس ، دور الطلبة المصريين فى الحركة الوطنية ، ص ٥٣١ .
- (٤٧) المقطم ٢١ فبراير ١٩٤٦ .
- (٤٨) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٤٦ .
- (٤٩) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
- (٥٠) المقطم ٢٣ فبراير ١٩٤٦ .
- (٥١) المقطم ٢٥ فبراير ١٩٤٦ .
- (٥٢) المقطم ٢٧ فبراير ١٩٤٦ .
- (٥٣) المقطم ٥ مارس ١٩٤٦ .
- (٥٤) المقطم ٧ - ٨ مارس ١٩٤٦ .
- (٥٥) المقطم ٩ مارس ١٩٤٦ .
- (٥٦) المقطم ١٣ مارس ١٩٤٦ .
- (٥٧) المقطم ٢٦ مارس ١٩٤٦ .
- (٥٨) المقطم ٢ ابريل ١٩٤٦ .
- (٥٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ .
- (٦٠) المقطم ٥ ابريل ١٩٤٦ .
- (٦١) المقطم ٦ ابريل ١٩٤٦ .
- (٦٢) المقطم ١٦ ابريل ١٩٤٦ .
- (٦٣) المقطم ٢٣ ابريل ١٩٤٦ .
- (٦٤) المقطم ٢٧ ابريل ١٩٤٦ .
- (٦٥) المقطم ٦ مايو ١٩٤٦ .
- (٦٦) المقطم ١٨ مايو ١٩٤٦ .
- (٦٧) المقطم ٢٣ مايو ١٩٤٦ .
- (٦٨) المقطم ٢٤ مايو ١٩٤٦ .
- (٦٩) المقطم ٢٥ مايو ١٩٤٦ .
- (٧٠) المقطم ٢٩ مايو ١٩٤٦ .
- (٧١) المقطم ١٧ يونيو ١٩٤٦ .
- (٧٢) المقطم ١ اغسطس ١٩٤٦ .
- (٧٣) المقطم ٦ اغسطس ١٩٤٦ .

- .. (٧٤) المقطع ١٢ أغسطس ١٩٤٦ .
- (٧٥) المقطع ١٩ سبتمبر ١٩٤٦ .
- (٧٦) المقطع ٢١ سبتمبر ١٩٤٦ .
- (٧٧) المقطع ١٠ أكتوبر ١٩٤٦ .
- (٧٨) المقطع ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ .
- (٧٩) المقطع ٢ نوفمبر ١٩٤٦ .
- (٨٠) المقطع ٢ نوفمبر ١٩٤٦ .
- (٨١) المقطع ١٦ نوفمبر ١٩٤٦ .
- (٨٢) المقطع ٢٦ نوفمبر ١٩٤٦ .
- (٨٣) المقطع المقطع ٢٦ نوفمبر ١٩٤٦ .
- (٨٤) المقطع ٢٨ نوفمبر ١٩٤٦ .
- (٨٥) المقطع ٧ ديسمبر ١٩٤٦ .
- (٨٦) طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .
- (٨٧) محمد انيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث ، ص ٢٢٤ .
- (٨٨) المقطع ٩ ديسمبر ١٩٤٦ .
- (٨٩) المقطع ١٤ ديسمبر ١٩٤٦ .
- (٩٠) المقطع ١ يناير ١٩٤٧ .
- (٩١) المقطع ٢٨ يناير ١٩٤٧ .
- (٩٢) المقطع ٣١ يناير ١٩٤٧ .
- (٩٣) المقطع ٤ فبراير ١٩٤٧ .
- (٩٤) طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر ، ص ١٣٥ .
- (٩٥) المقطع ٥ فبراير ١٩٤٧ .
- (٩٦) المقطع ٤ مارس ١٩٤٧ .
- (٩٧) المقطع ٣١ مارس ١٩٤٧ .
- (٩٨) محمد حسين هيكل ، مفكرات في السياسة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .
- (٩٩) المقطع ٣ أبريل ١٩٤٧ .
- (١٠٠) المقطع ١١ أبريل ١٩٤٧ .
- (١٠١) المقطع ٧ مايو ١٩٤٧ .
- (١٠٢) المقطع ١٢ يوليو ١٩٤٧ .

- (١٠٣) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٤٧ .
- (١٠٤) المقطم ٥ أغسطس ١٩٤٧ .
- (١٠٥) المقطم ٧ أغسطس ١٩٤٧ .
- (١٠٦) المقطم ٨ أغسطس ١٩٤٧ .
- (١٠٧) المقطم ١١ أغسطس ١٩٤٧ .
- (١٠٨) المقطم ١٣ أغسطس ١٩٤٧ .
- (١٠٩) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٤٧ .
- (١١٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٤٧ .
- (١١١) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٤٧ .
- (١١٢) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٤٧ .
- (١١٣) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ .
- (١١٤) المقطم ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧ .
- (١١٥) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١٥٢ .

الفصل السادس

المقطم والقضية الفلسطينية

الصحافة المصرية والقضية الفلسطينية :

يثير عنوان هذا الفصل موضوعات وقضايا عديدة تتصل بذلك التاريخ الطويل للقضية الفلسطينية المرتبطة بالاطماع الصهيونية لاغتصاب فلسطين وتشريد شعبها واقامة الدولة الصهيونية فى قلب الوطن العربى . وهو ما لا يدخل فى نطاق هذه الدراسة ، التى تهدف أساسا الى تسجيل انعكاسات حرب فلسطين باعتبارها حلقة فاصلة فى تاريخ القضية الفلسطينية ، على الساحة السياسية فى مصر ، وعلى الحركة الوطنية المصرية ، سواء من ناحية تطوير رؤية هذه الحركة للعمل الثورى فى داخل مصر ، وتطوير الرؤية العربية للحركة الوطنية ، حيث كانت القضية الفلسطينية وتطوراتها الباب الرئيسى لدخول مصر معترك السياسة العربية . بعد ان كان الموقف المصرى قبل ذلك يتسم بطابع التعاطف مع شعب فلسطين فى محنته ، بازاء الاعتداءات الصهيونية والبريطانية عليه ، عبر تلك السلسلة الطويلة من المواجهات الفلسطينية ضد الانتداب البريطانى . وكان ابرزها الانتفاضات والثورات التى بلغت ذروتها فى الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ التى استمرت ثلاثة اعوام . وكان موقف التعاطف نابعا من المشاعر التى تغذيها العاطفة الدينية والرابطة العربية وجامعة اللغة ، وقد اسهمت مصر الفتاة وجماعة الاخوان المسلمين فى زيادة ناعلية هذه العاطفة واعطائها قوة دفع

تضاعف حجمها بمرور الوقت . واصبحت حقيقة راسخة فى وجدان الشعب المصرى وتنبيهه للأخطار المحدقة به وبأشقائه عرب فلسطين .

وقد قامت الصحافة المصرية بمواكبة تطورات القضية الفلسطينية ، ومتابعة فصول معاناة شعب فلسطين ، واخبار ثوراته ومعاركه ضد العصابات الصهيونية المدعمة من الاستعمار البريطانى ، وذلك حسب اتجاهات هذه الصحف ، وحجم رؤيتها لطبيعة المشكلة وأبعادها المستقبلية ، وقد غلب على تلك المواقف الشعور بعمق المأساة والتبصير بما يحمله المستقبل من مفاجآت بفعل شراسة الهجمة الصهيونية المثلثة بالاستيلاء على الأرض وزرع المستعمرات وتدفق الهجرة اليهودية .

« وتعتبر الصحافة المصرية فى العشرينات مؤشرا مهما للاهتمام الشعبى فى مصر بالقضية الفلسطينية ، ففى الوقت الذى اتسم فيه موقف الحكومات المصرية ازاء القضية بالتخاذل وانعدام الاهتمام ، بل وصل الى حد اتخاذ مواقف معادية ، كانت الصحافة بمختلف أجنحتها واتجاهاتها تتابع باهتمام تطورات القضية الفلسطينية من كافة زواياها ، وتبدى تفهما عميقا وادراكا مبكرا للخطر الصهيونى فى فلسطين والعالم العربى ، وقد ساهمت بالفعل فى خلق تراث من الاهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية .. ومع منتصف الثلاثينات بدأ الاهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية يصبح اكثر اتساعا ويضم قطاعات أوسع من الراى العام والقوى السياسية المصرية .. ويلاحظ أن الصحافة الصهيونية قد لعبت دورا مهما فى خدمة الحركة الصهيونية خلال العشرينات والثلاثينات فى مصر ، وكانت الحركة الصهيونية ممثلة فى تلك الصحف بجميع اتجاهاتها المعتدلة والمتطرفة وذات الرؤية الدينية » (١) .

وأبرز هذه الصحف الصهيونية التي صدرت في مصر باللغة العربية لخدمة الحركة الصهيونية ومخططاتها : إسرائيل ، الاتحاد الاسرائيلي ، الشمس ، المصباح ، الصراخة ، والتسعيرة (٢) .

وقد تابعت (المقطم) تطورات القضية الفلسطينية ، واتخذ هذا الاهتمام أشكالا متعددة مثل نشر الرسائل الصحفية والاذخارية الواردة من مراسلها في فلسطين ، وكذلك نشر الرسائل الصحفية الواردة من المندوبين الذين أرسلتهم الصحيفة ابان تفاقم الأحداث والاضطرابات ، ونشر المقالات التي تعبر عن آراء كل من الكتاب الفلسطينيين المقيمين في مصر ، والكتاب اليهود المصريين ، بكل ما يعنيه هذا الأمر من تعارض الأفكار والاتجاهات والمصالح ، وما يعبر عنه من محاولة الصحيفة الوقوف على الحياد بازاء هذا الصراع ، لكن (المقطم) من ناحيتها لم تتطرق لمعالجة طبيعة الخطر الصهيوني وأشكال هذا الخطر ونتائجه ، واكتفت عند اشتداد الانتفاضات الفلسطينية وقمعها بالقوة من جانب البريطانيين ، بتسجيل عتابها ولومها للسياسة البريطانية ، ودعوتهم الى حل المشكلة بما يحفظ مصالح جميع سكان فلسطين وحقوقهم ، ولكن المرحلة التاريخية التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ، والتي شهدت اتجاها مصريا سريعا واضحا نحو العالم العربي خصوصا بعد توقيع ميثاق الجامعة العربية شهدت أيضا فهما أوضح وتحديد أدق لطبيعة المخطط الصهيوني في فلسطين ، ولم يبق معه مجال للتنبؤ والاجتهاد حول احتمالات المستقبل ، فقد أسرعت الأحداث باتجاه اعلان قرار تقسيم فلسطين ومضاعفاته واعلان انتهاء الانتداب البريطاني وانشاء الدولة الصهيونية ، واصبحت المواجهة العربية الصهيونية واقعا لا مفر منه ، انعكس على كتابات الصحافة المصرية بجميع اتجاهاتها ، ومنها

(المقطم) ألتى عالجت تطورات الحرب الفلسطينية ، بدون أى تأثير لارتباطاتها مع المصالح البريطانية .

حرب فلسطين :

وقد شاركت (المقطم) فى متابعة هذه التطورات وانعكاساتها على مصر ، سواء على الصعيد الرسمى أو الشعبى ، وتحدثت عن الاسهامات الفعلية للجيش المصرى فى حرب فلسطين ، كما تابعت التطورات الداخلية التى كانت وثيقة الصلة بالهزيمة العسكرية وناجئة عنها ، كالمواجهة بين الحكومة المصرية والايخوان المسلمين .

فعلى اثر صدور قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قامت مظاهرات احتجاج فى مصر ، نشرت (المقطم) اخبارها وكتبت عددا من التعليقات عن اصداء هذا القرار ، وعن خضوع الأمم المتحدة لارادة القوى الاستعمارية ، ونقلت تصريحات لعبد الرحمن عزام امين عام الجامعة العربية عن فتح مكاتب للتطوع فى القاهرة للمشاركة فى انقاذ فلسطين (٣) .

وقالت الصحيفة ان المظاهرات لا تخدم قضية فلسطين التى تتطلب خطوات عملية كالتطوع وغيره ، وأن « على مصر أن تستعد فلا تؤخذ على غرة » (٤) . وخاطبت المسئولين العرب القادمين الى القاهرة للتباحث حول القضية فى اطار الجامعة العربية ، قائلة : « جنتم . اهلا وسهلا بكم . فماذا انتم فاعلون ؟ » (٥) ، موضحة « ان رسم المصوورات الجغرافية سهل ، واسهل منه ارتجال الخطب السياسية والحساسية . اما الذى له قيمة فالمعمل » (٦) .

وقامت الجماهير المصرية بمسيرة تضامن مع فلسطين ، فكان « يوما خالدا فى تاريخ العروبة ، ومن أعظم هذه الايام روعة وجلالا ،

تجلى فيه الشعور القومى بأجل معانيه ، وأظهرت مصر غضبها لقرار قسمة فلسطين الجائر ، وسخطها على الصهيونية ودعاتها ، وشاركت مصر فلسطين الشقيقة فى محتتها ، وارتفعت الصيحات لتلبية نداء فلسطين ، وارتفع صوت مصر مجلجلا على مرأى ومسمع من ممثلى الدول العربية والاجنبية « (٧) .

واستحثت العرب على العمل الجدى قائلة : ان « فلسطين تحتاج الى اكثر من هذا » (٨) ، وان « على مصر ان تتأهب وان تتأهب معها دول العرب الأخرى ، فذلك خير وأبقى » (٩) .

فى هذه الاثناء ، كانت (المقطم) تتابع فى اخبارها تحركات سلطات الأمن لتعقب العصابات الصهيونية التى تمارس نشاطها المريب فى مصر ، وكذلك حملات الحكومة لتفتيش المنازل فى القاهرة والاسكندرية « لمكافحة الشيوعية » جرت خلالها الاعتقالات ، وضبطت المنشورات فى حوزة المعتقلين ، كما تابعت أخبار الانفجارات فى عدد من المحال التجارية التى يملكها اليهود فى مصر ، وقضائية اغتيال احمد الخازندار رئيس محكمة جنابات مصر ، دون ان تشير من جانبها باصبح الاتهام الى جهة معينة (١٠) ، وكذلك موضوع اضراب رجال البوليس وامتناعهم عن العمل (١١) ، هذا الاضراب الذى كان صدمة شديدة لوزارة النقراشى لأنه باعد بينها وبين الرجال الذين تعتمد عليهم فى حفظ الأمن والنظام ، وقد عاد رجال البوليس الى عملهم بعد ان هددتهم الحكومة بالفصل ، ورغم عودتهم واخلادهم الى السكينة فان قلوبهم قد اضطربت بالكراهية لوزارة النقراشى (١٢) .

وقد كرست الصحيفة بعضن الاهتمام لهذه الأحداث الداخلية ، فى الوقت الذى كانت تخصص فيه مساحات كبيرة من صفحاتها لتطورات الأحداث ، والمعارك الدائرة فى فلسطين ، بين العرب

الفلسطينيين الذين يعاونهم بعض المتطوعين من الدول العربية ،
والعصابات الصهيونية ، وكانت (المقطم) تشير بين حين وآخر ،
لتحركات المتطوعين من (حزب مصر الفتاة) ومباركهم في فلسطين ،
ولكنها لم تشر على الاطلاق الى كتائب الاخوان المسلمين التي
شاركت في تلك المعارك بشكل اكبر .

وقد تابعت (المقطم) هذه الاحداث عن طريق اخبار وكالات
الانباء وتقارير المرسلين بالاضافة الى ما كتبه من تعليقات ومقالات
افتتاحية عن مختلف جوانب القضية من استغراب لسياسة بريطانيا
في فلسطين (١٣) ، الى هجوم على امريكا لدعها الصهيانة
بالسلاح (١٤) ، الى الاشادة بموقف الملك فاروق الراضى لنشوء
دولة صهيونية في فلسطين (١٥) ، الى توضيح مهمة الجيوش
العربية الزاحفة الى فلسطين ، فهي « ليست حربا ولكنها اعادة
الامن والنظام ، ومنع المذابح والتدمير » (١٦) ، وهي تذهب الى
هناك « لا باغية ولا فاتحة ولا طامعة ولا متسلطة ، بل للانقاذ والتحرير
واعادة الحق الى نصابه » ومصر « لا تحب الحرب ولا تطلبها
لذاتها ، وقد بذل اقطابها وحكومتها اقصى الجهد لعلاج قضية
فلسطين علجا يطابق العدل والانصاف وحقوق اهل البلاد ، فضع
الجهد سدى ، وتحولت المسألة تحولا خطيرا ، جعل الشرق العربي
كله في خطر » (١٧) ، وتابعت تحرك رجال الجيش المصري وبدء
عملياتهم العسكرية « للأخذ بناصر اخوانهم عرب فلسطين
وتطهيرها من الدخلاء الذين ابوا ان يعيشوا معهم في بلادهم على
قدم المساواة ، بل اثاروها حربا طاحنة ، بل مجازر تتاذى لها أبسط
قواعد الانسانية » (١٨) . وسجلت تطورات المعارك وبطولات
الجيش المصري والتطورات السياسية الدولية ومهمة الوسيط
الدولى برنادوت ، وعقد الهدنة بين الجيوش العربية والعصابات
الصهيونية .

وتحدثت (المقطم) عن الدروس المستفادة من هذه الحرب ، وتمثل بضرورة أن تكون لمصر « قوات عسكرية برية وبحرية وجوية تطابق عدد سكانها ومقامها الجغرافى والاستراتيجى ، وحاجتها الى توطيد اركان السلام على حدودها ، واشاعة روح النظام العسكرى فى ربوعها ، وحمل سواها على احترامها » (١٩) . وهذه الدوة لتدعيم الجيش وزيادة عدد افراده استوجبتها الظروف القاسية التى واجهتها القوات المحاربة ، التى لم تشأ الصحيفة ، فى غمرة الحديث عن البطولات المصرية والعربية ان تشير اليها ، الا أن اخبار توقيع الهدنة بعد شهر واحد فى بدء القتال ، كانت غريبة ، وقد أزعجت الكثيرين من المصريين ، الذين كانوا منذ اليوم الاول للقتال ، يبالغون بواسطة البيانات الرسمية والتحليلات الصحفية ، بأن جيوشهم تتقدم بنجاح وبأنها على وشك أن تقذف بالمدوب بعيدا ، وأن النصر بات مضمونا وعليهم أن يستعدوا لاستقبال الجنود الشجعان عندما يعودون الى الوطن بعد ازالة دولة اسرائيل (٢٠) .

وعادت (المقطم) بعدما أبدى (برنادوت) تحيزه للصهيونية ، وبدأ فشل مهمته واضحا ، الى القول بأن العرب « وعلى رأسهم مصر مضمون على اخماد هذه الفتنة ، وعلى الخصى فى الجهاد » (٢١) . واننا « ماضون فى طريقنا ، فلن نرضى فلسطين الا دولة عربية موحدة ، وسنبذل لتحقيق هذا ما نملك من دم ومال وانفس ، هى عندنا رخيصة فى سبيل فلسطين » (٢٢) ، « فيا جند مصر ، بل يا جند العرب اجمعين : تهبوا للواقعة واستعدوا لاستئناف القتال فى سبيل الله فى فلسطين » (٢٣) .

واوردت اخبار زيارة الملك فاروق « لرجال الجيش البواسل فى فلسطين حاملا اليهم تحية مصر بأسرها وليشاهد أعمالهم » وكان « الاهالى فى غزة يهتفون بحياة الفاروق حبيب العرب والعروبة » (٢٤) .

وقالت تمقيا على حادث الاغارة الجوية الصهيونية على القاهرة ، ان هذه الاغارة لم تؤد الى « القاء الرعب والفزع في قلوب المصريين » ، كما اراد الاعداء « بل اتاحت للمدنيين من المصريين مشاركة رجالهم العسكريين في ميدان فلسطين شرف الجهاد والدفاع عنها » (٢٥) .

وقد توصلت هيئة الأمم المتحدة الى عقد الهدنة الثانية بين العرب والعصابات الصهيونية ، فتقول (المقطم) : « وحسبنا في هذا اليوم ان نسجل ان جيش الفاروق يوقن القتال مرة اخرى ، وهو مرفوع الراس ووفور الكرامة ، لم يعرف سوى التقدم والفوز والنصر ، حقا انه لجيش باسل جدير بأن ننحنى له تحية وتقديرا واكبارا » (٢٦) .

وحذرت بان اليهود لا يحترمون الهدنة التي عادوا في غفلتها « يلعبون بالنار » (٢٧) . وكتبت بهذا المعنى تطبيقا بعنوان « لقد امعنوا » (٢٨) .

ونمت الصحيفة استشهد البطل أحمد عبد العزيز الفدائي الأمين الذي ادى « الواجب عليه اكمل ما يكون ، ولم يدع وسيلة من وسائل الشجاعة وضربا من ضروب الأقدام الا صمنعه في فلسطين » (٢٩) . وطالبت بتخليد ذكراه « تخليدا يعلى من شأن العسكرية في هذا الوطن العربي » (٣٠) .

وعلقت على مصرع الوسيط الدولي برنادوت بأیدی الصهاينة، الذي جاء دليلا على « اجرام هذه العصابات ، وان لم يكن غريبا عليها ، وسوف يدرك العالم وتدرك هيئة الأمم ، اي الشراذم نقاتل وای العصابات نحارب » (٣١) .

واوضحت ان القتال لم يتوقف على الجبهة الجنوبية ، مان هؤلاء الذين نحاربهم « ما نكاد نفرغ من تأديبهم حتى تلاحقنا الهدنة ،

وما نكاد نهادنهم حتى نفاجأ باعتدائهم « (٣٢) . وقالت أن الولايات المتحدة توسطت أخيرا لوقف المعارك فى النقب بين المصريين والصهاينة ، بعد أن « سجل الجيش المصرى منفردا أمجادا عسكرية » . وخاطب الملك فاروق جنوده بقوله ، لقد « قدمتم أرواحكم رخيصة عليكم عزيزة علينا . . فى سبيل المثل العليا » (٣٣) .

وتحدثت (المقطم) عن عودة (أبطال الفالوجة) الذين يعودون « الى أوطانهم مكللين بفغار المجد والنصر والفخار ، بعدما ضربوا بالبسالة العسكرية والكرامة العسكرية الأمثال فأقيمت الرايات يامصر لهذا الجيش الظافر ، وأحنى الهامات لهؤلاء الأبطال ، كما رفعوا رأسك عاليا وذكرك خالدا » (٣٤) . وقد استعرض الملك هذه التوات العائدة فى ساحة قصر عابدين ، فكان ذلك يوما تاريخيا « فى حياة الجيش المصرى وفى حياة مصر بأسرها . يوم نرى فيه أبطالا لنا يعودون من الميدان ، مكللين ببغار النصر ، وغار البطولة والظفر . . وتوج هذا الحفل الكبير المنطوى على أرفع المعانى جلالة الملك المعظم ، بما أضفى على قائده العام وقائد قوات الفالوجا وسائر ضباطها وجنودها ، من معانى العطف والتقدير ، ما الهج السنتهم بالدعاء لجلالته . . ولما أنتهى الحفل قال جلالة القائد الأعلى لرئيس الوزراء (اليوم اطمأنت مصر على مستقبلها) قوله ما أجملها لفظا فهى تحمل الطمأنينة الى القلوب المتوثبة وما أرفعها معنى فهى تبعث الأمل فى نفوس بنينا » (٣٥) .

ويلاحظ أن كتابات (المقطم) هنا تعكس أجواء انتصارات باهرة ، تحققت للعرب فى هذه الحرب ، التى دخلتها الجيوش العربية لازالة الدولة الصهيونية ، بينما كانت الحقيقة عكس ذلك على طول الخط ، فقد منيت هذه الجيوش بهزيمة منكرة ، وعاشت الدولة اليهودية فى قلب فلسطين ، بسبب الأخطاء التى صاحبت

مَجَرِيَّات القتال ، والمؤامرات التى تعرض لها المقاتلون ، وتخاذل القيادات التى كانت تصدر الأوامر ، ولم تكن حال الجبهات الأخرى بأحسن حالا من الجبهة المصرية ، مع الاعتراف بأن « الجيش المصرى ، بضباطه وجنوده قد ادى واجبه كاملا ، وبرهن على بطولته فى ميدان القتال ، رغم الفوضى التى كانت تسيطر على قيادته ، والنقص فى سلاحه وذخيرته ومؤونته وخططه الحربية » (٣٦) .

وهناك فى أرض المعركة وضع تماما أنها معركة تسيير ومقنطام غريب ، لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ، ولكنه يقاد من القاهرة . وتصدر له الأوامر .. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لآلى اصول الحرب ولا الى مقدرة الجيش نفسه . وهناك فى أرض المعركة وضع تماما أن الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا .. لخيانة هذا الجيش فى معركته الأولى المقدسة ، فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة الفتراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعتاد والذخائر قد أمسكوا أيديهم مرة واحدة ولم يعطوا الجيش شيئا (٣٧) .

المواجهة مع الإخوان المسلمين :

فى نفس الوقت الذى كانت فيه الحرب مشتعلة فى فلسطين، شهدت القاهرة سلسلة من الانفجارات الناتجة عن القاء القنابل على المحال التجارية اليهودية فى مصر ، ومن ذلك انفجاران شديداً فى القاهرة بجوار محال (جاتينيو وبنزا يون) ، التى نشرت اعلانا فى (المقطم) تؤكد فيه خالص ولائها للملك « وتستنكر الصهيونية الآثمة وتشارك الشعب المصرى الكريم آماله وآلامه » (٣٨) ، وذلك

دون أن يشار إلى الجهة التي تقف وراء هذه الانفجارات . ونشرت الصحيفة نداء وكين الداخلية عبد الرحمن عمر ، الذى يدعو فيه إلى معاونة « رجال الأمن على استئصال الجريمة وتعقب الجناة » .

وعلقت (المتظم) للمرة الأولى على هذه الانفجارات بقولها إنها حوادث « ضارة بالوطن ولا دافع يبرر ارتكابها مادام وزرنا واقعا علينا ، ومن أضرارها الوطنية أحداث اضطرابات وذعر فى قلب عاصمة البلاد ، فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الهدوء والسكينة » (٣٩) .

وذكرت أنباء انفجار جديد فى « شركة أراضى الدلتا » ، فى المعادى (٤٠) . ونقلت عن مصادر مطلعة قولها : « أن تحريات رجال الأمن بشأن حوادث الانفجارات تتقدم تقدما محسوسا وتسير فى ضوء نجاح ، وأن هذه التحريات ستؤدى باذن الله إلى النتيجة المرجوة » (٤١) . وأن هذه التحقيقات تسير « بتكتم شديد » (٤٢) .

وتحدثت عن وفاة سبعة من المصابين فى حادث انفجار وقع أخيرا فى حارة اليهود (٤٣) . ونشرت تفاصيل الانفجار الشديد الذى تعرضت له « شركة الاعلانات الشرقية » والذى أدى إلى خسائر بشرية ومادية ، وكانت أخباره فى (المانشيت) الرئيسى للصحيفة ، بالإضافة إلى تفاصيل الحادث كاملة لمندوبها القضائى ، ولكن دون تعليق من ناحيتها (٤٤) ، وأن تابعت ما يدور فى أجهزة الأمن من تحقيقات . وأشارت تلميحا إلى بعض ما توصلت إليه السلطات الحكومية من نتائج ، قائلة : « فليطمئن الجمهور .. يسرنا أن نقول اليوم بإيجاز أن المسئولين فى الأمن العام ، قد وفقوا إلى ما يطمئن الجمهور فى بعض شئون شغلته 'خيرا' » (٤٥) ، وقولها : « ونزيد اليوم الأمر بعض الإيضاح فنقول أن النيابة وضعت

يدها على عدد من الشباب يحقق معهم عدد كبير من وكلاء النيابة
باشراف سعادة النائب العام . وذلك على أثر ضبط مواد متفجرة
وأوراق مهمة فى دور هؤلاء الشـبابان ، ونكتفى اليوم بهذا
القدر « (٤٦) » .

وتزداد الحالة تفاقمًا بمصرع حكمدار بوليس العاصمة سليم
زكى باشا ، فى أثناء محاولة قوات البوليس قمع المظاهرات
الطلابية فى جامعة فؤاد الاول وكلية الطب فيها بخاصة ، حيث
سقط عدد من القتلى والجرحى فى صفوف الجنود والطلاب ، فتنشر
الصحيفة البلاغ الرسمى عن الحوادث ، الذى أوضح أن المتهمين
من الطلاب ينتمون لجماعة الاخوان المسلمين (٤٧) ، وقد ورد ذكر
الاخوان المسلمين للمرة الاولى ، كمسؤولين عن هذه الحوادث ، منذ
بداية الانفجارات وتفاقم الحالة الداخلية فى البلاد .

وكان الاخوان المسلمون قد شاركوا بفعالية فى الحركة الوطنية
الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وحاول صدقى باشا بها قدمه
لهم من تسهيلات أن يستخدمهم ضد الوفد ، نظرا لجهادية الاخوان
القادرة على الوقوف فى وجه حزب الاغلبية ، فى النزاعات
السياسية الداخلية ، ولكن هذه التسهيلات اذا كانت « قد فسرت
من جانب الحكومة على انها محاولة لمناهضة الوفد والشيعيين ،
فان الاخوان قد أثبتوا من خلال سير الاحداث أنهم ليسوا أداة
للحكومة ، وأنهم لا يتحركون الا وفق مبادئهم .. وحينما أعلن صدقى
عن عزمه بدء المفاوضات مع بريطانيا ووصل الوفد البريطانى للمفاوض
طالبه الاخوان بأن يلتزم بما أعلنه من قبل من أن يدخل هذه
المفاوضات حرا من كل قيد ، وحدد الاخوان هدفهم من هذه المفاوضات
فى تحقيق الجلاء التام الذى تعقبه نهضة شاملة .. وشارك الاخوان
الجماعات السياسية الأخرى فى القيام بمظاهرات بصـغنة دورية
لتذكير صدقى بتعهداته للأمة .. وكان ذلك الموقف من جانب

الاخوان كفيلا باثارة الحكومة عليهم ، فقامت بحملة اعتقالات واسعة لأعضائها «(٤٨)» . وشهدت مرحلة ما بعد الحرب . ابان وزارتي صدقي والنقراشي اهتماما ملحوظا من (المقطم) بمتابعة أخبار الإخوان ، ونشر مقررات مؤتمراتهم والاشارة لبياناتهم حول القضية الوطنية ، دون الدخول معهم فى مساجلات ومناقشات حول الأفكار التى يؤمنون بها والمبادئ التى يدافعون عنها ، سوى مرة واحدة فى اثناء عرض قضية مصر على مجلس الأمن ، حيث ناقشت (المقطم) مقالا للشيخ البنا ، المرشد العام للاخوان المسلمين ، كتبه فى صحيفة الجماعة وقد كان يؤيد النقراشى فى مهمته وجهوده بمجلس الأمن وقتئذ ، واوردت مقتطفات من مقال الشيخ البنا وعلقت عليه بالقول : « وهذا كلام طيب نان الناس يتطلعون الى الزعماء والقادة فى الأزمات العصبية لينقذوهم من أخطارها ، لا يصرفوهم عن أعمالهم ، باثارة ما بينهم من خلافات ومنازعات . وقد اختير الزعماء والقادة ليرشدوا الناس الى الخير ، ولينزلوا امامهم فى ميدان الكفاح والنضال ، فاننا لا نطلب فى قضيتنا هذه عرضا تافها ، ولكننا نطلب الحياة الكريمة والسيادة الصحيحة ، وهذا مطلب ضخم لا يجيء الينا بسهولة ويسر ، بل انه يحتاج الى بذل جهود وتضحيات »(٤٩) .

ولكن حرب فلسطين منحت الإخوان فرصة راوا فيها سببا عاجلا لجمع الأسلحة والتدريب عليها ، والحصول على الشعبية بسببها(٥٠) . وكان لهم انجاز ملحوظ فى الحرب تمثل فى المساعدة التى قدموها للمصريين المحاصرين فى « جيب الفالوجا » ، الذى نشأ عن تقدم الاسرائيليين بعد خرقهم الهدنة الثانية ، فى اكتوبر ١٩٤٨ ، فقد عمل الإخوان اثناء وجودهم فى الميدان على نقل المؤن الى القوات المحاصرة(٥١) .

ومع احداث هذه الحرب ، التى انتهت الى النتائج المخيبة ، تزايدت موجة العنف التى قادها الجهاز السرى للاخوان المسلمين ،

داخل مصر ، وبلغت أوجها كما مر بنا ، بمصرع حكمدار العاصمة
الذى اتهمت الحكومة جماعة الإخوان صراحة بارتكابه ، مما جعل
(المقطم) تهاجم الإخوان من ناحيتها بكل ضراوة ، وتحت عنوان
« مذبزو الشغب والمحرضون عليه » تقول : « ولا يمكن أن يفسر
هذا الشغب والاضطراب فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى
حماية ظهر جيشنا بالهدوء والسكينة ، بغير أنه عمل بعبد عن
الوطنية كل البعد ، ومجانب للمروءة كل المجانبة ، ولا يقدم عليه
الا عدو لمصر ، يعين الأعداء عليها ، ويمكن للصهيونيين من رقابها »
« ونحن اذ نكتب هذه الكلمة لا نقصد هيئة معينة ولا فردا معيناً ،
فهذا شأن القضاء والجهات المسؤولة ، ولكننا نوجه الكلمة لكل مصرى
تجرى فى عروقه دماء الوطنية الغالية ، ان يقدر الظرف الدقيق
الذى تجتازه البلاد » (٥٢) .

وقد تبع ذلك قرار رئيس الوزراء بحل جماعة الإخوان
المسلمين « فوراً » بشعبها أينما وجدت ، واغلاق الأمكنة المخصصة
لنشاطها ، وضبط جميع الأوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات
والمبالغ والأموال وحظر النشاط على أعضاء مجلس إدارتها وشعبها
ومديريها وأعضائها ، ولاسيما عقد الاجتماعات . وجاء فى مذكرة
وكيل وزارة الداخلية المرفوعة الى الحاكم العسكرى ، وهو رئيس
الوزراء ، « ان أهداف هذه الجماعة كانت عند تأليفها دينية ، ثم
تحولت الى جماعة سياسية ، ترمى الى وصولهم الى الحكم ، وثلب
النظم المقررة فى البلاد ، متذرعة بالعنف » .

وأوردت (المقطم) اخبار نشاط « المندوب الخاص لتصفية
أموال الجماعة » والاعتقالات فى صفوف الجماعة ، واعادة ضبط
البوليس الى الخدمة ، واستخدام البوليس لسيارات مصنعة لصون
الامن العام . وخاطبت الصحيفة طلاب مصر ، قائلة : « ان نشاطنا
لا يكون فى الشوارع والطرق ، وذكائنا لا يكون فى استغلالنا

للحوادث والاضطرابات ، وانما يكون فى غرف الدرس وبين المعامل والاقلام والمحابر .. هذه هى الخدمة الوطنية السليمة الصائنة التى ننصح للطلاب أن يؤدوها فى هذا الدور من سنى حياتهم «(٥٣) .

لقد كان الباعث الأساسى وراء قرار حل جماعة الإخوان المسلمين فى ١٩٤٨ ، الاعتقاد بأن الجماعة كانت تخطط سرا للقيام بثورة . على أن صدور القرار كان مترتبا بصورة أكثر مباشرة على تيار أحداث العنف المتتابع ، الذى هز مصر منذ ١٩٤٥ فصاعدا ، حيث كان دور الإخوان ، وإن لم يكن الوحيد ، هو الأكثر درامية والأكثر انطواء أيضا على الخطورة من وجهة نظر الحكومة ، وكان الصراع العنيف على السيادة فى ساحة الحركة الوطنية ، بين الوفد والإخوان فى حد ذاته جزءا من صورة أكبر للعنف شملت كل الجماعات المنظمة وغير المنظمة فى البلاد ، فى تحدى كل منها للآخرى وفى تحديها للسلطة الحاكمة ، وتزايد حجم العداوات المتبادلة بفعل مشاعر الاحباط التى تولدت خلال الصراعات مع الصهيونية والبريطانيين(٥٤) .

أما الإخوان فقد أصبحوا فى عام ١٩٤٨ أكبر جماعة مسلحة ، خاصة بعد حرب فلسطين ، يخشى منها على النظام القائم ، ولم تكن الحكومة بحاجة الى حل الوفد لعدم لجوئه الى النشاط العسكرى ، والحزب الوطنى كان قد لجأ الى هذا النشاط ، ولكن فى نطاق ضيق جدا ، أما الشيوعيون فلم يكونوا فى حاجة الى قرار حل لأنهم لم يتمتعوا بشرعية وجودهم .

ومع تسليمنا بأن الإخوان قد ارتكبوا كثيرا من حوادث العنف عام ١٩٤٨ ، فإن ما قامت به الحكومة من ضغوط واضطهاد ضدهم ، كان وراء اندفاع شبابهم لارتكاب هذه الحوادث ، فإن

الحماسة الزائدة عند شباب الجماعة ، وخاصة فى الجهاز السرى ، قد قلل من سيطرة المرشد العام بسياسته المتعلقة عليهم ، الأمر الذى دفعهم لارتكاب حادث (الخازندار) دون علمه مما جلب السخط على الجماعة ، حتى من القوى التى سبق أن أيدتها(٥٥) .

وكان رد الاخوان على قرار الحل وبدء عملية المطاردة ضدهم ، القيام باغتيال النقراشى باشا رئيس الوزراء ، على يد عبد المجيد أحمد حسن الطالب بكلية الطب . وقد تحدثت (المقطم) عن حزن البلاد على الفقيه ، وكذلك تأثر الملك الذى شارك فى الصلاة عليه « وكانت علامات التأثر الشديد بادية على محياه الكريم » . وقالت ان البلاد خسرت بوفاة النقراشى باشا « وطنيا صادق الوطنية صلب العود » و « بطلا مجاهدا ووطنيا صادقا مجالدا لا تثنينه للغاصب ولا تهن عزيمته الحديدية أمام تهديد أو وعيد »(٥٦) . وذلك دون ان تشير على من يقع وزر هذا الاغتيال .

وقد خلف (ابراهيم عبد الهادى) النقراشى فى رئاسة الوزارة ، وناقشت (المقطم) مهام الوزارة الجديدة وأهمها « صون الأمن العام واستقرار الحياة الداخلية ، وهذا يقتضى سهر الوزارة وعنايتها ، ويقتضى من جانب الشعب التعاون والتضامن مع الحكومة التى تعمل جاهدة لخير الشعب بتوجيهات جلالة الملك المعظم »(٥٧) .

وتابعت الصحيفة تركيزها على مسألة الأمن الداخلى ، ودعوتها الحكومة لليقظة والحذر . وقد حاول الشيخ حسن البنا الوصول الى اتفاق مع ابراهيم عبد الهادى ، وعرض من جانبه

معاونة الحكومة فى استعادة النظام والأمن ، فى مقابل عودة الجماعة الى الشرعية والافراج عن ممتلكاتها المصادرة واطلاق سراح اعضاءها المعتقلين . الا أن رئيس الوزراء لم يقتنع بمنطق البنا ، ولم يوافق على الافراج عن المعتقلين . وانهارت المفاوضات بعد المحاولة التى وقعت يوم ١٣ يناير ١٩٤٩ ، لالقاء قنبلة على دار القضاء (دار نيابة الاستئناف) ، حيث وضعت سجلات التحقيق فى قضية السيارة « الجيب » (٥٨) . وشنت الحكومة على اثرها حملة مكثفة من الاعتقالات ضد افراد الجماعة التى كانت (المقطم) تشير اليها باسم « الجماعة المنحلة » او « الجمعية المنحلة » ، ولأعضائها الذين يتم اعتقالهم باسم (الارهابيين) . وقد بلغت عملية القمع ذروتها باغتيال الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين ، ونشرت (المقطم) خبر مصرعه فى سطور قليلة ، وفى النصف الاسفل من الصفحة الثانية(٥٩) ، دون أن تعلق أو تستنكر جريمة اغتياله ، كعادتها ازاء كل ما شهدته مصر ، من جرائم الاغتيال منذ قيام ثورة ١٩١٩ . ولكنها واصلت طوال فترة حكم ابراهيم عبد الهادى ، الحديث عن الارهابيين واوكارهم ومؤمراتهم ، والقاء القبض على اعضاء الجماعة المنحلة !!

وقد اثبت سير الحوادث أن قتل الشيخ البنا كان بدافع الانتقام انتقام السعديين من الاخوان المسلمين لمقتل النقراشى باشا الذى اغتاله الاخوان المسلمون يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ . وكان النقراشى باشا رئيسا للوزراء ، ورئيسا للحزب السعدى . كما كان بدافع التخلص من قيادة قوة منظمة قادرة على اتخاذ قرار مخالف لقرار السلطة . هذا بالاضافة الى أن الملك أحس بأن الجيش المصرى ،

وكان الجيش هو مملكته التى لا ينازعه فيها سلطان غير سلطانه ،
احس بأن سلطان الاخوان ينازعه فى هذه المملكة وانه قد ساد
الجيش ولاءات متنوعة ، ولاء للاخوان وولاء للوند وولاء لعناصر
غامضة لا يعرف هويتها بعد . وكان الولاء الذى يخشاه ويخافه هو
ولاء الاخوان ، لانه ولاء صادر من قوة منظمة ومسلحة لقيادة اخرى ،
وكان هذا يمثل تحديا حقيقيا للملك (٦٠) .

ما يشير الى ان حكومة ابراهيم عبد الهادى بايعاز من الملك
وعلى يد البوليس السياسى ، نفذت اغتيال المرشد العام للاخوان
المسلمين ، وقد اتفقت سائر المراجع التى تناولت هذه القضية على
تقرير هذه الحقيقة .

هوامش الفصل السادس

(١) عواطف عبد الرحمن ، اتجاهات الصحافة المصرية ازاء القضية الفلسطينية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاعلام جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢) قدمت الدكتوراة عواطف عبد الرحمن دراسة تحليلية لهذه الصحف ، في كتاب بعنوان (الصحافة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ — ١٩٥٤) ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

كما كانت هذه الصحف أيضا موضوع رسالة للماجستير بكلية الاعلام جامعة القاهرة مقدمة من سهام عبد الرازق بعنوان (صحافة اليهود العربية في مصر) ، ١٩٧٩ .

- (٣) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٤) المقطم ٥ ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٥) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٦) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٧) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٨) المقطم ٦ يناير ١٩٤٨ .
- (٩) المقطم ٩ فبراير ١٩٤٨ .
- (١٠) المقطم ٢٢ مارس ١٩٤٨ .

- (١١) المقطم ٥ ابريل ١٩٤٨ .
- (١٢) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
- (١٣) المقطم ٩ ابريل ١٩٤٨ .
- (١٤) المقطم ٢٩ ابريل ١٩٤٨ .
- (١٥) المقطم ١٢ مايو ١٩٤٨ .
- (١٦) المقطم ١٣ مايو ١٩٤٨ .
- (١٧) المقطم ١٥ مايو ١٩٤٨ .
- (١٨) المقطم ١٥ مايو ١٩٤٨ .
- (١٩) المقطم ١١ يوليو ١٩٤٨ .

SHAH, ABDUL QAYYUM, Egypt Reform, Op. Cit., (٢٠)
P. 89.

- (٢١) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٤٨ .
- (٢٢) المقطم ٢ يوليو ١٩٤٨ .
- (٢٣) المقطم ٣ يوليو ١٩٤٨ .
- (٢٤) المقطم ٨ يوليو ١٩٤٨ .
- (٢٥) المقطم ١٦ يوليو ١٩٤٨ .
- (٢٦) المقطم ١٩ يوليو ١٩٤٨ .
- (٢٧) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٤٨ .
- (٢٨) المقطم ١٦ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٢٩) المقطم ٢٤ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٣٠) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٣١) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٤٨ .
- (٣٢) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٤٨ .
- (٣٣) المقطم ٧ يناير ١٩٤٩ .
- (٣٤) المقطم ٢٨ فبراير ١٩٤٩ .
- (٣٥) المقطم ١١ مارس ١٩٤٩ .
- (٣٦) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
- (٣٧) انور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، كتاب الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٦ .
- (٣٨) المقطم ٢ أغسطس ١٩٤٨ .

- (٣٩) المقطم ٣ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٤٠) المقطم ٤ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٥١) المقطم ١١ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٤٢) المقطم ١٢ أغسطس ١٩٤٨ .
- (٤٣) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٨ .
- (٤٤) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ .
- (٤٥) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٤٨ .
- (٤٦) المقطم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ .
- (٤٧) المقطم ٦ ديسمبر ١٩٤٨ .
- (٤٨) زكريا سليمان بيومي ، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ - ١٩٤٨ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .
- (٤٩) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٤٧ .
- Issawi, Charles, *Egypt at Mid-Century*, London, (٥٠) 1954, P. 268.
- ((٥١)) ريتشارد . ب . ميتشل ، الإخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
- (٥٢) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ .
- ((٥٣)) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٤٨ .
- (٥٤) ويتشارد . ب . ميتشل ، الإخوان المسلمون ، ص ١٢٤ .
- (٥٥) زكريا سليمان بيومي ، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، ص ١١٧ - ١٢١ .
- (٥٦) المقطم ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ .
- (٥٧) المقطم ٣٠ ديسمبر ١٩٤٨ .
- (٥٨) ريتشارد . ب . ميتشل ، الإخوان المسلمون ، ص ١٣٨ .
- (٥٩) المقطم ١٤ فبراير ١٩٤٩ .
- (٦٠) جمال سليم ، البوليس السياسي يحكم مصر ، ص ١٩٤ .

الفصل السابع

المقطن وحكومة الوفد الأخيرة

عودة الوفد للحكم :

عهد الملك فاروق الى حسين سرى بتأليف الوزارة القومية التى خلفت وزارة ابراهيم عبد الهادى السعدية فى دست الحكم . وكان اختيار القصر لحسين سرى باشا لتأليف الوزارة القومية اختيارا محسوبا حساسا دقيقا ، ذلك انه لما كانت فكرة الوزارة القومية تتحطم كل مرة على صخرة رفض الوفد لها ، فانه كان مطلوبا اختيار رئيس وزراء يثق فيه القصر ويقبله الوفد . وكما يؤكد التاريخ السياسى لحسين سرى انه كان من السياسيين موضع ثقة الانجليز ، فقد كان أيضا من السياسيين الذين يثق فيهم القصر ويراهم من الرجال المفيدون فى الملأ . ثم انه كان من الوجوه المقبولة من الوفد ، سواء لانه لم يكن فى أى وقت سياسيا حزبيا وانما ظل على استقلاله طول تاريخه ، أو لان ماضيه لأبنس به مع الوفد ، أو لانه كان على علاقة وطيدة بأحمد عبود وفؤاد سراج الدين ، والاول ذو علاقة وثيقة بالوفد والثانى سكرتيره (١) .

على أن وزارة حسين سرى كانت بطبيعتها وزارة انتقالية تجرى الانتخابات ، وتمهد لحكم آخر . وقد كان هدف الملك ، أن يحاول من خلالها ومن خلال الائتلاف التأثير فى الانتخابات لئلا تسفر عن أغلبية مطلقة للوفد ، معتقدا أن اعتماد الوفد خمس سنوات عن الحكم قد أضعف شوكته وراغبا أن تخلق بين جميع الأحزاب توازنا

فى مجلس النواب الجديد تتحقق به حريرته فى تكوين الوزارات الائتلافية واللعب على التجمعات المختلفة للأحزاب ابقاء على السلطة الفعلية فى يديه ، كما يضمن بهذا التوازن أن توجد حكومة يسيطر عليها ويكون فيها الوفد فلا يعارضها . وكانت أحزاب الأقلية ترحب لاشك ، بانئلاف يضمن لها الاستمرار فى الحكم ، مع اشتراك الوفد فيه كما لمعارضته (٢) .

ومد رحبت (المقطم) بوزارة حسين سرى ، وتمنت التوفيق لرئيس الوزراء الجديد « فيما عهد اليه جلالة الملك المعظم من ضم الصفوف وتوحيد الجهود » (٣) وقالت ، أن البلاد تسودها فى هذا الوقت « روح قومية جارفة تدعو الى الائتلاف والتضامن والتعاون وتناسى الأحقاد والخلافات الحزبية أو نسيانها » (٤) . وقد أخرجت الوزارة عن عدد كبير من المعتقلين فى عهد الوزارة السابقة ، وجلهم من الإخوان المسلمين ، وبدأت التمهيد للانتخابات البرلمانية التى أثرت بسببها عاصفة من الخلافات بين الأحزاب المؤتلفة ، تابعتها الصحيفة بما نشرته من تصريحات الزعماء حول تعديل الدوائر الانتخابية ، وعمر المجلس النيابى القائم ، وهل يحسب بالدورات أو بالسنوات ، ودعت الى « صون الائتلاف » لأن « البلاد لم تظفر بهذا الائتلاف الا بجهد شديد وعناء كبير .. فواجب الأحزاب اذن أن تجعل من صـحافتها سياجا يحوط هذا الائتلاف ويصونه .. وواجب الشعب أن يسند هذا الائتلاف الذى نزل فى قلبه يوم تأليف الوزارة بردا وسلاما فهل له وكبر » (٥) .

وأكدت (المقطم) حرصا الدائم على ولائها للقصر ، فقد « ذهب الأستاذ انطون نجيب مطر الى قصر عابدين العابر ، وقيد اسمه فى سجل التشرىفات بمناسبة توليه رئاسة تحرير (المقطم) رافعا اصدق آيات الولاء والاخلاص الى جلالة الملك المعظم المحبوب » . وكتب كلمة بعنوان « ملك يؤمن بشعبه وشعب يؤمن

بملكه » ، مشيدا بدعوة الملك للزعماء ، وهم على أبواب المعركة الانتخابية « أن ينسوا احنهم ومشاحناتهم وخلافاتهم . فلا يذكروا الا مصر . مصر العزيزة عليه ، والتي سيسجل التاريخ وستشهد الأجيال المقبلة أنه ذات يوم قرر فى سهولة ويسر أن ينزل عن عرشه المكين وعرش آبائه وجدوده ، الذى تحسوطه البلاد بالهج والارواح ، لجرد خاطر خطر فى باله بأن فى هذا مخرجا لها من طفيان الغاصب الفشوم المستبد « (٦) .

وأجرى رئيس التحرير الجديد ، نور توليه مهام عمله فى (المقطم) ، حديثا مع النحاس باشا ، أكد فيه ايمان النحاس « بملكه وبلاده ومواطنيه » ، فقد « كان يتكلم عن الربان الأول والقائد الأعلى . . فانصت . وانصت الى أن أنتهى اللحن ، وما أروع وما أبدع لحن يصلك من القلب الى القلب . يدور نشييده العذب فى فلك ملك مصر ومصر والمصريين « (٧) . وهى محاولة محسوبة من الصحيفة لتنقية الأجواء بين القصر والوفد ، استعدادا للمرحلة القادمة ، التى ستشهد عودة الوفد للحكم بموافقة القصر .

وكررت (المقطم) تحذيرها من الأخطار المحيطة بالائتلاف القائم ، لأن المؤتلفين .« انشغلوا بالمسائل الحزبية . وانهمكوا فى شئون الانتخابات وتقسيم الدوائر واتسعت رقعة الخلاف حتى كادت تأتى على الائتلاف « (٨) . ولم يطل الأمر طويلا بهذا الائتلاف ، فقد استقالت الوزارة القومية ، وشكل حسين سمرى وزارة محايدة ، وحملت (المقطم) مسؤولية ذلك (للحزبية العاتية) لأن هذه « الحزبية فى طفيانها والمصالح الشخصية فى ثورتها وغليانها لا تأبه بنصح ولا تصفى الى ارشاد « (٩) . ولكن البلاد ، برأى (المقطم) قادرة على تجاوز مثل هذه الأزمات مادام فيها « البطل الرجل ملء الاسماع وملء العالم » الذى يتمتع بالحكمة والشجاعة والقوة فى مواجهة الأزمات « انه فاروق مليكنا المفدى المعبود « (١٠) .

وتوقعت (المقطم) أن تشهد البلاد معركة انتخابية عنيفة .. وقالت : « اننا » نرجو أن تكون فى عنفها السياسى داخلية فى نطاق النظام العام الذى يجب أن يضمن قبل كل شئ ، ويجب أن يقدم على ما عداه من الاعتبارات الأخرى « (١١) . وأشادت بقرار رئيس الوزراء بوقف الأحكام العرفية (مدة اجراء الانتخابات) . وكذلك رفع الرقابة عن الصحف خلال الفترة ذاتها ، وركزت فى العديد من تعليقاتها على وجوب أن تكون الانتخابات « معركة سياسية لا تتعدى حدود الدعاية المشروعة فى حدود القانون ، بالقول والخطابة والكتابة » ، والا تتجاوز ذلك الى العنف الذى شهدته الممارك السابقة بما خلفته وراءها من « القتلى ثم النار والشحناء والبغضاء والتناذب بين أبناء الأسرة الواحدة والوطن الواحد » (١٢) .

وكان الفوز بالأغلبية لحليف الوفد ، فتنشر الصحيفة تصريحاً للنحاس باشا يقول فيه أن الأمة حية ولم يخب ظنى فيها ، وتحدثت عن مظاهرات ابتهاج تشهدها البلاد بمناسبة انتصار الوفد (١٣) . ولم تنس (المقطم) وهى تتحدث عن كلمة الشعب التى قالها فى الانتخابات أن تشيد بفضل (القائد الربان) الذى يقدر له الشعب أياديه البيض « وجلال حكمته وحسن توجيهه وحرصه الذى ما فتئ يبيده لى تجيء نتيجة الانتخابات ، صورة مطابقة لرغباته وصدى لصوته » (١٤) ، وهو الملك فاروق ، الذى لم تأت نتيجة الانتخابات حقيقة ، صورة مطابقة لرغباته ، كما تقول (المقطم) . فقد انزعج أبما انزعاج لحصول الوفد على أغلبية بهذا القدر فى الانتخابات ، ولا شك أن هذا الانزعاج قد دفع الملك الى التعجيل بتعيين حسين سرى رئيساً للديوان الملكى . وكان المنصب لا يزال خالياً بعد تعيين إبراهيم عبد الهادى رئيساً للوزارة ، وذلك ليواجه معه الموقف المترتب على وجود مجلس نواب ذى أغلبية وطنية وساحقة (١٥) .

ودعت الصحيفة الى الكف عن التظاهر ، والى الاستماع
لنصائح النحاس باشا من هذا القبيل حتى لا يندس فى مظاهرات
الابتهاج بفوز الوفد ، من يسيء اليها ويقلب أفراسها أتراسا
« ويضار أمن البلاد بسوء » (١٦) .

ورحبت (المقطم) بمبادرة الوزارة الى الغاء الرقابة على
الصحف ، واعتبرتها « باكورة طيبة استهل بها معالى فؤاد سراج
الدين باشا وزير الداخلية أعماله » ، وفى هذا دليل « على أن
الحكومة الجديدة جادة فى اطلاق الحريات من قيود الأحكام
العرفية » (١٧) .

وأشاد رئيس تحرير (المقطم) بالهمة والعمل والانجازات
والرغبات الصادقة التى تبديها الوزارة منذ تسلمها مهام الحكم ،
متهنيا مواصلة السير فى هذا الطريق ، وموضحا أنه يتحدث كمحايد
ينطق باسم أولئك الناس المنتهين الى « حزب الله والوطن
والملك » (١٨) .

وتناولت (المقطم) فى تعليقاتها عددا من المشكلات الداخلية
وأهمها الغلاء ، وطالبت الوزارة بعلاج سريع لحل مشكلة « الشعب
الجائع العارى » الذى كفل لها الفوز ، واقعددها مقاعد الحكم ،
اتكفل له الحياة وتيسر له أسبابها » (١٩) . ورحبت بقرارات مجانية
التفليم والغاء رسوم الامتحانات ، وعبرت عن اغتباط الشعب بهذه
« السياسة الشعبية » لوزير المعارف (الدكتور طه حسين) ، التى
« أزالَت من صدور الناس نفقات التعليم وتكاليفه فى هذه الأيام
العجاف ، حتى يتفرغوا لسائر مطالب العيش لابنائهم وبناتهم » (٢٠) .
وأشادت بشخصية فؤاد سراج الدين القوية ، وما « يضطلع به
من تبعات جسام ومسئوليات خطيرة سواء باعتباراه سكرتيرا للوفد

أو وزيراً للداخلية . فقد أثبت بجدارة هو وحضرات زملائه من العناصر الشابة ، أن الشباب يتدفق حيوية وجراً واقداً تساعد على الاضطلاع بأشق اعباء الحكم وأهم مسئولياته ، لاسيما إذا اقترن هذا النشاط بالاتزان والنزاهة والصراحة « (٢١) .

وفى معرض دفاعها عن الوزارة ، والسعى لتوفير الاستقرار لها ، هاجمت (المقطم) حركة الاضرابات التي قامت بها « بعض الطوائف العمالية » وما رافقتها من « حركة اعتصام من الطلبة بمدارسهم حتى تجاب طلباتهم » مبينة أن الاضراب « سلاح خطر تصوب سهامه الى قلب الأمة ، وقلب انتاجها الذي يجب أن يزيد في هذه الآونة ليتمكن الحكومة من التغلب على غلاء المعيشة ، وهو مطلب يشترك فيه الموظف والصانع والعامل والتلميذ » (٢٢) .

وقد أتاح مناخ الحرية الذي شهده العهد الجديد لمختلف الطوائف التعبير عن همومها ويذكر ابراهيم عابر أن عام ١٩٥٠ شهد نحو ٤٩ اضراباً عمالياً ، وقامت عدة ثورات للفلاحين في أراضي كبار الملاك ، كما نمت قوة الرأسمالية القومية . وشنت على الاقطاعيين والسراري حملة تشهير واسعة النطاق (٢٣) ، الأمر الذي جعل وزير الداخلية فؤاد سراج الدين يتحدث باستمرار عن وجوب مكافحة الشيوعية ، وقد علقت (المقطم) على تصريح له حول معالجة الشيوعية « بمحاربة الفقر والجهل والمرض ورفع مستوى معيشة الأفراد وإيجاد عمل لكل متعطّل » بقولها أن ذلك « أنجح في المكائنة وأجدى من التشريعات والقوانين » (٢٤) .

وكانت (المقطم) منذ بداية حكم الوفد تبدي اهتماماً ملحوظاً بتحركات فؤاد سراج الدين وجهوده ، كما تحرص على وجود الانسجام التام بين الوفد والقصر ، وكان سراج الدين كما يقول الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، ومعه طبقة أخرى في الوفد ليست

لها كفايته وظروفه وانما لها كيانها ورايها ، وهى التى واثقت على الاتجاه الى ايجاد نوع من المصالحة بين الوفد والقصر ، ورات ان سياسة وخز الابر بالنسبة للقصر سياسة غير مجدية ، وانه خير منها ان يكون الوفد او ان يثبت انه لا يقتل ولا يذل للقصر عما عداه من احزاب (٢٥) .

فتقول (المقطم) بمناسبة احتفال الحكومة بعيد الجلوس الملكى والعرض الجوى الذى اقيم فى سماء القاهرة ، ان هذا الاحتفال يتم ابتهاجا بهذا اليوم الذى ظفرت فيه مصر بملكها الشاب الديمقراطى المحبوب ، الذى امتلا صدره حبا لمصر واحتفاظا بكرامتها ووطنيتها وعمر قلبه بالحذب على شعبه والسير على نهضته ورفعة شأنه (٢٦) .

وبهذه الروح التى تعبر عنها (المقطم) باستمرار تجاه صاحب العرش ، كانت متابعتها لقصة زواج شقيقته الاميرة فتحية برياض غالى « على غير رغبة جلالته وعلى غير رغبة امته ، هذه الامة التى تؤازره وتسير خلفه وفى ركبه ، كما تعلم تمام العلم انه دائما يؤازرها وينتديها ، ويسير فى طليعة ركبها فى شجاعة المؤمن وايمان الشجاع .. ان هذا الشعور الدافق الفياض الذى ينبض به هذا القلب النبيل الكبير هو الذى تقيس به اليوم وفى هذه المحنة ، مدى الالم الذى يحس به صاحب هذا القلب ويحز بدوره فى نفوسنا ، ويكوى جوانحننا ويطلق بالنا وخواطرنا » (٢٧) . ونشرت قرارات مجلس البلاط بخصوص هذه الازمة وتمثلت بالحجر على الملكة نازلى وتعيين نجيب سالم باثا تيمنا عليها والتفريق بين الاميرة فتحية ورياض غالى ، واستدعاء الملكة والاميرة من الخارج (٢٨) . كما نشرت تصريحا للامير محمد على اعلن فيه ان ما حدث لم يكن الا عملا من اعمال طيش

الشباب ، وأن الذين قاموا به سينالون جزاءهم الرادع ، وأن هذا الحادث يجب ألا يكون سببا فى خلق النزاع والتفرقة بين عنصري الأمة ، وقالت (المقطم) لقد « كفانا هذا التصريح الرزين الحاسم كل تعليق فى هذا الشأن » (٢٩) . وقالت ، ان زيارة البطريك (الأنبا يوساب) للسراى ، أكدت « معنى ساميا ومغزى شريفا هو ان البطريك والذين صحبوه قصدوا بها ان يشتركوا مع سائر الأمة فى تأييد جلالة الملك فى موقف الدفاع عن كرامة أسرته وأن يشاطروه ما يشعر به من أسف والم لوقوع ما وقع ، وهذا واجب لم يكن للقطب فى شخص رئيسهم الدينى الأعلى ، مفر من النهوض به مشاركة لصاحب العرش ، فى عواطفه نحو شقيقته واعرابا عن ولائهم لجلالته فى حادث أحزن قلبه وكدر خاطره » (٣٠) .

مراسيم مجلس الشيوخ :

لم تنل الضجة التى أثارت فى مجلس الشيوخ حول الأموال التى تقاضاها كريم ثابت من مستشفى المواساة بموافقة مديرة الدكتور أحمد النقيب . وكانت من بواعث استقالة رئيس ديوان المحاسبة محمود محمد محمود ، كما جاء فى الرد على الاستجواب المقدم لمجلس الشيوخ من مصطفى مرعى عضو المجلس ، هذه الضجة لم تنل من اهتمام (المقطم) أكثر من خبر صغير جاء فيه : « لما علم سعادة كريم ثابت باشا المستشار الصحفى لديوان جلالة الملك بما جرى فى مجلس الشيوخ أمس وأول أمس رفع استقالته الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، فتنفصل أعزه الله وأمر بعدم قبولها » (٣١) . ورفض هذه الاستقالة معناه كما يقول الدكتور هيكل رئيس مجلس الشيوخ ايذانا من الملك « بثقته بكريم باشا ، وبأن ما نسب اليه فى هذا الاستجواب لم يزعزع هذه الثقة ، وأذيع فى أوساط مختلفة ان هذا الاستجواب لم يكن حسن الأثر فى نفس جلالة الملك ، وان جلالته لم يكن راضيا عنه .. واننى لفى منزلى

مساء يوم ١٧ يونيو اذ دق التليفون وخاطبني الأستاذ كامل الشناوى المحرر بالاهرام ، وقال لى ان مراسيم صدرت احدها باخراج الذين عينوا شيوخا بمرسوم يناير سنة ١٩٤٥ ، والآخر بتعيين على زكى العربى باشا رئيسا للشيوخ ، والثالث بتعيين شيوخ جدد مكان الذين اخرجوا ، ياله من انقلاب دستورى مروع ، لقد ظننا اول ما تولت هذه الوزارة الحكم ان نوعا من الاستقرار سيكون ، وها لم يمض عليها غير خمسة أشهر ، ثم هى تعصف بالدستور على هذا النحو » (٣٢) .

وقد اشارت (المقطم) الى بيان المعارضة الذى يهاجم المراسيم الثلاثة ، دون ان تنشره بالطبع ، وقد حالت الحكومة دون نشره ، لانه يعرض بتصرفات رجال الحاشية ، وفيهم كريم ثابت ، ولكنها نشرت رد فؤاد سراج الدين على بيان المعارضة ، وكذلك بيان (اللجنة العامة للشباب الوفدى) التى تؤيد الوفد وتدحض مزاعم المعارضة (٣٣) .

وجدير بالذكر ، ان التعيينات الجديدة فى مجلس الشيوخ التى ضمت اشخاصا مثل ادجار جلاد باشا والدكتور أحمد النقيب باشا قد قوبلت باستنكار من قبل اعلانها . وقد نشرت جريدة الاشتراكية على سبيل المثال مقالا استنكرت فيه بشدة ما أشيع عن تعيين ادجار جلاد فى مجلس الشيوخ ، كما تساءلت الجريدة عن احتمال تعيين الدكتور النقيب خاصة بعد ان اشار ديوان المحاسبة الى ملاحظات حول تصرفاته وبعض أوجه الانحراف التى شابتها ، وتساءلت الجريدة عما اذا كان تعيينه يعنى تحديا لمجلس الشيوخ وديوان المحاسبة (٣٤) . صحيح أن هذه المراسيم قد اتاحت للوزارة النحاسية أغلبية كانت تفتقدها فى المجلس المذكور ، الا انها اتاحت فى نفس الوقت ادخال بعض الشخصيات المعروفة بولائها للقصر (٣٥) .

وقد شنت صحيفة الحزب الاشتراكي (الاشتراكية) حملة قاسية ضد كريم ثابت في هذه الفترة ، وطالبت حكومة النحاس بإبعاده عن مسرح السياسة المصرية وحرمانه من كافة مناصبه ، وذلك بأسلوب من الهجوالمقذع والألفاظ الجارحة(٣٦) .

أما (المقطم) فقد ركزت على الدعوة لتحسين صورة مصر في الخارج ، وحملت الصحافة المصرية مسؤولية ما ينشر عن اضطراب الأحوال الداخلية ، وأوضحت أن ما ينشره الحاققون على مصر في الخارج « ما كانوا ليحصلوا عليه بهذه السهولة وهذا اليسر ، لو لم توفره لهم الصحافة المصرية تحت شهوة المعارضة والحزبية »(٣٧) .

الأسلحة الفاسدة :

كان موضوع الاستجواب الذي تقدم به مصطفى مرعى وجمدته الحكومة في مجلس الشيوخ قد تطرق الى التجاوزات في الإنفاق على الأسلحة في أثناء حرب فلسطين ، الأمر الذي أدى الى تفجير القضية التي عرفت (بالأسلحة الفاسدة) وغذتها الصحافة الشعبية وعلى رأسها روزاليوسف التي قاد رئيس تحريرها (احسان عبد القدوس) حملة مركزة ابتداء من ٦ يونية ١٩٥٠ ، وصفها أحمد بهاء الدين بأنها « أخطر حملة صحفية عرفت في تاريخها الحديث »(٣٨) . فقد لوحث بالاتهام الى الملك شخصيا ، وانتشر الأمر بين الجماهير كالنار في الهشيم وهاج الرأي العام فاضطرت الحكومة الى تكليف النيابة العامة بالتحقيق ، وسار التحقيق شوطا ترجيه الحملة الصحفية ويدفعه تطلع الرأي العام ويقظته ويده بعض شباب الضباط من خلال احسان عبد القدوس ، الذي استجوب في التحقيق ، بالوقائع والمستندات ، حتى وجدت سلطة التحقيق نفسها وجها لوجه أمام الملك ، ووجهت الصحيفة حملتها

الى (محمد حيدر) الذى كان يتستر على المجرمين ، والذى كان وزيرا للحربية وقت عقد هذه الصفقات ، ووقت حرب فلسطين ، وحاصره الراى العام فاضطر الى تقديم استقالته ، واضطر الملك الى قبولها ، وصار الحديث عن القضية وتتبع اخبارها من البنود الاولى فى الصحف والمجلات ، ووجد الملك ان التحقيق يدق ابواب قصره بالادانة فضغط على الحكومة والنيابة العامة حتى امرت بحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية ثم أعيد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة (٣٩) .

اما (المقطم) ، فان القضية لم يرد ذكرها على صفحاتها الا من خلال الرد الذى نشرته لفؤاد سراج الدين ، يرد فيه على الأمير محمد على ، يطمئنه فيه على سلامة سير (تحقيقات الجيش) لان « قضائنا محصن بالضمان الحية والنفوس الطاهرة وقد اثبت دائها انه لا يتهيب شيئا ولا يخاف مصيرا معينا » (٤٠) وطالبت (المقطم) النائب العام باجلاء حقيقة الموضوع « وتحطيم السور الفولاذى الذى احاطت به النيابة التحقيقات » التى تجريها بشأن اسلحة الجيش وذخائره ، لوضع حد للشائعات والمبالغات التى ترددها المجالس والمنتديات ، وقالت ان « الاهتمام الذى يبديه الشعب بهذه التحقيقات يدل فى وضوح على يقظة متوثبة تريد ان تأخذ العدالة بتلابيب من تثبت ادانتهم أنهم عبثوا بأدانتنا الحربية ، وهى عنوان مجدنا وعزتنا وكرامتنا » (٤١) .

وتابعت (المقطم) اخبار هذا الموضوع تحت عناوين «تحقيقات الجيش» و « الأسلحة الفاسدة » وعلقت على اقوال فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ عن سير التحقيقات فى مجراها الطبيعى، وعدم وجود سطة ما فى مقدورها الاعتداء على سلطة التحقيق بقولها : « ولعل الامر بعد ذلك يقف عند هذا الحد فلا يعبا الناس بما يشيعه المفرضون فى صدد هذا الموضوع الخطير بعدما

طمانهم معالى فؤاد سراج الدين باشا ، وازاح الستار أمام العيون
 فبانئت الحقيقة ووضح الأمر » (٤٢) . ثم نشرت ، دون تظلم ،
 قرار النيابة بحفظ التحقيق فى صفقات الأسلحة ، وجاء فيه : « ان
 كل ما أسند الى حضرات أصحاب العزة : حسن عاكف بك ، وجلال
 الدين محمد علوية بك ، ومحمد حلمى حسين بك ، وأنطونيو بولالى
 بك ، بمناسبة تحقيقات الجيش تبين أنه غير صحيح » (٤٣) .

المشكلات الاجتماعية والاقتصادية :

لجأت (المقطم) الى النقد الاجتماعى لبعض نواحي الحياة
 الاجتماعية والاقتصادية ولكن هذا النقد اتصف بالعمومية ومعالجة
 المشكلات التى يعانى منها الشعب دون الهجوم على وزير معين
 أو اتهامه صراحة بالتقصير ، كما كانت الحال بالنسبة للصحافة
 الوطنية فى أثناء حكم الوفد ، هذه الصحافة التى سددت اقصى
 الهجمات ضد النحاس وسراج الدين ولم يسلم الملك نفسه منها .

وقد تولى هذا النقد فى معظمه ، على صفحات (المقطم) ،
 محمود حسنى العرابى فى عمود ظهر على يسار الصفحة الاولى
 بعنوان « لو كنت مصرى » ثم بعنوان « تحت الميكروسكوب » (٤٤)
 بعد ذلك ، ومما تناوله العرابى فى احاديثه عن المعاناة ، قصة حمال
 عجوز مهود القوى سقط بغمى عليه فى ميدان محمد على (٤٥) .
 ومشكلة الطب والأطباء والأدوية وعجز متوسطى الحال والفقراء
 فى مواجهتها بحيث « لم يعد يطاق الصبر فهل من أحد ذى نفوذ
 يصفى إلينا ؟ » (٥٦) . وأزمة المساكن وكيف يحتشد العشرات فى
 غرفة واحدة سيئة التهوية قذرة لبعض سنين (٤٧) . ومحطة الاذاعة
 التى لاتزال العقلية المسيطرة عليها متأثرة بالنفوذ البريطانى القديم
 ولابد من تطهيرها من هذه العقليات (٤٨) ، وتشريد الصبية الصغار

باعتباره جرماً لا يفتنر ولطمة عار نى جبيننا لا يمحوها أى عمل آخر من أعمال البر والخير (٤٩) . وأوضاع الفلاح المصرى التى نقدها بقوله : صلوا وسلموا على شهيد الكادحين وإمام المتفانين فى خدمة مصر ، صلوا وسلموا على فريسة الجبل والفقر والمرضى ، صلوا وسلموا على ضحية الإهمال المزرى سواء من قبل حكومته أو من قبل القادرين على انتشاله من وهدهته ، صلوا وسلموا أيها الناس على الفلاح المصرى مطعنا وكاسينا ، فهو جدير بالصلاة عليه (٥٠) .

وقد توقف العرابى عن الكتابة فى (المقطم) ، بعد أن أصدر مجلة باسم (الوطن الجديد) رحبت (المقطم) بصدورها وبما تحتويه من نقد ودعوات للبناء والإصلاح (٥١) . ولكن الصحيفة لم تتوقف عن معالجة المشكلات الاجتماعية الملحة والظروف المعيشية الصعبة للطبقات الفقيرة وضرورة انصاف صغار الموظفين والعاملين ، ومن ذلك ترحيها بمشروع المساكن الشعبية ودعوتها الى سرعة تنفيذها ، فقد « آن الأوان لأن يلقي الموظف الصغير والعامل والاجر مأوى صحيا بضمه هو وأولاده بأجر زهيد يتناسب مع دخله بعدما سدت العمارات الشاهقة والمباني الشامخة الهواء فى وجهه وفرضت لها أجورا عالية » (٥٢) .

وأشادت بجهود سراج الدين فى رعاية الفقراء وإعلانه عن الأخذ من الأغنياء الى الفقراء ، ووصفته بأنه الاشتراكى الأول وعدو الشيوعية رقم (١) (٥٣) . ولعل ما كتبه (المقطم) تضامنا مع الطبقات الفقيرة فى المجتمع ، ودعوتها للأخذ بناصر هذه الطبقات ومساعدتها كان نابعا من الإحساس بخطورة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى عانى الشعب منها ، ولم تستطع الحكومة الوفدية مجابقتها وتفريج معاناة الشعب أزماءها .

تشريعات الصحافة :

شاركت (المقطم) فى حملة الاحتجاج على تشريعات الصحافة التى تقدم بها النائب اسطفان باسيلي الى البرلمان وأعريت عن أسفها لتقديدها « على هذه الصورة المعتمة » من قبل محام لأن مهنة المحاماة تفرض على صاحبها « تنوير العدالة وإضاءة المصابيح أمام القضاء والانتصار للحق والحرية ولاسيما حرية القول والنشر » . ودعت الى اغتيال هذه التشريعات ورفضها من جانب « نواب الأمة الأمان على نيابتها ، رفضا اجماعيا قاطعا مانعا ، حتى يسجلوا لانفسهم اكبر نصر نيابى فى تاريخ مصر » (٥٤) . فان نصوص هذه التشريعات ما كادت تداع « حتى ثار الراى العام ثورة شديدة وكان أشد الثائرين الجناح المتقدم من الهيئة الوفدية ، وبينما كان كبار رجال الوفد يحاولون على استحياء أن يساعدوا على تمرير هذه القوانين كانت الكتل الوفدية داخل الحزب وخارجه تعلن عن استيائها واستنكارها مما حدا باللجنة البرلمانية أن تعلن عن رفضها » (٥٥) .

وقد ثبتت (المقطم) هذا الموقف المشرف للهيئة الوفدية ، الى جانب حرية الصحافة ، واعتبرت سحب التشريعات من البرلمان انتصارا لحرية الصحافة ، وأثنت على جميع الهيئات « التى احتجت على هذه التشريعات واستنكرتها » ، وجميع الذين « وقفوا فى صف صاحبة الجلالة فى ابان محنتها » (٥٦) . ونوهت بما أقدمت عليه الحكومة لتدعيم مكانة الصحافة من الفاء الحبس الاحتياطى للصحفيين « باستثناء تهم معينة خاصة بجرائم العيب فى الذات الملكية والتطاول على مسند الملكية والقاء اللوم على الملك ، وفى الجرائم الخاصة بالطعن فى الاعراض وافساد الأخلاق ، وهى جرائم اذا نص عليها فى التشريع فان الصحافة بمنأى عنها جميعا ،

ولا نظن أن صحافيا واحدا ممن ينتسبون الى هذه الصناعة الجلية الشأن يزل قلبه فى واحدة منها « (٥٧) . ولم يكن ظنها فى مكانه فقد شهدت هذه الفترة العديد من حالات تقديم الصحفيين للمحاكمة ، ودخول السجن بتهمة العيب فى الذات الملكية التى كانت (المقطم) بمنأى عن أن تتهم بها بالطبع .

وكان أبرز هؤلاء الصحفيين من رجال حزب مصر الفتاة الذى تحول الى الحزب الاشتراكى ، ودخل الانتخابات البرلمانية عام ١٩٥٠ ، وقام خلال السنتين التاليتين بتركيز كل طاقاته فى تلك الحملة الصحفية التى لم تعرفها مصر من قبل ، وقامت الصحيفتان الناطقتان باسمه ، وهما : مصر الفتاة والاشتراكية بالهجوم ليس فقط ضد الطبقة الحاكمة ، ولكن ، وهذه هى الظاهرة الجديدة فى مصر ، ضد الملك والعائلة الملكية ، وقد امتلات صفحاتها بالصور التى تشير الى الظروف القاسية التى تعيشها البلاد تحت العناوين التالية : هذا هو مصيرك ايها المواطن المصرى فى ظل النظام الرأسمالى ، أما شعارها الرئيسى فكان : الثورة ، ويعتقد أنها كانت وراء العديد من المحاولات التى قام بها الفلاحون المستأجرون ، للاستيلاء على عزب الملك الكبار (٥٨) .

ويقول أحمد حسين انه بعد الغاء جريدة الاشتراكية ، تولت (الشعب الجديد) الحملة « وعادت المقالات المدوية وعناوينها تهز البلاد هذا وخاصة بعد أن انضم الى أسرة التحرير ابراهيم شكرى صاحب الجريدة ، الذى راح يكتب كلمات نارية تحت عنوان « ركن المجاهد » ، ومحمد حلمى غندور تحت عنوان « خرابيش » (٥٩) . ويقول ، انه ورفاقه : ابراهيم شكرى وحلمى الغندور واسماعيل عابر والدكتور محمد حلمى مراد — الذى كان يكتب بغير توقيع — وسيد قطب مضوا « يهاجمون الملك وحاشيته والحكومة ووزراءها

الأقطاعيين والمفسدين بصفة عامة أشد ما يكون الهجوم ، ولم تعد الحملة ضد الملك وحاشيته تتبرقع أو تستتر ، بل أصبحت حملة سافرة واضحة (٦٠) .

وكان لكل جريدة حرة — كما يقول أحمد بهاء الدين — أسلوبها فى مهاجمة الملك السابق ، ففى (روز اليوسف) مثلا كتب احسان عبد القدوس مقالا خطيرا بعنوان « دولة الاغوات » وسلسلة مقالات اخرى بعنوان « من المسئول عن حكم مصر ؟ » .

وفى (اللواء الجديد) كنت تجد فتحي رضوان يتعقب تصرفات الملك وحاشيته بالنقد الشديد ، واقترب مرة من باب السجن بسبب مقال بعنوان « أحاديث الملوك » ، و « مصطفى مرعى » يكتب سلسلة مقالات « ملكية » واحدة بعنوان « فخر البحار » وأخرى بعنوان « ولاء المبيد وولاء الأحرار » يهاجم فيها الملك ، وكانت طريقة اللواء فى النيل من الملك أن تنشر قصصا تاريخية عن الملكية المنهارة أيام الثورة الفرنسية بعناوين مثيرة ، وتخصصت « الجمهور المصرى » فى مهاجمة البوليس السياسى كأداة من أدوات الرجعية والاستعمار وجرائم تعذيب المتهمين وتلفيق القضايا (٦١) .

القضية المصرية وأسلوب المفاوضات والمنكرات :

تابعت (المقطم) جميع المراحل التى مرت بها المباحثات والاتصالات حول القضية الوطنية بين المسئولين المصريين وأقطاب السياسة البريطانيين ، وكان موقفها منسجما مع الموقف الرسمى الحكومى قلبا وقالبا ، وقد أعطت هذه المسألة مزيدا من اهتمامها سواء فى تحليلات محررها الدبلوماسية أو « حديث اليوم » ، وهو رأى الصحيفة اليومى أو زاوية « فى السياسات الدولية » التى يحررها وديع غلستين بالاضافة الى تعليقات رئيس التحرير التى تظهر بتوقيعه بين وقت وآخر .

فقد انتهزت الصحيفة مناسبة زيارة (المارشال سليم) رئيس
لركان حرب الامبراطورية البريطانية لمصر ، لتذكره بأن الشعب
المصرى « يشارك حكومته فى سياستها الخارجية تجاه بريطانيا » ،
« اذا كانت بريطانيا تريد الظفر بثقة مصر ، فليس ثمة سبيل أمامها
سوى أن تجيب مطالبها الشرعية الرسمية ، وأولها الجلاء وثانيها
الوحدة » (٦٢) ، فان « كسب الصداقة المصرية وكسب الثقة أفضل
كثيرا من بحث موقع استراتيجى لا يغنى عن هذه الثقة
شيئا » (٦٣) .

وبعد أن قدم المارشال سليم تقريره الى حكومته ينصحها فيه
بعدم الجلاء عن مصر ، بعد أن لمس موقف النحاس باشا الثابت
تجاه المطالب القومية المصرية ، وقالت (المقطم) : « وهكذا تحطمت
المحاولات والحملات حتى المباحثات العسكرية الأخيرة على صخرة
وطنية الوفد ورجاله واستمساكهم بحقوق البلاد وعدم التفريط فى
خاكية من نواحيها » (٦٤) .

ورحبت الصحيفة بامتناع الحكومة المصرية عن التصويت فى
مجلس الأمن بشأن الحرب الكورية التى دارت رحاها بين المعسكرين
الشرقى والغربى ، واعتبرته موقفا حكيما يتسم بالشجاعة والجرأة
والإتزان ، وعبر بصدق عن شعور الشعب المصرى بجميع احزابه
وهيئاته ، وذلك رغم الدهشة التى قوبل بها هذا الموقف من أمريكا
وانجلترا وفرنسا (٦٥) . وعلقت على ما صرح به وزير الخارجية
الدكتور محمد صلاح الدين من أن قرار مصر لا يعنى ميلا الى
الشيوعية ، بقولها ان هذا البيان الصريح بعد القرار الحكيم جاء
« ببددا للشبهة التى اثارته الدعاية المغرضة حول اتجاه مصر
المذهبي » (٦٦) ، فان « نظام الحكم فى مصر ديمقراطى صميم
والشعب كله وحكوماته المتعاقبة تحرص على هذا النظام وتؤيده
وتفتديه بكل ما تملك من النفس والمال » (٦٧) .

فى هذه الاثناء قررت الحكومة البريطانية وقف تصدير شحنات الأسلحة التى سبق لمصر التعاقد عليها مع بريطانيا ، ورات (المقطم) فى هذا القرار دليلا ماديا تقدمه بريطانيا على النكول بالمعاهدة وعدم احترامها ، وأنها باتت غير ذات موضوع من جانبها كذلك ، ودليلا آخر على أنها معاهدة غير متكافئة أملاها القوى على الضعيف (٦٨) ، كما جاء القرار بمثابة « جرة قلم قضت على معاهدة ١٩٣٦ ، فلم تجعل منها وثيقة رسمية ملزمة ، وقضت كذلك على كل أمل فى أن تسفر الاتصالات المصرية البريطانية عن نتيجة ايجابية مقبولة » (٦٩) .

ودعت (المقطم) الى اجراء مراجعة شاملة للعلاقات مع بريطانيا ، بعد قرارها بمنع الأسلحة عن مصر (٧٠) . ورخت بتصريح وزير الخارجية بالنيابة ابراهيم فرج عن استنفاد معاهدة ١٩٣٦ لأغراضها واستعداد الحكومة لاتخاذ خطوات كفيلة بالغائها ، موضحة سلامة موقف مصر بإلغاء المعاهدة من جانبها « وليكن الحكم الفصل فى هذا النزاع أمام محكمة العدل الدولية » (٧١) ، ولكنها عادت للحديث عن امكانية التفاهم مع بريطانيا واهمية كسب مودة مصر من جانبها بعد قرارها بإرسال جانب من السلاح لمصر ، فهذا الاجراء « خطوة طيبة نحو هذا التقارب » تمت « أن يليه ما بعده من التفاهم .. وأن تخطو حليفتنا القديمة خطوات أوسع نحو القضايا القومية تساعد العاملين من الدولتين على التفاهم على أداء مهمتهم متبدد غيوم الخلاف . وترى بريطانيا من مصر خير حليف يساعدنا فى الكفاح المقبل » (٧٢) .

ويلاحظ أن (المقطم) التى تخصص لمعالجة القضية المصرية مادة غزيرة من التعليقات والمقالات ، حرصت فى بعض ما كتبه على أن يكون الأسلوب حادا ، وفى معظم ما كتبه دعوة للتفاهم

مع بريطانيا ، وأكدت انسجامها مع المواقف الحكومية المصرية فى كل ما كتبه .

وأشارت (المقطم) الى المقترحات البريطانية التى نقلها السفير البريطانى للحكومة المصرية لتكون أساسا لبدء المفاوضات ، ومنها الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط فى حالتى الحرب وخطر الحرب (٧٣) . هذه المقترحات التى حولت القضية المصرية الى قضية عسكرية بعد ان كانت سياسية ، مما جعل (المقطم) تطالب بالاحتفاظ بمعاهدة ١٩٣٦ ، والصبر عليها لى تنتهى بشكل طبيعى بعد خمس سنوات افضل من أن ترتبط مصر بمعاهدة جديدة أكثر أجحافا (٧٤) .

وقد تشكلت لجنة وزارية لدراسة المقترحات البريطانية ، التى تبين أنه « لا يمكن لأى سياسى مصرى أن يقبلها كأساس للمفاوضات » (٧٥) ، وذلك « بعدما أغفلت الأمانى المصرية والقضية القومية فى صميمها ، وراحت تفرض أغلالا جديدة تضعها فى أعناق المصريين لمصلحة بريطانيا دون سواها » (٧٦) . وكان مصيرها رفض مجلس الوزراء المصرى لها ، وقد تضامنت المعارضة مع الحكومة فى مجلس النواب ازاء المقترحات البريطانية المرفوضة وكان موقف المعارضة « وطنيا حقا » ، وعبر عن الإجماع التام « على الأهداف الوطنية والأمانى القومية من جميع الأحزاب » (٧٧) .

وقالت (المقطم) ، ان الرد المصرى المفهم على المقترحات البريطانية ، لا يمكن أن يصدر بمثل هذا الحزم الا اذا كانت الحكومة « متمتعة بثقة الملك والشعب » (٧٨) .

وكتب رئيس تحرير الصحيفة تعليقا أكد فيه تلاحم الشعب مع الوزارة « التى نبئت من صلبه ، فاذا أراد الشعب إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .. كان بدهيا أن ما يريده هذا الشعب تريده

الوزراء « (٧٩) . وطالبت الحكومة بتفويت الفرصة على أسلوب « المساومة والمقايضة .. واغلاق الباب المفتوح » وسلوك طريقين هما « الالتجاء الى مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة لحل مسألة الجلاء فقط » ، والذهاب الى محكمة العدل الدولية لالغاء اتفاقتى ١٨٩٩ ومعاهدة ١٩٣٦ لبطلانهما شرعا وقانونا « (٨٠) .

الغاء المعاهدة وبدء الكفاح المسلح :

كانت النتيجة الطبيعية للتشدد البريطانى ازاء المطالب المصرية القومية ، قيام الوزارة المصرية بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقتى السودان من طرف واحد ، وذلك فى خطاب للنحاس باشا القاه فى البرلمان يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، الذى وصفته (المقطم) بأنه كان « يوما خالدا فى تاريخ مصر الحديثة ، لم تشهد البلاد له من قبل مثيلا .. حيث انطلقت مظاهرات الاحتجاج بالغاء المعاهدة وتلقت رئاسة الحكومة العديد من برقيات التهئة والتأييد واحدة منها من رئيس تحرير (المقطم) باسم جميع العمال فى (المقطم) والمقتطف « (٨١) .

وقد اقترح رئيس مجلس النواب الوفدى عبد السلام فهمى جمعة باشا ، الا يكفى باحالة هذه المراسيم بمشروعات قوانين على لجنة من لجان المجلس ، وانما أن تكون لجنة من النواب تمثل جميع الهيئات السياسية الممثلة فى البرلمان وكذلك المستقلين ، وقد وافق المجلس على هذا الاقتراح ، وأعلنت المعارضة تأييدها للحكومة ، وطالب د . نور الدين طراف (وطنى) بأن يكون الالغاء حدا فاصلا بين سياسة المفاوضة والمهادنة وسياسة الكفاح الجدى فى مواجهة الانجليز ، وطالب باتخاذ خطوات عملية واطلاع الأمة عليها ، وشاركه فى هذا رأى النائب الاشتراكى ابراهيم شكرى ، الذى أعلن باسم حزبه تأييد الحكومة فى قرار الالغاء . وطالب بالاسراع

فى اصدار تشريعات اخرى تصم بالخيانة ، من يتعاون مع الانجليز ، وفى ختام الجلسة أعلن وزير الخارجية ان القضية الوطنية قد وحدث الجميع بدليل موقف المجلس الممتاز ، كما وافق المجلس على اقتراح تقدم به ٣٢ نائبا يؤكد على ثقة المجلس فى رئيس الوزراء ، وفى الحكومة (٨٢) .

وتخاطب (المقطم) الانجليز قائلة : « أتركوا لنا بلادنا كيفما كانت . اتركوها لنا بنقرا وجعلها ومرضا وفسادها وكل ما فيها . اتركوا لنا مصر حتى لو لم نعرف كيف نصرف أمورنا وندير شئوننا فنحن فى غنى عن هذا الاحتلال الباطل الكريه ونحن زاهدون فى هذه الصداقة المفروضة علينا فرضا » (٨٣) .

لقد أصبح على خريطة المواجهة القائمة بين مصر وبريطانيا بعد الغاء المعاهدة جبهتان متعارضتان ، جبهة مصر بحكومتها وشعبها ومختلف احزابها ، وجبهة بريطانيا العسوة ، وكان لابد (للمقطم) من ان تقف فى صف جبهة مصر ومع حقوقها ومركزها ، وهكذا أصبحت جريدة الاحتلال عندما صدرت عام ١٨٨٩ ، وصديقة الانجليز بعد ثورة ١٩١٩ ، وما تلاها من تطورات ، عدوة للانجليز بشكل مباشر وصريح ، بعد الغاء المعاهدة المصرية البريطانية . وعلى ضوء هذه الحقيقة الجديدة ، كان موقف (المقطم) من معارك القناة والمواجهة العسكرية مع القوات البريطانية التى تواصلت حتى حريق القاهرة .

وقد أعلنت (المقطم) ان الصراع بين المصريين والبريطانيين قد بدا ، وانه « قد يطول امره ويشدد ، ولهذا وجب على الزعماء المصريين ان يتحدوا بريطانيا باتحادهم دئاعا عن الحقوق الوطنية للبلاد » (٨٤) . ووضحت عدم جدوى التحالف مع الدول الأربع بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا ، التى قدمت مقترحات جديدة الى

مصر ، تريد تحالفا يكون لمصر فيه « صوت واحد ضد أربعة أصوات نتحكم فيها وفي جيوشنا وفي أراضينا وفقا لنزواتها » (٨٥) .

وأساس هذه المقترحات ان تقبل مصر الدفاع المشترك مع هذه الدول الأربع ، مما يعنى ، ابدال معاهدة ١٩٣٦ بمعاهدة لا تختلف عنها فى الجوهر ، وابدال الاحتلال البريطانى باحتلال دولى ، تشترك فيه بريطانيا وحلفاؤها وتقبله مصر وترتضيه ، وقد أحسنت الحكومة صنعا برفض هذه المقترحات (٨٦) .

وأعربت (المقطم) عن اعجابها بالعمل الوطنى للعمل للمصريين ، وخاصة سائقى القطارات الذين امتنعوا عن نقل الجنود البريطانيين من بورسعيد الى معسكرات القناة (٨٧) . ووصفت اعتداء القوات البريطانية على مواطنى الاسماعيلية وبورسعيد بأنه « حيلة » وان الشهداء المصريين السبعة الذين كانوا « أول التضحيات » سيكونون « سبع شموع تضىء الطريق أمام الشعب المصرى » (٨٨) . وتحدثت عن الأساليب الوحشية لقوات الاحتلال فى منطقة القناة ، وقالت : ان القوة ، ما استطاعت « يوما أن تطغى على الحق » (٨٩) . ووصفت أعمال العدوان على الأبرياء بأنها « قرقنة وبلطجة » (٩٠) . وكانت تقدم متابعات اخبارية وافية لتحركات القوات البريطانية واعتداءاتها .

وأجرت (المقطم) حديثا مع اللواء محمد صالح حرب ، رئيس جمعية الشبان المسلمين ، أعلن فيه أننا « سنلقى من الانجليز كل عنت وكيد ، ولكننا سنعلمهم ان فى مصر شعبا يطلب الموت من سبيل الحياة » (٩١) . وخاطبت الانجليز قائلة : « سجلوا على أنفسكم هذا الطغيان ، واكتبوا على أنفسكم صك العدوان فقد فرغ صبر الحكومة المصرية ، كما فرغ صبر شعبها » (٩٢) . وهاجمت تصريحات تشرشل « دعى الحرب » وقالت : « ان الباحث ليحار

فى هذا الوضع الشاذ الذى اختاره الانجليز لانفسهم فى منطقة القناة ، لاسيما بعد ان قرر البرلمان المصرى الغاء المعاهدة ، وهى آخر خيط كان يربطنا بالبريطانيين « (٩٣) . وسجلت سخطها على حوادث الخطف التى اضافها الانجليز « الى قائمة اعمال الشرف والانسانية التى يرتكبوها فى مصر » (٩٤) . وقالت « ان الارواح البريئة التى ازهقت ، والصبر الجليل الذى نتحمله ازاء عدوانكم ، لهما ثمن غال ستقبضه مصر منكم يوم الحساب ، وما هو ببعيد » (٩٥) . ووصفت تسخير العمال واجبارهم على تأدية بعض الخدمات تحت تهديد السلاح ، بأنه « لون آخر من ألوان العدوان واجراء جديد من اجراءات القوة الغاشمة ، التى يلجأ اليها الجنود الانجليز » (٩٦) . وأجرت حديثا مع الفريق عزيز المصرى ، الذى كان يتولى تدريب كتائب الفدائيين وارسالهم الى القناة ، أكد فيه أن « الحق لا يناله الضعفاء فلنكن أقوياء باتحادنا » (٩٧) . وطالبت المسؤولين وكتائب التحرير باتخاذ الاجراءات الكفيلة بتطويق اعمال تهريب المؤن التى يقوم بها بعض التجار لحساب الانجليز (٩٨) . وتحدثت عن مظاهرة ١٤ نوفمبر الكبرى الصامتة التى خرجت تحية للشهداء « الأبرياء الذين خضبوا أرض مصر بدمائهم فى سبيل حرية بلادهم ، فراحوا ثمن الجهاد وضريبة الدم » (٩٩) .

وقالت (المقطم) اننا « لسنا ندرى بالتحقيق ماذا يريد هؤلاء الطفلة بعدوانهم المتكرر المتواصل على الاهلين العزل » (١٠٠) ، فان « معارك القناة الدامية يجب ان تقنع بريطانيا بالجملاء » (١٠١) . واعلنت استنكارها لتنفيذ الانذار البريطانى بهدم المنازل فى منطقة كفر عبده الذى عبر عن « وحشية فاجرة » (١٠٢) . وأوردت تفاصيل تشييع جنازة فقيد الوطن عادل محمد غانم « الذى استشهد ، وهو يدافع عن قضية البلاد ضد الغاصبين بمنطقة القناة » (١٠٣) .

كما نشرت تفاصيل الجنازة الكبرى التي سارت في الزقازيق للشهيد
البطل عباس الأعسر (١٠٤) .

ونشرت (المقطم) تصريحاً لحافظ عفيفي رئيس الديوان
الملكى الجديد ، أعلن فيه أنه إذا ما استشير في الموقف السياسى ،
بصفته الجديدة « فعليه أن يشير بما يعتقد أن فيه مصلحة
البلاد » (١٠٥) . وأم تدل الصحيفة برأيها حول تعيين حافظ عفيفي
في رئاسة الديوان الملكى وكذلك تعيين عبد الفتاح عمرو السفير
السابق في بريطانيا مسئولاً عن الشؤون الخارجية في القصر . .
ويقول الدكتور محمد أنيس أن الرأي العام المصرى أصيب من هول
المفاجأة بالوجوم ، ثم سرعان ما خرجت المظاهرات احتجاجاً على
السراى ، نتيجة لتعيين حافظ عفيفي وعبد الفتاح عمرو (١٠٦) .

أما المؤرخ الراحل الراحل فيقول إن هذه التعيينات أثارت خواطر
المواطنين ، ودعواها تحدياً من السراى لحركة الكفاح في القناة ،
وتعبيراً عن رغبة الملك في التفاهم مع المستعمرين (١٠٧) .

وقد لحق ذلك مؤامرة في مدينة السويس ، قصد بها أحداث
فتنة رهيبة بين عناصر الأمة ، لتفجير الحركة الوطنية من الداخل،
وهي الفتنة المعروفة بحرق كنيسة السويس في ٤ يناير ١٩٥٢ ،
ويعتبر حادث السويس من أخطر الأحداث التي مهدت الوحدة
الوطنية في منطقة قناة السويس (١٠٨) .

وعلمت (المقطم) على هذا الحادث بقولها ، أننا « لا نظن أن
وطنيا مصرى ارتكبه إلا أن يكون خائناً لوطنه أو ماجوراً على فعله
حتى يحدث الثغرة التي يعمل على أحداثها الإنجليز » (١٠٩) .

وفي غمرة السخط العام على السراى ، والمظاهرات الهائلة
ضد ناروق ، تزف (المقطم) بشرى ميلاد ولى العهد أحمد فؤاد ،
قائلة : « هذا هو النبأ السعيد الذى طالما تأقت نفوس الشعب

الى سماعه ، وهذه هى البشـرى التى طالما تلهفت القلوب الى اجتلائها ، فما كادت موجات الاثير تحمل فى صباح اليوم نبأ ما جادت به العناية الربانية على مليكنا المغدى ، وعلى مصر جمعاء ، حتى عم البشر أرجاء الوادى وعلا السرور وجوه الشعب ، واستبشروا خيرا بالمولود العظيم « (١١٠) . وأشارت فى العدد نفسه الى انعقاد مجلس الوزراء بهذه المناسبة ، وتوجه كبراء البلاد الى قصر عابدين لتسجيل التهنئة ، وكذلك توجه محررى (المقطم) وموظفيها الى القصر ايضا للتهنئة ، وتقديم « فروض الولاء لجلالة الملك المغدى » . وفى الحق ، ان الشعب لم يكن فى حال تمكنه من شعور الاستبشار والسرور ، كما تقول (المقطم) ، ففى نفس العدد الذى زغت فيه بشرى ميلاد الأمير الجديد ، تحدثت عن مواكب الجنازات التى خرجت فى القاهرة والزقازيق لتوديع الأبطال من شهداء مصر كما تواصلت اعتداءات الانجليز ومنها عدوانهم فى القل الكبير .

وجاء مقتل الراهبة الأمريكية فى الاسماعيلية برصاص الانجليز ، ليزيد من غضب (المقطم) التى قالت ، ان « دم الراهبة الشهيدة يستصرخ العالم من غطاءع البريطانيين » . ووضحت ان هذا الحادث يوجب على الحكومة الأمريكية وسفيرها فى مصر « ان يعملوا على استئصال أسبابه أى على اخراج دعاة الفتنة من القناة أولئك البريطانيين الذين يطلقون رصاصهم فى طيش وبغير تقدير للعواقب » (١١١) . ثم كان ذلك الاعتداء الخلدـير على مدينة الاسماعيلية التى ارتكب الانجليز فيها مجزرة بشعة فى معركة غير متكافئة ، واستبدل فيها جنود البوليس المصرى وسقط منهم شهداء عديدون ، فنقول (المقطم) : « ماذا دعى المستعمرين » حتى يرتكبوا هذه الاعتداءات المنكرة التى لا يقرها « قانون ولا عقل ولا انسانية » (١١٢) . وتحدثت عن ردود الفعل التى أحدثتها معركة الاسماعيلية فى الداخل والخارج ، وقالت ان من الواجب

ان يقابل هذا العمل بمثله « بل من الواجب الا تدخر رصاصة او قنبلة الا صوبت الى صدور هؤلاء الطفاة الذين احتلوا مدننا ونبشوا قبورنا وانتهكوا حرماننا وقتلوا شبابنا » (١١٣) . وتبع ذلك مباشرة ، ما شهده يوم ٢٦ يناير من حوادث مؤلمة ، أدت الى حريق العاصمة لم تشر (المقتطم) اليها فى عددها الصادر فى اليوم نفسه ، وهى الحوادث التى بدأت من صباح اليوم الى مساءه وكان اليوم التالى هو يوم الاحد حيث عطلتها الاسبوعية ، وظهرت يوم ٢٨ يناير لتحمل فى انبائها اصداء تأليف الوزارة الجديدة التى شكلها على ماهر بعد اقالة الوزارة النحاسية .

اما اهداف الحريق ، وهى التى تحققت بالفعل ، فيمكن ايجازها فيما يلى :

اولا : ضرب حكومة الوفد وايجاد المبرر لذلك ، الا وهو عدم قدرتها على السيطرة على الموقف ، وحماية ارواح او ممتلكات المصريين والاجانب ، وليس هناك سبب اقوى من ذلك لاقالة اية وزارة .

ثانيا : وهو الاهم اخمد الحركة الوطنية ضد القاعدة البريطانية فى منطقة القناة والتى تتمثل فى الكفاح المسلح من جانب الفدائيين المصريين ، وبمعنى آخر تصفية الحركة الوطنية المعادية للانجليز تماما وقد نجحوا فى ذلك (١١٤) .

هوامش الفصل السابع

- (١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٩٢ .
(٢) طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر ٤٥ - ١٩٥٢ ، ص ٢٨٩ .
٢٩ .
(٣) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٤٩ .
(٤) المقطم ٢ أغسطس ١٩٤٩ .
(٥) المقطم ١٢ أغسطس ١٩٤٩ .
(٦) المقطم ١٥ أغسطس ١٩٤٩ .
(٧) المقطم ١٦ أغسطس ١٩٤٩ .
(٨) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٤٩ .
(٩) المقطم ٤ نوفمبر ١٩٤٩ .
(١٠) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٤٩ .
(١١) المقطم ٧ نوفمبر ١٩٤٩ .
(١٢) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩ .
(١٣) المقطم ٤ يناير ١٩٥٠ .
(١٤) المقطم ٥ يناير ١٩٥٠ .
(١٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٠١ .
(١٦) المقطم ٦ يناير ١٩٥٠ .
(١٧) المقطم ١٤ يناير ١٩٥٠ .

- (١٨) المقطم ٣٠ يناير ١٩٥٠ .
- (١٩) المقطم ٧ فبراير ١٩٥٠ .
- (٢٠) المقطم ١٥ فبراير ١٩٥٠ .
- (٢١) المقطم ٢١ فبراير ١٩٥٠ .
- (٢٢) المقطم ١٠ مارس ١٩٥٠ .
- (٢٣) ابراهيم عامر ، ثورة مصر القومية ، دار النديم ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٩٤ .
- (٢٤) المقطم ١٢ أبريل ١٩٥٠ .
- (٢٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٨٤ .
- (٢٦) المقطم ٦ مايو ١٩٥٠ .
- (٢٧) المقطم ١٥ مايو ١٩٥٠ — أنطون نجيب مطر .
- (٢٨) المقطم ١٦ مايو ١٩٥٠ .
- (٢٩) المقطم ١٧ مايو ١٩٥٠ .
- (٣٠) المقطم ١٨ مايو ١٩٥٠ .
- (٣١) المقطم ٣١ مايو ١٩٥٠ .
- (٣٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، الجزء الثالث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .
- (٣٣) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٥٠ .
- (٣٤) عزة وهبى ، نجربة الديمقراطية الليبرالية في مصر ، دراسة تحليلية لآخر برلمان مصرى قبل ثورة ١٩٥٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٢٠ .
- (٣٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٠٦ .
- (٣٦) الاشتراكية ١٥ يونية ١٩٥٠ ، و ٦ يوليو ١٩٥٠ ، و ١١ أغسطس ١٩٥٠ ، و ٦ أكتوبر ١٩٥٠ ، و ١٧ نوفمبر ١٩٥٠ .
- (٣٧) المقطم ٦ سبتمبر ١٩٥٠ .
- (٣٨) احمد بهاء الدين ، فاروق ملكا ، كتاب روزاليوسف ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٩٥ .
- (٣٩) طارق البشرى ، الحركة السياسية في مصر ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .
- (٤٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٥٠ .
- (٤١) المقطم ٢١ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٤٢) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٥٠ .

(٤٣) المقطم ٢٩ مارس ١٩٥١ .

(٤٤) عندما ظهر اسم محمود حسنى العرابى فى المقطم تحت عبود « لو كنت مصرياً » فى ٢١ أبريل ١٩٥٠ كان بالفعل يبحث عن جنسيته المصرية التى سحبت منه عام ١٩٣٢ ، فقد عاش فى المنفى سنوات طوالاً كتب خلالها تجربته ومماتاته بعيداً عن مصر ، فى كتاب بعنوان « ٨٩ شهراً فى المنفى » ، وذلك بعد أن هاجر من مصر هرباً من ملاحقة البوليس له بعد إغلاق مجلة (روح العصر) فى عهد حكومة صدقى الأولى ، وكان أصحاب هذه المجلة ومحرروها : محمود حسنى العرابى وعصام الدين ناصف ود . عبد الفتاح القاضى ، من الشيوعيين المعروفين ، وإن كان العرابى أعرقهم وأقدمهم فى شيوعيته . (الدكتور رفعت السعيد ، الصحافة اليسارية فى مصر — مجلة روح العصر ص ٣٤ — ٥٧) . وسألت الأستاذ وديع فلسطين فى لقائى معه يوم ٢ مايو ١٩٨٠ لماذا (العرابى) فى (المقطم) وموقفها معروف من مهاجمة الشيوعية طوال مراحل حياتها ؟ فقال إن العرابى كان يعمل محرراً فى قسم الشؤون الخارجية الذى كنت أراسه فى (المقطم) ويقدم موضوعات مترجمة عن الألمانية ، وكان قد نخلنى شاباً عن الشيوعية ، وانقلعت صلتها بها ، وقد اختار عنوان (لو كنت مصرياً) عليه بذلك يسترد جنسيته ، ثم كتبت فى المقطم اعرض مشكلته على غواد سراج الدين (المقطم ٢٨ يوليو ١٩٥٠) واستجاب سراج الدين وأعيدت للرابى جنسيته المصرية .

(٤٥) المقطم ٨ مارس ١٩٥١ .

(٤٦) المقطم ١٤ مارس ١٩٥١ .

(٤٧) المقطم ٢٧ مارس ١٩٥١ .

(٤٨) المقطم ٣ أبريل ١٩٥١ .

(٤٩) المقطم ٦ أبريل ١٩٥١ .

(٥٠) المقطم ٤ يونيو ١٩٥١ .

(٥١) المقطم ٢١ يونيو ١٩٥١ .

(٥٢) المقطم ٤ يوليو ١٩٥١ .

(٥٣) المقطم ١١ يونيو ١٩٥١ . — انطون نجيب مطر .

(٥٤) المقطم ٣٠ يوليو ١٩٥١ .

(٥٥) محمد زكى عبد القادر ، مجلة الدستور ، ص ٨٩ .

(٥٦) المقطم ٣ أغسطس ١٩٥١ .

(٥٧) المقطم ١٥ أغسطس ١٩٥١
Issawi, Charles, Egypt at Mid-Century, Op. Cit (٥٨)
P. 265

- (٥٩) أحمد حسين ، قضية الترحيل على هرق مدينة القاهرة ومقدمات ثورة
٢٣ يوليو ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٩٢ .
(٦٠) أحمد حسين ، قضية الترحيل ، ص ١٥٣ .
(٦١) أحمد بهاء الدين ، فاروق ملكا ، ص ١٠٣ و ١٠٤ .
(٦٢) المقطم ٢ يونيو ١٩٥٠ .
(٦٣) المقطم ٥ يونيو ١٩٥٠ .
(٦٤) المقطم ٩ يونيو ١٩٥٠ .
(٦٥) المقطم ٣ يوليو ١٩٥٠ .
(٦٦) المقطم ١٢ يوليو ١٩٥٠ .
(٦٧) المقطم ١٣ يوليو ١٩٥٠ .
(٦٨) المقطم ١٤ سبتمبر ١٩٥٠ .
(٦٩) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٥٠ — وديع فلسطين .
(٧٠) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٥٠ — وديع فلسطين .
(٧١) المقطم ١ نوفمبر ١٩٥٠ — وديع فلسطين .
(٧٢) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٥٠ .
(٧٣) المقطم ١٣ أبريل ١٩٥١ .
(٧٤) المقطم ١٤ أبريل ١٩٥١ .
(٧٥) المقطم ١٧ أبريل ١٩٥١ .
(٧٦) المقطم ٢٣ أبريل ١٩٥١ .
(٧٧) المقطم ٢٥ أبريل ١٩٥١ .
(٧٨) المقطم ٩ مايو ١٩٥١ .
(٧٩) المقطم ١١ يونيو ١٩٥١ .
(٨٠) المقطم ٧ يوليو ١٩٥١ .
(٨١) المقطم ٩ أكتوبر ١٩٥١ .
(٨٢) عزة وهبي ، تجربة الديمقراطية الليبرالية في مصر ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٨٣) المقطم ١٠ أكتوبر ١٩٥١ — وديع فلسطين .
(٨٤) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٥١ .
(٨٥) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩٥١ .

(٨٦) عبد الرحمن الرافعي ، مقدمات ثورة يوليو ١٩٥٢ ، مكتبة النهضة

المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩ ، ٣٨ .

(٨٧) المقطم ١٦ أكتوبر ١٩٥١ .

(٨٨) المقطم ١٧ أكتوبر ١٩٥١ .

(٨٩) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٠) المقطم ٢٠ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩١) المقطم ٢٢ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٢) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٣) المقطم ٣٠ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٤) المقطم ١ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٥) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٦) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٧) المقطم ٧ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٨) المقطم ٨ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٩) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٥١ .

(١٠٠) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٥١ .

(١٠١) المقطم ٥ ديسمبر ١٩٥١ .

(١٠٢) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٥١ .

(١٠٣) المقطم ١ يناير ١٩٥٢ .

(١٠٤) المقطم ١١ يناير ١٩٥٢ .

(١٠٥) المقطم ٣ يناير ١٩٥٢ .

(١٠٦) محمد أنيس ، حريق القاهرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،

بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠ .

(١٠٧) عبد الرحمن الرافعي ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ٧٦ .

(١٠٨) محمد أنيس ، حريق القاهرة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(١٠٩) المقطم ٨ يناير ١٩٥٢ .

(١١٠) المقطم ١٦ يناير ١٩٥٢ .

(١١١) المقطم ٢٢ يناير ١٩٥٢ .

(١١٢) المقطم ٢٥ يناير ١٩٥٢ .

(١١٣) المقطم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

(١١٤) محمد أنيس ، حريق القاهرة ، ص ٥٢ .

الفصل الثامن

المقطم وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وزارات القصر :

شهدت الفترة القصيرة التى تلت اقالة الوزارة الوفدية اربع وزارات تكونت من المستقلين ، او من المعروفين بانهم من رجال القصر (١) . وعرفت هذه الفترة ما سى بأزمة الحكم حتى زول الجيش فى يوليو ١٩٥٢ ، فمن الواضح أن الموقف منذ حريق القاهرة كان يتحكم فيه عاملان ، العامل الأول : العزلة بين الشعب والسراى ، ونظرة القوى الوطنية الى حريق القاهرة على انه كان ضد الثورة لتصفيتها ، العامل الثانى : كان محاولة القصر أن يضع الحكم فى يده بشكل مباشر ، لذلك فقد كان من الطبيعى أن تشكل الوزارات التابعة مباشرة للقصر ، وأن تسقط واحد وراء الأخرى فى هذه الفترة القصيرة لعجزها عن مواجهة الموقف ، وجاءت وزارة على ماهر بعد نصف ساعة من اقالة وزارة الوفد ، معدة اسماء الوزراء ، وهو دليل آخر على أن النية كانت مبيتة لهذا الانقلاب (٢) .

وقد تمت (المقطم) التوفيق لوزارة على ماهر « فى حل المشكلات التى تواجهها البلاد فى الداخل وفى الخارج ، وأهملها نسوية العلاقات الخارجية وتحقيق امانينا القومية .. وقرار الأمن والنظام وسيادة القانون واحترامه ، حتى يطمئن الناس وتستقر

الأمور » و « القضاء على أسباب الفتنة والغاء قوانين الطوارئ حتى تسير البلاد فى طريقها الطبيعى معتزة بأمنها وسلامها ..

وإذا كانت وزارة الوفد الماضية فوجئت فى المدة الأخيرة بحوادث مؤلمة حولت الأمور عن مجراها الطبيعى ، غلامل وطيد فى أن تتمكن الوزارة الجديدة من معالجة الأمور واعادة الحياة فى مصر الى مجراها الطبيعى بعدما لقيت تأييدا اجماعيا من الأحزاب والهيئات ، ومن مجلسى البرلمان أمس ، مما يشهد بنضوج البلاد السياسى ووعيتها القوى ، واينار المصلحة العامة للبلاد على ما سواها من الاعتبارات الأخرى » (٣) . « ولعل سرعة التأييد أقنعت الانجليز بأن الأمة المصرية متكاتفنة متحدة ، ولا سبيل الى البحث عن ثغرات لينفذوا منها لتحقيق اطماعهم » (٤) .

وشاركت (المقطم) فى استنكار ما (روعت مصر) به من « الحوادث المؤسفة التى وقعت فيها التى اجمع رجال !الحكم والشعب معا على استنكارها لانها موجهة الى قلب مصر لا لسواها والى امنها ونظامها ، وهما غاية ما تفاخر به مصر فى المجالس الدولية » . واشادت بمهمة وزير الداخلية الجديد (احمد مرتضى المراغى) الذى كان معروفا بصلته الوثيقة بالقصر ، وقالت ان اختياره لهذه الوزارة بالذات كان « اختيارا موفقا سستظهر آثاره فى القريب العاجل مع ثقل التبعات الملقاة على عاتقه فى هذه الظروف العصيبة التى بدأت غمتها تنقشع رويدا رويدا » (٥) .

وقالت (المقطم) ان « مما يثلج الصدور أن يتواضع أعضاء الوزارة الماهرية ، ويعلنوا أن سياستهم استمرار لسياسة اسلافهم وانهم مؤمنون ببرامجهم الاصلاحية وياخذوا على عاتقهم تنفيذها » (٦) . فقد قرر على ماهر ان يبدأ حكمه بمهادنة حزب الوفد ، كان الوفد صاحب الغالبية فى البرلمان ، وكان الشعب

متحسباً لألغاء المعاهدة ، وأراد على ماهر أن يبدأ المفاوضات وظهره محمى ببرلمان الوفد ، وقد توجه لزيارة مصطفى النحاس فى منزله فى صباح اليوم التالى لقوليه الوزارة (٧) .

ثم تحدثت الصحيفة عن حوادث حريق القاهرة بشكل مباشر، وقد وصفتها (بكوارث السبت) التى كانت « عارا وسبة فى جبين مصر وأساعت الى البلاد والى كرامتها ومنزلتها الدولية اساءة ليس من الهين محوها » . وطالبت باتخاذ عدد من الاجراءات لمعاقبة المتورطين فى ارتكاب الحوادث والمقتصرين ازاءها ، واصلاح ما نتج عنها من اضرار ، وبذلك « يدرك العالم أن حكومة مصر جادة وأن شعوب مصر جاد وأن كل عابث يحق عليه العقاب السريع ، وأن القاهرة آمنة تماما لجميع سكانها من مصريين وأجانب » (٨) . وقالت ، ان الذين « قاموا بهذا العمل ينتمون الى ثلاث فئات : فمن متطرفين يؤمنون بالعنف ، ومن جائعين يغلى الحقد فى نفوسهم على كل مظهر من مظاهر الترف ، ومن لصوص وعابثين بالامن ، وهذه الفئات الثلاث تستطيع الحكومة ان تقضى عليها حتى لا يتكرر حادث حرق القاهرة بعد سنين تقل أو تكثر » (٩) .

وعلقت (المقطم) على بيان على ماهر حول المفاوضات التى سيجريها مع السفير البريطانى قائلة : ان واجبنا « أن نخلد الى الهدوء والسكون والتعاون مع رئيس الوزارة ، وأن نشد أزره ونحمى ظهره فيها هو مقدم عليه من مواجهة الفاصب لحقوق مصر » (١٠) . اما الجانب البريطانى ، فان ما يجب عليه أن يعرفه عن الموقف الحالى فى مصر ، هو أن الشعب المصرى أبدى تسامحا كبيرا فى سبيل النكوص عن الطريق الذى كان سائرا فيه (١١) .

وكان على ماهر مؤمنا بأن مفاوضاته مع السفير البريطانى ستنتهى الى النجاح ، وحدد موعدا لمقابلة السفير البريطانى فى

الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٩ فبراير ، فى دار وزارة الخارجية لبدء المفاوضات ، واتصل القصر بالسفارة البريطانية ، وأبلغها أن فاروق قرر تغيير وزارة على ماهر ، وطلب من السفير البريطانى أن يعتذر عن عدم الوفاء بموعده مع على ماهر ، وكان على ماهر لا يدرى شيئا وكان لا يعلم أن اتصالات جرت فعلا من وراء ظهره مع نجيب الهلالي ، لكى يؤلف الوزارة خلال أسبوع على الأكثر ، فقد بدأ الاتصال الايجابى مع الهلالي يوم السبت ٢١ فبراير ، وبدأ الهلالي يتشاور سرا مع مرشحيه للوزارة (١٢) .

وزارة الهلالي :

شكل أحمد نجيب الهلالي وزارة ملكية (صرفا) ليس لها ظل من التميز عن السراى واكد هذا المعنى ما كان يطلقه رئيسها فى كل مناسبة من عبارات التاليه للملك ، كما ظهر أنها اتت لتصفية الوند ، وتصفيته لحساب الملك (١٣) وأعلن الهلالي عن برنامجه الذى تضمن اتهامات لوزارة النحاس من ناحية نزاهة الحكم اكثر مما تضمن برنامجا وزاريا ، وهو البرنامج الذى عرف بالتطهير ، وكان المقصود به الوند ، وافتتح الهلالي حكمه بتأجيل اجتماع مجلس النواب وتعطيل الدراسة فى جامعة القاهرة وجميع المدارس الأخرى وبحملة واسعة النطاق من الاعتقالات ، وبذلك وصل الإرهاب اشده فى عهد وزارة الهلالي (١٤) .

وقد رحبت (المقطم) بهذه الوزارة كعادتها وهى تستقبل كل وزارة جديدة ، بقولها ان وطنية الهلالي « لا يرقى اليها الشك ، وتاريخه الوطنى يؤيد هذا الذى ذهبنا اليه فيجب أن تسنده الأمة وتؤازره على تحقيق الاهداف الوطنية والاصلاحات الداخلية » (١٥) . ولكنها اشارت الى القلق الداخلى فى مصر الذى يعود الى أن « الوزراء يفتاجون بدخولهم الوزارة ويفتاجون أحيانا بخروجهم منها »

فلا يتمكنون من اعداد برامج قبل الاشتراك فى الحكم ، ولا يتمكنون من تنفيذ برامجهم قبل تركهم مناصبهم « (١٦) .

وقالت (المقطم) ان أى مفاوضات تجريها الحكومة مع البريطانيين ، يجب ان يكون الغرض منها « معرفة ما عند بريطانيا من مقترحات جديدة ، فإذا كانت مقترحات جديدة درست ، أما اذا لم تكن هناك عروض جديدة فان الساقية تدور من جديد ، ويبدو ان الشعب المصرى ليس مستعدا لان يسمح لهذه الساقية بان تتابع الالف من غير جدوى » (١٧) . واشـارت لتعثر المحادثات التمهيدية بين الهلالى والسفير البريطانى ، وتحدثت عن الوساطة التى يقوم بها السفير الأمريكى (كافرى) بين حكومتى مصر وبريطانيا قائلة انه اذا ما اراد لمساعدته « ان تكلل بالنجاح ، فعليه ان يدرك الزاوية التى تنظر منها مصر عندما تتحدث عن قضيتها الوطنية » (١٨) . وقالت ان « السياسة الانجليزية أصبحت فى حاجة الى مزيد من الفطنة والذكاء لتعرف كيف تحترم مصالح الشعوب » (١٩) .

وكتب رئيس التحرير مقالا يحذر فيه من خطورة الاستمرار فى الدوران فى حلقة مفرغة ، قال فيه : « ان مصر الصابرة تقول اليوم للانجليز (كفى مرمطة) نقد اتخفنا وعودا وشبعنا تحايلا ، ونفد منا الصبر وام تعد تحتل اعصابنا الأناة . ان مصر الصابرة تقول لرئيس وزرائها الذى تعرف وطنيته وتقدر اخلاصه لمصريته . اننى من ورائك كالبنيان المرصوص » « فأخرج من طريق الحلقة المفرغة وسر بنا فى طريق مستقيم غير طريقها وحطم أغلالنا واطلق قيودنا . . ان مصر تنتظر كلمتك فمتى تنطق بها ؟ » (٢٠) . وكتب ايضا يخاطب الهلالى ، بأسلوب غابت عليه الحدة والحاسة لم تعرفه (المقطم) من قبل فى مخاطبة رؤساء الوزارات ، يطالبه فيه بأن « يظل كما عرفناه وعهدناه خادما آمينا للشعب . ساعيا اليه ملبيا رغباته . مستجيبا لآماله ، مستهديا بما يوحى به اليه

صميره فى العمل لخيره وتخفيف آلامه ، نحن نطالبه أن يجوع هو
 ليصبح الشعب وأن يوفر له لقمة سائغة وحياة كريمة » « نحن
 نطالبه بأن يطلق حرية الفكر والرأى من عقالها » « نحن نطالبه بأن
 يفتح ابواب المعتقلات .. نحن نطالبه بأن يقاوم الشيوعية الهدامة
 المخربة بتنفيذ سياسة اشتراكية عادلة .. نحن نطالبه بالا تشغله
 السياسة عن مسئوليته الخطيرة وواجبه الدقيق من شتى النواحي
 الاجتماعية والعمرانية والثقافية والاقتصادية والصناعية والزراعية
 قبل هذا الشعب المجهد المظنى المتعب ، الذى بدأ يحس بنفسه
 ويرى موضع قدمه ، ويكمل وعيه وتفتتح عيونه ، كما بدأ يضيق
 ذرعا بحاله ويكبت عذاباته وآلامه ، متوكلا على خالقه منتظرا
 ساعة الفرج من ضيقه . فان أقدمت نجا ونجت البلاد من آثار
 كبته ، وأن استأخرت ضاع الحرث والنسل . وعندها سوف نندم » (٢١) .

ولكن (المقطم) ثمنت دعوة الحكومة المصرية للزعيم السوداني
 المهدي باشا لزيارة مصر ، والتباحث حول السودان ، واعتبرتها
 « خطوة بارعة لا ريب فيها . فحتى اليوم كانت مصر على اتصال
 بالسودانيين الذين يعتقدون مذهب الوحدة ، ولكنها تجنبت بل لعنها
 خاصمت السودانيين الذين يطلبون استقلالا حتى عن مصر ..
 فالخطوة الجديدة التى خطاها الهلالى باشا انما تعد تصحيحا لوضع
 خاطئ تورطت فيها مصر عن غير كياسة أو فطنة وتعد فى الوقت
 عينه املا جديدا يضىء مشكلة السودان المعقدة » (٢٢) . ورحبت
 « بزيارة التفاهم وتوثيق عرى المودة بين أبناء الوطن الواحد » (٢٣) .
 وقالت ان « مجرد قبول المهدي باشا لدعوة الحكومة المصرية وايفاده
 وفدا من كبار رجاله ، هو دليل أصدق دليل على أنه لا خلاف
 ولا شقاق ولا نزاع بل لا سوء فهم بين جنوب الوادى
 وشماله » (٢٢) . وقالت (المقطم) ان أفضل أنجاز لوزارة الهلالى

عندما غادرت الحكم هو فتح باب التفاهم مع أنصار المهدي في السودان(٢٥) .

ولكن الصحيفة ، لم تدل بدلوها في لعبة الحكم التي يمسك باطرافها القصر ، وهو يقوم بعملية تغيير الوزارات ، ولم تتطرق لاسباب استقالة وزارة الهلالى التى عاشت ثلاثة أشهر لم ينبج خلالها في سياسة التطهير التى وقف رجال الحاشية في سبيلها ونجحوا أخيرا بتصوير الموقف للملك على ان سير الوزارة في طريق التطهير سيؤدى في النهاية الى وصول يد التطهير الى بعض موظفى القصر ذاته(٢٦) . وراجت في ذلك الوقت قصة المليون جنيه ، وهى ان المليونير أحمد عبود على استعداد ان يدفع لفاروق وحاشيته مليوناً من الجنيهات في مقابل اخراج نجيب الهلالى من الحكم ، وروى الهلالى القصة لبعض وزرائه ثم استقر رأيه على ان يقدم استقالته(٢٧) .

وزارة حسين سرى :

شكل حسين سرى وزارته التى ضمت عدداً من كبار رجال القانون من المحامين والقضاة ، ومن رجال غنيين لم يشتغل معظمهم من قبل بالسياسة . ولكن لم يلفت الانظار من أسماء الوزراء الا اسم كريم ثابت الذى غطى تعيينه وزيراً على كل شئء باعتباره من حاشية الملك ، ولما يحوط اسمه وشخصيته لدى الجماهير من مشاعر البغضاء(٢٨) . ولكن (المقطم) بحكم الصلة القديمة مع كريم ثابت الذى امضى سنوات طويلة من حياته الصحفية فيها ، اعتبرت دخوله الوزارة بمثابة فوز وذلغر ، ففى « هذا الظفر اكتمال لناحية نعتقد انها طالما اعوزت هيئة كل وزارة فيما مضى ، حتى تكون السلطة الرابعة ممثلة الى جانب السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية ، فالصحافة من هذه الناحية تعد كذلك انها

ظفرت بالمقام اللائق بها فتعيين معالى كريم ثابت باشا وزير دولة فى هذه الوزارة تقدير للصحافة واعتراف بجلالها وخطرها ، وما غدت تؤدى للبلاد من توجيه تارة فى صورة نقد ، وأخرى فى صورة اطراء وثناء » . وأشارت لموهبته وخبرته الطويلة فى الصحافة وتدرجه فى مناصبها واجادته كل ما « أسند اليه من أعمال فى لباقة وحزم ، حتى وقع عليه اختيار جلالة مولانا الملك المعظم ليكون مستشارا لشئون الصحافة بديوان جلالة الملك ، فظهر من المقدرة والنبوغ والولاء ما جعله موضع الرضاء السامى » (٢٩) .

ولم تعمر الوزارة (السرية) الاخيرة أكثر من عشرين يوما ، تفجرت خلالها أزمة الجيش بحل مجلس ادارة نادى الضباط ، الذى كان قد تم انتخابه برئاسة محمد نجيب تحديا لارادة القصر . وكان هذا التصرف بمثابة اشارة البدء لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (٣٠) .

وزارة الهلالى الثانية :

عاد الهلالى ثانية ليرأس الوزارة بعد استقالة حسين سرى ، وقد تسلم وزارة الحربية فيها اسماعيل شيرين زوج شقيقة الملك ، وكان تعيينه وزيرا للحربية مظهرا لتمادى الملك فى امتهان كرامة الجيش ، ولكن الجيش عاجل هذه الوزارة بثورته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فاطاح بها قبل مضى ثمانى عشرة ساعة على تشكيلها « (٣١) وكانت (المقطم) قد اشارت الى خطورة هذه التغييرات والتقلبات السريعة على مصالح البلاد ومرافقتها التى تتطلب خططا ومشروعات مستقرة (٣٢) .

ثورة ٢٣ يوليو :

قاد ثورة الجيش ضد ناروق ، تنظيم الضباط الاحرار من شباب الضباط الذين التحق معظمهم بالكلية الحربية ، بعد توقيع

معاهدة ١٩٣٦ ، ووصول الوفد الى السلطة فى العام نفسه . فقد كانت الوظيفة فى الجيش حتى ذلك التاريخ مقصورة على افراد الطبقة الارستقراطية ذات الاصول التركية غالبا . ولكن الوفد فتح ابواب الكلية امام الشباب المصرى بصرف النظر عن المكانة العائلية او الطبقة الاجتماعية او الوضع الاقتصادى . ومن بين الأحد عشر عضوا الذين شكلوا الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كان هناك ثمانية اعضاء ممن دخلوا الكلية عام ١٩٣٦ (٣٣) .

وقد أسهمت أحداث حرب فلسطين والهزيمة العسكرية فى اشعال روح الثورة فى صفوف الجيش ، فلما عاد الجيش المصرى من فلسطين ، وكان ضباطه وجنوده قد امتلأت نفوسهم بالمرارة تلقفتهم السلطة الحاكمة بالتفريق والتشتيت والاعتقال ، ولكن النتيجة الحاسمة التى خرج بها ضباط الجيش الصغار من حرب فلسطين ، كانت ضرورة تطهير الجيش من عناصر الخيانة ثم اعادة تنظيمه ، وما أسرع ما ربطوا بين ضرورة ذلك وضرورة تطهير البلاد من الطغيان والفساد ، وكان ذلك يعنى الالتحام التام بين الجيش والحركة الوطنية . واثار ذلك اعيد تنظيم « الضباط الاحرار » ، ذلك التنظيم الذى اخذ فى النمو ليكون طليعة الجيش المصرى الوطنى والقوة الضاربة التى انفصلت عن السلطة الحاكمة ، فكان القوة الوحيدة القادرة على المبادرة والحركة لحماية ثورة الشعب بسبب فشل كافة المنظمات الوطنية فى القيام بهذا الدور (٣٤) .

وقد اتبع الضباط الاحرار طريقة طبع المنشورات وتوزيعها منذ عام ١٩٤٥ ، حتى قيام الثورة ، ولم تكن المنشورات ترسل الى العسكريين محسب ، بل كان يتسلمها الكثيرون من المدنيين المعروفين بأرائهم الحرة وميولهم الاصلاحية وسخطهم على الاوضاع

القائمة . وكان أول منشور بعنوان « نداء وتحذير » واشتمل على المبادئ التى عملت الحركة على تحقيق الكثير منها . وقد لعبت هذه المنشورات دورا بالغ الأهمية والخطورة ، اذ عملت على نشر الدعوة فى الجيش وتجميع السخط حول أهداف معينة ، كما اثارت اهتمام وتأييد الكثيرين من غير العسكريين ، وأكثر من هذا . . لقد كان اصحابها يبعثون الى ذوى السلطان يطالعونهم عن طريقها بالآلام الشعب والجيش ، ويحذرونهم عاقبة الطريق الذى ينجحون اليه . وامتازت المنشورات بصنات الجراءة والصراحة فى القول والرأى ، وكلما زاد الطغيان والفساد امعانا فى الاستهتار زادت تلك الصفات بروزا ، ولم تكن المنشورات تصدر بصورة منتظمة ، وانما كان صدورها حسب المناسبات التى تشغل الأذهان(٣٥) .

وكان قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ، موضوع مانشيت (المقطم) فى عدد اليوم نفسه ، وجاء فيه « استيلاء الجيش على مداخل القاهرة ، الجيش يطلب تنفيذ احكام الدستور تنفيذا صحيحا وابعاد الوسطاء والمرتشين ولا يقبل حلا وسطا » ، كما نشرت البيان الأول الذى اذيع فى الصباح بتوقيع القائد العام محمد نجيب ، أما الخبر الذى نشرته عن الحدث فقد قالت فيه : « فوجيء اهل القاهرة صباح اليوم بحركة غير عادية فى الجيش ، وقد بدأت مظاهر هذه الحركة بزحف قوات جديدة من ثكنات الجيش على مداخل القاهرة واحتلتها جميعا ، ثم انتشرت وحدات من هذه القوات فى بعض انحاء المدينة ، وحطقت أسراب من طائرات سلاح الطيران فى الجو تلقى بعض المنشورات على الناس ، وقد احتلت هذه القوات الاذاعة اللاسلكية . . وقد اثارت هذه الحركة ثائعات أكثرها غير صحيح ، وقد أشيع عن وجود بعض الحركات فى الاسكندرية واغتيال بعض الأشخاص . وقد تحرينا هذه الاشاعات ، فعلمنا انها غير صحيحة اطلاقا ، وان الحالة فى الاسكندرية هادئة وعادية . وقد أحيطت

وزارة الحربية والبحرية بقوات من الجيش ، منعت الدخول الى دار الوزارة لغير الموظفين ، اما سائر الوزارات فالحركة فيها عادية .. وقد جال في انحاء العاصمة قبل ظهر اليوم سعادة اللواء محمد نجيب بك راكبا سيارة حربية يتبعها سيارات تقل عددا من ضباط الجيش ، لتنفذ حالة الأمن « (٣٦) » .

واعربت (المقطم) عن الرغبة في تحقيق الاستقرار الداخلى الذى « صار أمنية لنا ، نهل يكون أمنية بمعية التحقيق أو أننا سنخطو خطوات جدية لتحقيقها » (٣٧) . وقالت « ان جميع الاحداث التى تتابعت في مصر في السنوات الأربع الأخيرة ، تنبع جميعا من الفضائح التى اسفرت عنها معركة فلسطين ، تلك الفضائح التى اثير أمرها في البرلمان ، ثم في دور القضاء ، ولا تزال منظورة أمام المحاكم حتى اليوم . فان انتهاز فرصة هذه الحرب للاثراء وتحقيق الأوطار الخاصة ، وللكسب المعجل على أثلاء الضحايا من الجنود المصريين ، كان ذروة ما بلغه الفساد في الجهاز الحكومى المصرى ، مما أيقظ الضمائر النائمة ونبهها الى أن الحاجة الى الإصلاح واجبة .. ولكن أصوات النذير لم تصب آذانا صاغية .. فأمعنت الاداة الحكومية في عبثها واهمالها .. واليوم نسمع من جديد الأصوات تنادى : هيا الى التطهير الجاد السريع ، وخلصوا مصر من انعى الفساد وسمومها ، وليس هناك من لا يؤيد هذه الأصوات ، ويرجو أن تحقق الإصلاح وإصلاح في اقصر وقت واقربه » (٣٨) .

وهذا يعنى بداية تجاوب الصحافة مع العهد الجديد الذى تتضح ملامحه بشكل تدريجى ، وقد اشارت الى البرقيات التى تتوالى على اللواء محمد نجيب من جميع انحاء المملكة معبرة « عن الشعور العام بالترحيب بهذه الحركة وتبريكها وتأييد قائدها فيما

هو بسبيله من اصلاح وتطهير « . كما اشارت الى أن اللواء محمد نجيب يواصل « ليله بنهاره في العمل بمقر رئاسة الجيش يرسم خطته الحكيمة ويسهر على تنفيذها هو ومعاونوه من ضباط الجيش وممثلي أسلحته بجميع أنواعها ولا ينامون الا غارارا ولا يفادرون مكاتبهم » (٣٩) .

وتحدثت الصحيفة عن التفاوض والاطمنان اللذين استقبل بهما الشعب تسلم على ماهر مهام رئاسة الوزارة « فرفعته معروفة بحزمه وحسن تدبيره وسرعة تصريف الأمور بحكمة . . ولهذا لم يكن من العجيب أن يجمع الناس على أنه رجل الساعة في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ مصر » (٤٠) . ونشرت « وثائق » تنازل فاروق عن العرش . وكان هذا التنازل خاتمة عهد وبداية عهد آخر ، في الأسلوب الذي كانت تستخدمه (المقطم) في أحاديثها عن الملك وصاحب العرش ، وكان المقال الأول عن فساد العهد السابق ، تحت عنوان « كابوس وذناب بشرية » كتبه رئيس التحرير أنطون نجيب مطر وقال فيه : « انتهى بانتهاء عهد الملك فاروق الأول عهد اسود حالك السواد رمته طفمة من المفسدين النهازين للفرص وسبهم فيه الشعب الذي لم يكن ملكا الا به . عذابات وآلاما جساما » ، هذا الملك « ومن ورائه هذه الطفمة الفاسدة المفسدة سدروا في غلوائهم وأمعنوا في ضلالهم . وزادوا الشعب احتقارا وتنكيلا واستهانة بأمره ، وهب رجل من صميم الشعب ومن ورائه جيش باسل تحوطهم قلوب الشعب المضنى ليضعوا حدا لاذلاله . ويقضوا على عهد أقر ما يوصف به أنه عهد الفساد والرشوة والنهب والسلب وازهاق الأرواح البريئة والاعتداء على الكرامات ، والسطو على الأعراض » (٤١) .

وشاركت (المقطم) فى الحملة على الملك السابق وما كان يتقاضاه من الرشوة والسبسة (٤٢) . وهاجمت الحاشية التى كان كل هها « بيع البلاد بأبخس الأثمان لقاء قروش معدودة او جريا وراء نزوات حقيرة تشين صاحبها وتصفه بالخزى والعار » (٤٣) .

واعلنت الصحيفة تأييدها لكافة خطوات الثورة ، ومنها الغاء الرتب والالقاب ، وقالت ان ذلك « يقتضى الغاء عقلية الاقطاع التى خلقت الرتب والالقاب ، و قسمت الناس الى سادة وعبيد وأنشأت عداوة الطبقات وأشاعت حياة الترف بين قلة ونشرت حياة الفاقة بين الكتيرة الغالبة » (٤٤) . وعلقت على بيان القائد العام للقوات المسلحة حول تطهير الاحزاب بقولها : « ولسنا نعرف برنامجا اقوى وانضل مما وضعه رجال الجيش فى مرحلة الانتقال الحالية ، فمطالبه اليوم هى مطالب الأمة كلها » (٤٥) . و اوضحت انه لأول مرة « فى تاريخ مصر الحديث تحترم مشيئة الشعب وارادته احتراما لا يعلى عليه ، و يعمل الحكام على الاستجابة لهذه المشيئة فى كل خطوة من خطاهم » (٤٦) . وقالت ، ان التطهير يجب ان يكون شاملا فلا يقتصر على باب واحد من ابواب الاثراء ، وان يكون سريعا وان يمتد الى اولئك الذين هربوا قبل ان تنالهم يد انعقاب ، وان تتولى عملية التطهير الهيئات القضائية ، سواء فى داخل الاحزاب السياسية او الوظائف الحكومية (٤٧) .

وتابعت (المقطم) بشكل مستمر ، نشر التصريحات والاحاديث التى كان محمد نجيب يدلى بها للصحافة الأجنبية ، وقد خصصته (المقطم) بالمزيد من الاعجاب والثناء عليه ، ومن ذلك قولها : « رعى الله البطل الباسل محمد نجيب ، ماذا كانت تكون حاتنا لو لم يظهر » (٤٨) . وخاطبت رجال الاحزاب بحدّة متناهية طالبة منهم ان « يجعلوا من انفسهم قضاة عادلين ، فان وجد بينهم من ارتدى

مسوح الثناب أو تاجر فى نفوذه ، فعليه أن يحسم الموقف وينزوى فى سلام ، فإذا أصروا على البقاء فى حلبة السياسة وفرض أنفسهم على أحزابهم فرضا ، فلا يلومن الا أنفسهم « (٤٩) » ، مؤكدة أن العهد الجديد « انما يسعى لازالة الفوارق بين الطبقات ، فيعمل لامتصاص الدخول الضخمة بالضرائب التصاعدية وتحديد الملكيات » . وبذلك يطمئن كل فرد من أبناء الشعب الى المستقبل ويوقن « أن حقه محفوظ وقادم اليه عن طريق أدائه لعمله لا عن طريق الزلفى والمحسوبية « (٥٠) » .

واعلنت (المقطم) ان لا علاقة لها بكريم ثابت رئيس تحريرها السابق ، و ذلك فى مواجهة الحملة التى يتعرض لها رجال الحاشية والمسئولون عن الفساد فى عهد فاووق ، مبينة أنه قد « استقال من رئاسة تحرير الجريدة فى ١٩ يوليو سنة ١٩٤٩ » ، وباع حصته فيها للمرحوم الدكتور فارس نمر قبل ذلك بسنة ، ومن ذلك الحين انقطعت صلته بالجريدة انقطاعا تاما ولم تعد له بالتحرير او الملكية علاقة ما اطلاقا « (٥١) » .

وكررت هذا الاعلان فى العدد التالى ولكنها حاولت الدفاع عن كريم ثابت بطريق غير مباشر ، فى معرض تحميلها للوزراء السابقين مسئولية الاعتداء على الدستور الى جانب الملك الذى دفع ثمن أخطائه غالبا ، « أما رجال الحاشية من كان له صفة رسمية أو صفة غير رسمية ، فانهم من حيث نصوص الدستور لا وجود لهم وما كان ينبغى للوزراء المسئولين أن يقيموا وزنا سياسيا لاحد من هؤلاء ، لأن الاتصال بين رئيس الوزراء والملك يجب أن يكون اتصالا مباشرا لا يقف فى سبيله ولا حتى رئيس الديوان . وما ينبغى ان يكون هناك حجاب بين الملك ووزيره الاول ، ولا ينبغى لكرامة الوزراء أن يحنوا رؤوسهم امام الرسل الذين كانوا يوفدون

اليهم ومنهم من لا يدري فى السياسة شيئا بل منهم من ارتفع فجأة من الحضيض الى القمة « (٥٢) .

وقد واصلت (المقطم) اهتمامها بالاجراءات والمشروعات التى دأب العهد الجديد منذ قيام حركة الجيش على تقديمها للجماهير ومنها مشروع تحديد الملكية الزراعية الذى رحبت به ، وقالت انه « ليس اغتصابا ولا تشغيا فى اصحاب الأرض ولكنه مشروع يراد به تحقيق ضرب من ضروب العدالة الاجتماعية ، كما انه يقجه الى فتح أبواب جديدة لاستثمار الاموال « (٥٣) . وتدل الظروف والملايسات على ان تباطؤ وزارة على ماهر فى اصدار قانون الاصلاح الزراعى ، كان من أهم اسباب استقالته ، وان معارضة الأحزاب السياسية للتطهير ومعارضة كبار الملاك لمشروع قانون الاصلاح الزراعى ، قد أخذت تشتد وتتلور مما عجل بالثورة أن تتولى الامر بنفسها ، لأنها رأت أن على ماهر يبدى عطفا كبيرا على كبار الاقطاعيين ، واجتمع واياهم فى قاعة مجلس الوزراء مما شجعهم على اقامة العقبات فى سبيل قانون الاصلاح الزراعى (٥٤) .

واعلنت (المقطم) تأييدها لقانون الاصلاح الزراعى الذى أصدرته وزارة محمد نجيب ، وقالت انه أنصف « اصحاب الاراضى الواسعة لأنه حول ثرواتهم من اموال محبوسة فى الأرض الى اموال مطلقة لهم حق استغلالها فى مشروعات صناعية وتجارية أكثر ربحا من ايجار الأرض » « ولقد أنصفهم أيضا لأنه أنقذهم من انفسهم ، اذ هيا لهم مجالا ينفقون فيه أوقاتهم فى عمل منتج يعود عليهم وعلى امتهم بالخير والرغاية « (٥٥) .

وقد حرصت (المقطم) على التذكير بسياستها « الوطنية » ، وكان منبع هذا الحرص الموقف العدائى الذى وقفته القيادة الثورية الجديدة ازاءها ، فقد أشارت ان سياستها منذ بدأ يشرف عليها

لـفـيـف مـن المـحـرـريـن « المـصـريـيـن الوطـنـيـيـن الفـلاحيـن الصـمـيـيـن » تـترـكـز
فـى « التـفـكـيـر فـى المـصـلـحـة العـامـة » (٥٦) . و كان هـذا الفـريـق مـن
العـامـليـن فـى الصـحـيـفـة قـد تـولـى اـدارـتـها وقـيـادـة العـمـل فـيـها ، بـعـدـما
آلـت مـلكـيـة مـؤسـسـة المـقـطـم والمـقـتـطـف الـى الدـكـتـور فـارس نـمر ، حـيـث
تـمـكـن الدـكـتـور نـمر مـن الـغـاء الحـكـم الـذى صـدـر فـى دـعـوى بـعـض
الشـركـاء بـتـصـفـيـة المـؤسـسـة ، و كـتـبـت (المـقـطـم) تـقـول : اـنـه « نـظـرا
لـحـالـة حـضـرة صـاحـب السـعـادـة الدـكـتـور فـارس نـمر بـاشـا الصـحـيـة ،
يـعـلـن أصـحـاب اـمـتـيـاز (المـقـطـم) و (المـقـتـطـف) اـنـهـم قـد عـهـدوا
بـاصـدارها وتـولـى شـئـون هـذه المـؤسـسـة وسـيـاسـتـها العـامـة ، الـى
فـريـق مـن أبـنـاء هـذه المـؤسـسـة الـذيـن رـبـوا عـلى العـمـل فـيـها مـن أوـل
مـارس ١٩٥١ ، وبـذـلك اصـبـحـت مـسـئـوليـة العـمـل مـن هـذا التـاريـخ
عـلى عـواـتقـهـم » (٥٧) .

كـما اـشـارت (المـقـطـم) الـى قـيـام وفـد مـن اسـرة تـحـريـرها بـزـيـارة
مـحـمـد نـجـيـب فـى داره بـحـلمـيـة الـزيتون » و قـد خـرج أـعـضـاء أسـرة
(المـقـطـم) مـن هـذه الـزـيـارة ، و قـد زـاد ايمـانـهـم العـمـيق بـأسـرار هـذه
العـظـمـة النـادرـة الـتى قـل أن يـذـكـر التـاريـخ لـها مـثـيـلا ، وهـى عـظـمـة
يـوشـيـبـها التـواضـع الجـم والـخـلق الرـضـى ، باطـار مـن المـجـد
الخـالـد « (٥٨) . ونـشـرت صـورـة لـمـحـمـد نـجـيـب ، لـلـمـرة الـأوـلى ، ضـمن
مـوضـوع عـنـوانـه « حـيـاة اللـواء مـحـمـد نـجـيـب وأـعـمالـه ، جـنـدى بـاسـل
لا يـهـاب » (٥٩) . وقـامـت بـتـغـطـيـة رـحـلاتـه لـاقـالـيم الـبـلـاد للـتـعـرف عـلى
مـطـالـب الجـمـاهـير ، وقـالـت اـنـه « حـاكـم شـعـبى لا هـدف لـه الـا
مـواطـنـوه » (٦٠) .

ولـكن الصـحـيـفـة تـضعـف فـى تـحـريـرها واخـراجـها ، و كـانـت تـصدـر
فـى أربـع صـفـحـات ، واخـتـفـت مـنـها العـمـيد مـن الأبـواب والزوايا
والتـعليـقات وأسـماء المـحـرـريـن والـكـتاب ، وبـدا اـنـها مـقـبلـة عـلى التـوقـف

بصفة نهائية ، فكان عددها الأخير فى ١١ نوفمبر ١٩٥٢ ، هذا من الناحية الفعلية ، أما من الناحية الرسمية ، فقد صدر قرار الفائها من وزير الارشاد القومى صلاح سالم بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٦ ، وهو القرار رقم ٦٤ لسنة ١٩٥٤ « باثبات عدم انتظام صحيفة المقطم واعتبار الاخطار المتقدم عن اصدارها كان لم يكن ، تطبيقا للمادة ١٨ من قانون المطبوعات رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ » (٦١) .

أما لماذا توقفت (المقطم) ، بعد أربعة وستين عاما من صدورها ، فإن هذا السؤال يقودنا للحديث عن علاقة المقطم بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وقد روى الأستاذ (وديع فلسطين) قصة هذه العلاقة ، فقال : عندما قامت الثورة حاولنا أن نؤخر صدور عدد (المقطم) فى ذلك اليوم للتعرف على أبعاد هذه الحركة ، ولكن لم نستطيع أكثر من نشر البيان الذى طلبت قيادة الجيش نشره فقط ، وعلى أية حال فقد كنا مترددين فى نشر أخبار الحركة لأننا كنا نخشى أن تفشل فتعرض للعقاب الصارم ، وكانت هناك احتمالات عديدة فى الموقف لأننا لم نكن نعرف شيئا أكثر من ظاهر الأمور والأحداث ، حتى نتصرف على ضوء هذه المعرفة ، ولكننا قررنا متابعة أخبار الحركة كعمل صحفى ، ثم بدانا بتأييد كل ما يصدر عنها . وقد استقبلناها بأمل . وقمنا بكتابة المقالات التوجيهية عن التطهير والإصلاح والغاء الإلقاب . ولكن ما استقر الحكم بيد القيادة الجديدة حتى بدأت تكسر لنا ، كنا نرسل مندوبنا الى مجلس قيادة الثورة فيمنع من الدخول ، وكنا فى الوقت نفسه نخشى أن نلام لعدم النشر ، فنضطر الى متابعة الأخبار عن طريق المندوبين الآخرين فى الصحف ، ثم أوقفت الثورة جميع المساعدات المادية والأدبية عن الصحيفة ، ومن ذلك الاعلانات الحكومية ، فكانت هذه ضربة قاصمة (للمقطم) التى كانت تشكل هذه المساعدات قسما أساسيا من إيراداتها ، وبدأت معاناة حقيقية ، وقام وفد من

المؤسسة بزيارة اللواء محمد نجيب فى منزله ، وذلك اشفاقا على علاقتنا بالثورة ، وشرح له الوند ظروف المؤسسة وموقف (المقطم) التى يعمل فيها مواطنون لديهم أسر وعائلات ، وليس من مصلحة الثورة تضيق الخناق عليهم . ومحمد نجيب رجل طيب ولكنه لم يكن صاحب الأمر والنهى . ثم بدأت الرقابة العسكرية تتصل بنا باستمرار ويبدى أفرادها عدم رضاهم عن مقالات وديع فلسطين ، ويقولون انها مقالات سخيفة ، وكانت تعالج المسائل الداخلية وتناقش توجيهات عامة ، تتفق وأهداف البلاد ومصالحها ، وقد انصرفنا الى الكتابة فى السياسة الدولية الخارجية فبدأوا يقولون انتم لستم فى البلد ! وقال أحدهم على التليفون انه سيحضر بدبابة ليعتقل وديع فلسطين . وقد اعتقلت بالفعل لمدة ثلاثة أيام لم يوجه لى فيها أى اتهام وأفرج عنى بدون محاكمة وماتت القضية . وقد أدركت أن ذلك انما يهدف لدفعى الى العزلة وتهديدى فى العمل والكتابة ، واصابة الصحيفة بالشلل ، لان المقالات كانت عنصرا مهما فيها ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك كله . . التوقف (٦٢) .

هوامش الفصل الثامن

- (١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥١٤ .
- (٢) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٠ .
- (٣) المقطم ٢٩ يناير ١٩٥٢ .
- (٤) المقطم ٣٠ يناير ١٩٥٢ .
- (٥) المقطم ٢١ يناير ١٩٥٢ .
- (٦) المقطم ١ فبراير ١٩٥٢ .
- (٧) موسى صبرى ، قصة ملك و ٤ وزارات ، دار الظم ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .
- (٨) المقطم ٢ فبراير ١٩٥٢ — وديع غلستين .
- (٩) المقطم ١٥ فبراير ١٩٥٢ — وديع غلستين .
- (١٠) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٥٢ .
- (١١) المقطم ٢٩ فبراير ١٩٥٢ — وديع غلستين .
- (١٢) موسى صبرى ، قصة ملك و ٤ وزارات ، ص ٨٤ .
- (١٣) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ٤٥ — ١٩٥٢ ، ص ٥٦٦ .
- (١٤) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٢ .

- (١٥) المقطم ٣ مارس ١٩٥٢ .
- (١٦) المقطم ٦ مارس ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (١٧) المقطم ٧ مارس ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (١٨) المقطم ٩ ابريل ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (١٩) المقطم ١١ ابريل ١٩٥٢ .
- (٢٠) المقطم ٢٢ ابريل ١٩٥٢ - أنطون نجيب مطر .
- (٢١) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٥٢ - أنطون نجيب مطر .
- (٢٢) عندما قلت للأستاذ مطر انكم ظللتم تكيلون المديح للبلك حتى أيامه الأخيرة ذكرنى بهذا التعليق ، وقال أنه كان هجوماً على المهد كله ، على الملك وغيره ، وتساءل قائلاً : ألا يكون الهجوم هجوماً إلا إذا قاد إلى السجن ؟ وما إن الهلالي اتصل معاتباً على هذا الأسلوب فأجبتاه قائلين انكم لا تعرفون ما يدور في البلد ، ستقوم في البلد ثورة وأنتم تمشون في أبراجكم العاجية .
- (٢٣) المقطم ٢٦ مايو ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٢٤) المقطم ٢٩ مايو ١٩٥٢ .
- (٢٥) المقطم ٣١ مايو ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٢٦) المقطم ١ يوليو ١٩٥٢ .
- (٢٧) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٢٣ .
- (٢٨) موسى صبرى ، قصة ملك و ٤ وزارات ، ص ١٤٢ .
- (٢٩) طارق البشرى ، الحركة السياسية في مصر ٤٥ - ١٩٥٢ ، ص ٥٧٨ .
- (٣٠) المقطم ٥ يوليو ١٩٥٢ .
- (٣١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٢٥ .
- (٣٢) عبد الرحمن الرافعي ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ١٢٨ ، ١٤٩ .
- (٣٣) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .
- Vatikiotis, P.J., The Egyptian Army in politics, (٢٣)
Indiana University Press, 1961, P. 45.
- (٣٤) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٣٦ .
- (٣٥) راشد البراوى ، حقيقة الانقلاب الأخير في مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- (٣٦) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .

- (٣٧) المقطم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٣٨) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٣٩) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ .
- (٤٠) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .
- (٤١) المقطم ٢٩ يوليو ١٩٥٢ .
- (٤٢) المقطم ٣٠ يوليو ١٩٥٢ .
- (٤٣) المقطم ٣١ يوليو ١٩٥٢ .
- (٤٤) المقطم ٣١ يوليو ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٤٥) المقطم ٢ أغسطس ١٩٥٢ .
- (٤٦) المقطم ٤ أغسطس ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٤٧) المقطم ٦ أغسطس ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٤٨) المقطم ٧ أغسطس ١٩٥٢ .
- (٤٩) المقطم ١١ أغسطس ١٩٥٢ .
- (٥٠) المقطم ١٥ أغسطس ١٩٥٢ .
- (٥١) المقطم ١٩ أغسطس ١٩٥٢ .

(*) أصدرت محكمة الثورة على كريم ثابت حكما بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ومصادرة كل ما زاد من أمواله وممتلكاته وأموال وممتلكات زوجته على ما كانا يملكانه قبل ٢٧ مايو ١٩٤٦ ، ولكن أخرج عنه صحيا (الرافعي ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ٩٨) .

- (٥٢) المقطم ٢٠ أغسطس ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٥٣) المقطم ٢٦ أغسطس ١٩٥٢ - وديع فلسطين .
- (٥٤) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
- (٥٥) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٥٢ .
- (٥٦) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٥٢ .
- (٥٧) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٥١ .

(*) قال لي الأستاذ وديع فلسطين - يوم ٢ مايو ١٩٨٠ - ان هذا الفريق الذي عند اليه بادارة المؤسسة كان يتألف من ثمانية اشخاص هم : انطون مطر ، مصطفى الحكيم ، فريد مكاريوس ، فريد قريه ، وديع فلسطين ، سبيرو جسرى ، فهمي

عوض الله ، وجرجس يوسف .

(٥٨) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

(*) قال لى الأستاذ أنطون نجيب مطر ، فى لقائى معه فى يوم ٦ مايو ١٩٨٠ ، انه قام بزيارة محمد نجيب بمفرده ، وقد كان بينهما معرفة سابقة على الثورة ، وأنه قال لمحمد نجيب : يقولون ان الجريدة انجليزية ، وأنا أقول لا ، انها صحيفة مصرية وتسير فى الخط الوطنى ، ونحن مصريون ليس لنا صلة بالانجليز ، وماضينا ناصع البياض ، ونحن واثقون من موقفنا ، وأن محمد نجيب اجله بأنه يثق فى كلامه ربأى كل ما يقوله صحيح ، ولكن ، يضيف الأستاذ مطر ، الأمر لم يكن كذا هو معرووف بيد محمد نجيب .

(٥٩) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٥٢ ،

(٦٠) المقطم ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

(٦١) ملف صحيفة المقطم بإدارة المطبوعات بالهيئة العامة للاستعلامات ،

القاهرة .

(٦٢) حديث شخصى مع الأستاذ وديع فلسطين فى ٢ مايو ١٩٨٠ .

الخاتمة

لم تتوقف صحيفة (المقطم) لحظة واحدة عن اداء الدور الذى رسم لها فى الدعاية للاحتلال الانجليزى واهدافه ومخططاته . ولم تتخل عن خطتها السياسية ومنهجها الدعائى برغم كل ما تعرضت له من الاتهامات وصيحات الاستنكار المختلفة من جانب الصحافة والقوى الوطنية .

ولم تخف (المقطم) سياستها ، بل اعتدت بها ودافعت عنها وبررتها ، واعتبرتها « السياسة الفائزة » . ودعت المصريين الى اتباعها . وسعدت بالتقائها مع المنتنمين بالاحتلال على نفس الطريق ونفس الهدف وحول نفس السياسة .

ولم تتوقف (المقطم) عن محاربة الحركة الوطنية فى مراحلها المختلفة ، وكانت عوناً للوزارات المتعاقبة فى سياساتها القمعية ضد الحركة الوطنية وصحافتها .

وتحدث الرأى العام المصرى ومشاعره يوم (دنشواى) . ورات فى اعدام الفلاحين جزاء عادلا بل هو اقل مما يستحقونه .

وفتحت صدر صفحاتها للحزب الوطنى الحر الذى انشأه محمد وحيد ، مضادا للحزب الوطنى الذى يراسه مصطفى كامل . وكان

الحزب الحر احتلاليا يسبح بحمد الانجليز ويعتبر احتلالهم لمصر
منبعا للخير والسعادة والحرية والعدالة .

وعندما تقع الحرب العالمية الاولى ، فان (المقطم) تهيب
بالمصريين ان يهبوا للقتال الى جانب بريطانيا ، اعتراغا بجميـل
الدولة المحتلة فى اصلاح البلاد ونشر رايات العدل والحرية فى
ربوعها .

وعندما تعلن الحماية البريطانية على مصر ، التى دعمت
اركان الاحتلال والفت الخديوية ، فان (المقطم) تبتهج لهذا الحدث
وتهلل له ، وتعتبره اكبر نعمة تحل لخير مصر والمصريين .

وعندما استيقظت مصر ، وخرجت تطالب بالحرية والاستقلال
فى ثورة ١٩١٩ ، التى شارك فيها الشعب بمختلف فئاته ، فان عذه
الثورة لم تكن بالنسبة (للمقطم) سوى مظاهرات يقوم بها الفوغاء
والرعا . وصبت جام غضبها على المتظاهرين ، ووصفت حركتهم
بانها فتنة تتعرض لها البلاد ونكبة كبرى تودى بمصالحها ومرافقتها .
وكانت (المقطم) بأسلوبها هذا ، منسجمة مع نهجها السياسى
المعروف بتأييد الاحتلال ومشاريعه وخططه ، الذى يعتبر ان مصر
غير جديرة بالاستقلال الذى سبق ان نادى به الحركة الوطنية
المصرية ممثلة بالحزب الوطنى الذى انشأه مصطفى كامل وخلانه
فى قيادته محمد فريد .

ولعل (المقطم) لم تكن مهية فى سنة ١٩١٩ ، لهذا التحول
الثورى الذى نجم عن انفجار سخط الجماهير وغضبها وانطلاق
ثورتها واتخاذها ابعادا لم تكن فى حسابان احد .

ولكن هذه المفاجأة سرعان ما تبددت ، عندما اتسع نطاق
الثورة ، وبدأت تجبر بريطانيا على تسجيل التراجعات أمامها ،

الأمر الذى جنح (بالمقطم) نحو تعديل أساليبها فى معالجاتها السياسية لتطور الأحداث والتعامل مع القضية المصرية بروح يختلف الى حد كبير عما كان عليه الوضع قبل الثورة ، وجعلها تعلن أنها ترى نفسها ملزمة بهذا التعديل انسجاما مع النتائج التى فرضتها الأحداث ، وبأنها ستقف فى صف مطالب مصر وأمانها القومية ، ومادامت مصر قد اختارت هذا الطريق الذى تضع فيه مصلحتها ومستقبلها فى أيدي أبنائها ، بعدما كانت فى أيدي البريطانيين . ومن ثم ظهرت فى مقالاتها وتعليقاتها تعبيرات وكلمات لم تكن واردة من قبل عن الأمة المصرية والقضية المصرية والأمانى القومية والاستقلال والنهضة .

ولكنها فى هذه المرحلة المبكرة من عمر الثورة ، لم تضع كل ثقلها الى جانب حركة الجماهير ، فقد أبدت تحفظها فى كثير من المواقف ، وأكدت حرصها على نبذ العنف والتطرف فى مواجهة البريطانيين ، واستنكرت محاولات اغتيال ضباطهم وجنودهم . كما استنكرت محاولات الاعتداء على حياة السياسيين المعتدلين من المصريين ، الذين سعت بريطانيا الى تشجيعهم ودعمهم فى مواجهة الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول ، الذى اعتبرته بريطانيا مصدرا للتطرف واثارة الاضطراب وسببا فى احباط المشاريع البريطانية التى رأى الوفد أنها ليست فى مستوى طموحات المصريين وتطلعاتهم . . وكانت (المقطم) ، وقتئذ ، تعزف على نغمة الاعتدال ودور عقلاء الأمة فى السعى لكسب صداقة بريطانيا وعدم اللجوء الى الاغتيالات التى تشوه قدسية القضية المصرية . وكانت بذلك تعكس السياسات البريطانية التى ركزت منذ البداية على ابراز الزعامات المصرية المعتدلة وتأييدها واعتبارها ممثلة للشعب المصرى ، فى محاولة منها لمحاصرة الوفد وازعاج نفوذه وشعبيته فى صفوف الجماهير .

وقد جعل التزام (المقطم) الثابت والمستمر بالحرص على علاقة بريطانيا بمصر تأخذ جانب الوزارات المصرية ، التي تصل الى دست الحكم باختيار الانجليز ، او باختيار السراى عندما كان تحالف السراى والانجليز حقيقة واقعة .

وهذا الحرص على دفع العلاقات المصرية — البريطانية نحو الصيغ المقبولة ، كان باعنا للصحيفة لى تؤيد بكل قوة سياسة التفاوض المباشر بين مصر وبريطانيا فى كل مراحل المفاوضات وينصرف النظر عن شخصية المفاوض المصرى . وكانت تعتبر كل نجاح تحرزه المفاوضات وتتقدم به العلاقات نجاحا لسياستها وامكارها التى كانت تتحدث دائما عن امكانية التوفيق بين استقلال مصر والمصالح البريطانية فيها واعتبار كسب بريطانيا لصداقة مصر خير سياج يحمى المصالح البريطانية نفسها .

ودأبت (المقطم) ابان الازمات العنيفة التى حدثت بين مصر وبريطانيا ، على السعى لايجاد المخرج المناسب من هذه الازمات بالدعوة الى البحث عن نقاط الاتفاق وازالة سوء الفهم ، والحرص على معالجة المشكلات المثارة بروح الرغبة فى التفاهم واسلوب الملاينة وضبط النفس ودعوة العقلاء من الجانبين للتدخل بالصيغ التوفيقية ، ولاسيما اذا كانت هذه الازمات فى عهد الحكومات المصرية التى تعتقد (المقطم) أن وجودها فى قمة السلطة يخدم قضية التناهم وتحسين العلاقات مع بريطانيا .

وقد رحبت (المقطم) بمعاهدة ١٩٣٦ التى سميت بمعاهدة الصداقة والتحالف واطلق عليها النحاس باشا معاهدة الشرف والاستقلال ، ووجدت فيها نجاحا باهرا لمنطلقاتها السياسية ودعواتها المتكررة لوضع العلاقات المصرية — البريطانية فى اطار واضح يؤمن لمصر استقلالها ولبريطانيا مصالحها .

وأخذت (المقطم) فى المرحلة التى تلت توقيع المعاهدة تشديد بالنحاس وزعامته وتاريخه الوطنى ونجاحاته السياسية وتقف الى جانبه فى الصراع الذى شهدته البلاد بين القصر والوفد ، وان كانت قد حرصت على التوفيق بين الطرفين ، سعيا لبقاء الوفد فى الحكم ، نظرا لما يعنيه ذلك من القدرة على التنفيذ الدقيق لبنود المعاهدة .

وعندما كانت الحياة الدستورية تتعرض للأزمات العنيفة التى تحول دون استمرارها ، ويثور التساؤل حول الموقف البريطانى منها ، كانت (المقطم) تتولى تقديم تفسير الموقف البريطانى ، ولاسيما عندما يكون هذا الموقف متسما بالحياد وعدم التدخل ، وهو حياد قصد به دائما ، جعل القوى الوطنية المصرية تتصارع فيما بينها ، بما يؤدى الى ضعفها جميعا وشغلها عن مواجهة بريطانيا بالمسائل المعلقة بين الجانبين ، وانجاز الاستقلال الوطنى ، واجلاء قوات الاحتلال . وكانت (المقطم) تشير دائما الى انها تقوم بالقاء الاضواء على الموقف البريطانى ردا على ما يرد اليها من تساؤلات القراء ، وبأنها تستقى الاجابات من المصادر البريطانية الموثوقة فى دار المندوب السامى ، بما يوحى بقربها من هذه المصادر ، وبأنها قادرة دائما على بسط الموقف البريطانى على حقيقته .

ويقودنا الحديث عن الحياة الدستورية الى موقف (المقطم) من الدستور والحكم الدستورى . فقد رحبت (المقطم) دائما بالحياة الدستورية والنيابية وبالمبادئ الدستورية كنموذج يليق بأمة متحضرة كالامة المصرية ، وصيغة متقدمة تحدد العلاقات بين الهيئات الحاكمة والهيئات المحكومة . وكانت تبدى أسفها لكل اعتداء يقع على الحياة الدستورية ، بما يتيح المجال للاضطراب السياسى ، وذلك فور وقوع الاعتداء فقط ، ولكنها بعد أن تأخذ الحياة السياسية مجراها بعد ذلك ، لم يكن يعينها كثيرا من الذى يتربع فى دست الحكم ،

فالبرلمان هو البرلمان سواء كان منتخباً انتخاباً جراً أو مزيماً . .
والدستور هو الدستور سواء كان دستور ١٩٢٣ أو دستور صدقي
عام ١٩٣٠ ، وما على القائمين بالأمر الا اداء واجباتهم نحو البلاد
والسمى لاستقرار الاوضاع الاقتصادية والمعيشية لاهلها .

أما موقف (المقطم) من الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت
فى كل ما كتبته فى غمرة هذه الحرب ، تدعو لقضية الحلفاء ونصرة
بريطانيا وتوقيع أسباب النصر ، وتوظيف كافة عناصر السياسة
الداخلية المصرية فى خدمة أهداف الحرب ، حتى لو كانت على
حساب استقلال البلاد ، كما حدث عندما فرض السفير البريطانى
على القصر وزارة النحاس فى حادثة ٤ فبراير . وكان النصر
النهائى للحلفاء مبعث سعادة كبرى (للمقطم) وهى ترى توقعاتها
تتحقق ، مما جعل صاحبها الدكتور فارس نمر يذكر بصواب السياسة
التي سارت عليها (المقطم) منذ صدورها ، ويحمد الله على أن أحياءه
حتى يرى ثمار غرسه فى حقل سياسة الصداقة والتعاون بين مصر
وبريطانيا .

وقد اتجهت (المقطم) بعد الحرب بكل ثقلها الى القصر ،
والتعبير عن سياسته ورغباته ، ولاسيما بعد أن ابتعدت أصابع
الانجليز عن تحريك كل صغيرة وكبيرة فى البلاد بعد أن تحققت
الانتصار للحلفاء ، وتأكدت صداقة الملك فاروق للانجليز ، وترك
اللورد كيلرن منصبه فى مصر ، وأصبح الوقت مهياً لمراجعة شاملة
للعلاقات المصرية البريطانية بعد الحرب . كما كان للصداقة التي
جمعت كريم ثابت رئيس تحرير (المقطم) بالملك فاروق ، وجعلته
صحفياً مقرباً من القصر ، ثم مستشاراً صحفياً للملك ، دورها فى
أن تأخذ علاقة (المقطم) بالقصر ، هذا الشكل الجديد من الولاء
والتأييد للملك ، الذى أصبح القوة الوحيدة المسيطرة فى البلاد . .

وذلك قبل أن تهتز هذه الصورة بالفوضى السياسية التي أعقبت الهزيمة العسكرية في حرب فلسطين ، وما تبعها من مواجهات قاسية مع الجماعات والتنظيمات السياسية ، وعلى رأسها الإخوان المسلمون ، الذين شن القصر ضدهم حملة مطاردة شرسة في أعقاب مقتل حكمدار بوليس العاصمة والنقراشي باشا . علما بأن (المقطم) كانت في غمرة هذه الأحداث الساخنة تؤكد استقرار ولائها للقصر ، والتفنى بحكمته وديمقراطيته ، برغم ما كانت تشنه بعض الصحف الحزبية ضد الفساد والتجاوزات التي شهدتها البلاد ، أبان عهد حكومة الوفد الأخيرة التي حاول القصر بتحالفه معها جعلها سياجا يحمي تصرفاته وسوء مسلكه ، وعدم انضباط رجال حاشيته ، هذه التجاوزات والتصرفات التي وجدت فيها الصحافة الحزبية كصحافة مصر الفتاة والحزب الوطني ، حقلا خصبا للهجوم المرير على الوزارة الوفدية والحاشية الملكية . وامتدت في بعضها لتشمل الملك نفسه الأمر الذي أدى الى تقديم عدد من الصحفيين الى المحاكم بالتهمة التي عرفت « بالمعيب في الذات الملكية » والتي رأت (المقطم) فيها أمرا تجب مقاومته وعدم السكوت عليه ، واستغرقت أن يوجد من يفكر بالهجوم على « مسند الملكية » في نفس الوقت الذي نصبت فيه من نفسها مدافعا عن وزارة النحاس الأخيرة وانجازاتها ، ومهاجمة منتقديها . وقد ظل ولاء (المقطم) للقصر حتى أيامه الأخيرة برغم خروج كريم ثابت من رئاسة تحريرها في عام ١٩٤٩ .

ولكن هذه الحقيقة التي تميزت بها علاقات (المقطم) بالقصر تختلف عن الصورة التي انتهت اليها علاقات (المقطم) بالانجليز في السنوات الثلاث الأخيرة من عمرها . ولعل الأسباب التي تفسر هذا التغيير كثيرة ، منها ما هو داخلي يتعلق بأوضاع الصحيفة نفسها ، ومنها ما هو خارجي يتعلق بنضوج الحركة الوطنية وتطور وسائلها ، واتجاهها نحو استشراف آفاق جديدة في الكفاح لنيل

الحقوق الوطنية . أما بالنسبة للصحيفة نفسها ، فقد رفع الدكتور فارس نمر احد مؤسسيها وموجه سياستها طيلة ستين عاما من عمرها ، رفع يده عن ادارتها وتحريرها وعهد بذلك الى فريق من العاملين فيها الذين راوا المضى بسياستها بما يتفق مع نمو الروح الوطنى فى البلاد ، لاسيما ان هذا التغيير تزامن مع التغيير السياسى الذى شهدته البلاد بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واللجوء الى الكفاح الفدائى المسلح لمقاومة الوجود البريطانى غير الشرعى على ضفاف القناة . وكان موقف المقطم فى اثناء هذا الكفاح مصرىيا وطنيا .

ولكن هذه الوقفة الوطنية المتأخرة للمقطم لم تشفع لها امام القيادة الثورية الجديدة لحركة الجيش عام ١٩٥٢ ، التى واجهت الصحيفة بمواقف واجراءات كان مفهوما منها ان عليها ان تغلق أبوابها وتتوقف عن الصدور بعد أربع وستين سنة متصلة وبدا أن رجال الثورة بموقفهم هذا من (المقطم) قد حاكموا تاريخها ، ولم يمنحوا لانفسهم الوقت لقراءة حاضرها وانفعالها بظهورهم على مسرح السياسة المصرية .

الصفحة

القسم الأول :

تقديم ٥

تمهيد :

الصحافة المصرية والاحتلال البريطاني ، قبل صدور
المقطم ٧

الفصل الأول :

اصدار جريدة المقطم ١٧

الفصل الثانى :

المقطم والحركة الوطنية (١٨٨٩ - ١٩١٢) . . . ٥٣

الفصل الثالث :

المقطم والحوادث فى الحرب العالمية الاولى . . . ٩٣

الفصل الرابع :

أساليب المقطم فى الدعاية للاحتلال البريطانى . . ١٢٣

الفصل الخامس :

المقطم وثورة سنة ١٩١٩ ١٧١

الفصل السادس :

المقطم وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ٢٠٧

الفصل السابع :

المقطم و « وزارة الشعب » ٢٥٣

القسم الثاني :

الفصل الأول :

المقطم ومشكلات الحياة الدستورية (١٩٢٤ —

١٩٣٦) ٢٨٣

الفصل الثاني :

المقطم ومعاهدة سنة ١٩٣٦ ٣٧٥

الفصل الثالث :

المقطم والصراع بين الوفد والقصر ٣٩٩

الفصل الرابع :

المقطم ومصر في الحرب العالمية الثانية ٤٣٩

الفصل الخامس :

المقطم والقضية الوطنية بين المفاوضات والتحكيم

الدولى ٤٨١

الفصل السادس :

المقطم والقضية الفلسطينية ٥١٧

الفصل السابع :

المقطم وحكومة الوفد الأخيرة ٥٤١

الفصل الثامن :

المقطم وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٥٧٥

الخاتمة ٥٩٩

صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر :
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطيء المصرية في العصور الوسطى ،
علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د . عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية ،
د . علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د . محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزي ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضى ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د . نبيل راغب ، ١٩٨٨

- ١٣ - اكلدوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ١٤ - مصر فى عصر الولاية ، من الفتح العربى الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د. محمد انيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ٢ ، امام التصوف
فى مصر : الشعراى ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
 د. نجوى كامل ، ١٩٨٩
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب ،
 تأليف : هاملتون جب وهارولد بويين ، ترجمة : د. أحمد
 عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
 د. سعد اسماعيل على ، ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
 تأليف : الفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد ابو حديد
 ١٩٨٩
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
 تأليف : الفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد ابو حديد
 ١٩٨٩
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين ،
 د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - المؤلفون فى مصر فى عصر محمد على ،
 د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٠
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
 شكرى القاضى ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
 لمى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى : نظرة على الاوضاع
 الراهنة ورؤية مستقبلية ،
 د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة
 حتى عام ١٩١٢ ،
 د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٠
- ٣٦ - المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر
العثماني ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- ٣٩ - قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقي الجميلى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني ،
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتقديم : د. حسن
حبشى ، ١٩٩١

- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن
الثامن عشر ،
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢
- ٥٣ - اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم
المنوفية ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل اللمة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،
د. ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد الى التاميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمعى المطيعي ، ١٩٩٣
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم
رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء : دراسة
وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال : ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧) ،
د. سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

- ٦٧ - مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الاعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل النعمة فى الاسلام ،
تأليف : أ. س. ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ،
ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف احمد
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى
العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
امينة احمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى ،
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل النعمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

- ٧٦ - دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩)
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوروبى (١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،
د. رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في مصر الحرة الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د . أحمد الشربيني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد : ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)
ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د . نبیه بیومی عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)
ج ٢ ،
د . سهر اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وافريقيا ٥٥ الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة
(ابحاث الندوة التي اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الافريقية بجامعة القاهرة)
اعدها للنشر د . عبد العظيم رمضان

- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية-الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر ،
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني -
الروماني) ج ٢ ،
د. سمير يحيى الجمال
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
تأليف : د.د. عبد العزيز صالح ، د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحي ،
أ. د. فاروق القاضي ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم
رمضان
- ١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
تأليف : اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/
عبد الحميد كفاي ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/
جمال منصور

رقم الإيداع: ١٩٩٧/٢٣١

الترقيم الدولي 9 ... 5081 — 01 — I.S.B.N. 977

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

نوع: المجلدات -